The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Religion basics
Master of the Hadith and its sciences



الجامعـــــة الإسلاميـــــــة–غـــزة
شـئون البحـث العلمـي والدراسـات العليـا
كليـــــــــة أصـــــــول الـــــــدين
ماجسـتير فـي الحـديث الشـريف وعلومـه

تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية
(دراسة موضوعية)

The tactic of military operations In light of the Sunnah (Objective study)

إِعدَادُ البَاحِثِ
نسيم زياد محمد سعيد أبو عجينة

إِشرَافُ
الأُسْتاذُ الدُكتُور
طَالِب حَمَّاد أبو شَعَر

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ فِي الحديث الشريف وعلومه بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

مايو/2016م – شعبان/1437هـ

إقـــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية
(دراسة موضوعية)
The tactic of military operations In light of the Sunnah (Objective study)

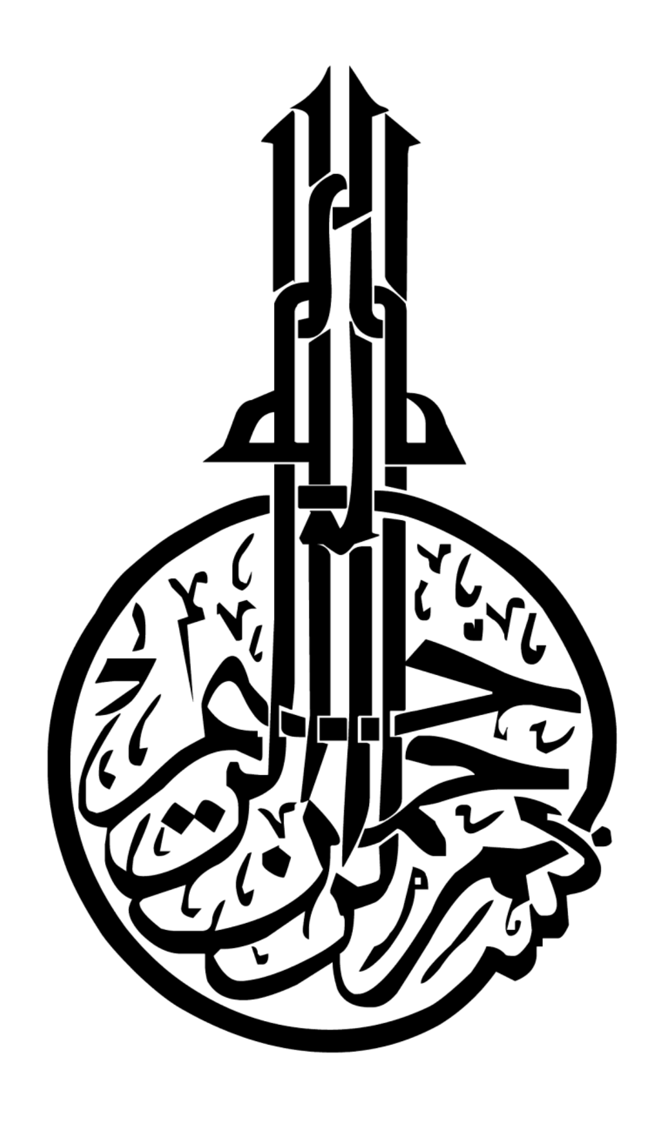
أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	نسيم زياد محمدسعيد أبو عجينة	**اسم الطالب:**
Signature:		**التوقيع:**
Date:	2016/5/18م	**التاريخ:**



قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الزُّمر:9].

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن عمر بن الخطاب قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).**

(1) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلي رسول الله، 6/1: رقم الحديث 1].

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد ..

فيتناول هذا البحث موضوع **تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية**، لما لهذا الموضوع من أهمية معاصرة، واحتياج لتبيان تأصيله الشرعي من سنة النبيﷺ.

وقد تألف هذا البحث من **مقدمة، فصل تمهيدي، ثلاثة فصول وخاتمة**، فالمقدمة اشتملت على أهمية البحث وبواعث اختياره، وأهدافه، ومنهج الباحث وطبيعة عمل الباحث، والدراسات السابقة، بالإضافة إلى خطة البحث.

أما الفصول فكانت كالتالي:

الفصل التمهيدي: تعريفاتُ الدراسة، وتحليلُ غزواتِ النبيﷺ.

فيه دراسة التعريفات العامة للدراسة مثل: العمليات العسكرية، والتكتيك العسكري، والاستراتيجية العسكرية.. إلخ، ثم التحليل النوعي والكمِّي للغزوات والمعارك في السنة النبوية.

الفصل الأول: تكتيك العمليات الدفاعية في السنة النبوية.

فيه ذكر مبادئ العمليات الدفاعية وفق الفن العسكري، واستنباط تطبيقاتها في السنة النبوية؛ ثم دراسة أنواع العمليات الدفاعية؛ والاقتصار على العمليات الدفاعية الثابتة والمتحركة فقط؛ مع ذكر تطبيقاتها في السنة النبوية.

الفصل الثاني: تكتيك العمليات الهجومية في السنة النبوية.

فيه ذكر مبادئ العمليات الهجومية وفق الفن العسكري؛ واستنباط تطبيقاتها في السنة النبوية؛ ثم دراسة أنواع العمليات الهجومية؛ وقد قسمها الباحث إلى عدة أنواع، حسب الأحداث والمعارك في السنة النبوية؛ مع ذكر تطبيقاتها.

الفصل الثالث: تكتيك العمليات الخاصة في السنة النبوية.

فيه دراسة للعمليات الخاصة وعناصرها وخصائصها، ثم العمليات الاستخبارية، وعمليات الخداع العسكري، وعمليات الاغتيال وتصفية الأعداء، وعمليات الردع وإرهاب الأعداء؛ وهو العمليات الفردية الخاصة؛ مع ذكر التطبيقات الواردة في السنة النبوية.

وكذلك اشتمل البحث على **الخاتمة**، ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة، وبعض التوصيات التي أوصيت بها، ثم ختم الباحث هذا البحث بعمل الفهارس.

والله وليُّ التوفيق،، والهادي إلى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

Abstraet

Praise be to Allah , peace and blessings be upon the master of the prophets and messengers , and his family and his companions, companions , after ..
the tactic of military operations in the light of the Sunnah , because of the subject of contemporary importance , and the need to demonstrate legitimate inherently Allenbaρ than a year .

This research consisted of an introduction , an introductory chapter , three chapters and a conclusion , chapeau included the importance of research and motivated his choice , and its objectives, and the methodology of the researcher and the nature of the work of a researcher , and previous studies , in addition to the research plan .

The chapters were as follows: **The introductory chapter** : study definitions , and analysis invasions Allenbaρ . The study of the general definitions of the study , such as military operations , military tactics , military and strategic .. etc., then the qualitative and quantitative analysis of invasions and battles in the Sunnah . Chapter One: the tactic of defensive operations in the Sunnah . In which he stated the principles of defensive operations in accordance with the military art, and the development of applications in the Sunnah ; and then study the types of defensive operations ; and limited to defensive operations only fixed and mobile ; with the applications mentioned in the Sunnah .

Chapter II: The tactic of offensive operations in the Sunnah.

In which he stated the principles of offensive operations in accordance with the military art; and the development of applications in the Sunnah; and then study the types of offensive operations; researcher has been divided into several types, depending on the events and battles in the Sunnah; together with the applications.

Chapter III: The tactic of special operations in the Sunnah.

The study of special operations and its elements and characteristics, and intelligence operations, military deception, and operations, and assassinations and the liquidation of enemies, and deterrence operations and terrorist enemies; it is the individual special operations; together with the applications contained in the Sunnah.

And also included research on the conclusion , he stated that the most prominent findings by the study, and some of the recommendations , which I commanded , then seal researcher of this research work indexes.

God Crown success ,, and the Pacific to the straight path
And Praise be to Allah, the Lord of the Worlds

الإهـداء

- إلى الرسول الأعظم، والمعلم الأكرم: محمدﷺ.
- إلى أمي وأبي الغاليين حفظهما الله تعالى.. من أبتغي رضاهما بعد الله تعالى، هم ينبوع العطاء والحنان.. هم من علّماني معنى الرجولة والبطولة، والجد والاجتهاد.. والصبر والتغاضي.. وسعوا وشقوا لننعم بالراحة والهناء.. أعانني الله على برِّهما وحسن صحبتهما.
- إلى زوجتي الحبيبة الكريمة، وهي ترى اليوم ثمرة صبرها ومصابرتها.
- إلى أبنائي فلذات الكبد: الحسن، مسلمة، زياد، وعبد الرحمن.
- إلى إخواني وأخواتي، من حبهم يجري في عروقي، ويلهج بذكراهم فؤادي.. عنوان العطاء والوفاء.
- إلى روح شيخي الحبيب، الأستاذ الدكتور أبي بلال نزار عبد القادر ريان، وأسرته – رحمهم الله تعالى–، وإلى أرواح القادة الشهداء، الذين غرسوا حب الجهاد ونصرة الدين في نفوس الأجيال، وقادوا الجهاد على أرض فلسطين المباركة بعزيمة وثبات حتى قضوا في سبيل الله تعالى شهداء فسطروا بدمائهم أروع وأنصع صفحات المجد والفداء.
- إلى ورثة الأنبياء أهل العلم والعلماء، وكل مسلم سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا.
- إلى كتائب الشهيد عز الدين القسام؛ قادةً وجنداً، عنوان التضحية والفداء، الواثقين بنصر الله، وتحرير المسرى والأسرى بإذنه سبحانه.
- إلى كتيبة بيت لاهيا، قادة وجنوداً، العاملين المرابطين على الثغر الشمالي (ثغر عسقلان).
- إلى المجاهدين والمرابطين في سبيل الله، وهم يعبدون الطريق نحو إقامة دولة إسلامية، يُعزُّ فيها الإسلامُ وأهلُه ويُذلُّ فِيهَا الشِّركُ وأَهلهُ.
- إلى جامعتي الغرَّاء.. جامعة العُلماءِ، والشهداءِ، والمجاهدين.. قلعةً شامخةً ومنبعاً للعلم والعلماء.
- إلى فلسطين الحبيبة، وإلى شهدائنا الأبرار، وجرحانا البواسل، وأسرانا خلف قضبان الحديد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

سائلاً المولى تعالى أن يجعله صالحاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أمة الإسلام والمسلمين

الشكر والتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7] فإنَّني أَحْمَدُ اللهَ حَمْداً كَثيراً، أَنْ منَّ عَليَّ بإتمامِ هذهِ الرِّسالة، ويَسَّرَها لي حَتى صارت على هذا النَّحْو، فالحَمدُ كُلُّ الحَمدِ لَه وَحْدَهُ أَولاً وآخِراً، وإِنَّني أَطْمعُ في المَزيد، وأسْأَلُه أَنْ أَكونَ مِنَ الشَّاكرين.

وامتِثالاً لأَمْرِ اللهِ تَعالَى حَيثُ قال: ﴿ومَن يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه﴾.[لقمان:12]، وتَأدِيَةً لِبَعْضِ ما وَجَبَ عَلَيَّ مِن حَقِّ الشُّكرْ، فإنَّني أَتَقَدّمُ بِجَزيلِ الشُّكْرِ وخالِصِ التَّقْديرِ وجَميلِ العِرْفانِ إلى أُسْتاذي وشَيْخي **فَضِيْلَةَ الأُسْتاذِ الدُّكتور: طالب حمّاد أبو شعر – حَفِظَهُ الله –**

والَّذي تَفَضَّلَ بِالإشْرافِ عَلى هذه الرِّسالَة، ومَنَحَني مِن وَقْتِهِ وَعِلْمِهِ الْكَثير، وأَغْدقَ عليَّ بِتوجيهاتِهِ النَّافِعة، وغَمَرَني بِنَصائِحِهِ وتَوجيهَاتِه، فَجَزاهُ اللهُ كُلَّ خَيْرٍ وباركَ فيه وفي عُمْرِهِ وَوَقْتِه وعِلْمِه.

كَما وأَتَقَدَّمُ بالشُّكْرِ والتَّقْديرِ لأُسْتاذَيَّ الْكَريمَيْنِ الْفاضِلَيْن، وعُضْوَيّ لَجْنَةِ الْمُناقَشَة، صاحِبَيْ الْفَضيلَة:

فَضيلَةُ الدُّكتور: زكريا صبحي زين الدين – حَفِظَهُ اللهُ تَعالى – .

فَضيلَةُ الدُّكتور: يوسف عوّاد الشّرافي – حَفِظَهُ اللهُ تَعالى – .

وذلكَ علَى تَفَضُّلِهِما بِقَبولِ مُناقَشَةِ هَذه الرِّسالَة، ليُثْرِياها بِالتَّوْجيهاتِ السَّديدَة، والْإِرْشاداتِ النَّافِعَة.

والشُكْرُ مَوْصولٌ إِلى مَنارَةِ الْعِلْمِ والْعُلَماءِ وَالشُّهَداءِ، الْجامِعَةِ الْإِسْلامِيَّةِ بِغَزَّة، وَإِلى عَمادَةِ الدِّراساتِ الْعُلْيا– كُلِّيَّةَ أُصولِ الدّين، وَأَخُصُّ بِالذِّكْرِ قِسْمَ الْحَديثِ الشَّريف.

كَما وَأُقَدِّمُ شُكْرِيَ وَامْتِنانِيَ لِوالِدَيّ الْكَريمَيْنِ اللّذَيْنِ لَمْ يَمَلّا مِنَ الدُّعاءِ لي بِالتَّوْفيقِ وَالسَّداد.

كَما وَأَشْكُرُ كُلَّ مَنْ أَعانَني بِفائِدَةٍ أَوْ نَصيحَةٍ أَوْ تَوْجيهٍ أَوْ تَصْحيحٍ مِمّا ساهَمَ في إِثْراءِ الْبَحْث، أَوْ قَدَّمَ لي كِتاباً أَوْ فَتَحَ لي أَبْوابَ مَكْتَبَتِهِ في أَوْقاتٍ مُخْتَلِفَة، وَقَدْ أَتْحَفوني بِفَضْلِهِم، وَأَخُصُ مِنْهُم: أَخي الْأُسْتاذ عَبْدَ الله مقاط، وَمَكْتَبَتِهِ مَنارَةَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيّ، وَعَمّي أَبو دُجانَةَ عَبْدَ الرَّحْمنِ وَمَكْتَبَتِهِ مَكْتَبَةُ الشَّهيدِ أَبو دُجانَة، وَالْإِخْوَةَ الْأَحْباب: الدُّكْتورُ عَبْدَ اللَّطيف رَيّان، وَالْأُسْتاذُ مُصْعَبْ دَرْويش، وَالْأُسْتاذُ إِبْراهيمْ عَبْدو، وَالْأُسْتاذُ أَمْجَدْ الْعُكَّة.

وَالشُّكْرُ مَوْصولٌ إِلى الأُخْتُ الأُسْتاذَة، نادْيَة أَبو ناجي (أُمُّ أَحْمَد)، وإِلى أُخْتِي الغَالِيَة فَاطْمة عَبْدِ الرَّحْمَن.

المحتويات

المقدمة

الحمدُ للهِ رب العالمينْ، والصلاةُ والسلامُ على قائدِ المجاهدينْ، سيدِنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أفضلُ الصلاةِ وأتم التسليم؛ وبعد:

لقد حظيَ الجانبُ العسكريُّ في السنةِ النبويةِ المطهرةِ بالعنايةِ والاهتمام؛ فتُراثنا العسكري الإسلامي مليءٌ وزاخرٌ بالكثير من المبادئ العسكرية والتكتيكات المعروفة والتي يُعملُ بها حتى اليوم؛ وهي تستحق أن تُعطى اهتماماً في البحث والتصنيف لتنعكسَ الفائدَة من هذا التراث ميدانياً بين صفوف المجاهدين الذين يسْعون لتكون كلمة الله هي العُليا.

إن المُطّلعَ الدارسَ **لتكتيكاتِ المعاركِ الحربيةِ والعملياتِ القتاليةِ** الواردةِ في السنةِ النبويةِ المطهرةِ، يستخلصُ أن جيش الإسلامِ الأول – قادةً وجنداً – قد تعلموا ومارسوا عملياً كلَ أشكال العمليات الحربية تحت قيادة القائد العسكري الأول سيدنا محمدﷺ، واكتسبوا خبرةً قتاليةً فائقةً في مواجهةِ التنظيماتِ الحربيةِ والنظرياتِ القتاليةِ المختلفة؛ فقد حاربوا المشركين بأسلوبِ الكرِّ والفرِّ، وحاربوا اليهود الذين كانوا يقاتلونهم " من وراءِ جدر" ومن داخل حصونهم وقراهم المحصنة، وقاتلوا الرومَ وحاربوهم فاكتسبوا بذلك الخبرةَ القتاليةَ الجيدة في مواجهة الجيوشِ الكبيرةِ المنظمة، بالإضافة إلى خبرتهم في قتالِ الجيوشِ غير المنظمة "كقريشٍ والقبائلِ العربيةِ الأخرى"، وبذلك حققوا إبداعاً وبراعةً في تخطيطِ وتنفيذِ التكتيكاتِ القتاليةِ بأشكالها كافة.

وحين ننظرُ لتحليل الغزوات من حيث **أنواع العمليات القتالية**؛ نجدُ أنها احتوت على كافةِ أشكالِ العملياتِ العسكرية، فمنها: العملياتُ الهجومية، ومنها العملياتُ الدفاعية، ومنها عملياتُ الحصارِ والقتال في القرى المحصنة، ومنها عملياتُ المطاردة، ومنها عمليات الإغارة، ومنها العمليات الخاصة كالاستطلاع والتأمين والاغتيال أو التحقيق ومهام الحراسة الخاصة وعمليات الخداع وتضليل الأعداء، ومهام ردع وإرهاب العدو وانتزاع رغبة القتال منه وتحطيم معنوياته وهو ما يسمى بالحرب النفسية .. وغير ذلك.

و العجيبُ أنّ العديدَ من الدارساتِ الغربيةِ تدرسُ شخصيةَ نبيِّناﷺ دراسَة عسكريةً بحتة، بل يُدرِّسُونها في بعض كلياتهم العسكرية، ومن هذه الدِراسات المختصة دراسةٌ أمريكيةٌ عسكريةٌ بعنوان: (التاريخُ العسكريُّ للرسولِ محمد) حيث يُدرّسون فيها كيفية نجاحهﷺ في تشكيلِ أولِ جيشٍ عقائديٍ متماسكٍ في تاريخِ العرب[1].

فالأولى بنا نحن المسلمون أن نُعيدَ قراءةَ تاريخنا العسكريِّ في السنةِ النبويةِ قراءةً تحليليةً فنيةً

---

[1] خطاب: العسكرية العربية الإسلامية، (ط3/ ص4).

تجمعُ بين التأصيلِ والمعاصرة؛ لنؤصّلَ هذه التجاربَ والنماذجَ العسكريةَ الإسلاميةَ التي أساسُها كتابُ اللهِ وسُنة المصطفىﷺ وكجزءٍ من العقيدةِ الإسلاميةِ وثمرةٍ لها، لتكونَ نبراساً ومرجعاً للقاصدين دربَ الجهادِ والقتالِ في سبيلِ الله تعالى.

ولهذا السببَ وجَد الباحثُ في نفسهِ دافعاً يُشجعه نحو البحث في هذا الموضوع؛ وذلك لحاجتنا للتأصيل لمثل هذه العلوم، وإظهاراً لجهاد أسلاَفنا الذين سطروا هذه البطولاتِ والنجاحات العسكرية، والتي ما زالت مرجعاً يُحتذى به ليوماً هذا.

لذا؛ سعى الباحث إلى إيجادِ القراءةِ الإسلاميةِ المتخصصة في مجالِ فنونِ العملِ العسكريِّ المستقاةِ من حياةِ النبيﷺ ومن المنهجِ الإسلاميِّ الربانيِّ الخالدِ؛ سائلاً ربّاً كريماً أن يفتحَ عليَّ فتحاً من عنده، وأن يكون هذا العملُ خالصاً لوجه الكريم.

أولاً: أهميةُ البحثِ وأسبابُ اختيارِه:

يستمدُ الباحثُ أهميةَ هذا البحثِ وأهميةَ موضوعهِ (تكتيكُ العملياتُ العسكريةُ في ضَوْءِ السنَّةِ النبويَّة) من أنه البحثُ الأولُ من نوعهِ حيثُ يدرسُ المعاركَ التي خاضهاﷺ وأصحابُه، وذلك من خلالِ دراسةٍ حديثيةٍ عسكريةٍ فنيةٍ معاصرة، بعيداً عن السردِ التاريخي، حيث يتم فيها تطبيق نصوصِ السنةِ النبويةِ المقبولةِ وِفْقَ مفاهيمَ ومصطلحاتِ المدرسةِ العسكريةِ الحديثة.

ويأملُ الباحثُ أن تكونَ هذه الدراسةُ ذاتَ أهميةٍ فنيةٍ وقيمةٍ علميةٍ، وإضافةً يمكنُ توظيفها لخدمةِ مشروعِ التحرير، نظراً للأسباب التالية:

- تُظهرُ الدراسةُ، أنواعَ وأساليبَ العملياتِ العسكريةِ، وكيف طبقها النبيﷺ، في معاركِهِ وغزواتِهِ.
- التحليلُ النوعيُّ و الكمِّيُّ لغزواتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وتصنيفها وِفقَ أنواعِ العملياتِ العسكرية.
- بيانُ المنهجِ النبويُّ، في أصولِ وقواعدِ عمليات الحربِ العسكرية، للاقتداءِ بها، في صراعنا العسكري مع عدونا.
- التعرفُ على كيفيةِ اِستغلالِ الموارِدِ والإمكاناتِ الموجودةِ والمتاحة، واستثمارُها في تحقيقِ الفُرَصِ وإزالةِ التهديداتِ العسكرية؛ وكيف كانت براعةَ أسلافنِا وعبقريتِهم العسكريةِ في ذلك.
- رغبةُ شيخِنا الشهيدِ الدكتورِ نزارُ ريانٍ رحمه الله تعالى، أن تخدمَ دراساتي الحديثيةُ الميدانَ العسكريَّ والعملَ الجهاديّ.
- يوافقُ توجهاً عندي أيضاً، وتشجيعاً من مشرفي الفاضل وذلك لتقديم دراسةٍ عسكرية، نابعة من هدي النبيﷺ، وسيرته العطرة، خدمةً للمجاهدين على أرضِ فلسطين.

ثانياً :- الدراسات السابقة:

لم يتبين للباحث في حدود علمه، دراسة حديثية وافية ومتخصصة في موضوع تكتيك العملياتِ العسكريةِ في السنةِ النبوية؛ إنما هي دراساتٌ ومباحثٌ متناثرةٌ في بطونِ الكتب، حيث تُركِّزُ أغلبُها على سردِ أحداثٍ ووقائعَ وسِيَرَ كعرضٍ تاريخيٍّ وقَصَصِي للغزواتِ والمعارك، وأحياناً دون توثيقٍ وعزوٍ للمصادر، وقد وجدتُ بعضَ الدراساتِ التي تصنفُ الغزواتِ والعملياتِ الحربيةَ في السيرةِ النبوية، ولكن؛ من خلالِ دراساتٍ عسكريةٍ مستقلةٍ بعيداً عن الدراسةِ الحديثية، وما وجدتهُ هو عرضٌ سريعٌ مختصر، دون التركيزِ على الاستدلالِ لها من نصوصِ السنةِ النبويةِ المقبولة، وتحليلها وخدمتها بالتخريج، والدراسةِ المستفيضةِ والحكمِ عليها.

ومن هذه الدراسات:

- العسكريةُ في الإسلام، اللواء محمد جمال الدين محفوظ.
- الرسولُ القائد، للواء الركن محمود شيت خطاب.
- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، للواء محمد فرج.
- المدرسة النبوية العسكرية، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس.
- العسكرية الإسلامية منذ فجر الإسلام، لمحمد عبد الواحد حجازي.
- العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ليوسف جمال الخلفات وبهاء الدين سعيد.

ومجمل هذه الدراسات تتحدث عن العسكرية في الإسلام، ونشأتها، وتميز قادتها وجنودها ومنهاجها، وتبرز الدور الأساس في إنشاء هذه المدرسة ومرجعيتها الرسولﷺ، وفي كثير منها هناك سرد تاريخي لأحداث المعارك والسير، وتحليل عام – غير متخصص- ، وكذلك استعراض لمواصفات القيادة من حيث التواضع والشجاعة والثبات والحنكة، وعلاقة القائد بجنوده..إلخ.

- **وقد وجد الباحثُ دراساتٍ ذاتَ علاقةٍ جزئيةٍ بالموضوعِ كالتالية:**

أ. **الأمنُ العسكريُّ في السنة النبوية**، رسالة ماجستير، للأستاذ نهاد الثلاثيني، والتي تناولت تعريفَ الأمنِ العسكريِّ وتاريخِهِ، وقد تحدثَ فيها عن الأمنِ العسكريِّ الوقائيِّ والاستخباري وقد ذكر بها بعض المهام والعمليات والتي لها علاقةً بالجانبِ الأمني .

ب. **الاستخباراتُ النبويةُ وأثرُهَا في أهمِّ غزواتِ الرسول ﷺ وسراياه**، دراسةً في مبحثٍ لـ:
أ. م. د. سالم أحمد محل.

ت. **النظرياتُ العسكريةُ بين الإعدادِ والتخطيط (دراسة قرآنية موضوعية)**، رسالة ماجستير، للطالب عبد الهادي الأغا، إشراف الدكتور جمال الهوبي، قسم التفسير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية. وهو بحث يتناول فيه تعريف الإعدادِ العسكريِّ كما يعرضُهُ القرآنَ

الكريم، حيث يوردُ التعريف، ثم يَستشهدُ بالآياتِ القرآنيةِ لمباحثِ دراستهِ، وأقوالَ المفسرين، ويَتطرقُ لبعضِ الدروسِ والعبرِ العسكريةِ الواردةِ في الآياتِ القرآنيةِ الكريمة .

ث. **التخطيطُ العسكريُّ في ضَوْءِ غزوتي بدرٍ وأُحد**، للأستاذ الدكتور عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي، وهي دراسةٌ تاريخيةٌ في كليةِ الآداب، قسمُ التاريخ ، الجامعةُ الإسلاميةُ ببغداد.

وبناءً على ما تقدم، خاض الباحثُ بعد التوكلِ على اللهِ غِمارِ هذه الدراسة، المتكاملة لتكتيكِ العملياتِ العسكريةِ في السنةِ النبوية، حيث يذكر التكتيكات والمبادئ العسكرية المعاصرة للعمليات العسكرية بأنواعها؛ ويؤصل لها مما ورد في السنة النبوية والسيرة الصحيحة، وذلك من خلال الاستدلالُ لها وجمعِ نصوصِ السنةِ النَّبَوِيَّة المقبولة، وخِدمتُها تخريجاً، وصياغةً، وحُكْماً، وعَزْواً، وتوثيقاً لمصادرها الأصلية، للاستدلالِ بها في مباحثِ الدراسة، بما يخدم الموضوع، مبرزاً براعة وحنكة النبيﷺ كقائدٍ عسكري، وكذا القادة العسكريين الإسلاميين الأوائلَ من الصحابةِ الكرامِ﵃.

سائلاً المولى عز وجل، أن تَخرجَ هذه الدراسة، في أبهى حُلَّةٍ قاصداً بها خِدمةَ الإسلامِ والمسلمين، وطلبَة العلم، و خدمةَ ميدانِ المجاهدين المقاتلين على أرضِ فلسطين الحبيبة، آمين.

ثالثاً :- أهداف البحث:

- جُمع الأحاديثَ النبويةَ المقبولة، التي تناولت تكتيك العملَ العسكري في السنةِ النبوية، والتأصيل لتكتيك للعملياتِ العسكريةِ ومبادِئ القتالِ العامة .
- إضافةُ نوعيةً تخصصيةً للبحوثِ المعاصرة، في الحديثِ الموضوعي.
- إفادُة المجاهدين عامة، ومجاهدي فلسطينَ خاصة من "السيرة النبوية" في الصراعِ مع أعداءِ اللهِ يهود؛ حيث تكون هذه الدراسةُ مَعلماً للعسكريين ومناراً للمجاهدين وعِبَراً ودروساً للسالكين.تتبع واستنباط الأصول العسكرية التي رعاها رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه الكرامِ في معاركِهم وغزواتِهم، وكيفَ كان عَمَلُها وسَيْرُهَا، هل كَان وِفْقَ أصولٍ عسكريةٍ سليمة أم بطريقةٍ عشوائية.
- التحليلُ النوعيُّ الكَميُّ لغزواتِ النبيِّﷺ وتصنيفها وِفْقَ أنواعِ العملياتِ العسكرية.
- التعرفُ على الأساليبَ و الوسائلَ المتعددةِ التي استعملَها المصطفىﷺ وأصحابُه في عملياتِهم القتالية .
- دراسةُ العملياتِ الدفاعيةِ والهجوميةِ والخاصّة التي شاركَ فيها رسولُ الله وأصحابُه الكرام، من منظور عسكري، واستنباطُ الدروسَ والعبرَ التي تخدمُ العملَ العسكريَّ الدفاعيَّ في قطاعِ غزة .
- بيانُ براعةِ وحنكةِ النبيﷺ من خلالِ قيادتهِ للعملياتِ العسكريةِ أو إشرافهِ عليها، ودراسةً تخطيطِهِ وتكتيكِهِ لهذه العمليات، والأصولَ العسكريةَ والتكتيكاتِ والأساليبَ التي استخدمها في حروبِهِ معَ أعداءِ الإسلام؛ و كيف استطاع إنشاءَ جيلٍ من القادةِ المبدعين، ومن المقاتلينَ الأشداءَ الذين

تمتّعوا بالقدرةِ العاليةِ والمرونةِ وتَقَبُلِ كافةَ المتغيراتِ والمخاطرَ التي تحيطُ بهم .

رابعاً :- منهج البحث وطبيعة عمل الباحث فيه:

يَتَّبِعُ الباحثُ المنهجَ الاستقرائيَّ الجزئيَّ لنماذجَ من العملياتِ القتاليةِ، والاستدلالَ لمباحثِ الدراسة، بالأحاديثِ الواردةِ في العملياتِ العسكريةِ في السنةِ النبوية، دون حصرِ جميعِ العمليات، مع الاستفادةِ من المنهجِ التحليلي، في استنباطِ المعانِيَ والقواعد، من النصوصِ الحديثية، التي تشيرُ إلى الموضوع.

1- منهجُ الباحثِ في إيرادِ الأحاديثَ وصياغةِ الموضوع:

- يستدل الباحث، بالآيات القرآنية، إن وجدتها استئناساً.
- تصنيفُ الأحاديثِ تصنيفاً موضوعياً حَسْبَ مباحثَ الخطةِ وذلك بإيرادِ نماذجَ من الأحاديثِ ذاتِ الصلة بموضوعاتِ ومتطلباتِ الموضوع، مَعَ عدمِ اِستقصاءَ جميعَ الأحاديثِ في الموضوع.
- الاكتفاءُ بذكرِ الراوي الأعلى، وقد يقتصر على موضعِ الشاهدِ من الحديث، إذا كان الحديثُ طويلاً.
- الاستدلالَ لمباحثِ الدراسة، من خلال الأحاديث المقبولة، من مصادرها الأصلية المسندة، وقد يستدلُ الباحثُ بالحديثِ الضعيفِ ضعفاً يسيراً مع بيان ضعفه، فيما ليس فيه حُكماً شرعياً، فقد تساهلَ العلماءُ في مثلِ ذلك في السير.
- يقدمُ الباحثَ والمباحث، والمطالبَ بعبارة موجزة، ويعلقُ على الأحاديث، ويربطُ بينها، وربما يقتطفُ الباحث من كتبِ الشروح، والتفسير، والمؤلفاتِ ذاتِ العلاقة، ما يناسبُ للتعليقَ على الحديث، بما يخدمُ الموضوع.

2- منهجُ الباحثِ في تخريجِ الحديثِ والعزوِ للمصادر:

- عزُو الأحاديثِ الْمُسْتَدَلُ بها إلى مصادرها مع ذكرِ الجزءِ والصفحةِ ورقمِ الحديثِ واسمِ الكتابِ والباب، إن وجد.
- إذا كان الحديثُ في الصحيحين أو أحدهما، يكتفي الباحثُ بعزوِهِ إليهما أو أحدهما.
- إذا كان الحديثُ في غيرِ الصحيحين، يتوسعُ الباحثُ بتخريجِهِ من كتبِ السُنة، بما يخدمُ الموضوع.
- تخريجُ الآثارِ والحُكمِ عليها عند الحاجة.

3- منهجُ الباحثِ في الترجمةِ للرواة:

- الترجمةُ لغيرِ المشاهيرِ من الصحابة.
- الاختصارُ في الترجمةِ للرواةِ الذين أَطْلَقَ القَوْلَ ابنُ حجرِ بتوثيقهِم أو تضعيفهِم، في تقريبِ

التهذيب.

- التوسعُ في الترجمةِ للراوي المختلَف فيه، مبينا خلاصةَ الرأي فيه، حَسْبَ أصولِ علمِ الجرحِ والتعديل.
- إذا تكرر الراوي المُختلَف فيه يقوم الباحث بذكرِ خلاصةِ الحكمِ فيه مع ذكرِ الصفحةِ التي تَرْجَمَ له فيها.

4- منهجُ الباحثِ في الحكمِ على الأحاديث:

- الاكتفاء بتخريجِ الحديث من الصحيحين إن كانا في الصحيحين أو أحدهما، دون دراسةٍ للإسناد.
- تخريجُ الحديثِ من كتبِ السنةِ إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما، حَسْبَ قواعدِ علومِ الحديث، وأصولِ الجرحِ والتعديل، والحكمِ عليها، مستأنساً بأقوالِ العلماءِ القدامى، والمتأخرين إن وجدت.

5- منهجُ الباحثِ في توثيقِ المراجعِ:

- توثيقُ الآياتِ في متنِ الصفحةِ بعد ذكرها مباشرة.
- توثيقُ الكتبِ في الحاشيةِ بذكرِ اسمِ المرجعِ او ما اشْتُهر به، والجزءِ والصفحة، ثم ذكر المعلومات التفصيلية عند ذكر المرجع في المرة الأولى فقط، ثم ذكره مفصلاً في فهرس المصادر والمراجع.
- توثيقُ المقالاتِ في الحاشية، بذكر اسمِ المقال، ثم كاتبه، ثم ما وُجد من معلومات، وإذا كان منشوراً على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يُذكر الرابط.

6- منهجُ الباحثِ في خدمةِ متن الحديثِ:

- ضبطُ الكلماتِ الغريبةِ بالاستفادةِ من كتبِ اللغة.
- بيانُ ألفاظِ غريبِ الحديث، بالاستفادةِ من كتبِ الغريبِ واللُّغة.
- التعريفُ بالأماكنِ و البلدان، من خلالِ الرجوعِ للكتبِ الخاصّةِ بذلك.
- ما سبقَ من ضبطِ الكلمات، والتعريفِ بالغريب، والتعريفِ بالأماكنِ و البلدانِ سيكونُ في هامشِ الصّفحة.

7- منهجُ الباحثِ في الفهارسِ وآليةُ ترتيبها:

- فهرس المصادر والمراجعِ، حسَب حروفِ الهجاء.
- فهرسُ الآياتِ القرآنية، حَسْبَ ترتيبِ الآياتِ ثمَّ السور.
- فهرسُ أطرافِ الأحاديث، حسبَ حروفِ الهجاء.
- فهرس الرواة، والأعلام المترجمين.

- فهرسُ البلدان، حسبَ حروفِ الهجاء.
- فهرسُ الموضوعات.

8- منهجُ الباحثِ في الدارسةِ التحليلية:

- اعتمادُ المنهجِ الاستنباطيِّ التحليلي.
- بيانُ الفوائدِ والدروسِ والعبرَ المستنبطةِ من خلالِ دراسةِ تكتيكِ العملياتِ العسكريةِ في السنةِ النبوية.
- اقتباسُ بعضَ النصوصِ من الدراساتِ العسكريةِ التحليليةِ للغزواتِ النّبوية.
- الاستشهاد ببعض النماذج والتجارب العسكرية من السيرة، ومن التاريخ الإسلامي (القديم والمعاصر) وتحليلها، عند اللزوم والحاجة لذلك.

خامساً: خطَّةُ البحثِ:

يشتملُ البحثُ على مقدمةٍ، وفصلٍ تمهيديٍّ، و ثلاثةَ فصولٍ رئيسة، وخاتمةً تتضمنُ النتائجَ والتوصياتِ وهي موزعةً كالتالي:

المقدمةُ: وفيها ذكرُ أهميةِ وأهدافِ البحث، ومنهجيةِ الباحث، والدراساتِ السابقة.

الفصلُ التمهيديّ: تعريفاتُ الدراسةِ وتحليلِ غزواتِ النبيﷺ ، وفيه مبحثان موزعان كما يلي:

المبحثُ الأول: التعريفُ بمصطلحاتِ الدراسةِ العامّة، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريفُ العسكرية، لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريفُ التكتيكِ العسكري، لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريفُ الاستراتيجيةِ العسكرية، لغةً واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريفُ العملياتِ العسكرية، لغةً واصطلاحاً.

المبحثُ الثاني: التحليلُ النوعيُّ والكمّيُّ للغزواتِ والمعارك في السُّنَّةِ النَّبويَّة.

المطلب الأول : التحليلُ الكمّي والتوزيعُ الزمنيِّ للغزواتِ النبوية.

أولاً: عددُ الغزواتِ والسَّرايا النَّبويَّة.

ثانياً: أهدافُ الغزواتِ النَّبويَّة.

ثالثاً: أثرُ الغزواتِ والسَّرايا وفوائِدِها.

المطلب الثاني: التوزيعُ الزمنيُّ للغزواتِ والسَّرايا النَّبويَّة.

المطلب الثالث: التحليلُ النّوعيُّ للغزواتِ النَّبويَّة.

أولاً: العملياتُ القتاليَّةُ المحدودة.

ثانياً: العَمليّاتُ العسكريةُ الدفاعية.

ثالثاً: العمليّاتُ الهجومية (المُنسَّقة).

رابعاً: عملياتُ استثمارِ النَجاحاتِ العسكرية.

خامساً: عملياتُ المطاردةِ العسكرية.

سادساً: العملياتُ العسكريةُ الخاصَّة.

الفصل الأول: تكتيكُ العملياتِ الدفاعيةِ في السُّنَّةِ النَّبويَّة.

ويشتمل على مبحثين:

المبحثُ الأوّل: مبادئُ العملياتِ الدفاعيةِ وِفْقَ الفنِّ العسكري، وفيه عشرُ مطالب:

سيقومُ الباحثُ بدراسةِ هذه المبادئَ وِفْقَ الفنِّ العسكري، واستنباطِ تطبيقاتِها في العملياتِ العسكريةِ الدفاعية في السُّنَّةِ النَّبويَةِ وذلك في عشرة مطالب.

المطلبُ الأول: مبدأُ الاستفادةِ الصحيحةِ من الأرض.

المطلبُ الثّاني: مبدأُ التأمينِ للقوّاتِ المدافعة.

المطلبُ الثالث: مبدأُ الدَّعمِ المتبادلِ بين المدافعين.

المطلبُ الرابع: مبدأُ الدِّفاعِ من كافَّةِ الجهات.

المطلب الخامس: مبدأُ الدِّفاعِ في العُمْق.

المطلبُ السادس: مبدأُ قابليَّةِ المرونة.

المطلبُ السابع: الاستفادةُ القصوى من العملياتِ الهجومية.

المطلبُ الثامن: مبدأُ الانتشار.

المطلبُ التّاسع: مبدأُ الاستفادةِ من الوقتِ المتوفِّر.

المطلبُ العاشر: مبدأُ تحضيرِ وتنسيقِ الخطَطَ الدفاعية.

المبحثُ الثاني: أنواعُ العملياتِ الدفاعية:

سيقتصرُ عملُ الباحثِ على أنواعِ العملياتِ الدفاعيةِ (الثابتةَ والمتحركة) ، وذلك في مطلبين:

المطلبُ الأول: الدفاعُ المتحرِّك، أو الدفاعُ التأخيري، ويشتملُ على نوعين:

النوعُ الأوَّل: الدفاعُ المتحرِّكُ خارجَ حدودِ المدينة .

النوعُ الثّاني: الدفاعُ المتحرِّكُ على مشارفِ المدينة .

المطلبُ الثّاني: الدفاعُ الثّابتُ (داخلَ حدودِ المدينة).

الفصلُ الثّاني: تكتيكُ العملياتِ الهجوميةِ في الُسنَّةِ النَّبَّوية.

ويشتملُ على مبحثَين :

المبحثُ الأوّل: مبادئُ العملياتِ الهجومية.

سيقومُ الباحثُ بدراسةِ مبادئَ العملياتِ الهجوميةِ وِفِقَ الفَنِّ العسكري، ثُمَّ استنباطُ تطبيقاتِها في العملياتِ العسكريةِ الهجوميةِ في السُنَّةِ النَّبويَّةِ، وذلك في أحدَ عشرَ مطلباً على النحو التالي:

المطلبُ الأوَّل: تحقيقُ التَّماسِ مع العدوِ وحفظِهِ.

المطلبُ الثَّاني: توسيعُ الوضعيةِ وتطويرِ الموقف.

المطلبُ الثالث: استثمارُ نقاطِ ضعفِ العدوِّ المكشوفة.

المطلبُ الرابع: احتلالُ النِّقاطِ الحيويةِ والسيطرةِ عليها.

المطلبُ الخامس: تحصيلُ الابتكارِ في العملِ وتحقيقِ المباغتةِ للعدو.

المطلبُ السّادس: حفظُ مواصلةِ الهجوم.

المطلبُ السّابع: حشدُ القدرةِ القتاليةِ المتفوقةِ في الزمانِ والمكانِ المناسبين.

المطلبُ الثّامن: النارُ والمناورةُ والنارُ والحركة.

المطلبُ التّاسع: وضعَ وحفظُ التأمينِ للقواتِ المهاجمة.

المبحثُ الثّاني: أنواعُ العملياتِ الهجوميةِ في السُنَّةِ النَّبَويَّة:

وفيه أربعةُ مطالب:

المطلبُ الأوّل: العملياتُ الهجوميةُ المنسَّقة، وهي على النحو التالي:

أولاً: العملياتُ الهجوميةُ ضدَّ جيشٍ صغير .

ثانياً: العملياتُ الهجوميةُ ضدَّ جيشٍ كبير.

ثالثاً: العملياتُ الهجوميَّةُ ضدَّ قرىً محصنةٍ ودفاعاتٍ قوية .

المطلبُ الثّاني: عملياتُ استثمارِ النجاحاتِ العسكرية.

المطلبُ الثّالث: عملياتُ المطاردةِ العسكرية.

المطلبُ الرّابع: العملياتُ التعرضيةُ والإغارةُ لأهدافٍ محددة.

الفصلُ الثّالث: تكتيكُ العملياتِ العسكريةِ الخاصَّة :

ويشملُ ستَّةَ مباحث:

المبحثُ الأوَّل: تعريفُ العملياتِ الخاصَّة، وبيان عناصرها وخصائصها.

المبحثُ الثّاني: العملياتُ الاستخبارية.

المبحثُ الثّالث: عملياتُ الخداعِ العسكري.

المبحثُ الرابع: عملياتُ الاغتيالِ وتصفيةُ الأعداء.

المبحثُ الخامس: عملياتُ الردعِ وإرهابُ الأعداء.

المبحثُ السّادس: العملياتُ الفرديةُ الخاصة.

سادساً: الخاتمة : وفيها أهمُّ النتائجِ والدروسِ المستفادة، ثمَّ التوصيات.

الفصل التمهيدي:
تعريفات الدراسة وتحليل غزوات النبيﷺ

الفصلُ التمهيدي:

تعريفاتُ الدراسة، وتحليلُ غزواتِ النبيﷺ

لقد حظيت العملياتُ العسكريةُ – كغيرها – بالعناية والاهتمام في السنة النبوية المطهرة؛ وفي ظل واقع الأمة القائم على التدافع مع أعدائها، وفي ظل دفاع أبناء الإسلام عن دينهم وهويتهم؛ فإنه يتطلب من أهل العلم والعلماء الشرعيين، البحث في السنة النبوية على الموضوعات التي تفيد الواقع العملي الذي نحياه، ودراسة القرآن والسنة والسيرة النبوية دراسة تحليلية متخصصة تجمع بين التأصيل والمعاصرة؛ لتكون نبراساً ومرجعاً للقاصدين درب الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى، وحتى تنعكس الفائدة ميدانياً بين صفوف المجاهدين الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العُليا.

ويسعى الباحث من خلال الفصل التمهيدي إلى التعريف بمصطلحات الدراسة العامة، ووضع صورة عامة لطبيعة الدراسة في الفصول القادمة من خلال تحليل الغزوات النبوية.

المبحث الأول: التعريفُ بمصطلحاتِ الدراسةِ العامّة، وفيه مطالب:

المطلبُ الأوّل: تعريفُ العسكريةِ لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريفُ: العسكرّية" لغة:

عَسْكَرَ يُعْسكِرُ عَسْكَرةً فهو مُعسكِر، والمفعول مُعَسْكَرٌ بِهِ. **وعسكَر القومُ بالمكان:** تجمّعُوا ونزلوا فيه، **وعسكرَ الجنودُ على الحدود:** خيَّموا، أقاموا معسكراً. **ويُقالُ عسكرَ** الليلُ اشتدت ظلمته، **وعسكرَ الشيءُ** جمعه، **وعَسْكَر** جمعه عَسَاكِرْ، **والعسكرة:** الشِّدَّةُ والجدبُ، **والعسكرُ النِظاميّ:** العسكر الُمنظَّمُ المتعلمُ صناعةَ الحرب. وعَسْكَرِيّ (مفرد): جمعه عسكريّون وعَسَاكِرُ: اسمٌ منسوبٌ إلى عَسْكَر[1].

ثانياً: تعريف "العسكرية" اصطلاحاً:

تُعرفُ العسكريةُ بأنها: عمَلٌ يتمُ تنفيذُهُ بقوةِ السِّلاح، وهي ما يؤديه الجنودُ من مهامٍ تتعلقُ بالقواتِ البرِّية، وأحياناً الجوَّيةِ أيضاً، تمييزاً لها عن القواتِ البحرية[2].

أما تشكيلُ الوحدةِ العسكريَّة: عبارةٌ عن عَدَدٍ، ورُتبٍ، ومَهامِ أفرادِ الوَحْدَةِ العَسْكَرِيَّة، وخطوطِ السلطةِ بينهم ومُعَداتِها. **أما تخصصٌ عَسْكَرِيٌّ مِهَنيّ:** هو تدريبٌ تخَصُّصِيّ يتلقاه المُجَنَّد بَعْد التَّدْرِيبِ الأساسي. **أما مُعّداتُ الوحدةِ العسكرية:** فهي المُعدَّاتُ المُسْتَخْدَمةُ في تنفيذِ مهمَّةٍ معيَّنةٍ للوحدةِ العسكريَّة، بخلافِ التَّجهيزاتِ الشَّخْصيَّة[3].

المطلبُ الثّاني: تعريفُ التكتيكِ لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريفُ "التكتيكِ" لغةً:

التكتيكُ كلمةٌ مفردةٌ وهي (مُعَرَّبة)[4] على وزن (تفعيل)، وهي تعني: فنُّ وضعِ الخططِ الحربيّةِ وتحريكُ الجيوشِ في الميدانِ بحسبِ تطوراتِ المعركة، وتعني أيضاً وسائل وطرقٌ وخططٌ تنفيذيَّةٌ تتّخذَ للنجاحِ في أمرٍ ما. [5]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب (ج567/4)، وانظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، (ج601/2)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (ص1499).

[2] أحمد محمود: المعجم العسكري (ص555).

[3] المصدر السابق: (ص557).

[4] لم يجد الباحث للفظة التكتيك تعريفاً في المصادر الأصلية القديمة من كتب اللغة، وتُعرف في معاجمنا العربية بـ (التّعبِية): وهي الأعمال العسكرية في المعركة. يُقال: عَبَّى الكتائب: إذا هيأها في مواضعها. انظر: اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله(ج7/ 4348) وانظر: الرسول القائد (ص125)، وانظر: خطاب ،قادة بلاد فارس(ص352).

[5] مختار، معجم اللغة العربية المعاصر (ج296/2).

يُقال: تَكْتَكَ مِن يُتَكْتِكُ، تَكْتَكَةً، فهُو مُتكْتِك، والمفعولَ مُتكْتك له. وتَكَتَكَت السّاعة: أَسْمَعَتْ صوتَ دقّاتِها، وتكتك لعَدُوّه: أعد خطّةً محسوبةً ومتمكّنةً للإيقاعِ به، وتكتكَ من البرد: ارتعشَ واصطكّت أسنانُه. وتكتيكي "مفرد": اسمٌ منسوبٌ إلى تَكْتيك "انسحبَ الجيشُ من الجبهةِ لأسبابِ تَكْتيكيةِ – خُطّةً تَكْتِيكِيةً". أو مَنْ لديه براعةً في فنونِ الحرب. وتَكْتيكِيَّة "مفرد": اسمٌ مؤنثٌ منسوبٌ إلى تكتيك "أغراض/ خطوة/ مناورات تَكْتِيكِيّة"[1].

ويُقال: تَكْتَكَ الْفرسُ مَشى كَأَنَّهُ يطَأُ على شوكٍ أَو نَار، والتكتيكُ: فنُّ وضعِ الخططِ الحربيةِ للجيشِ فِي الميدان[2].

ويُقال: اِسْتَخْدَمَ الجَيْشُ تَكْتيكاً ناجِحاً لِدَحْرِ العَدُوِّ، أي: أُسْلوباً وَوَسائِلَ في التَّنْظِيمِ حَسَبَ خُطَّةٍ مَرْسومَةٍ تُؤَدِّي إلى النَّجاحِ والفَوْزِ "رَسَمَ تَكْتيكاً لإِنْجاحِ مَشْروعِهِ"[3].

ثانياً: تعريف "التكتيك" اصطلاحاً:

تنوعَتْ تعريفاتُ مصطلحِ (التكتيك) عندَ العلماءِ بتطورِ الأسلحةِ والمُعدّاتِ القتاليةِ عَبر العصور[4]، وقد دارَتْ تعريفاتٌ كثيرةٌ حولَ مصطلحِ (التكتيك)، سأذكرُ بعضَها وهي كالتالي:

- **التكتيك:** هو علمٌ وفنُّ خوضِ العملياتِ القتاليَّة، براً وبحراً وجواً لإحرازِ النصرِ وتكبيدِ العدوَ الخسائر، في المعداتِ والأرواحِ، وذلك بأقلِ الخسائرِ الممكنةِ في القواتِ والعتادِ وبأقل وقتٍ ممكن[5].

وهناك تعريفاتٌ[6] أخرى متعددةٌ نذكرُ بعضها:

- **التكتيك:** يهتمُ بدراسةِ المعركةِ من كافة جوانبها، باعتبارِها أحدَ ظواهر الصراعِ المسلَّحِ ويشتملَ على النظريةِ والتطبيقِ في مجالِ تنظيمِ وتنفيذِ المعركةِ التي تخوضُها التشكيلاتُ والوَحَداتُ لجميعِ أَفرعِ وصنوفِ القوات.
- **التكتيك:** هو استخدامُ القواتِ العسكريةِ في المعركة.

---

(1) المصدر السابق (ص296).

(2) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط (ج86/1).

(3) أبو العزم: المعجم الغني، (معجم إلكتروني)، إصدار: 1434هـ – 2013م، حرف التاء.

(4) المصدر السابق: (ص/25–26).

(5) أكاديمية فلسطين العسكرية: تكتيك عسكري (ط1/ج26/1).

(6) انظر: معجم المصطلحات العسكرية، إصدار: جامعة الدول العربية، إدارة الشئون العسكرية، الندوة الثامنة عشر للجنة توحيد المصطلحات العسكرية – تونس، سنة 1983، واجبات الأركان – المصطلحات العامة، (ص 87)، وانظر: الاستراتيجية والتكتيك في فن عِلمُ الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق، تأليف: منير شفيق، الناشر: الدار العربية للعلوم – بيروت، الطبعة الأولى 1429هـ – 2008م، (ص 50)، وانظر: تكتيك عسكري(1، ص27).

- **التكتيك:** هو فنُّ وعلمُ وإدارةُ الأعمالِ القتاليةِ في ميدانِ المعركةِ وتنفيذُ الخططِ والمهامِ والواجبات.
- **التكتيك:** هو علمُ وفنُّ ترتيبِ القواتِ والمناورةِ بها عند مواجهةِ العدوِّ أو الاشتباكِ معه.
- **التكتيك:** هو أسلوبُ قيادةِ وتوجيه القواتِ في ميدانِ القتال.
- **التكتيك:** هو فنُّ استخدامِ السلاحِ والقواتِ أو النيرانِ والحركةِ في المعركةِ وذلك بطريقةٍ تجعلُهما يمارسانِ أكبرَ تأثير.

والتعريفُ المختارُ عندَ الباحثِ هو (علمُ وفنُّ خوضِ العملياتِ القتاليَّة، براً وبحراً وجواً لإحرازِ النصر وتكبيدِ العدَو الخسائر، في المعداتِ والأرواح، وذلك بأقلِ الخسائرِ الممكنةِ في القواتِ والعتادِ وبأقلِ وقتٍ ممكن)؛ وسبب ترجيحي له هو شموليتهُ مع اختصارِه.

وعِلْمُ التكتيكِ يُكتسبُ من النواحيَ العلميّة، الذي يأتي من تفهمِ نظريةَ فنِّ الحربِ وتنميةِ القدرةِ الفكريةِ بالعلومِ العسكريةِ المختلفة، ومواكبةِ كلَّ التطوراتِ العسكرية؛ **أمَّا فنُّ التكتيكِ** فيأتي من الممارسةِ العمليةِ للأعمالِ القتاليةِ والتدريبِ الميداني، التي بدورها تزيد المهارةُ التكتيكيةُ لدى القائد.[1]

وتتناول دراسة التكتيكِ هنا مسائلَ السلاحِ[2]، والتشكيلاتِ[3]، والأرضِ[4]، واستخدامِ القواتِ العسكريةِ في المعركة، خصوصاً مسألة النيرانِ والحركةِ في المعركة[5]، وكافَّة جزئيات الحرب تاركين للاستراتيجية كل ما له علاقة بالحرب ككل [6].

---

[1] أكاديمية فلسطين العسكرية: تكتيك عسكري (ص26).

[2] يتناول التكتيك فن استخدام السلاح في المعركة، ويُعْرَف باللُّغة العسكرية المعاصرة بـ فنِّ النّار والحركة، والنّار والمناورة. انظر: المصدر السابق (ج27/1).

[3] يتناول التكتيك في جانب التشكيلات اختيار التشكيل الأنسب للقوات في المعركة، وذلك لجعل أسلحتها ومُعداتها تُستخدم على أفضل وجه، وكذلك قوتها البشرية والعددية. انظر: المصدر السابق.

[4] يتناول التكتيك في جانب الأرض دراسة جوانبها العسكرية، وطريقة التعامل معها في المعركة في الجمع بين السلاح والتشكيلات والحركة. انظر: المصدر نفسه.

[5] يُقصد هنا عملية الاشتباك: وهي تشمل أساليب القتال من أجل الوصول إلى الخصم في المعركة والقضاء عليه. وعملية الاشتباك: هي فنُّ استخدام القوات المسلحة في المعركة، وهذا يضم طريقة تنظيمها وتشكيلاتها وتوزيعاتها وتركيزها وحركتها، واستخدام أسلحتها، والتعاون بين مختلف صنوف الأسلحة في الصدام . انظر: المصدر نفسه (ج26/1،27).

[6] شفيق: الدار العربية للعلوم، فن علم الحرب (ط/2008ص).

ثالثاً: أهمية دراسة التكتيك العسكري:

تكمن أهمية دراسة التكتيك العسكري في النقاط التالية[1]:

1) الخروج بأفضلِ تقديرِ موقفٍ للمعركة بعد معرفة الخواص والإمكانات القتاليَّة للقوات.
2) معرفةَ الوسائلَ المستعملةِ للقيامِ بالمعركة.
3) دراسةُ تكتيكً العدوِّ وقوة وسائل العدو الحقيقية والمحتملة.
4) توفير أكبر قدر من الجهد العسكري، وذلك باستخدام التشكيل المناسب والتكتيك المناسب في الميدان.
5) التوفير في القوة البشرية والنّاريَّة، من خلال تركيز الجهد حسب المهمة.
6) إدارة المعركة بأفضل الطرق التي تؤدي إلى النصر في أسرع وقت ممكن وأقل خسائر ممكنة.

المطلب الثالث: تعريف الاستراتيجية العسكرية، لغة وإصطلاحاً.

أولاً: تعريف "الاستراتيجية" لغة:

الاستراتيجية تعبير حديث العهد في العلم العسكري وباقي العلوم الإنسانية، وهي كلمة (مُعرَّبة) أصلها غربية منحوتة من كلمتين وتعني: (فنَّ السَّوق)[2] أي علم التخطيط، وكلمة الاستراتيجية قديمة مأخوذة من الكلمة الإغريقية (Strato) وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشْتَقَّت اليونانيةُ القديمةُ مصطلحَ (Strategos) وتعني عند اليونان: فنَّ الأشياءِ أو الخططَ الهامَّة أو فنَّ إدارة وقيادة الحروب، وقيل أصل كلمة استراتيجية مشتق من كلمة استراتيجوس (Strategos) الإغريقية وتعني القائد العسكري[3].

وذكر صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة المفهوم الحديث للاستراتيجية وتعني عدة أمور[4]:

1. فن وعلم وضع خطط الحرب وإدارة العمليات الحربية، وهي ما يطلق عليه "استراتيجيَّة القوّات المسلّحة".
2. نقول: "وضعت الحكومة استراتيجية مستقبليّة للنهوض بالاقتصاد القومي" أي: خُطَّة شاملة في أي مجال من المجالات.

---

(1) تكتيك عسكري (ج27/1).

(2) تُعرف في معاجمنا العربية بـ (السّوقيّة) وتعريفها: الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب، أو هي نتائج الحرب ككل. انظر: السنافي، الاستراتيجية العسكرية لسرايا الرسول القائد (ص20)، وانظر: الرسول القائد (ص125) وانظر: خطاب، قادة بلاد فارس (إيران)، (ص352).

(3) سون تزو: فن الحرب (ص4). وانظر: شفيق، الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب، (ص33).

(4) مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة (ج90/1).

ثانياً: تعريف "الاستراتيجية العسكرية" اصطلاحاً:

تُعتبر الاستراتيجية العسكرية (Military Strategy) من أقدم المفاهيم التي عرفتها البشرية، حيث ظهرت في بداية الأمر في المجال العسكري، ثم انتشر استعمال كلمة استراتيجية حتى دخلت جميع المجالات . وقد انبثق مفهوم الاستراتيجية من الفكر العسكري، بفعل ارتباطه مدة طويلة بالانتصارات أو الإخفاقات العسكريّة البحتة التي تحدث في ساحة المعركة، وباستمرار التطور الإنساني وتنامي القدرات البشرية والمادية تحققت فائدة مهمة من هذا المفهوم في المجالات المختلفة والأنشطة الإنسانية.

إن الاستراتيجيةَ العسكريةَ في المفهوم الحديث هي نظريات وتطبيقات الإعداد للحرب وخوضها بمجملها، حيث يُفهم أنها نظرية الإعداد للحرب (The war) وخوضها[1] وتشمل مجموعة من الترتيبات والتدابير التي يُتَوجب اتخاذها، والاحتراز الذي يجب التقيد به، بغية سَوق الجيش إلى أمام عدو[2].

وقد تطورت دلالاتها حتى أصبحت تعني فنّ القيّادة العسكرية في مواجهة الظروف الصّعبة، وحساب الاحتمالات المختلفة فيها، واختيار الوسائل الرئيسة المناسبة لها.

وعِلمُ الحرب يُدرَّسُ عادة من ثلاثة أوجه رئيسة:

1. الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي.
2. العمليات الاستراتيجية والتخطيط للعمليات الاستراتيجية ويشمل دراسة قواعد علم الحرب.
3. التكتيك والتخطيط التكتيكي.[3]

وثمَّة تعريفات كثيرة للاستراتيجية العسكرية سأذكر بعضها، وهي كالتالي:

- **تعريف كلاوزيفتز**[4]: "الاستراتيجية هي نظرية استخدام هذه المعارك لتحقيق هدف الحرب"[5].
- **تعريف ليدل هارت**[6]: الاستراتيجية فنُّ استخدام القوات العسكرية لتحقيق الغايات التي وضعتها القيادة

---

(1) كاخيا: الاستراتيجية العسكرية المعاصرة والمذاهب العسكرية العالمية السائدة (مج/سنة2009).

(2) سويد: معارك خالد بن الوليد (ص110).

(3) شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب في فن عِلمُ الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق(ص31).

(4) كارل فون كلاوزفيتز: جنرال ومؤرخ حربي بروسي، يعتبر من أكثر المفكرين العسكريين شهرةً وتأثيراً، ولد سنة 1780م في ماغد بورغ الألمانية، وتوفي سنة 1831م في بريسلاو. من أهم مؤلفاته (من الحرب) تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والاستراتيجية أثراً عميقاً في المجال العسكري في البلدان الغربية. وتدرس أفكاره في العديد من الأكاديميات العسكرية، كما أنها تستعمل في عدة مجالات.

(5) شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق (ص50).

(6) ليدل هارت: مؤرخ عسكري بريطاني (1895 – 1970)، وهو المعترف به عالمياً للحرب الميكانيكية أو الحرب الخاطفة وصاحب استراتيجية التقرب غير المباشر، وحرب الحركة، وهو من عظماء الكتاب العسكريين في القرن العشرين، وقد رافق تطور الأسلحة الحديثة، وشهد نتائج استخدامها ووقف محللاً لأحداثها، متوقعاً تطوراتها.. إلخ.

السياسية.[1]

- **تعريف الجنرال ستروكوف**[2]: تهتم الاستراتيجية العسكرية بدراسة "أساليب وأشكال خوض الصراع المسلح، وإعداد القوات المسلحة واستخدامها في الحرب، وهي تهتم بخوض الحرب بالكامل وبالحملات العسكرية، .. وتستند الاستراتيجية العسكرية على الاستخدام الصحيح للعوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية التي تقرر مصير الحرب المعاصرة، وهي ترتبط مع السياسية وتوجد في تبعية مباشرة لها".
- **تعريف جوزيف ستالين**[3]: "الاستراتيجية تستهدف كسب الحرب ككل" .
- **تعريف ماوتسي تونغ**[4]: الاستراتيجية هي دراسة قوانين الحرب ككل، إن مهمة الاستراتيجية هي دراسة تلك القوانين التي تَحكم الحرب في وضع حرب ككل. إن مهمة علم العمليات وعلم التكتيك هي دراسة القوانين الخاصة بقيادة الحرب في وضعٍ جزئي[5].
- **تعريف اللواء الركن محمود شيت خطّاب**[6]: يَذكرُ خطاب الفرق بين التعبية أي (التكتيك) والسوق (الاستراتيجية) .التعبية (أي التكتيك): هي الأعمال العسكرية في المعركة، أما السوق (الاستراتيجية) فهو الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب. ومن ذلك يتضّح أن (السّوق) يعني

---

(1) الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق (ص25).

(2) ستروكوف: هو جنرال سوفيتى، وهو من أشهر قادة الحرب العالمية الثانية، من مؤلفاته كتاب فن الحرب.

(3) جوزيف ستالين: جنرال جورجي، ولد (1878-1953م) وهو القائد الثاني للاتحاد السوفييتي، ورئيس الوزراء (1941-1953)، ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفييتي، عُرف بقسوته وقوته، وأنه قام بنقل الاتحاد السوفيتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكّن الاتحاد السوفيتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.

(4) ماوتسي تونغ: هو زعيم الحزب الشيوعي الصيني منذ 1935 حتى وفاته، ولد (1893-1976) كان سياسياً وقائداً عسكرياً.

(5) شفيق: الاستراتيجية والتكتيك في فن علم الحرب (ص55).

(6) **اللواء الركن محمود شيت خطاب الموصلي،** ولد في مدينة الموصل شمال العراق سنة 1919، ونشأ في أسرة إسلامية ملتزمة، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو شقيق القاضي المعروف ضياء شيت خطاب، وهو قائد عسكري محنك، درس العسكرية في العراق وبريطانيا، وشارك في حرب فلسطين عام 1984م، وتقلّد مناصب وزارية عدة، وشارك في عضوية لجان عربية وإسلامية عديدة، وله العديد من المؤلفات العسكرية واللغوية والفكرية، وتوفي عام1998م. انظر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا بالشبكة العنكبوتية على الرابط التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF_%D8%B4%D9%8A%D8%AA_%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8

نتائج الحرب كلها، بينما (التعبية) تعني نتائج معركة واحدة محلية[1].

- **تعريف الدكتور أحمد عمر مختار:** الاستراتيجية: براعة التخطيط أو هي فنّ وعلم وضع خطط الحرب وإدارة العمليات الحربية.[2]
- **(التعريف المختار)_ تعريف جامعة الدول العربية_:** الاستراتيجية هي علم وفنّ بناء واستخدام القوات المسلّحة للدولة، لتأمين المصالح والأهداف الوطنية عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها. أو هي فن توزيع مختلف الوسائط العسكرية والاستراتيجية واستخدامها لتحقيق هدف السياسة[3].

قال الباحث: أرى في غالبيةِ التعريفاتِ للتكتيكِ أنَّها تأتي ضمنَ تعريفاتِ الاستراتيجية، وأنَّ أكثرَها عرَّفَ التكتيكَ مقابلَ تعريفِ الاستراتيجية، ويُلاحَظُ من تلك التعريفاتِ أنَّها متفقةٌ حولَ تعريفِ التكتيكِ أكثرَ بكثيرٍ من اتفاقِها أو تقاربِها في تعريفِ الاستراتيجية، وتتفقُ كلُ هذه التعريفاتُ على نقطةٍ أساسية، وهي حصرُ التكتيكِ في عمليةِ الاشتباكِ في المعركة.

وبنظرة سريعة إلى التعريفات السابقة، تجعل الباحث يلاحظ ما يلي:

1. الاستراتيجية تأتي بعد تحديد الهدف السياسي، لتعالج المسائل المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف السياسي، أي هي الجسر الذي يمتد من الهدف إلى تحقيقه، مروراً بالتطبيق، تاركة للتكتيك معالجة مسائل الجزئيات، ومن هنا فإن مجال الاستراتيجية هو الحرب ككل.
2. الاستراتيجية قد تتضمن أكثر من تكتيك، بينما التكتيك يكون عادة جزءًا من استراتيجية حاكمة.
3. مهمة الاستراتيجية تحقيق الهدف السياسي، بغضّ النظر عن الإمكانات المتوفرة، والشروط المستكملة _خصوصاً عند مواجهة عدو متفوق ببعض المجالات الهامة_ إذ عليها أن تعمد إلى توفير الإمكانات، وتعمل على استكمال الشروط، واختيار العمليات الأنسب، والتكتيك الأنسب، من أجل التعويض عن تفوق العدو، ومن ثم تأمين أسباب تحقيق النصر عليه.
4. لا يوجد هناك استراتيجية جاهزة تصلح لكل زمان ومكان وحرب؛ لأن الاستراتيجية تتأثر بطبيعة الحرب التي تخوضها، وتعمل ضمن الإمكانات المادية والتقنية والبشرية والسياسية المتوفرة.
5. تتضمن الاستراتيجية المسائل المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف، ومن بينها تحديد جملة من القضايا التي تعالجها الاستراتيجية كنظرية استخدام المعارك لتحقيق الهدف، ونظرية العمليات

---

(1) خطاب: قادة بلاد فارس (إيران) (ص352)، وانظر: الرسول القائد (ص125).

(2) مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة (مج90/1).

(3) إصدار جامعة الدول العربية، إدارة الشئون العسكرية، الندوة الثامنة عشر للجنة توحيد المصطلحات العسكرية – تونس، سنة 1983، واجبات الأركان – المصطلحات العامة، معجم المصطلحات العسكرية، (ص87). وانظر: كاخيا، الاستراتيجية العسكرية المعاصرة والمذاهب العسكرية العالمية السائدة (مج الدفاع).

والتكتيك، ونظرية بناء القوات المسلحة وتنظيمها وتسليحها وتدريبها وتركيزها وتوزيعها، والتخطيط والإشراف على الحملة، والإعداد السياسي والمعنوي الذي يضع القوات ككل في أفضل الظروف الملائمة والممكنة، واتخاذ الإجراءات المضادة لاستراتيجية العدو وإحباطها، والمساهمة في إضعاف جبهة العدو مادياً ومعنوياً. ولا سيما تمزيق تحالفاته إلى جانب توسيع تحالفاتك.

ثالثاً: <u>الاستراتيجية العسكرية في الإسلام:</u>

لم تكن الاستراتيجية، بمعناها الحديث، معروفة في عصر النبيﷺ وخلفائه الراشدين، فهي تعبير مُستحدث في قاموسنا العسكري وغير العسكري، وإنما كانت كلمة (التعبئة) هي التي تُعبّر عن كل ما يقوم به الجيش من تحركات استراتيجية وتكتيكية لوضعه في وضع القتال.

وتعني اليوم معنى يقترب إلى حد كبير من مفهوم الاستراتيجية، بمعناها العام وليس العسكري فقط، إذ إنها (مجموع العمليات والتدابير التي تؤهل القوات المسلحة في بلد ما لدخول الحرب، وذلك بتكييف بيئة البلاد الاقتصادية والإدارية حسب ضرورات هذه الحرب)[1].

وقد برع القادة العسكريون المسلمون في معارك الفتوح كافة، في استخدام الأساليب الاستراتيجية والتكتيكية العسكرية المتفرعة، فقد تدرّجوا في استخدام الأساليب الاستراتيجية العسكرية تدرجاً تصاعدياً، في الزمان والمكان، وفقاً لتطور قدراتهم وإمكاناتهم البشرية والعسكرية، وتوسعهم في الفتوح، فانتقلوا من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية الردع في الهجوم، مستخدمين الهجوم كحرب وقائية من جهة، لكسر العقبات، واستئصال القوى التي تواجه تمدد وانتشار الدعوة الإسلامية[2].

وأهم الاستراتيجيات العسكرية التي استخدمها القادة العسكريون المسلمون هي ما يلي:

أولاً: استراتيجية الدفاع.

ثانياً: استراتيجية الردع.

ثالثاً: استراتيجية الهجوم (الاقتراب المباشر والاقتراب غير المباشر[3]).

---

[1] سويد: معارك خالد بن الوليد، (ص 109-130).

[2] المصدر السابق.

[3] الاقتراب غير المباشر: جوهر نظرية الاقتراب غير المباشر يتلخص في: أنّ النصر يتحقق بطرق غير الحسم العسكري أي بالطرق والوسائل السلمية، فيتحقق من خلال الانهيار النفسي للعدو، وليس بالتدمير المادي لقواته. ومن أهداف هذه النظرية: إضعاف مقاومة العدو قبل قهره والتغلب عليه، تدمير البنية التحتية للعدو، تفتيت العدو وتدميره، التأثير النفسي على العدو وإفقاد القادة ثقتهم بأنفسهم، زعزعة مركز العدو والإخلال بتوازنه، إجبار الخصم على بعثرة قواته، إيجاد شعور لدى الخصم بالعجز وعدم القدرة على ردة الفعل. انظر: محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية(ص409)، وانظر: الموقع الالكتروني مقاتل من الصحراء، قسم موضوعات عسكرية، تحت عنوان الاستراتيجية ونظرية الاقتراب غير المباشر، بالرابط التالي:

رابعاً: استراتيجية الحرب الوقائية أو الاستباقية (ونقل الحروب إلى أرض العدو).

خامساً: استراتيجية المناورة بالخطوط الداخلية.

سادسا: استراتيجية الثغور والمسالح والحصون[1].

يقول العميد الركن د. ياسين سويد: "إننا نستطيع أن نستنتجَ من مسار الأحداث في العصر الإسلامي الأول -أي عصر النبيﷺ والخلفاء الراشدين- ما كان عليه النبيﷺ وخلفاؤه من حس استراتيجي متطور يسمح لنا أن نضعهم جميعاً في مرتبة القادة العظام في علم الاستراتيجية الحديث".[2]

المطلب الرابع: تعريف العمليات العسكرية، لغة واصطلاحاً.

أولاً: العمليات العسكرية: لغة:

عمليّات (جمع): مفرد عَمَلِيَّة وهي:

1- اسمٌ مؤنث منسوب إلى عمل، وهي مركز القيادة الذي يتمّ من خلاله التَّحكم بالنَّشاطات والأعمال العسكريّة[3].

2- مصدر صناعيّ من عمَل: جملةُ أعمالٍ مُتَّصلة تُحدِثُ أثرًا خاصًّا "عَمَليّة جراحيَّة/ عسكريَّة/ حسابيَّة- عَمَليَّة الهضم-، عمليات مشتركة: عمليّات حربية تشترك فيها عدة جيوش، وعَمَليَّة إنزال: عمليّة إنزال قوَّات بحريَّة أو جوّيَّة للسَّيطرة على العدوّ. وعَمَليَّة مصرفيَّة: عَمَلٌ تقوم به المصارف مقابل عُمولة كقبول الودائع وفتح الاعتمادات وخصم الأوراق التجاريَّة .. إلخ[4].

---

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/Esteratgeh/sec03.doc_cvt.htm

[1] استراتيجية الثغور والمسالح: هي استراتيجية دفاعية اعتمدها المسلمون في فتوحهم، وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من طبقها، وأنشأ الثغور والأمصار والحصون على حدود الدولة الإسلامية وفي أماكن استراتيجية هامَّة، وأقام جيوشاً تحمي هذه الدولة من أي عدوان من خارج الحدود من جهة، وتحتشد استعداداً لمتابعة الفتوح خارج حدود هذه الدولة من جهة أخرى. والجدير بالذكر أنه منع جند المسلمين في هذه المواقع من تعاطي الأعمال الزراعية كي لا يستقروا فيهافتثبط همتهم عن القتال. ومع ذلك كان لا بد من أن يستقر قسم من هؤلاء الجند في تلك المواقع، الأمر الذي أدى إلى استمرار هذه المعسكرات في النمو حتى أصبحت مدناً ذات شأن في الامبراطورية الإسلامية. انظر: لمجيد خدوري، الحرب والسلم في شرعة الإسلام (ص126)، وانظر: سويد، معارك خالد بن الوليد (ص112)، وانظر: محفوظ، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص407 -409).

[2] سويد: معارك خالد بن الوليد (ص111).

[3] مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (ج1556/1) وفي (ج1195/2)، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج628/2).

[4] المصدر السابق.

ثانياً: العمليات العسكرية: اصطلاحاً:

وردت عدّة تعريفات للعمليات العسكرية، نذكر منها تعريفين:

التعريف الأول: مهامٌ عسكريةٌ استراتيجيةٌ أو تَعْبَويّةٌ أو تَكْتِيكِيَّةٌ أو اِستِطْلاعيةٌ أو خدميةٌ أو تدريبيةٌ أو إداريةٌ أو قِتالية، بما في ذلك التَّحَرُّكاتُ والإسْنادُ والإمداداتُ والهُجُومُ والدِّفاعُ والمُناوَراتُ اللازمةُ لتحقيقِ أهدافِ المعركة[1].

التعريف الثاني: هي الأعمالُ القتاليةُ التي تجري في مختلفِ الظروفِ والمناطق، سواء في المدن والقرى، أو في الصحراء، أو في المناطق الجبلية، أو في المناطق المشجَّرة والغابات، أو في البحار والمياه، أو التي تتطلب تدريباً وتجهيزاً وتسليحاً خاصاً[2].

و تُطلق عبارة "مسرح العمليات العسكرية": ويُراد بها: منطقة واسعة تتم فيها العمليات العسكرية[3].

وهي في الاصطلاح العسكريّ: جزء من الأرض أو الجو أو البحر تنتشر فيه الوحدات الكبيرة، وتؤثر إجراءات الصديق والعدو المتخذة على مستوى الوحدات على بعضهما البعض. [4]

وهو قسم من مسرح الحرب[5] يمثل ضرورة للعمليات العسكرية بغية تحقيق المهمة المحددة، ولتنفيذ العمليات العسكرية (القتالية ودعم القتال وخدمات دعم القتال).

ويتشكل مسرح العمليات من قسمين: (منطقة القتال، ومنطقة المواصلات).

أنواع العمليات العسكرية:[6]

تتنوع العمليات العسكرية حسب الميدان وظروف ومتطلبات كل معركة، وبالمجمل نذكر أنواعها على النحو التالي: (1. التعرض.[7] 2. الهجوم[8] 3. الدفاع. 4. الحركات التراجعية[9]. 5. التبديل

---

[1] أحمد محمود: المعجم العسكري (ص616).

[2] جامعة الدول العربية: معجم المصطلحات العسكرية (ص32).

[3] معجم اللغة العربية المعاصرة (ص1556).

[4] تكتيك عسكري (ج/1 31-32).

[5] مسرح الحرب: هو منطقة جوية أو برية أو بحرية أو فضائية، قد تدخل مباشرة في العمليات الحربية، وقد يكون لديه عدة مسارح عمليات، وهو لا يمكن أن يكون له حد معين أو يُجعل له حد، وينقسم إلى قسمين رئيسيين هما (مسرح العمليات و المنطقة الداخلية). انظر: تكتيك عسكري (ج/1 32).

[6] حجازي: فلسفة الميدان ـ رؤى في التخطيط العسكري (ص9-10)، وانظر: تكتيك عسكري (ج/1 38).

[7] التعرض: هو التوجه بصفة عامة نحو العدو بقصد ملاقاته لتدميره، ويشمل جميع الأعمال القتالية التي يتم فيها التقدم نحو العدو مثل التقدم للتماس والهجوم بأنواعه واستغلال النجاح والمطاردة. انظر: تكتيك عسكري (ج/1 38).

[8] الهجوم: هو النوع الرئيسي للأعمال القتالية التعرضية المتمثل في التأثير الناري والتقدم المندفع للقوات بهدف تدمير العدو واحتلال أو استعادة الأرض والتمسك بها. انظر: تكتيك عسكري (ج/1 38).

[9] الحركات التراجعية: هي تحرك منظم نحو الخلف، أو بعيداً عن العدو، تقوم به الوحدة اختيارياً، أو يرغمها العدو على

والعبور[1]).

ورغم تنوع العمليات العسكرية، إلاّ أنها تتحد في عناصر ثابتة وهي:

- **الهدف:** يحدد طبيعة العملية.
- **الوسائل المناسبة:** تحدد كيفية العملية.
- **المعلومات:** تحدد مسار العملية.
- **الإمداد:** يحدد طبيعة استمرار العملية.
- **السِّرية:** تحدد نجاح العملية.

ذلك. وأنواعها (الانسحاب – التراجع – العمليات التأخيرية). انظر: تكتيك عسكري (ج/1 39).

[1] التبديل والعبور: التبديل عبارة عن حلول وحدة ما مكان وحدة أخرى أو جزء منها، وتستلم الوحدة البديلة جميع مسؤوليات المهمة القتالية لمنطقة عمليات الوحدة المبدلة. والعبور: عمليات تعبر فيها وحدة ما، من جهاز وحدة أخرى تكون بوضع التماس مع العدو، وذلك من أجل تنفيذ مهمة. انظر: تكتيك عسكري (ج38/1).

المبحث الثاني: التحليل النوعي والكمّي للغزوات والمعارك في السنة النبوية.

لقد كان للغزوات والسرايا عظيم الأثر رغم أنها لم تكن من المعارك الضخمة بصفة عامّة؛ حيث كان تأثيرها عميقاً جداً على سكان الجزيرة العربية، سواء من المؤمنين أم من غيرهم من المشركين واليهود والمنافقين، فكل الناس تأثروا بهذه الغزوات والسرايا.

وقد تكشفت للباحث عدة مبادئ في فنون القيادة والتكتيكات العسكرية، من خلال تناول هذه الغزوات بالتحليل الإحصائي من حيث التوزيع الكمي والزمني، أو التحليل النوعي للغزوات النبوية هي في غاية الفائدة.

ويقصد الباحث بالتحليل الكميِّ: عدد العمليات العسكرية من الغزوات النبوية والسرايا، بالإضافة إلى ذكر أهدافها وبيان أثرها وفوائدها، مع التوزيع الزمني لها.

أما التحليل النوعي: فهو بيان أنواع تلك الغزوات وتصنيفها حسب مهامها القتالية كالعمليات التعرضية، والدوريات، وعمليات الإغارة، والعمليات الدفاعية، والعمليات الهجومية المُنسَّقة، وعمليات استثمار النجاح، وعمليات المطاردة، والعمليات الخاصَّة.

إن المنهج الإسلامي، وفَّر للقوة العسكرية الإسلامية قوةً روحيةً معنوية، وقوةً فكرية، وقوة مادية، وعلى الرغم أنَّ فنَّ الحرب الإسلامي، بدأ متواضعاً فإنه تطور بشكل سريع ورائع مع بداية الحروب الإسلامية، حيث قاد الرسولﷺ، وأصحابهُ عشراتِ العملياتِ العسكريةَ والمهماتِ القتاليةَ على مدى عشرِ سنوات، فوضع أُسساً وقواعد مهمَّة في فنون القتال، برز فيها دور السياسةِ العسكريةِ الإسلامية في تحقيق الأهداف، وتنوع أساليب الاستراتيجيَّة العسكريَّة، وتطور فنّ وأساليب القتال، وتفتيت وعزل القوّة المعادية، والحرص على كسب سلام أفضل، يسمح بتوسيع قاعدة الإسلام.

المطلب الأول: التحليل الكمّي والتوزيع الزمني للغزوات النبوية:

أولاً: عدد الغزوات والسّرايا النبويّة؛ وبيان أهدافها وأثرها وفوائدها:

أ. عدد الغزوات والسرايا النبوية:

لقد كان سلفنا الصالح يدركون أنَّ لسيرة خاتم الأنبياء، وأصحابه الكرام، آثاراً حسنة في تربية الجيل لحمل رسالة الإسلام، والتضحية في سبيلها بالنفس والمال، ولذلك كانوا يتدارسونها، ويحفظونها، ويلقنونها للغلمان كما يلقنونهم السور من القرآن، فقد روى الخطيبُ البغدادي بسنده، من طريق علي بن الحسين[1] ابن أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنهما، قال: **عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ، يَقُولُ: (كُنَّا نُعَلَّمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ كَمَا نُعَلَّمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ)**[2]، وروى أيضًا: عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بن أبي وقاص[3]، قَالَ: **(كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَايَاهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا)**، وعن الزهري قال: "في علم المغازي خير الدنيا والآخرة"[4].

قال ابن كثير[5]: "وَهَذَا الْفَنُّ مِمَّا يَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِهِ وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْرِهِ وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ". وكلامه هذا يدل على أهمية هذا الفنِّ العظيم.

---

[1] على بن الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنهما، الهاشميين أبو الحسين المدني، تابعيّ ثقة، روى عن أبيه وعمه الحسن، وابن عباس والمسور وأبي هريرة، وعائشة وأم سلمة، وصفية بنت حيي وطائفة، قال الزهري: ما رأيت هاشمياً قط أفضل من علي بن الحسين، وقال بن سعد: كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا، مات سنة اثنتين وتسعين. انظر: الكوفي، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي (ج/2 153). وانظر: للعسقلاني، تقريب التهذيب(ص400). وانظر: للسيوطي إسعاف المبطأ برجال الموطأ (ج/1 21).

[2] البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ج/2 195).

[3] إِسْمَاعِيل بْن مُحَمد بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ، القُرَشِيّ، الزُّهرِيّ، مَدَنِيٌّ، يُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ، روى عن أنس بن مالك، وعامر ابْن سعد، وحمزة بن المغيرة، وأبيه، وروى عنه الزُّهرِي وَقَالَ: عداده فِي أهل الْمَدِينَة، وروى عنه مالك بْن أَنس، وابْن عُيَينة، ثقة حجة، مَاتَ سنة أَربع وَثَلَاثِينَ وَمِائَة. وانظر: البخاري، التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ج/1 371). وانظر: لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، الثقات (ج/6 28). انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ت230هـ، تحقيق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الثانية: 1408 هـ، وانظر: التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ت256هـ، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ج1، ص371، وانظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص109.

[4] المصدر السابق.

[5] ابن كثير: البداية والنهاية (ج/3 242).

وقد اختلف أهل التاريخ والسير في عدد العمليات العسكرية في عصر النبوة ما بين غزوة[1] وسرية[2]، فقيل: نحوًا من ستين، وقيل بلغ عدد بعوثه وسراياه سبعًا وأربعين، وقد استغرق جهاد النبيﷺ في غزواته كافَّة سبع سنين[3].

وقد أخرج يعقوب بن سفيان الفسوي من طريق مكحول أنها ثماني عشرة غزوة، وذكر في رواية أخرى من طريق سعيد بن المسيب أنها أربعاً وعشرين غزوة[4].

وروى ابن سعد من طريق محمد بن عمر الأسلمي عن جماعة سماهم **قالوا:** كان عدد مغازي رسول اللهﷺ التي غزا فيها بنفسه سبعًا وعشرين، **وقيل:** تسع وعشرون، **وقيل:** ست وعشرون، ومن قال بذلك جعل غزوة خيبر وَوَادِي الْقِرَى غزوة واحدة، **وقيل:** خمس وعشرون[5].

وقال ابن عقبة: قاتل في ثماني مواطن، وأهمل عد قريظة لأنه ضمها إلى الخندق، لكونها كانت في إثرها، وأفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الاحزاب، وكذا وقع لغيره، عد الطائف وحنينا واحدة لكونها كانت في إثرها[6].

أخرج مسلم في صحيحه[7] من حديث عبدالله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي عن أبيه[8]ﷺ قال:

---

(1) الغزوة: هي الحملة العسكرية التي يقودها الرسولﷺ بنفسه، وقد اصطلح الرواة وأصحاب السير: أن الغزوة هي الحرب التي يحضرها رسول اللهﷺ بنفسه، أو هي ما وقع فيها قتال بينهﷺ وبين عدوه، وقد قامت فيها جيوشه بحضرته. وانظر: للمقريزي، إمتاع الاسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والأحفدة والمتاع (ج/8 330). وانظر: الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (ج/4 10).

(2) السريّة: هي الحملة العسكرية التي يعطي الرسولﷺ قيادتها لأحد أصحابه ولا يشترك هو فيها؛ وقد اصطلح الرواة وأصحاب السير: البَعِثْ أو السريّة : فإنه يرسل فيها طائفة من أصحابهﷺ. انظر: إمتاع الاسماع (ج/3 330). وانظر: سبل الهدى والرشاد (ج/4 10).

(3) الواقدي: المغازي(ص11). وانظر: الدمشقي، البداية والنهاية (ج/3 296).وانظر: البيهقي،دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (ج/3 5). وانظر: للمقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والأحفدة والمتاع (ج/8 330).وانظر:ابن هشام، السيرة النبوية (ج/2 608).

(4) الفسوي: المعرفة والتاريخ (ج/3 288).

(5) زعم الحافظ عبد الغني المقدسي أنه المشهور، وعزاه لابن إسحاق وابن عقبة وأبي معشر، والذي رواه عنهم ابن سعد ما سبق، وهو الصواب الذي جزم به أبو الفرج في "التلقيح" والدمياطي والعراقي وغيرهم انظر: الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (ج/4 8).

(6) الواقدي: المغازي (ص11). وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير(ج/3 296). وانظر: دلائل النبوة، للبيهقي (ج/3 5).

(7) [مسلم/الْجِهَادِ وَالسِّيَر/عَدَدِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّﷺ، 3 /1448حديث 1814].

(8) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رازح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان ابن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، له كنى، يكنى أبا عبد الله وقيل يكنى أبا سهل وقيل أبا

(غزا رسول اللهﷺ تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان منهن).

قال النووي[1]: "لعل بريدة أسقط غزوة الفتح ويكون مذهبه أنها فتحت صلحا- كما قال الشافعي وموافقوه-".

وأخرج الْبُخَارِيُّ في صحيحه[2] **من حديث سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ، قَالَ: (غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَخَرَجْتُ فِيمَا يَبْعَثُ من البعوث سبع غَزَوَاتٍ مَرَّةً عَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ وَمَرَّةً عَلَيْنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ).**

يقول اللواء الركن محمود شيت خطّاب[3]: "ولكني بمقارنة تعداد الغزواتِ في المراجع المعتمدة للسيرة النبوة المطهرة والمغازي والتاريخ، وإحصاء الغزوات التي قادها النبيﷺ بنفسه، وجدت أن عدد الغزوات التي قادهاﷺ بنفسه هي ثمانٍ وعشرون غزوة ، ويبدو أن قِسْماً من المصادر أغفلت غزوة من الغزوات سهواً، وقسماً منها أغفلت أكثر من غزوة واحدة".

ويميل الباحث إلى ترجيح ما قاله اللواء الركن خطاب، فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ لم يُدرِج قسمٌ من كُتَّابِ مصادرِ الغزوات (غزوة بني قينقاع) مع غزواتهﷺ، كابن هشام في سيرته.

ب. أهداف الغزوات:

لقد كانت الأعمال القتالية للغزوات تبدأ بدفع السرايا للعمل بصفة الدوريات[4]، أو أعمال الإغارة والكمائن، أو الدعوة الإسلامية. وكان الهدف منها يشمل الآتي:

- استطلاع الأرض وتحديد الطرق والمسالك، التي تؤدى إلى المدينة ومكة، وأماكن آبار المياه، وتحديد الهيئات الحيوية المسيطرة على طرق الاقتراب المختلفة.
- استطلاع حال القبائل، ودعوتها للإسلام، أو عقد تحالف وصداقة معها.

الحصيب وقيل أبا ساسان والمشهور أبو عبد الله، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، سكن المدينة ثم البصرة ثم مرو، له مائة وأربعة وستون حديثاً. مات بمرو سنة اثنتين أو ثلاث وستين، وهو آخر من مات بخراسان من الصحابة. انظر: القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ج/41512). وانظر: الندوي السيرة الحلبية (ج56/1). وانظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة (ج/1 286).

[1] سبل الهدى والرشاد (ج/4 9).

[2] [البخاري/المغازي/ بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زيد الى الحرقات من جهينة الحديث4270].

[3] خطاب: تاريخ جيش النبيﷺ (ص 35 -36).

[4] الدوريات: هي مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه على الأرض، وهي نوعان: (أ- دوريات استطلاع: وهي المفارز التي تحصل على المعلومات دون قتال، لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة. ب- دوريات قتال: وهي المفارز التي تحصل المعلومات بالقتال، لذلك تكون قوية في عَددها وعُددها). انظر: خطاب، الرسول القائد، (ص38).

- تعزيز قوة الردع وإشعار المشركين واليهود، بقوة المسلمين، وقدرتهم على صد أي عدوان .
- تأمين قاعدة الإسلام في المدينة المنورة، من أي أعمال مفاجئة قد يقوم بها اليهود والمشركون.

ت. أثر الغزوات والسرايا وفوائدها:

لقد كان للغزوات والسرايا أثر كبير في ترسيخ قواعد الدولة الإسلامية في المدينة، وردع أعدائها، والتي أذكر بعضها على النحو الآتي[1]:

1. توحيد شبه الجزيرةِ العربية لأول مرة في التاريخ تحت لواء الإسلام بقيادة أبنائها من العرب المسلمين، ونشر الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع وحمايتهم من الأخطار. فقد تحسَّنَ الوضعُ الأمني للمسلمين في الجزيرة العربية، سواء في المدينة أو في القبائل المسلمة في أيِّ مكان، أو حتى للمسلمين العابرين أو المسافرين من مكان إلى مكان؛ لأن هيبة المسلمين أصبحت في قلوب الجميع عظيمة جداً. وقد عرّفت المسلمين الدروب والطرق حول المدينة المنورة، فالمهاجرون ليسوا من أهل المدينة المنورة، ولا يعرفون الطرق والمسالك حول المدينة المنورة.
2. تَحسّن المستوى العسكري والأداء القتالي للمسلمين تحسناً كبيراً، فقد كانت هذه الغزوات والسرايا بمثابة دورات عسكرية تدريبية عملية تختلف كثيراً عن التعليم النظري، حيث درَّبت الصَّحابة على فنون القتال، ودربتهم على ركوب الخيل والحرب على الإبل والمناورة والخطة والتحرك والترقب.
3. تحسن الوضع الاقتصادي للدولة الإسلامية، وذلك لعدة أمور منها: الاستقرار الأمني الذي شجّع على التجارة، العلاقات المنتشرة للمسلمين في كل مكان، كثرة الغنائم في السرايا والغزوات، واعتماد المسلمين تجارياً على أنفسهم بعد قطع العلاقات التجارية مع اليهود.
4. أقام المسلمون علاقاتٍ دبلوماسيةً قويةً مع الكثير من موازين القوى في الجزيرة العربية، سواء على مستوى القبائل أو على مستوى الأفراد الزعماء.
5. حدوثُ تفككٍ كبيرٍ في علاقاتِ قريشٍ مع كثيرٍ من القبائلِ العربية؛ لأن القبائل التي عقدت علاقات مع المسلمين فقدتها قريش، والقبائل التي لم تتحالف مع أحد المعسكرين آثرت أن تبقى على الحياد ، لا هي مع قريش ولا هي مع المسلمين، وهذا يعتبر انتصاراً كبيراً جداً للمسلمين؛ لأن قريشاً مع ما لها من تاريخ وقوة وسيادة، لم تعد حليفاً مُقنعاً لكثير من القبائل العربية.
6. إظهارُ قوَة الردعِ التي يمتلكها المسلمون، وبثُ الرعبِ في صفوف الأعداء وهم في عَقْرِ دارهم، حيث

---

[1] العمري: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة (ج/1 65-309) وانظر: محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ج/1 122). وانظر: عطية بن محمد سالم بدر الكبرى (ج/1 30). وانظر: خطاب، تاريخ جيشﷺ (ص 31-49).

شعرت قريش بالقلق الشديد نتيجة نموِّ الدولة الإسلامية بهذه الصورة الكبيرة، وشعرت أن المسلمين قادرون على تهديدها في عقر دارها، وهذا كان له أثراً سلبياً كبيراً على نفوسهم.

7. ارتفاع معنويات المسلمين عالياً، وازدياد الثقة بأنفسهم؛ وذلك نتيجة التقدم الإسلامي الملموس والتأخر القرشي الواضح، وهذا ساعدهم في القدرة على الانطلاق إلى قرارات جريئة جداً، كان لها تبعات كبيرة جداً.
8. ضعف قوة اليهود إلى حد كبير، خاصةً بعد قتل أكابر مجرميهم الذين ألّبوا الأحزاب وتآمروا ضد المسلمين أمثال: حُيَيُّ بنِ الأَخْطَب، وسَلاَمُ بنِ مَشْكَم، وكَعْبُ بنِ الأَشْرَف، وسَلَامُ بنِ أَبِي الحُقَيْق.
9. القضاء على الأفكار والمخططات والجيوب التي تتولد لدى العدو للنيل من الإسلام، ولجم حراك المنافقين وتآمرهم.

المطلب الثاني: التوزيع الزمني للغزوات النبوية[1]:

لعل أول ما يسترعي الانتباه، التوزيع الزمني للغزوات في الفترة التي دارت فيها العمليات العسكرية بين المسلمين وأعدائهم في عصر النبوة، والتي امتدت سبع سنوات تقريباً من السنة الثانية إلى السنة التاسعة للهجرة (من صفر سنة 2هـ، إلى رجب سنة 9 هـ) حسب الجدول الآتي:

م	السنة	عدد الغزوات	بيانها
1	السنة الثانية للهجرة	ثمان غزوات	1) وَدّانَ وهي الأبواء. 2) بُوَاط وهي من ناحية رضوى. 3) الْعَشِيرَة من بطن ينبع 4) بَدْر الْأُولَى يطلب كَرَزْ بِنْ جَابِرْ 5) بَدْر الْكُبْرَى التي أعز الله فيها الإسلام. 6) بَنُو قَيْنُقَاع. 7) بَنُو سُلَيْم حتى بلغ قَرْقَرَة الْكُدْر. 8) السَّوِيق يطلب أبا سفيان بن حرب.
2	السنة الثالثة للهجرة	أربع غزوات	1) غزوة غَطَفَانَ وهي ذي أمر. 2) بَحْرَانَ.

---

[1] الظاهري: جوامع السيرة ، باب غزواتهﷺ (ج/1 15). انظر: جمال الدين محفوظ، دراسة بعنوان (تحليل نوعي وكمي لغزوات النبيﷺ) وانظر: خطاب، تاريخ جيش النبيﷺ (ص53).

			3) أُحُد. 4) حَمْرَاءُ الْأَسَدِ.
3	**السنة الرابعة للهجرة**	**ثلاث غزوات**	1) بنو النَّضِيرِ. 2) ذَاتَ الرِّقَاعِ من نخل. 3) بَدْرُ الْآخِرَةِ.
4	**السنة الخامسة للهجرة**	**أربع غزوات**	1) دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ 2) بنو الْمُصْطَلِقِ 3) الْخَنْدَق. 4) بنو قُرَيْظَةَ.
5	**السنة السادسة للهجرة**	**ثلاث غزوات**	1) بنو لِحْيَان من هذيل. 2) ذو قَرَدٍ. 3) الْحُدَيْبِيَةِ.
6	**السنة السابعة للهجرة**	**غزوتان**	1) خَيْبَر. 2) عُمْرَةُ الْقَضَاءِ.
7	**السنة الثامنة للهجرة**	**ثلاث غزوات**	1) فَتْحُ مَكّةَ. 2) حُنَيْنٍ إلى هَوَازِن. 3) حِصَارُ الطّائِفِ.
8	**السنة التاسعة للهجرة**	**غزوة واحدة**	1) تَبُوكْ

المطلب الثالث: التحليل النوعي للغزوات النبوية.

لقد أثبت المسلمون عملياً أنهم– طبقاً للمعايير المقررة في العلم العسكري وفنه – قادرون على القيام بجميع العمليات العسكرية بإتقان، على اختلاف أشكالها ومستوياتها بكفاءة عالية، حيث أتقنوا العمل بكافة أنواع وتكتيكات القتال العسكري كمفارز الاستطلاع والدوريات وعمليات الإغارة وعمليات الدفاع، والهجوم، والمطاردة، والانسحاب، والقتال بين المدن والقرى، ومهاجمة المواقع الحصينة، والحصار، واقتحام الأسوار، وعبور الأنهار، ومسير التقرب الطويل، وأعمال الوقاية والحراسة، وأعمال المخابرات، والحرب النفسية ... وغير ذلك.

وتُعد الحملات والمعارك حاسمة ومصيرية إما لذاتها وما تتركه من آثار، أو لما تسببه من تغيرات مستقبلية قد لا تقتصر على المتحاربين فقط، وعلى نتائجها البعيدة المدى، وعلى الموقف في منطقة الأحداث، أو على دول التحالف، وحتى على التاريخ في حالات كثيرة.[1]

ويقول كلاوزفيتز: "يمكن للقوات العسكرية المدربة جيداً أن تقوم بجميع الأعمال الحربية"[2].

إذا تناولنا جانب التحليل النوعي للغزوات، فسوف تتكشف لنا جوانب أخرى في تكتيك العمليات العسكرية، وقيادة وإعداد القادة وتربيتهم، فقد احتوت الغزوات على شتى صور وأشكال العمليات العسكرية – والتي سيتم تفصيلها في فصول الدراسة – كالآتي:

أولاً: العمليات المحدودة :

والعمليات المحدودة تعددت أهدافها وأسبابها وتنوعت أشكالها كإرسال السرايا الاستطلاعية، والدوريات القتالية، وعمليات المطاردة أو الإغارة على أهداف خاصة .. إلخ، والتي منها:

غزوة ودان، بواط، العشيرة، بدر الأولى، بني سليم، ذي أمر، بحران، ذات الرقاع، بدر الآخرة، دومة الجندل، بني المصطلق، بني لحيان، الحديبية، عمرة القضاء.

ثانياً: العمليات العسكرية الدفاعية:

اعتمد المسلمون في المرحلة الأولى من بدء الدعوة الاسلامية استراتيجية الدفاع، وقايةً لأنفسهم وعقيدتهم من أذى قريش والجاهليين واعتداءاتهم، إذ أنَّهم كانوا نفراً قليلاً ضعيفاً لا حول لهم ولا قوة، أمام قريش وهيبتها وسلطتها على من يلوذ بها ويتبعها من قبائل العرب[3].

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب:"أما دور الدفاع عن العقيدة: فمن بدْءِ الرسولﷺ بإرسال سراياه وقواته للقتال، إلى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء"[4]

وبذلك نستطيع تحديد العمليات العسكرية الدفاعية حتى معركة الخندق، وما بعدها تتدرج ضمن الأنواع الأخرى من العمليات العسكرية.

وتنقسم العمليات الدفاعية إلى نوعين:

1- **عمليات الدفاع المتحرك:** كغزوة بدر الكبرى، وغزوة أحد.

2- **عمليات الدفاع الثابت:** كغزوة الخندق.

---

(1) أكاديمية فلسطين العسكرية : التاريخ العسكري (ص41).

(2) تكتيك عسكري (ج/1 72).

(3) سويد : معارك خالد بن الوليد (ص 112-113).

(4) الرسول القائد (ص9).

وقد تميزت استراتيجية الدفاع التي اعتمدها المسلمون بالخصائص التالية[(1)]:

1- الصبر:

أمر الله تعالى المسلمين، في المرحلة الأولى من الدعوة، بالصبر على أذى المشركين وبهجرهم هجراً جميلاً ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:10]. وكذلك أمرهم بدفعهم بالحسنى قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:96]، وبالعفو عنهم اذا اعتدوا [فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ] الحجر :85

وفي السنة النبوية المطهرة جاء الحث على الصبر؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه[2] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(أَنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ).**

وقد ظهر صبر المسلمين جلياً في امتثالهم وتصرفاتهم وسلوكهم طيلة مرحلة الدفاع سواء قبل هجرتهم من مكة إلى المدينة أو بعدها.

2- الإعراض عن المشركين:

أمر الله تعالى المسلمين باتباع أمر الوحي، والصدع بالدعوة، مع عدم مواجهة المشركين، بل وتجنبهم والإعراض عنهم.

قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر: 94. وقال: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: 106.

3- التدرج:

إن التدرج من سنن الله ﷻ الواضحة في خلقه وكونه، والتي يجب على الأمة أن تراعيها؛ كي تحقق النصر والتمكين.

وقد تدرج المسلمون في ردِّ اعتداء المشركين من العفو والصفح وتجنب أذاهم إلى المواجهة والمعاملة بالمثل، في رد الاعتداء. وكان هذا التدرج متناسباً مع نمو قدراتهم وطاقاتهم البشرية والعسكرية وتطورها.

وكانت الآيات الكريمة ترافق هذا النمو والتطور وتتدرج معه في أوامر القتال، ثم كان الإذن

---

(1) الصَّلاَّبي: السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث (ص365). وانظر: سويد، معارك خالد بن الوليد، العميد الركن (112-115).

(2) [البخاري: الزكاة، الاستعفاف عن المسألة، 534/2: رقم الحديث 1400].

بالقتال الدفاعي ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:39].

ثم جاء بعدها الأمر الإلهي بقتال المعتدين، فكانت الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190]، وهي أول آية في الأمر بالقتال نزلت على المسلمين، وكان نزولها بعد هجرتهم، كما ذكره ابن كثير في تفسيره[1].

ثم جاء الأمر العام بالقتال واضحاً صريحاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:193] وفي قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ..﴾ [التوبة:5]، فكان هذا اعلاناً من الله عز وجل واذناً منه وأمراً بالقتال فرضاً على المسلمين.

واستمرت استراتيجية التدرج إلى أن انتقلت من القتال الدفاعي إلى القتال الهجومي، فجاء الأمر بقتل المشركين حيث وُجدوا. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة:191]. وقد نزلت هذه الآية بعد أن رد المشركون من أهل مكة النبي عن البيت الحرام يوم الحديبية[2].

وكذلك الأمر بقتال الكفار عموم الكفار كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 36].

إن هذا التدرج في مراحل القتال كان يقتضيه وضع الدولة الإسلامية الناشئة، وحالة الجيش الإسلامي الذي كان يأخذ في التكوين من حيث العُدد والعَدد والتدريب.. وغير ذلك. فكان لا بد من مضي فترة من الوقت كي يصلب عود الدولة الإسلامية ويشتد بأس قوتها، حتى تستطيع الصمود أمام قوى الكفر وتكون الدولة الإسلامية، والجيش الإسلامي على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات.

4- المرونة.

شرع رسول اللهﷺ بالأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية، ومراعاة المصلحة العامة، وقد ظهرت المرونة عند المسلمين في تلقيهم لأوامر القتال، وكذلك مرونتهم في الاستجابة لأوامر الله ورسوله والانتقال من مرحلة إلى أخرى كما سلف ذكره.

وكذلك ظهرت المرونة عند الرسولﷺ وأصحابه الكرام؆ عند أداء المهمات القتالية، ومرونتهم في

---

[1] الدمشقي: تفسير القرآن العظيم تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ج/1 523).

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج/1 524).

التغيير وتقبّل المخاطر والاستجابة لأي ظرف يطرأ .

ثانياً: العمليات القتالية المحدودة :

والعمليات القتالية المحدودة تنوعت أسبابها وأهدافها وتعددت أشكالها كإرسال السرايا والدوريات القتالية، وعمليات الإغارة على أهداف خاصة .. إلخ، ونذكر منها على سبيل المثال:

غَزْوَةِ وَدّانَ[1] وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، غَزْوَةُ بُوَاطَ، غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ، غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى، بني سليم، ذي أمر، بحران، غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ، غَزْوَةُ بَدْرٍ الْآخِرَةِ، غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ.

ثالثاً: العمليات الهجومية (المُنسَّقة):

أبدع المسلمون في إحداث توازنٍ مع الجيوش المنظمة والكبيرة، وكذلك الجيوش الصغيرة غير المنظمة، وقد قاتل المسلمون بظروف مختلفة، رغم عدم تكافئهم مع أعدائهم في غالبية معاركهم وغزواتهم، واستطاعوا أن يتكيّفوا مع كافة ظروف المعارك سواء (أرض المعركة، العقيدة القتالية للأعداء، عديد القوات، العتاد والتسليح، التجهيزات والتحصينات القتالية).

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب: "أما دور الهجوم: فهو من بعد غزوة (الخندق) إلى بعد غزوة (حنين) وبهذا الدور انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرضت للإسلام"[2].

لقد انتقل المسلمون من دور الدفاع إلى دور الهجوم في اليوم الذي انتهت به غزوة الخندق، لذلك قال الرسول ﷺ لأصحابه بعد انسحاب الأحزاب: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)[3]. انتقلت المبادأة إلى يد المسلمين بعد هذه الغزوة، ولم يتركوها حتى شمل الإسلام شبه الجزيرة العربية كلها، وارتفعت راية الإسلام شرقاً وغرباً فوق كل راية ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:25].

---

[1] غزوة وَدّان: هِيَ أَوَّلُ غَزَوَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسلام ، ويقال لها غزوة الْأَبْوَاءِ، ووَدّانّ: (بفتح أوله، وتشديد ثانيه) : قَرْيَة جَامِعَة من أُمَّهَات الْقرى وهي جامعة بين مكة والمدينة قريبة من الجُحفة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان (ج/5365).

[2] الرسول القائد (ص9).

[3] [البخاري/المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج5/111رقم حديث4110].

ويُمكن تقسيم العمليات التعرّضية أو الهجومية في السنة النبوية على النحو التالي:

1- عمليات هجومية ضد جيوش صغيرة:

كقتال المسلمين للمشركين من القبائل العربية، حيث لم تكن نوعية القتال منظّمة كما هي حالة القتال مع الروم والفرس، بل كانت تتكيف حسب ظروف المكان والزمان وأرض المعركة. كما سيتم بيانه في فصل العمليات الهجومية.

2- عمليات هجومية تعرّضية ضد جيوش كبيرة:

كقتال المسلمين للجيوش الكبيرة والمنظمة التي تفوق المسلمين من حيث العدد والعدة أضعافاً مضاعفة كالروم والفرس. كما سيتم بيانه في فصل العمليات الهجومية.

3- عمليات المحاصرة للقرى المحصنة والدفاعات القوية:

أبدع المسلمون في السيطرة على الجبهات الحصينة والتي لها تجهيزات دفاعية قوية كقتال اليهود في غزوة بني قينقاع، وبني النضير، وبين قريظة، وخيبر، والقتال في الطائف. وسيتم تفصيله في فصل العمليات الهجومية.

رابعاً: عمليات استثمار النجاحات العسكرية.

تتحقق النتائج الحاسمة والمؤثرة في استثمار النجاح، عندما يستفاد من قوات قوية ومتحركة بما فيه الكفاية، وتُرصد كقوات لاستثمار النجاح. ومثاله في السنة ما يلي[(1)]:

- استثمار نجاح فتح مكة، و الانطلاق لغزوة حنين.
- استثمار انتصار حنين، وتحقيق المطاردة لجيش الطائف.
- استثمار النجاح العسكري في الأحزاب، والتوجه بعدها مباشرة لبني قريظة.
- استثمار انتصار تبوك بعقد اتفاقيات صلح مع البلاد المجاورة بشروط المسلمين.

خامساً: عمليات المطاردة العسكرية:

وعمليات المطاردة العسكرية هي عملية هجومية ضد قوة عدوّة متراجعة، وهي تلي عملية مهاجمة ناجحة او عملية استثمار النجاح[(2)].

---

(1) سيأتي ذكرها مفصلاً مع التوثيق لها في فصل العمليات الخاصة.

(2) تكتيك عسكري(ج/1 62).

ومن أمثلة عمليات المطاردة في السنة النبوية[1]: غزوة بَدْر الْكُبْرَى في جمادي الأولى 2هـ، وغزوة بنو النضير سليم في شوال 2هـ، وغزوة السَّوِيق ذو الحجة 2هـ ، وغزوة ذي قَرَد، وذو أمر محرم 3هـ، وبنو النضير ربيع الأول 4هـ، والغابة محرم 7 هـ.

سادساً: العمليات العسكرية الخاصة:

والعمليات الخاصة هي: "العمليات التي تتطلب تدريباً وتجهيزاً وتسليحاً خاصاً"[2].

وتعرف أيضاً: "عمليات عسكرية متعددة الأغراض تُنفذها قوات خاصة ذات تدريب عالي الكفاءة، ضد أهداف استراتيجية من أجل كشف مهمات العدو وإحباطها"[3].

وهذا النوع من العمليات له مهامه وإجراءاته الخاصة لضمان نجاحه؛ ويُعتبر مهم وذو قيمة عالية، لما له من أثر كبير في إضعاف الأعداء وضربهم في مقتل.

ومن خلال دراسة العمليات العسكرية الخاصة في ضوء السنة النبوية؛ يُمكن تقسيم العمليات العسكرية الخاصة في السنة النبوية إلى ما يلي:

1- العمليات الاستخبارية وجمع المعلومات.

2- عمليات الخداع العسكري.

3- عمليات الاغتيال وتصفية الأعداء.

4- العمليات الفردية كالحراسة الخاصة والتأمين واختراق صفوف الأعداء.

وقد تجسدت روح التضحية والفداء في تنفيذ هكذا نوع من العمليات، والتي تمثلت في النماذج الفذّة من صحابة رسول اللهﷺ وامتثالهم للأمر العسكري مهما كانت درجة خطورته على حياتهم. وسيتم ذكر هذه النماذج مفصّلاً في فصل العمليات العسكرية الخاصة.

قال الباحث:

ومن خلال ما سبق من التحليل الكمّي والزمني للغزوات، وبعد الاطّلاع والدراسة التحليلية لاحظ الباحث ما يلي:

1) أن هذه الغزوات من أعظم الدلائل على جهادهﷺ بالسنان كما جاهد باللسان، فقد قاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

---

[1] سيأتي ذكرها مفصلاً مع التوثيق لها في فصل العمليات الخاصة.

[2] جامعة الدول العربية : معجم المصطلحات العسكرية (ص32).

[3] حجازي : فلسفة الميدان – رؤى في التخطيط العسكري، يليه خلاصة كتاب فن الحرب لسون تزو (ص89).

2) أعظم الغزوات التي قام بها الرَّسُولُﷺ سَبْع: بَدْرٍ أُحُدٍ الْأَحْزَابِ وتُسَمّى (الْخَنْدَقِ) وخَيْبَر، وفَتْح مَكَّةَ وحُنَيْنٍ تَبوك، وفق ترتيبها التاريخي، وقد ورد ذكر هذه الغزوات في القرآن، فقد ذكر الله عجز وجل بدراً في سورة الأنفال، وأُحُداً في سورة آل عمران، وحُنيناً في سورة التوبة، وفتحَ خيبر في سورة الحشر.

3) أن الرسولﷺ قاد في السنة الثانية للهجرة – وهي أول سنوات الصراع – أكبر عدد من العمليات العسكرية، وهو ثماني غزوات بينما لم يزد عدد العمليات التي قادها في كل سنة بعد ذلك عن ثلاث أو أربع عمليات في المتوسط. هذا التركيز في قيادة عمليات أولى سنوات الصراع له دلالاته التي لا تفوت القائد المحنَّك الخبير بفن الحرب، ويُعد في نظر العلم العسكري والاستراتيجية العسكرية من علامات القيادة العسكرية الفذَّة.

4) أن الرسولﷺ حرص على مباشرة القيادة بنفسه طوال فترة الصِّراع كلها منذ السنة الثانية حتى التاسعة، مع إتاحة الفرصة في الوقت نفسه لأصحابه الكرام أن يتولوا قيادة الأعمال العسكرية المختلفة تحت إشرافه وتوجيهه بصفته القائد الأعلى، ومثال ذلك غزوة مؤتة.

وهذا الأمر يتيح الفرصة للقائد في بداية الصراع لدراسة مسرح العمليات دراسة شخصية، ويتيح له دراسة عدوه بالإحتكاك المباشر، وتقييم كفاءته القتالية مادياً ومعنوياً ودراسة أساليبه في القتال، والأسلحة التي يستخدمها، وكل ذلك يكسب القائد الخبرة القتالية.

وهذه الدراسة الشخصية الشاملة تمكّن القائد من التخطيط السليم لجميع العمليات العسكرية المقبلة، وَتمكِّنه من إدارة العمليات والمعارك بكفاية تامة، وتوجيه المقاتلين إلى ما يحقق لهم النصر على أعدائهم.

يقول المقدم أحمد محمد المومني: "والقائد الناجح في عملياته الحربية، هو الذي ينجح في معرفة عدوه وطبيعة الأرض التي تجري عليها عملياته، وقد اهتم المسلمون بحماية قواتهم، وسلامتها واحتلت الصدارة في تفكير القادة المسلمين على مختلف مستوياتهم"[(1)]

5) الكشف عن مبدأ من أهم مبادئ إعداد القادة العسكريين لتولي القيادة، وهو أن يتولى قادةُ المستقبل قيادة الوحدات الفرعية للجيش تحت قيادة القائد العام للقوات. وهذا الأسلوب يفيد القادة من عدة جوانب نذكر منها:

أ. مباشرة قيادة العمليات العسكرية عملياً تحت إشراف القائد الأعلى، والإفادة من ملاحظاته توجيهاته، وإتاحة الفرصة لهم لملاحظة أسلوب القائد المُعلِّم في القيادة العسكرية في التخطيط للمعركة وإدارتها.

ب. تدريب قادة المستقبل على فن التفكير واستخدام العقل والتعبير عن الرأي، باشتراكهم مع القائد

---

(1) المومني: التعبئة الجهادية في الإسلام (ص241).

الأعلى في مرحلة التخطيط للمعارك.

ت. تعزيز مبدأ الشورى الذي أمر به الإسلام، وقد طبقها الرسول القائدﷺ خير تطبيق، فكان يشاور أصحابه في كثير من غزواته، والمُتتبع لجهادهﷺ يجدُ أن الشورى صفة بارزة له، حتى أصبحت سمة هامة من سمات العسكرية الإسلامية؛ والشواهد على مشاورة النبيﷺ لأصحابه كثيرة، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه[1] بسنده **عَنْ أَنَسٍ، (أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟..).**

ث. إنَّ هذا الأسلوب يكسب قادة المستقبل القدرة على إصدار القرارات السليمة في وقتها المناسب، دون الرجوع إلى القيادة العليا، إن اقتضى الأمر ذلك، ولا سيما في المواقف الحرجة المفاجئة، وهذا من أهم خصاص القيادة العسكرية الناجحة.

---

[1][مسلم/الجهاد والسير/غزوة بدر، ج/1403/3 حديث رقم: 1779]. وفي [البخاري/الاعتصام/قول الله وأمرهم شورى بينهم،112/9].**قال البخاري:** "وَشَاوَرَ النَّبِيُّﷺ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فِي المُقَامِ وَالخُرُوجِ، فَرَأَوْا لَهُ الخُرُوجَ.. وَشَاوَرَ عَلِيًّا، وَأُسَامَةَ فِيمَا رَمَى بِهِ أَهْلُ الإِفْكِ عَائِشَةَ فَسَمِعَ مِنْهُمَا.. وَكَانَتِ الأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّﷺ يَسْتَشِيرُونَ الأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي الأُمُورِ المُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ، اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّﷺ".

وقد أشار الترمذي في سننه، إلى ذلك فقال: يُروى عن أبي هريرةرضي الله عنه أنه قال: **(مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ).**[سنن الترمذي/الجهاد/ما جاء في المشاورة213/4، حديث رقم1714].

وهذا الحديث إسناده ضعيف لانقطاعه، وقد رواه الترمذي هكذا بصيغة التمريض، ونص على ذلك ابن حجر في الفتح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (ج/13 340)، حيث قال: "وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ"، واستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة الشرعية (ص213).

الفصل الأول: تكتيك العمليات الدفاعية في السنة النبوية

الفصل الأول: تكتيك العمليات الدفاعية في السنة النبوية

المبحث الأول: تعريف الدفاع، وغايات المنطقة الدفاعية وأقسامها.

المطلب الأول: تعريف العمليات الدفاعية، لغة واصطلاحاً.

أولاً: الدِّفَاعُ لُغَة:

مادتها (دَفَعَ): قال ابن فارس[1]: "الدَّالُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مَشْهُورٌ، يَدُلُّ عَلَى تَنْحِيَةِ الشَّيْءِ"؛ وأما الدفاع فالسيل العظيم؛ وكل ذلك مشتق من أن بعضه يدفع بعضاً"، يقال دفع، يدفع، دفاعً، فهو مدافع تقول: دفع الله عنك السوء دفاعاً، واسْتَدْفَعْتُ اللهَ الأسواءَ، أي طلبت منه أن يَدْفَعَها عنِّي، ودفع: دَفَعْتُ عنه كذا وكذا دفعاً ومدفعاً، أي: مَنَعْتُ[2]، ودفعه: نحاه وأزاله بقوة، وأبعده عنه، ودفع المركب بمعنى دفع المركب من البر أي نحاه وأبعده عن الشاطئ، ودفع: رمى بقوة إلى الأمام[3].

والدفاع: فعال من اثنين وما يقع من أحدهما دفع وهو رد الشيء بغلبة وقهر عن وجهته التي هو منبعث إليها بأشد منه، والمُدَافَعَةُ: المُزَاحَمَةُ، يقال هو سيد قومه غير مدافع غير مزاحم. وَدَفَعَ الرَّجُلُ قَوْسَهُ يَدْفَعُها: سَوّاهَا، ودَفَعَ كرَجَعَ وَزْناً ومَعْنىً[4].

ثانياً: الدِّفَاع اصطلاحاً:

الدفاع هو: "كل إجراء عملي يُنفذ عبر استثمار كافة الوسائل والإمكانات الموجودة، بهدف التصدي للعدو، والحيلولة دون استمراره في تقدمه، وتدمير قواته المهاجمة"[5].

والعمليات الدفاعية: هي "الأعمال القتالية التي يتم اللجوء إليها للاحتفاظ بالأرض، وصد العدو وإيقاع أكبر خسائر ممكنة به وتهيئة الشروط الملائمة للانتقال إلى الهجوم"[6].

---

(1) الرازي: معجم مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ج/2 288-289).

(2) البصري: كتاب العين تحقيق: د مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (ج/2 45). وانظر: الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ج/3 1208).

(3) النعيّمي والخيّاط، تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 – 8 : النعَيمي جـ 9، 10: الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (مج4/370– 371).

(4) انظر: مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1، ص289). وانظر: الزَّبيدي، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (ج20، ص558)، وانظر: المناوي، محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، (ج1، ص 338).

(5) أكاديمية فلسطين العسكرية : تكتيك الدفاع (ص6).

(6) جامعة الدول العربية : المصطلحات العسكرية في العمليات الدفاعية (ص11).

المطلب الثاني: غايات العمليات الدفاعية، وتعريف المنطقة الدفاعية وأقسامها.

أولاً: غايات العمليات الدفاعية:

تكمن الغاية من العمليات الدفاعية بحسب الأولوية حسب الآتي:

1. تدمير قوات العدو أو الإيقاع بها.
2. منع العدو من الدخول إلى منطقة حيوية.
3. تقليل قدرات وإمكانات العدو الهجومية.
4. إيجاد الظروف المناسبة للعمليات الهجومية.
5. الاقتصاد بالقوى في منطقة ما، بغية استخدام قوات كافية في مكان آخر[1].

ومن خلال دراسة هذه الغايات نجد أنها مرتبة –حسب الأولوية– من حيث القوة والقدرة للقوات المُدافعة؛ فلو كانت قدرات القوات المدافعة قوية وقادرة فعليها تدمير قوات العدو المهاجم، وإن لم تستطع التدمير فعليها منع العدو من الدخول إلى المناطق الحيوية، وإن لم تستطع فعليها تقليل قدرات وإمكانات العدو الهجومية .. وهكذا.

ثانياً: تعريف المنطقة الدفاعية وأقسامها:

المنطقة الدفاعية هي:"عرض وعمق لقسم من الأرض، يقوم المستوى القيادي المحدد بإشغالها لإجراء الدفاع، تُحدد هذه المنطقة عبر رسم خطوط حدود مسؤولية وضع تأمينها في الأمام، حيث تتصل بالحد الخلفي لمنطقة الوحدة"[2].

وتقسم المنطقة من خلال تحديد الحد الأمامي لمنطقة القتال الذي يحدد من قبل المستوى الأعلى، إلى قسمين هما:

1. **منطقة التأمين:** وهي قسم تقع أمام الحد الأمامي لمنطقة القتال.
2. **منطقة الحرب:** قسم خلف الحد الأمامي تتصل خطوطه بالحد الخلفي للوحدة المدافعة[3].

---

[1] تكتيك الدفاع (ص6).

[2] المصدر نفسه (ص14).

[3] المصدر السابق (ص14).

المبحث الثاني: مبادئ العمليات الدفاعية، وتطبيقاته في السنة النبوية.

المطلب الأول: مبدأ الاستفادة الصحيحة من الأرض.

تَلعَبُ طَبِيعَةُ سَطحِ الأرضِ من الناحية التركيبية والمظهرية دوراً هاماً في المعارك الحربية الأرضية، وبمقدور القائد العسكري أن يستغل الأرض بأقصى ما يمكن لصالح قواته، ويتمثل ذلك بالتعمق في معرفة وضعية الأرض، واستطلاع جوانبها العسكرية[1].

ومن الأمثلة العربية المشهورة : **(قَتَلَتْ أَرْضٌ جَاهِلَهَا)**، **(وقَتَلَ أَرْضَاً عَارِفُها)**[2].

وقد طبق النبيﷺ وأصحابه الكرامﷺ مبدأ الاستفادة الصحيحة من الأرض في عدة مواقف عسكرية، حيث حرص المسلمون بالسبق إلى أرض المعركة ودراستها عسكرياً، واختيار المناسب منها، وترك ما لا يناسب للعدو؛ ليضمن النبيﷺ السيطرة على الأرض، تعويضاً لقلة الإمكانات، وقد ظهر هذا واضحاً في الغزوات التالية:

أولاً: الاستفادة من الأرض في غزوة بدر:

تمكّن المسلمون بقيادة الرسولﷺ من الوصول إلى موقع بدر قبل قريش؛ الأمر الذي ساعدهم في الدراسة العسكرية للأرض، واختيار مسرح العمليات المناسب، والمتفوق على العدو، حيث وقع الاختيار المناسب للأرض، من حيث اختيار مقر القيادة، والسيطرة على مصدر المياه، وتأمين أجناب القوات، وذلك بالسيطرة على المواقع الحيوية والتي منها ما يلي:

1. اختيار مقر القيادة:

تم بناء مقر النبيﷺ في موضع العريش وهو مكان يشرف على ساحة القتال في بدر، وجرت حراسة هذا المقر حراسة رصينة.

وبناء العريش ثابتٌ في الصحيح فقد أخرج البخاري في صحيحه[3] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ: **(قَالَ**

---

[1] جوانب الأرض العسكرية هي: (حقول الرؤية والرماية، وإمكانية الاختفاء والغطاء، والموانع والتحصينات، والعوارض الحساسة والنقاط الحيوية، والمعابر الوصولية ومسالك الاقتراب للأعداء). انظر: أكاديمية فلسطين العسكرية، تكتيك الدفاع، (ص7).

[2] النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين(ج2 108). وانظر: الكناني، والبيان والتبيين (ج2 217).

[3][البخاري: صحيح: الجهاد والسير/ما قيل في درع النبيﷺ والقميص في الحرب، 143/6: حديث رقم 4875].

وهناك رواية أخرى أخرجها أبو نعيم في فضائل الخلفاء، خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حديث رقم: 237، من حديث سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ قَالَ: (يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدُّ عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِﷺ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ).

رسول الله ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ[1] له: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعبد بَعْدَ الْيَوْمِ، فَأَخَذَ أبو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ* بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾. [القمر: 45، 46].

2. اختيار موضع معسكر المسلمين في بدر:

لما خرج الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ ووصلوا إلى بدر كان مَنْزِل رسول الله ﷺ كما جاء القرآن: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا[2]﴾. [الأنفال:42]، ووادي بدر ممتد من الشمال إلى الجنوب، ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى[3] وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال:42]، فنزل النبي ﷺ بحافة الوادي الدنيا من جهة المدينة، وكان منزل المشركين بالعدوة القصوى التي من جهة مكة، فنزلوا على أول بئر وصلوا إليه.

وقد ورد أنّ الحُباب بن المُنذر أشار على النبي ﷺ أن ينزل المسلمون عند أقرب ماء من المشركين، فيترك مياه بدر خلفه، ثم يُغوِّرُوا ما وراءه من الآبار، لئلا يستفيد منها المشركون، ويبنوا حوضاً ليشرب منه المسلمون، ويمنعوا الماء عن المشركين، وأن النبي ﷺ قبل مشورته[4].

وهذا الحديث أخرجه أيضاً [السيوطى/جامع الأحاديث/مسند علي بن أبي طالب، 324/30: حديث 33286]، وأخرجه[البزار في مسنده، 179/35: حديث رقم21260]، وفي كشف الأستار، مناقب أبي بكر الصديق، حديث رقم:2481، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في العريش الذي بني لرسول الله حين التقى الناس يوم بدر، 23/3، حديث: 891، ومحمد البغدادي المخَلِّص في المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي الطاهر المخلص، حديث 246:9.

وحديث أبو نعيم إسناده ضعيف ضعفاً يسيراً؛ ويشهد له الحديث الذي سبقه في صحيح البخاري، قال البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن علي إلا من هذا الوجه، وفيه من لَم أَعرِفهُ، وقال الهيثمي في المجمع ج9، ص46: وفيه من لم أعرفه، قلت: هو محمد بن عقيل ابن أبي طالب قال عنه الحافظ في التقريب، ص497: مقبول من الثالثة، وإبراهيم بن محمد الصائغ: صدوق عند ابن حجر ووثقه ابن معين، وحسان بن إبراهيم الكرماني: وثقه ابن معين والذهبي، وقال ابن حجر في التقريب، ص157: صدوق يخطئ، وقال فيه أبو زرعة: لا بأس به.

[1] القبة: من الخيام وهو بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص3.

[2] الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا: ضفة الوادي وشاطئه، أو شَفير الْوَادي؛ والغدوة والعدوة وَاحِد. وَقَوله {الدُّنْيَا} يَعْنِي: الْأَدْنَى من الْمَدِينَة؛ فَهِيَ تَأْنِيث الْأَدْنَى {وهم بالعدوة القصوى} انظر: المروزي تفسير القرآن (تفسير السمعاني)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم (ج/2 268).

[3] تفسيرالسمعاني: الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى،يَعْنِي: الْأَقْصَى من مَكَّة (ج268/2).

[4] [المستدرك، 482/3–483، حديث رقم: 5801و5805و5803] و[ابن سعد، الطبقات، 567/3، من حديث ابن عباس].

يقول المقدم المومني[1]: "والقائد الناجح في عملياته الحربية، هو الذي ينجح في معرفة عدوه وطبيعة الأرض التي تجري عليها عملياته، وقد اهتم المسلمون بحماية قواتهم، وسلامتها واحتلت الصدارة في تفكير القادة المسلمين على مختلف مستوياتهم".

وقد اتخذ النبيﷺ موقعاً سُوقياً (استراتيجياً) مهماً لموضع معسكر المسلمين في بدر بمشورة الحباب بن المنذر [2] رضي الله عنه بالنزول بأدنى ماء من بدر؛ فأصبح المسلمون يشربون ولا ماء لدى الجيش المكي.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب[3]:"بنى المسلمون حوضاً للماء في (بدر) وملؤوه بالماء واستفادوا منه يوم القتال، أما بقية آبار بدر ومياهها فقد غوّروها لئلا يستفيد منها المشركون، أما المشركين فكانوا محرومين من الماء يوم القتال، مما جعل شجعانهم يحاولون اقتحام حوض المسلمين، فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً. لقد كان في نقص الماء عند المشركين يوم القتال أثر كبير في اندحارهم".

ثانياً: الاستفادة من الأرض في غزوة أحد[4]، واحتلالُ (نقطةٍ حيويةٍ)[5] هامةٍ في أرضِ المعركةِ:

في غزوة أُحُد اتخذَّ الرسولﷺ موضع جبل الرُّماة (**عَيْنَيْن**[6]) كنقطة حيوية هامة وأمر بالسيطرة

الحكم علي الحديث: أسانيد هذا الحديث كلها ضعيفة بالإجمال، لأن فيها مجاهيل، إلا أن ابن حجر عزاه في الإصابة (302/1) لابن إسحاق بإسناد حسن، وقد تعقب الشيخ الألباني تصحيح الدكتور البوطي على تصحيحه.

وقد ذكر الدكتور مهدي رزق الله: الرواية في (السيرة النبوية، ص 345) ثم قال: "وهكذا فجميع أسانيدها ضعيفة". ونقل عن باوزير: (مرويات غزوة بدر ص: 164 – 165) قوله: "إنها قد تتقوى وترتقي إلى درجة الحسن لغيره". قال: وفي ذلك نظر، واستدل على ذلك ببعض الروايات المعارضة لها عند ابن كثير في تفسيره (ج3، ص563). ثم أردف قائلاً: وكل هذا يزيد في شكنا بصحة الرواية على الرغم من شهرتها.

وضعفها أكرم ضياء العمري: في السيرة النبوية (ج2، ص360)، لكنه قال: "إنه رغم ضعف هذه الرواية من جهة الإرسال فإن مبدأ الشورى ثابت بنصوص القرآن الكريم وأحداث السيرة النبوية"؛ فكأنه قبل هذه الرواية من جهة موافقتها لأصول الشرع، لا من حيث الإسناد والله أعلم. انظر: السيرة النبوية من خلال الكتب السّتة (دراسة تحليلية)، لحسام عبد الله حمشو، الدار العثمانية للنشر، الأردن – عمان، الطبعة الأولى 1429–2008م، (ص 268).

(1) التعبئة الجهادية في الإسلام (ص241).

(2) الحباب بن المنذر الأنصاري السلمي، يكنى أبا عمرو، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ، يقال له ذي الرأي، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. انظر:ابن سعد الطبقات الكبرى ، تحقيق : حسان عباس [567/3] والإصابة [316/1] وأسد الغابة [364/3].

(3)خطاب : الرسول القائد (ص124).

(4) **جبل أُحُد**: جبل يقع شمال المدينة، بينه وبينها ثلاثة أميال، وهو الجبل الذي وقعت عنده الغزوة، وإليه تُنسب، وسُمّي أحداً لتوحّده حيث لم يكن معه سلسلة من الجبال.

(5) **النقطة الحيوية**: هي التي تحقق للقائد مميزات في مجال الرصد، والاختفاء والغطاء، وحقول الرمي، والتحكم بالطرق، والتأمين.

(6) **جبل عَيْنَيْن، أو جبل الرُّمَاة**: هو هضبة جبل أحد وهو عبارة عن جبل صغير يقع بجانب جبل أحد، شمال المسجد

عليه لتأمين قواته، ولإحكام خطته الدفاعية، ولذلك كلّف الرسولﷺ خمسين من الرماة بقيادة الصحابي الجليل عبد الله بن جبير[1]ﷺ بالسيطرة على هذا العارض الحساس والتمركز فوق جبل (عينين) المقابل لأحُد.

أخرج البخاري في صحيحه[2] من حديث البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ قَالَ: **(جَعَلَ النَّبِيُّﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ).**

قال الباحث: استطاع النبيﷺ السيطرة على أرض المعركة التي يعسكر بها المسلمون، من خلال سيطرته على (جبل الرُّماة)، وتمكّن بذلك من امتلاك حقول الرؤية والرماية المناسبة، وكذلك استطاعﷺ تأمين المسلمين من خلال حرمان العدو من الالتفاف على قواته من الخلف، وبذلك يكون قد امتلك موقعاً حيوياً في عمق مسرح المعركة، وتكوين قاعدة أمينة لقواته يستند إليها عند الحاجة، وبها يستر انسحاب قواته تحت أي ظرف من الظروف المحتملة.

يقول الدكتور محمد أبو فارس[3]: "واختيار الموقع – جبل أحد – يدل على براعة النبيﷺ العسكرية، فعدد المشركين غفير، وسلاحهم وفير ومتنوع، وربما فكروا بحركة التفاف من الخلف، فالرماة لهم بالمرصاد يرصدون حركاتهم من أعلى الجبل ويُسَدِّدون ضرباتهم لهم، ويقتلون كل حركة في مهدها".

وجبلَ أُحدٍ جبلٌ مباركٌ، ذكرَ النبيُّﷺ فضائله، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما[4] واللفظ للبخاري عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: **(..هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا، مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ).**

النبوي على بعد نحو ثلاثة كيلو مترات منه، قرب المدينة المنورة، وقيل عينين جبل من جبال أحد بينهما واد، وهو الجبل الذي أمر النبي الرماة أن يتمركزوا فيه في أحد، ليحموا ظهور المسلمين من تسلل المشركين، وبعد يوم أحد سُمّي جبل الرماة . انظر: البغدادي، معجم البلدان (174/4).

[1] **عبد الله بن جبير الأنصاري:** شهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار وشهد بدراً وأحداً، واستعمله رسول اللهﷺ على الرماة في أحد لحماية ظهور المسلمين؛ فلما اختلف الرماة وانسحب أكثرهم من مواضعهم لأخذ الغنائم من معسكر المشركين، ثبت عبد الله في مكانه مع نفر لا يبلغون العشرة قاوم بهم هجوم خالد بن الوليد حتى فنيت نبله، فطاعن بالرمح حتى انكسر، فكسر جفن سيفه فقاتل فرسان خالد حتى استشهد بطلاً. انظر التفاصيل: طبقات ابن سعد (475/3) والإصابة (45/4) وأسد الغابة (130/3) والاستيعاب (877/3).

[2][البخاري: الجهاد والسير/ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه65/4: رقم حديث3039].

[3] محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد (ص64).

[4][البخاري: الأطعمة/الحيس76/7حديث رقم: 5425] و[مسلم: الحج/فضل المدينة993/2حديث رقم: 1365].

وهنا تظهر قيمة هذا الجبل عند النبيﷺ، ودقة شعورهﷺ بعظمتة وأهميته، ويترتب عليه من آثار تكتيكية عسكرية في كَسْبِ المُسْلِمين مَنْعَةَ التَّحَصُّن والاحْتِماء به عند احتلاله وتمركز القوات به؛ فقد كانﷺ يُدرك أهمية هذا الموقع الحيوي، وما له من نتائج على المعركة؛ حتى إنّه بعد تكليف الرماة أوصاهم بنفسه بعدم مفارقة هذا الموضع وفي أي حال من الأحوال.

قال الباحث: ظهرت حنكة النبيﷺ العسكرية عند اختياره لموضع (أُحُد)، وتنظيمه لجيشه وعسكرته فيه، واستغلاله الأمثل للأرض عسكرياً؛ حيث استغل الموانع الموجودة من الجبال، والجبل بطبيعته يحمي ظهر الجيش بخلاف الأرض المنبسطة، والتي يسهل فيها على فرقة الفرسان القيام بتطويق المسلمين؛ ولو دارت المعركة في أرض منبسطة فإن جيش العدو يتمكن من استخدام قواته كاملة، ويستفيد من حرية التحرك، كما يستفيد من تفوقه في العدد.

أضف إلى ذلك أنّ الجبال تعتبر حصوناً طبيعية تحمي من الغزو، حيث تتعذر حركة الفرسان، كما أن الجيش الذي يستند إلى الجبل يستطيع الاستفادة من صخوره ومسالكه. هذه الميزات تجعل هناك توازناً وتكافؤاً يعوض النقص في العدد والعتاد؛ وبذلك استطاع الرسولﷺ وأصحابه رضي الله عنهم السيطرة على مسرح المعركة بصورة منيعة وحيوية لصالح قواته.

ثالثاً: استخدام الأرض في غزوة الخندق[1]:

1. حفر الخندق:

تتميز غزوة الخندق عن غيرها من الغزوات، أن المسلمين لجئوا فيها إلى الدفاع عن عاصمتهم "المدينة المنورة" بإتباع أسلوب جديد يُعَد أول عمل "هندسي قتالي" في تاريخ الحرب عند العرب، وهو حفر الخندق.

وكان الغرض الأساسي من حفر الخندق، منع خيل المشركين من اقتحام المدينة. لذا؛ كان يجب حفر الخندق بطريقة هندسية لا تسمح للخيل العربية – المعروفة بمهارتها في اجتياز الحواجز والعقبات– من اجتياز الخندق، أي يكون عرض الخندق وعمقه بالقدر الذي يحول دون اجتياز الخيل له.

وحين اختار المسلمون البقاء في المدينة والتحصن بها لقتال الأحزاب، وعدم المصادمة الخارجية مع قوى الأحزاب، قرر المسلمون حينها القيام بحفر خندق دفاعي في الجهة المكشوفة من المدينة، يحول بين العدو وبين دخول المدينة.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: **(كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي الخَنْدَقِ،**

---

[1] غزوة الخندق: وقعت في شوال من السنة الخامسة للهجرة (627م)، وتُسمى (غزوة الأحزاب) لأن قريشاً لم تكن وحدها فيها، بل انضمّ إليها عدد من القبائل العربية واليهود، وشكّلوا تحالفاً ضد المسلمين. انظر: سيرة ابن هشام (214/2). وانظر: جوامع السيرة، لابن حزم الظاهري، تحقيق إحسان عباس (185/1).

وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا[2]**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ).**

وقد جاءت فكرة حفر الخندق نتيجة مشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه وذلك عندما قام رسول اللهﷺ بمشاورة أصحابه رضي الله عنهم كعادته، حيث أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بذلك. ولم يكن حفر الخنادق للأغراض الدفاعية معروفاً عند العرب، فهو تكتيك قتالي فارسي، لم يكن معهوداً عندهم، وأخذها سلمان الفارسي رضي الله عنه عن قومه، وأشار على رسول اللهﷺ بقوله: **(إنَّا كُنَّا بِفَارِس إذا حوصِرنَا خَنْدَقْنَا حَوْلَنَا)**[3].

وقد بادر المسلمون بحفر الخندق، وعمل الرسولﷺ مع أصحابه في حفر الخندق بهمة عالية بيديه الطاهرتين، كما كانﷺ يحمل التراب حتى اغبر بطنه، ووارى شَعرَه.

أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، قَالَ: **(لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:**

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا،
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا،
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا).

ولا بد للقائد أن يعيش بين جنوده، فيشِعر بمعاناتهم، ويتفقدهم، ويرفع من معنوياتهم، وهنا نجد هذه المعاني الكبيرة حاضرة عندالنبيﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم في غزوة الخندق.

فقد أخرج البخاري ومسلم[5]، واللفظ للبخاري عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **(خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ**

---

[1][البخاري: المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب، 107/5: رقم حديث 4098].

[2] أَكْتَادِنَا: جمع (كَتَدَ) قال ابن فارس: (كَتَدَ) الْكَافُ وَالتَّاءُ وَالدَّالُ حَرْفٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْكَتَدُ: مَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ، والكاهل ما بين الكتف إلى موصل العنق في الصلب. معجم مقاييس اللغة (165/5). وانظر: العين (325/5).

[3] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (392/7): "فَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا الْخَنْدَقَ فَلِأَجْلِ الْخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ بِأَمْرِ النَّبِيِّﷺ وَكَانَ الَّذِي أَشَارَ بِذَلِكَ سَلْمَانُ فِيمَا"، وقد علّق الدكتور محمد العوشن على كلام ابن حجر بقوله:" لم يسق له إسنادًا. وأبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندى ت171هـ روى له الأربعة، وضعّفه الجمهور.. وليست العلة في ضعف أبى معشر فحسب؛ بل كون الخبر مرسلًا، حيث ساقه دون إسناد". انظر: محمد بن عبد الله العوشن،ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية (ص162).

[4][البخاري: المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب110/5رقم حديث4106].

[5][البخاري: المغازي/حفر الخندق، 23/4، رقم حديث2834] و[مسلم: الجهاد والسير/غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم حديث 1805].

إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ[1] بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ[2] وَالجُوعِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ، فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا).

وقد تم فعلاً، حفر الخندق بطريقة حالت دون تمكن خيل المشركين من اقتحامه، بحيث صارت جيوشهم تطوف بالخندق بحثاً عن مكان ضيق فيه ليعبروا، وحتى عند محاولتهم العبور من المكان الضيق لم يكن الأمر سهلاً، بل اضطروا لإجبار خيلهم بالقوة حتى تعبر[3].

وهناك بعض الذين حاولوا اقتحام الخندق، ففشلوا وسقطوا فيه كنوفل بن عبد اللَّهِ بنِ المُغِيرَةِ، حيث حَمَل فَرَسَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ لِيَعْبُرَ إِلَى النَّبِيِّﷺ، فَبَطَحَهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ قَتِيلًا، فَسَأَلَ الْمُشْرِكُونَ النَّبِيَّ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمْ جَسَدَهُ، وَيَدْفَعُوا إِلَيْهِ دِيَتَهُ، قَالَ: **(لَا حَاجَةَ لَنَا فِي دِيَتِهِ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ الدِّيَةِ، خَبِيثُ اللَّحْمِ، خَبِيثُ الْجَسَدِ)**[4].

أخرج أحمد في مسنده[5] من حديث ابن عباسﷺ (أَنَّ رَجُلاً مِنَ آل المُغِيْرَةِ قَال: لأَقْتُلَنّ مُحَمَّداً فَأَوثَبَ فَرَسَه في الخَندَقِ، فَوَقَعَ فَانْدَقَّت رَقبَته وقالوا: يا محمد، ادْفَعه إلينا نواريه وندفع إليك ديته، فقال: ذروة، فإنه خبيث، خبيث الدية).

ومن خلال ما سبق ذكره في حديث ابن عباس يظهر لنا نجاح تكتيك المسلمين في حفرهم

---

[1] غداة: وقت الضَّحْوَة.

[2] النَّصَب: أي التَّعَب. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، (62/5).

[3] أكاديمية فلسطين العسكرية: التاريخ العسكري (ص26).

[4] الفزاري: السير والمغازي (ص115)، وانظر: المقريزي ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي (120/4).

[5] [أحمد: 26/3و113حديث برقم 2230و2442]، وابن أبي شيبة في مصنفه [379/7حديث رقم 36824] والبيهقي [ص1835، حديث رقم: 22319] من طرق عن حجاج بن أرطاة، وأخرجه الترمذي [316/4حديث رقم:1715]، وابن ابي شيبة في مصنفه [419/12حديث رقم 33933] والخطيب البغدادي في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة [316/4، حديث رقم 158] وأبي اسحاق الفزاري، في السير [115/1]، من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، بنحوه. كلاهما (حجاج، وابن ابي ليلى) عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده ضعيف لأجل حجاج بن أرطأة، فهو صدوق كثير الخطأ والتدليس من الرابعة ولم يصرح بالسماع. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص152)، وطبقات المدلسين، لابن حجر (ص49).
وأما متابعة ابن أبي ليلى وهو صدوق سيء الحفظ جداً، انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص493)، وفيه الحكم بن عتيبة لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وهذا ليس منها. انظر:ابن أبي حاتم الجرح والتعديل (130/1).
ونظراً لما سبق ؛ فالاسناد يبقى على ضعفه ، وعضد ضعفه ابن القطان. انظر: بيان الوهم والإيهام (490/3)، قال شعيب في تحقيقه لمسند احمد (102/4)، إسناده ضعيف؛ لضعف نصر بن باب وتدليس الحجاج.

للخندق بالقياسات المؤثرة والتي تمنع الخيالة من اجتياز، وفشل الأحزاب بكافة قواتهم وإمكاناتهم من التغلب على تكتيك المسلمين المتمثل بالخندق.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب[1]: "استفاد المسلمون من حفر الخندق للدفاع عن المدينة المنورة، وهذا الأسلوب الجديد من أساليب القتال يدخل في أساليب العرب الحربية لأول مرة في التاريخ، إن القائد العبقري هو الذي يستخدم أسلوباً جديداً أو سلاحاً جديداً في القتال، والخندق هو الأسلوب الجديد الثاني الذي استخدمه الرسولﷺ في القتال، بعد أن استخدم أسلوب الصفوف في معركة (بدر)".

2. الاستفادة من موانع وتضاريس الأرض داخل المدينة المنورة.

استفاد المسلمون من تضاريس المدينة وموانعها الطبيعية الحصينة الموجودة على أجنابها. وقد كان حفر الخندق هو المانع العسكري الصناعي الذي به اكتمل إغلاق المدينة بإحكام.

وبعد إنجاز حفر الخندق، احتلّ المسلمون مواضعهم خلف الخندق واستفادوا من مناعة جَبَلِ (سَلْعٍ)[2]، وذلك لحماية ظهورهم وجناحهم الأيسر من التفاف الأحزاب من ذلك الاتجاه، ولقطع خط رجعتهم إلى المدينة المنورة، وضربهم من الخلف وتطويقهم، وكذلك استغل الرسولﷺ البيوت الحصينة قوية البنيان لحماية وتأمين الجبهة الداخلية فقد جمع الرسولﷺ النساء والأطفال في بيوت قوية البنيان في منطقة آمنة داخل المدينة، للاستفادة من مناعتها في حمايتهم، وهجروا البيوت الواهنة والضعيفة والتي لا تساعد على الحماية والدفاع[3].

يقول الدكتور صالح زهر الدين[4]: "من أبرز أسباب النصر في غزوة الخندق هو اختيارُ المسلمينَ موقفاً دفاعياً داخل المدينة، بالإضافة إلى موقع المدينة الحصين طبيعياً من ثلاثة اتجاهات، ناهيك عن استكمال ذلك الموقع الحصين بالخندق الذي كان له دوران مهمان: **الأول:** حقق مفاجأة للمهاجمين حيث قَلَبَ خططهم رأساً على عقب. **الثاني:** حرم المهاجمين من خوض معركة غير متكافئة كانوا يحلمون بالنصر فيها لتفوقهم الهائل في العدد والعدّة".

قال الباحث: وحفرُ الأرضِ واستغلال تضاريسها وموانعها للحماية وتأمين القوات، أو للهجوم والمناورة؛ أصلٌ عسكريٌ مهم خصوصاً للمُدافع؛ حيث يغلب على المهاجم التفوق العسكري بالعدد والعدة والعتاد، وعند قيام المدافع باستثمار الأرض جيداً يُصبح هناك توازناً في القوى؛ حيث تزداد عوامل تأمين القوات المدافعة، وتزداد فاعليتها أكثر عند المناورة والهجوم.

---

[1] خطاب: الرسول القائد، محمود شيتص (ص237).

[2]معجم البلدان: (جَبَلِ سَلْعٍ): هو أشهر جبال المدينة (236/3).

[3] الرسول القائد (229).

[4] انظر: موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى عام 1968، الدكتور صالح زهر الدين، تقديم العماد الدكتور مصطفى طلاس واللواء الركن رياض تقي الدين (ص44).

وهذا ما يحدث على أرض غزة من استثمار المقاومة الفلسطينية الجيد للأرض والتدرع بها، من خلال حفر الأنفاق الدفاعية، والهجومية التي تصل إلى خلف خطوط ومواقع العدو الصهيوني، وتساعدهم في الوصول إلى العدو وتحقيق المباغتة والتفوق التكتيك، وكذلك إعداد الخنادق والغرف والملاجئ الأرضية الحصينة تحت الأرض، والتي يتحصّن بها المجاهدون المقاتلون.

المطلب الثاني: مبدأ التأمين للقوات المدافعة.

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالأمن، فهو جزء هام لا يتجزأ ولا ينفصل عن الإسلام؛ ذلك لأنه مطلب فطري وركيزة من ركائز الحياة الكريمة؛ وهو لا يقل عن أهمية الغذاء، فلا يمكن أن نتصور الحياة بدون (غذاء وأمن) بشكل متلازم وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: **﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾** قريش: 3-4.

وقد وجّه الإسلام المؤمنين المجاهدين إلى اتخاذ كافة تدابير الحيطة والحذر فقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾** . [النساء:71]

كما شرع سبحانه وتعالى صلاة الخوف في وقت الحرب، والحفاظ على السلاح أثناء الصلاة، زيادة في تحقيق التأمين، حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة.

قال تعالى: **﴿**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ **وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾** [النساء: 102].

ويُعرّف الدكتور علي نميري الأمن(1) **بأنه**: "الإجراءات الأمنية التي تُتّخذ لحفظ أسرار الدّولة وتأمين أفرادها ومنشآتها ومصالحها الحيوية في الدَّاخل والخارج، والإجراءات الأمنية تتطلّب درجةً عاليةً من التّدريب واليقظة والحذر والمهارة، للوقاية من نشاط العدوّ المتربّص".

أخرج مسلم في صحيحه(2) من حديث جابرﷺ **أن النبيﷺ يقول: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه).**

ومن سلامة اللسان حفظ اللسان والكتمان وعدم بث الاشاعات والأراجيف، بما يضمن تأمينهم حفظ دماءَهم وأسرارَهم وأموالَهم وأعراضَهم، ومن سلامة اليد عدم البطش والسرقة والاعتداء عليهم وعلى أموالهم وممتلكاتهم بالقوة ظلماً وعدواناً، وحرمانهم الأمن.

---

(1) علي نميري: الأمن والمخابرات نظرة أمنية (ص3).

(2)[مسلم: الإيمان/تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، 65/1حديث رقم41]، وانظر طبقات ابن سعد (10/2).

قال ابن تيمية رحمه الله[1] : "ومعنى الحديث أن الإيمانَ الصادقَ إنما يظهرُ للناسِ من معاملةِ صاحبِهِ لهم، ومن أبرزِ الأدلةِ على صدق إيمانهِ أن يُؤمِّنوه على دمائهم وأموالهم وأسرارهم، فلا يخون أمانته، وليست دعوى الإنسان الإيمان كافية على صدق إيمانه، والمنافقون يفقدون الصدق كما يفقدون الأمانة".

أما أكاديمية فلسطين فعرفّت التأمين[2] **بأنه:** "كافة الإجراءات المتخذة لكشف التهديد ورفعه، بحيث يتحقق للمدافع مباغتة قوات العدو المهاجمة، وعدم مباغتة العدو المُهاجم للقوات المُدافعة".

قال الباحث: يدخل مصطلح الأمن والتأمين في نفس السياق من حيث الغاية، وتعريف الدكتور علي نميري يُعتبر تعريفاً عاماً، أما التعريف الثاني فهو متخصص أكثر، وذات طابع عسكري دفاعي، وهو الذي نقصده.

وهناك إجراءات وجب على المُدافع اتخاذها لتحقق التأمين في الدفاع، والتي منها[3]:

1. عمليات الاستطلاع.
2. نشر قوات تأمين في الأمام والأجنحة.
3. الدفاع السلبي من خلال (التمويه، الخداع، التضليل، الأنشطة المعلوماتية.. إلخ)
4. مراعاة أمن المعلومات من خلال (الاتصالات، المراسلات، الجواسيس .. إلخ)
5. الإجراءات المضادة للتجسس.

وقد أخذ النبيﷺ وأصحابه الكرامﷺ بأسس وقواعد الأمن التي تكفل للمسلمين – بعد التوكل على الله – النصر والتمكين، وذلك في كافة المهمات العسكرية والأمنية، وفي السُّنَّة النبوية المطهّرة الكثير من الشواهد على ذلك، ومنها ما يلي:

1. حفظ الأسرار والكتمان:

يُعتبر كتمان الأسرار والمعلومات عن العدو، من أول أركان التأمين العسكري، ولقد كان الكتمان عند العرب، ولا يزال وسيبقى من سجايا العربي الأصيل، وفوق ذلك فهو عند المسلم الحق "دِيْنٌ واجب التمسك به" في السلم والحرب.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ حفظ الأسرار سبب للفوز وبلوغ المرام واجتناب أذى الخصم. فقد ذكر القرآن وصية أصحاب الكهف لمن ذهب منهم لشراء الطعام بأن يكتم أمرهم، ولا يفشي سرهم حتى لا

---

(1) جمعه وعلق عليه وفهرسه علي بن نايف الشحود، الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرافضة (94/1).

(2) أكاديمية فلسطين العسكرية: تكتيك الدفاع (ص8).

(3) المصدر نفسه.

يصيبهم أذى الحاكم إذا علِم بهم.

يقول سبحانه: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَاذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا﴾. [الكهف:19 – 20].

لقد كانت الوصية لمن ذهب لشراء الطعام بالتَّلطُّف وعدم اشعار أحد بهم، أي كتمان أمرهم، قال البيضاوي في معنى قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: أي لِيَتَكَلَّف اللُّطْفَ في المعاملةِ حتى لا يُغْبَن أو في التَّخَفِّي حتى لا يُعْرَف[1].

وأردف القرآن في بيان ما يترتب على اكتشاف السِّر ومعرفة أهل القرية أمرهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول، ويقال: يقتلوكم، ويقال: كان من عادتهم القتل بالرجم وهو من أخبث القتل[2]. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾، فالذي يترتب هو حصول الأذى سواء بالقتل أو بالإكراه للرجوع في ملة الكفر التي يدين بها أهل القرية[3].

وبهذا فإن القرآن يوجه أنظار المسلمين إلى كتمان أمورهم عن عدوهم، لا سيما الأمور العسكرية حيث تكتسب أهمية خاصة لما يترتب عليها من عظيم المنفعة أو المضرة.

وكِتْمَانَ الْأَسْرَارِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ النَّجَاحِ، ومِنْ جُمْلَة أَسْبَاب انْتِصَارِ الرَّسُولﷺ عَلَى أَعْدَائِه كِتْمَانِه أَخْبَارِهِ عَنْهُم، وقَدْ اتَّخَذَ النَّبِيُّﷺ الصَّحَابِي الجَلِيْلُ حُذيفة بن اليَمَانْ رضي الله عنه أمينَ سرٍ لَهُ.

قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: (مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ إلَيْهِ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ)[4]، ومن الأمْثِلَة العربية الشائعة (إِياكَ وَأَنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُنُقَكَ)[5]، و (إِن لِلْحِيطَانِ آذَاناً)[6]، و (سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ)[7].

والكتمان في المصطلحات العسكرية الحديثة هو: "إخفاءُ المعلوماتِ العسكريةِ الخاصَّةِ بقواتنا وأسلحتِها وتنظيمِها وتجهيزِها وقيادتِها وحركاتِها، والخاصة بطبيعة الأرض في بلادنا أيضاً، عن العدو والصديق، وعدَم إفشاءِ الأسرارَ العسكريةَ مهمّةً كانت أم غيرَ مهمّة، وصغيرة كانت أم كبيرة، وتافهةً

---

[1] الشيرازي: تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (276/3).
[2] النيسابوري: الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (162/6).
[3] الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق: علي عبد الباري عطية (220/8).
[4] للماوردي: أدب الدنيا والدين (ص306).
[5] النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (53/1).
[6] مجمع الأمثال، (87/1).
[7] مجمع الأمثال، (343/1).

كانت أم خطيرة، لكل إنسان، سواء كان عدواً أم صديقاً"[1].

وكما جاء القرآن الكريم بأمر إلهي يرشد المسلمين إلى أهمية الكتمان، فإنه أرشدنا أيضاً إلى وجوب إخبار المسؤولين وأولي الأمر عن كل ما يُؤَثِّرُ في المعنويات تأثيراً سيّئاً، ليروا فيه رأيهم، ويضعوا حدّاً لانتشاره وإشاعته، حتى لا يتفاقم ضرره، ويتول الذين أذاعوه إلى أهدافهم من إذاعته بسهولة ويُسْر.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:83]

ودروس الكتمان وحفظ الأسرار في السنة النبوية كثيرة ومتعددة، ولِيَعْلَمَ المُجَاهِدُ أنَّ رسُولَنَا الكريمﷺ كان يعتمدُ أقْصَى درجاتِ الكِتْمانِ في أعماله العسكرية، وفي غير العسكرية إذا دعت الحاجة كذلك كهجرتهﷺ إلى المدينة.

2. المخاطبات العسكرية بالأوامر المختومة:

كان النبيﷺ يستعين بالكتمان في أعمالهالعسكرية خاصة؛ وكانﷺ يستخدم التورية في الغزوات، فإذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، على النحو الذي يتبّعه قادة الحروب إلى الآن، ومن أساليبهﷺ ابتكار أسلوب (الرسائل العسكرية المكتومة)، وكان ذلك في السرية التي بعثها رسول اللهﷺ بقيادة عبد الله جحشرضي الله عنه.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب[2]:"لقد ابتكر الرسولﷺ أسلوب الرسائل المكتومة، للمحافظة على الكتمان الشديد، ولحرمان أعداء المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن حركات المسلمين وأهدافهم، وبذلك أخفى نياته عن العدو والصديق. لقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق للكتمان، قبل أن يَفْطِنَ إليه الألمان ويستعملوه في الحرب العالميَّة الثانية 1939–1945. وربما يكون للألمان عذرهم في انتحال إبتكار أسلوب الرسائل المكتومة لسبب أو لآخر ... وادعاؤهم بأنهم أول من فكّر في مثل تلك الرسائل... لكن؛ ما عُذْر المسلمين في مشايعة الألمان في ادعائهم هذا وزعمهم بأنهم هم أول من أبتكر هذا الأسلوب؟ لقد نسي المسلمون تراثهم، وأصبحوا يستوردون ما يكتبه الأجانب حتى في مجالات التراث العربي الإسلامي".

وقد بعث الرسولﷺ سرية من المهاجرين بقيادة عبد الله بن جحش الأسديرضي الله عنه للقيام بواجبات استطلاعية. وكان مع قائدها رسالةً "مكتومةً " أمره الرسولﷺ ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وفهم ما فيها، مضى في تنفيذها غير مستكره أحداً من أفراد قوته على مرافقته.

---

[1] خطاب: دروس في الكتمان من السيرة النبوية (ص2).

[2] خطاب: دروس في الكتمان (ص10).

أخرج النسائي في سننه[1] بسنده عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[2]: **(أَنَّ النَّبِيَّﷺ بَعَثَ رَهْطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ، أَوْ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَلَمَّا مَضَى لِيَنْطَلِقَ، بَكَى صَبَابَةً إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ، فَجَلَسَ، وَبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: "لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ" فَلَمَّا بَلَغَ الْمَكَانَ، قَرَأَ الْكِتَابَ، فَاسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِﷺ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ، فَلَقُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رَجَبٍ أَوْ مِنْ جُمَادَى، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ**

---

(1) [النسائي في السنن الكبرى، 107/8: رقم حديث8752]، من طريق معتمر عن أبيه أنه **حدثه رجل** عن أبي السوار، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مُسنده[102/3،رقم حديث1534]، من طريق معتمر ابن سليمان قال سمعت أبي عن **صاحب له وهو الحضرمي** عن أبي السوار، وأخرجه ابن ابي حاتم في التفسير[84/2 : رقم حديث2022]، من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه **حدثني الحضرمي**، عن أبي السوار، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار[384/12]، بابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ فِيمَا كَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِﷺ فِي أَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنْ غَزْوٍ لِأَعْدَائِهِ، أَوْ تَرْكٍ لِذَلِكَ حَتَّى تَنْقَضِيَ [حديث رقم: 4880] الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: **حَدَّثَنِي الْحَضْرَمِيُّ**، عَنْ أَبِي السَّوَّارِ العدوي، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب أبو السوار العدوي عن جندب [163/2:رقم حديث1670]، بنحوه، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى [20/9]، كِتَابُ السِّيَرِ، بَابُ فَرْضِ الْهِجْرَةِ [حديث رقم17745]، بنحوه، جميعهم من طريق جندب بن عبد الله.

الحكم على الإسناد: اختلف العلماء في علاء الحضرمي من هو (حضرمي اليمامي، أم حضرمي بن لاحق)، فقال أبو حاتم في الجرح والتعديل[302/2]: هما واحد، وفرق بينهما البخاري وعلي بن المديني: فقال مجهول وليس بالحضرمي بن لاحق، وقال يحيى: ليس به بأس وليس الحضرمي بن لاحق، وكذا قال ابن عدي بأنه حضرمي القاص، وبعد سبر عدد من أحاديثه قال: أرجو أنه لا بأس به . انظر: الكامل [396/3]، وذكره ابن حبان في الثقات [29/6] وقال الذهبي: حضرمي يروي عن سليمان التيمي لا يعرف، انظر: الكاشف،[179/11]، وترجم الحافظ بن حجر أنهما اثنان. انظر: التهذيب، [1251].

قال الباحث: لم يتبين لي من هو، وعليه؛ فإن كان هو حضرمي بن لاحق فالإسناد حسن، وقد حسنه ابن حجر في الفتح، [155/1]، وصححه الشوكاني في فتح القدير،[251/1]،وقال الألباني: سنده صحيح إن كان الحضرمي ابن لاحق. انظر: تخريج فقه السيرة للغزالي (ص230).

وإن كان حضرمي القاص اليمامي فهو حسن أيضاً، وإن لم يعرفه الذهبي فقد عرفه ابن معين وسبر حديثه ابن عدي، وقالا: لا بأس به.

وعليه؛ فإسناد الحديث لا ينزل عن رتبة الحسن؛ والله أعلم.

2 جُنْدُب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي، أبو عبد الله، وَهُوَ أَبُو سُفْيَان، ويقال جندب الخير وجندب الفاروق وجندب بن أم جندب، وكان قد أدرك النبيﷺ، قَالَ ابْن سعد مِنْهُم من ينْسبهُ إِلَى أَبِيه عبد الله العلقي البَجلِيّ وعلق من بجيلة كَانَ بِالْكُوفَةِ فَصَارَ إِلَى الْبَصْرَة ثمَّ خرج مِنْهَا سمع النَّبِيﷺ، حضر مع علي بن أبي طالب قتال الخوارج بالنهروان وروى خبرهم، توفي بعد سنة 60 هـ، انظر: تاريخ بغداد، [249/7]، وتهذيب الكمال، [139/5]، وأسد الغابة، [192/1]، المتفق والمفترق للخطيب البغدادي، [148/2].

لِلْمُسْلِمِينَ: قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 217] وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ وِزْرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَجْرٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة: 218] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قال بدر الدين العيني(1): "فَلَمَّا سَار يَوْمَيْنِ فَتَحه، فَإِذا فِيهِ: إِذا نَظَرْتَ فِي كتابي هَذَا فامضِ حَتَّى تنزلَ نَخْلَة(2)، بَين مَكَّةَ والطائف، فترصد بهَا قُرَيْشًا، وَتَعْلَمَ لنا أخبارهم".

وتظهر أخلاقُ النبيِّ في القتال والحرب جلية واضحة، عندما أوصاه في كتابه ألا يُكره أحداً من المقاتلين على المسير معه؛ فمن الضرورة والأهمية بمكان، أن يحرصَ القائدُ عند تكليفه لنخبةٍ من المقاتلين، أداءَ مهمةً عسكريةً خاصَّة، أن يكون لديهم الرغبة على أداء هذه المهمة، بإقبالٍ وحبٍ ورغبة، بعيداً عن التكليف بالإكراه.

قال الشيخ سعيد حوى(3): "ومما لوحظ في كتاب النبيﷺ لعبد الله بن جحش كتمان الخبر عن أصحابه. ثم أوصاه ألا يُكره أحداً منهم على المسير معه، بعد معرفته بوجهته، وهذا الأمر من أهم الملاحظات في هذا المقام؛ فقد يحارب الرجل وهو مُكْرَهٌ مهددٌ بالموت الذي يتَّقيه إذ يفر من القتال، ولكنه لا يستطلع وهو مُكره ثم يفيد استطلاعه من أرسلوه، بل لعله ينقلب إلى النقيض فيحرف الأخبار عمداً أو يتلقاها على غير اكتراث، أو يطَّلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم غافلون عنه".

3. انتخاب الرسولﷺ للأوقات والطرق الآمنة المؤدية لأرض المعركة:

مما لا شك فيه أن القائد إذا أراد أن يصل بجيشه سالماً إلى أرض المعركة، فعليه اختيار الطرق والمسالك الآمنة بعيداً عن المخاطر والتهديدات التي قد تحدث وتُفشل خطَّة وسير القوات، وقد حرص الرسولﷺ على اختيار الطرق والأوقات التي تتناسب مع هذا المبدأ.

أخرج الترمذي في سننه(4) من طريق عبد الرحمن بن عوفﷺ قال: **(عَبَّأَنَا(1) النَّبِيُّﷺ ببدرٍ ليلاً).**

---

(1) انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، [442/2]. وابن هشام: السيرة النبوية [147/3]، وانظر: الرازي، مأخذ العلم، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية [40/1]

(2) نَخْلَة: مَوضِع على لَيْلَة من مَكَّة، وهى التي ينسب إليها بطن نخلة. انظر: الأندلسي، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (1304/4).

(3) سعيد حوى : الرسول صلى الله عليه وسلم (26/15).

(4) [الترمذي: الجهاد/ما جاء في الصف والتعبئة، 194/4: رقم حديث1677]. قال أبو عيسى: "وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال محمد بن إسحق سمع من عكرمة وحين رأيته كان حسن الرأي في محمد بن حميد الرازي ثم ضعفه بعد".

والتحرك بالقوات ليلاً فيه تأمين للقوات، وصعوبة في تتبعهم، ولذلك جاء الأمر الرباني لرسله بالتحرك ليلاً، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الدخان:23]، **وقال تعالى:** ﴿قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها مَا أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:81].

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ[2]: "من فن القيادة الواعية البصيرة أن تسلك في سيرها بالجيش طرقاً، بعيدة عن المخاطر والمهالك، وتتجنب الدروب التي تجعل الجيش خاضعاً لتصرف العدو أو هجماته".

وقد كان رسول الله ﷺ يراعي أمن وحركة قواته، فكان يَكْمُنُ النَّهَارَ، ويتحرك بقواته بالليل ويَغير صباحاً، ومن أمن التحرك ليلاً استطاع حذيفة بن اليمان التسلل بين صفوف أعداءه والجلوس بينهم، والرجوع سالماً، ونقل أخبارهم للنبي ﷺ دون أن يشعر به أحد[3].

والمسير الليلي من أروع أساليب كتمان التحركات العسكرية، لما فيه من اتخاذ تدابير الحيطة والحذر، وتحقيقاً لمبدأ المباغتة للأعداء.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده[4] – واللفظ له – والحاكم في المستدرك من حديث ثَوْبَانَ مَوْلَى

والحديث في إسناده ضعيف، لأجل محمد بن اسحاق، فهو صدوق مدلس من الطبقة الرابعة ولم يُصرح بالسماع، انظر: طبقات المدلسين (ص51)، وتلميذه سَلَمَة ابن الفضل قال ابن حجر في التقريب (ص248): صدوق كثير الخطأ، ومحمد بن حميد الرازي قال فيه ابن حجر في التقريب (ص475): حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه، والحديث لا توجد له متابعات؛ فهو ضعيف، وقد ضعفه الشيخ الألباني. انظر: ضعيف سنن الترمذي (92/1).

(1) التعبئة لغة : تهيئة الجيش وتجهيزه، وفي الاصطلاح العسكري تعني: القيام بالأعمال العسكرية اللازمة لإحضار الجيش للمعركة وإدارته فيها. انظر: القاموس المحيط(23/1)، وانظر: خطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (488/2).

(2) خطاب: اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ (ص258).

(3) للواقدي: المغازي (770/2)، وانظر: للمقريزي ، امتاع الأسماع (344/1).

(4) [أحمد47/37: حديث رقم22364]، والطبراني في الكبير[حديث رقم 1436] والشاميين [حديث رقم 10805]، والحاكم في المستدرك[145/2: حديث رقم2623] والبيهقي في الدلائل [282/6] من طرق عن راشد بن داود الصنعاني بإسناده عن ثوبان مولى رسول الله.

الحكم على الإسناد: إسناده ضعيف؛ لأجل راشد بن داود الصنعاني مختلف فيه، وهو شامي من بلده، وقد وثقه دحيم وابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، انظر: الثقات لابن حبان،[302/6]، وتهذيب الكمال[7/9]، وسؤالات بن الجنيد[ص424] وقال البخاري في التاريخ الكبير[ص181] فيه نظر، وقال الدارقطني: ضعيف لا يُعتبر به. انظر: الميزان[35/2]، وسؤالات البرقاني للدارقطني، تحقيق : عبد الرحيم القشقري[ص30]. وقال ابن حجر في التقريب[204/1] صدوق له أوهام، وهو الأرجح، ويحتمل أن يكون هذا الحديث من أوهامه سيما أنه لم يتابع عليه. ولأجل راشد ضعفه

رَسُولِ اللَّهِﷺ قَالَ: **(قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ، إِنَّا مُدْلِجُونَ فَلَا يُدْلِجَنَّ مُصْعِبٌ وَلَا مُضْعِفٌ، فَأَدْلَجَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَعْبَةٍ، فَسَقَطَ فَانْدَقَّتْ فَخِذُهُ فَمَاتَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاسِ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَحِلُّ لِعَاصٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَحِلُّ لِعَاصٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).**

ومعنى الدُّلْجَةِ: السير بالليل. **قال ابن الأثير في معنى الدُّلْجَةِ**[(1)]: "هُوَ سَيْر اللَّيْلِ: يُقال أَدْلَجَ بالتَّخفيف إِذَا سَار مِنْ أَوَّلِ اللَّيْل، وادَّلَجَ- بِالتَّشْدِيدِ- إِذَا سارَ مِنْ آخِرِهِ. والاسْم منْهُما الدُّلْجَة والدَّلْجَة، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ".

وقد أوصى رسول اللهﷺ باستغلال الليل في المسير، فقد أخرج أبي داود في سننه[2] عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ).**

ومن الأمثلة على انتخاب الرسولﷺ للطرق الآمنة أيضاً ذكره صاحب السيرة الحلبية في غزوة أحد، فقد سلك الرسولﷺ طريقه بين البساتين، حيث يختفي الأفراد بين الأشجار وفي ظلالها في الليل، ويخفت الصوت والجلبة، وفي نفس الوقت لم يمر من أمام المشركين، حتى لا يُقدّروا عدد المسلمين ويرسموا الخطة بناءاً على ذلك.

وكما جاء في السيرة الحلبية: "قال رسول اللهﷺ لأصحابه من يخرج بنا على القوم من كثيب أي من طريق قريب لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة: أنا يا رسول الله، فنفذ به من حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى دخل في حائط للمربع بن قيظي الحارثي وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثي التراب أي في وجوههم ويقول إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي وفي يده حفنة من تراب وقال والله لو أعلم أني لا أُصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر إليه سعد ابن زيد فضربه بالقوس في رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول اللهﷺ لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب وأعمى البصر"[(3)].

يقول الدكتور محمد أبو فارس[(4)]: "وقد اختار النبيﷺ وقتاً لتحرك الجيش الإسلامي يصعب على العدو أن يكشفه في سيره، فقد أمر الجيش بالمسير بعد منتصف الليل، ووصل قبيل بزوغ نور الفجر، ثم أمر بالأذان فأذن، وصلى رسول اللهﷺ بالمسلمين.

والمتأمل لهذه الخطة النبوية يستفيد دروس عدة منها:

1) حرص النبيﷺ أن يسلك طريقاً لا يمر بها من أمام جيش المشركين، تجنباً لكمائن قد وضعها

الألباني في السلسلة الضعيفة [557/6]، وقد صحح الحاكم هذا الإسناد وهو معروف بتساهله.

(1) ابن الأثير: غريب الحديث والأثر (129/2).

(2) أخرجه أبي داود في سننه : [333/2: حديث 2573]، وابن خزيمة في صحيحه: [144/4: حديث 2548]، والبيهقي في السنن الكبرى [256/5: حديث 10641]، **والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.**

(3) انظر: السيرة الحلبية (495/2)، وانظر: محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد (ص60).

(4) انظر: في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد، (ص) بتصرف.

المشركون لمباغتة المسلمين، وحتى لا تُرصد قوة المسلمين أثناء سيرها من قبل جيش الأعداء، فتظهر قلة عدد المسلمين، فيعاجلوا المسلمين بالقتال وهم على هذه الحالة الضعيفة، دون أن يكون للمسلمين خطة وانتشار جيد يساعدهم تحقيق التفوق العسكري.

2) أن الوقت الذي اختاره النبيﷺ في سيره لأرض المعركة يستفاد منه في جانب تحقيق سرية وكتمان التحرك العسكري، فقد اختار الهزيع الأخير من الليل لتحركه، وفي هذا الوقت بالذات يكون العدو نائماً قد أتعبه السهر وأنهكه طول السفر وبعد الشقة.

3) لقد مر النبيﷺ بالجيش الإسلامي من بين البساتين وهذا ولا شك قد سبب إتلافاً لبعض المزروعات والأشجار لأهل المدينة. ويؤخذ من هذا أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، والمصلحة العامة تكمن في وصول الجيش الإسلامي إلى أرض المعركة دون أن يتعرض لأذى يتوقعه من المشركين، وهذه المصلحة لا تتحقق إلا بالسير في هذا الطريق المتسبب في إتلاف بعض الأموال الخاصة. إن الإسلام يقرر أن للدولة الحق في تخطي الحق الخاصة، ونزعه إذا كان للجماعة مصلحة عامة تتحقق من وراء ذلك".

4. الاستطلاع والعمليات الاستخبارية:

إن للاستطلاع والعمليات الاستخبارية الأثر البالغ في تأمين القوات الصديقة، وتحقيق النصر على الأعداء؛ وتتكامل عمليات الاستطلاع[1] مع العمليات الاستخبارية[2] لكون الهدف الرئيس منهما واحد هو جمع المعلومات عن العدو، ولأنها تُعطينا تقديراً معلوماتياً عن أنشطة العدو وتحركاته، وعدده وعدته، ومدى استعداده للقتال والمواجهة، بل تستطيع تحديد نوايا العدو الحقيقية والخداعية، وذلك بالاستفادة من المعلومات الاستخبارية التي يتم تحصيلها عن العدو، يستطيع القائد رسم خطة دفاعه أو خطة هجومه المضاد[3]، وفي ظل المعلومات الواردة من وحدات الاستطلاع

---

[1] الاستطلاع: هو الجهد الموجه في الميدان بواسطة الوحدات العسكرية بغرض الحصول على المعلومات عن الأرض والطقس والعدو والموارد؛ يكون عادة من خلال وحدات متخصصة بذلك، تتقدم الفرق والكتائب لجمع المعلومات من أرض المعركة. انظر: أكاديمية فلسطين العسكرية، الاستخبارات القتالية، ط2، (ص27).

[2] الاستخبار: جمع المعلومات من خلال التعامل مع كل شيء يؤمن المعرفة المسبقة عن العدو، إمكانياته ونواياه المختلفة وبكافة الوسائل المتاحة؛ وتجتهد الجهات المختصة بالعمل على اختراق العدو، وذلك من خلال جواسيس ومتعاونين داخل صفوف الأعداء، أو من خلال عوامل التكنولوجيا الحديثة المختلفة، وتستند المعرفة أساساًعلى الرغبة الملحة في إحراز النصر. انظر: المصدر السابق، (ص1).

[3] الهجوم المضاد: هجوم يُنفذ من قبل القوات الدفاعية في الأنساق الثانية وقوات الاحتياط، لتدمير العدو المتوغل في منطقة الحرب، وإخراجه من المنطقة الدفاعية وإعادة الوضع إلى ما كان عليه. انظر: أكاديمية فلسطين العسكرية، تكتيك

تستطيع أن تُقدر، وتُقرر، السبيل الأنسب لحماية وتأمين القوات المدافعة.

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ[1]: "ويقرر العلم العسكري مبدأً يقول: يؤسس القائد خطته في الميدان على ما لديه من معلومات، وكلما كانت المعلوماتُ وافيةً ودقيقةً كان الأملْ في نجاحِ الخطَّةِ كبيراً، لذلك فمن الواجبات الضرورية لجميع القادة اتخاذُ كلَّ ما شأنه أن يزودهم بالمعلومات عن العدو ونواياه وحركاته إلى غير ذلك من المعلومات".

والرسول القائدﷺ كان يولِّي عناية فائقة لمهام الاستطلاع، وكان حريصاً على جمع المعلومات عن الأعداء، وفحصها وتحليلها، وكان يستخدم وسائل متعددة لمراقبة عدوه ورصد حركاته وسكناته، منها إرسال وحدات وسرايا استطلاعية، ومنها التحالف مع غير المسلمين ليستعين بهم في رصد الأعداء وتزويده بالمعلومات عنهم كقبيلة خزاعة، ومنها اختراق المسلم لصفوف الأعداء والانغماس بينهم متخفياً كما حدث مع حذيفة بن اليمان في غزوة الأحزاب... إلخ[2].

والأمثلة على ذلك كثيرة في السنة النبوية نذكر منها ما يلي:

أولاً: الاستطلاع في غزوة بدر:

أرسل الرسولﷺ في بدر طليعة، وخرج على رأس طليعة ثانية، واستجوب أسرى للمشركين حرصاً منه على جمع المعلومات عن العدو.

أ. **الطليعة الأولى:**

قُوامها: بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَدِيّ بْنُ أَبِي الزّغْبَاءِ.

هدفها: استطلاع أخبار القافلة التي كان على رأسها أبي سفيان.

النتيجة: نجاح عملية الاستطلاع في التعرف على أخبار القافلة.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[3] بسنده **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ اللهِﷺ بُسَيْسَةَ[4] عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ لَنَا**

الدفاع (ص72).

(1) محمد جمال الدين محفوظ: النظرية الاسلامية في الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية (ص21-22).

(2) محمد عبد القادر أبو فارس: المدرسة العسكرية النبوية (ص70).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ثبوت الجنة للشهيد، 3/ 1509: رقم حديث 1901].

(4) بُسَيْسَةَ : وقع في كتب السير أن اسمه بَسْبَسُ عمرو ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج ، ويقال حليف لهم ، وعند مسلم بسيسة. قال النووي: "يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له والآخر لقباً". انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) (1509/3).

طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ.. الحديث).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَدِيُّ بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ قَدْ مَضَيَا حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ إجَارِيَتَيْنِ مِنْ جِوَارِي الْحَاضِرِ[1]، وَهُمَا يَتَلَازَمَانِ[2] عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِصَاحِبَتِهَا: إنَّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ، ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ، قَالَ مَجْدِيٌّ: صَدَقْتِ، ثُمَّ خَلَّصَ بَيْنَهُمَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِﷺ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا[3] بعد أن سمع بَسْبَسُ و وَعَدِيُّ رضي الله عنهما الحوار بين الجاريتين وتأكدوا من أن العير ستأتي ماء بدر غداً. فهي معلومة جداً سيفيد منها المسلمون. لذا تحركوا بعد سماعهم لها مباشرة إلى معسكر المسلمين حاملين تلك المعلومة إلى رسول اللهﷺ.

وقد أمر الرسولﷺ بالتحرك بناء على ما بلغه من أخبار القافلة، ونجح الاستطلاع في الحصول على أخبارٍ دقيقة، عن مكان القافلة وموعد وصولها، ووُضِعتْ خطةُ التحركِ بناءً على هذه المعلومات.

واخرج ابن سعد في الطبقات[4] بسنده **عَنْ عِكْرِمَةَ: (أَنَّ النَّبِيَّﷺ بَعَثَ عَدِيَّ بْنَ أَبِي الزغباء وبسبس بن عمر وطليعة يَوْمِ بَدْرٍ. فَأَتَيَا الْمَاءَ فَسَأَلا عَنْ أَبِي سُفْيَانَ فَأُخْبِرَا بِمَكَانِهِ. فَرَجَعَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقَالا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَلَ مَاءَ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَنَنْزِلُ نَحْنُ مَاءَ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَيَنْزِلُ هُوَ مَاءَ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَنَنْزِلُ نَحْنُ مَاءَ كَذَا يَوْمَ كَذَا حَتَّى نَلْتَقِيَ نَحْنُ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ).**

ب. الطليعة الثانية: استطلاع النبيﷺ بنفسه، واستجواب أسرى بدر:

في غزوة بدر قام الرسولﷺ بعملية الاستطلاع (بنفسه) مع رفيقه أبي بكر الصديقؓ، وبينما هما يتجولان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب[5]، فسأله رسول اللهﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه ولكن الشيخ قال: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول اللهﷺ (إذا أخبرتنا

---

[1] لسان العرب : القومُ النُّزُولُ عَلَى مَاءٍ يُقِيمُونَ بِهِ وَلَا يَرْحَلُونَ عَنْهُ (199/4).

[2] التلازم: من لزم، امتناع انفكاك أحد الشيئين عن الآخر، والتلازم بين أمرين: كون أحدهما مقتضياً الآخر في الحكم، بحيث لو رفع أحدهما لأرتفع الآخر، والأول يسمى بالملزوم والثاني باللازم.انظر: قلعجي، وقنيبي، معجم فقهاء اللغة، (143/1).

[3] سيرة ابن هشام، تحقيق السقا (617/1).

[4] ابن سعد: الطبقات الكبرى (18/3).

[5] قال ابن هشام: يُقال ذلك الشيخ سفيان الضمري. انظر: الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق : عمر عبد السلام السلاميم (73/5).

أخبرناك)، قال: أو ذاك بذاك؟ فقال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به جيش المدينة. وبلغني أن قريشاَ خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم بمكان كذا وكذا – للمكان الذي به جيش مكة. ولما فرغ من خبره سألهم: ممن أنتما؟ فقال له رسول اللهﷺ: (نحن من ماء)، ثم انصرف عنه، وبقى الشيخ يتفوه: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟[1].

قال الباحث: والرسولﷺ صاحبُ حنكةٍ وفطنةٍ نجدها هنا عندما سأل الشيخ من العرب عن (الجيشين) زيادة في حرص النبيﷺ في الكتمان، وذلك حتى لا يُميزهما الشيخ من أي طرف هما! ثم لما سأل الشيخ ممن أنتما؟ قايضه الرسول على أن يخبرهما فيخبروه. لما فرغ الشيخ من خبره، ورّى عليهﷺ حينما قال له (نحن من ماء ثم انصرف) دون أن يعطيه فرصة للاستيضاح، وبقي الشيخ العارف بالبلدان في حالة تعجب وتخمين أين تقع ماء.

وعند وصول المسلمين إلى عيون بدر، حسب خطة التحرك ولم يجدوا القافلة، وذلك لأن أبا سفيان لما أحس بتحركات المسلمين تحول بالقافلة عن الطريق المعتادة لينجو بها، ولكن المسلمين تمكنوا من أسرِ غلامٍ لقريش وهو على الماء فاستجوبوه لمعرفة أخبار القافلة، ومن خلال الاستجواب عرف المسلمون معلومات جديدة عن تحركات قريش من أجل حماية القافلة وقتال المسلمين.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عَنْ أَنَسٍ: **(أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ...، قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ،**

---

[1] القصة المذكورة أخرجها الواقدي في مغزيه بسنده (50/1-51)، وابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (ج2، ص 194-195): حدثني محمد بن يحيى بن حبان به، وهي مُعضلَة، وعنه ابن كثير في "البداية والنهاية"، (ج3، ص)263، وابن الجوزي في الأذكياء (ص140-141)، وذكرها ابن القيم في الطرق الحكمية(ص41)". وانظر: الرحيق المختوم، تأليف: فضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة، سنة الطبعة 1425-2004، (ص194).

قال الدكتور محمد العوشن: "ابن إسحاق قد صرّح بالتحديث، وشيخه ابن حَبان (بفتح الحاء) ثقة من رجال الجماعة، لكن العلة هي الانقطاع لأن ابن حبان مات سنة 121هـ وهو ابن أربع وسبعين سنة، فبين مولده والقصة قرابة خمس وأربعين سنة". انظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، د. محمد بن عبد الله العوشن (ص105).

[2] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة بدر،1403/3 : رقم حديث 1779].

وَرَسُولُ اللهِﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ).

ومن هنا فقد تأكد للمسلمين أمر جديد ينبغي أن يُعِدّوا له عدته، ألا وهو إفلات القافلة، ووصول قريش لقتال المسلمين، وتمكن المسلمون من خلال الاستجواب المذكور في هذه الرواية معرفةَ قادَة المشركين كذلك.

يقول الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد[1]: "لقد أفلحت هذه الطليعةُ في قبضها على سقاةِ قريش. فهؤلاء هم رأسُ الخيطِ الذي سيقودُ إلى معرفةِ ما يدور في معسكرِ قريش. وبعد إحضارهما تم استجوابهما من قبل بعض الصحابة، وصدقوا في إجابتهما الأولى أنهم سقاة قريش ولكن طمع المستجوبون أن يكون هؤلاء سقاة العير فكان الضرب، والتعذيب للسقاة مما نتج عنه الكذب، فزعم الغلامان أنهما سقاة أبي سفيان".

وهذا درس ينبغي أن يستفيد منه المسلمون. فيجب أن يتم الاستجواب بعيداً عن الاحكام المسبقة التي ربما تغير مجرى التحقيق، وتفضي إلى معلومات كاذبة، يكون ضررها أكبر من نفعها.

ولولا الاستجواب الثاني الذي أجراه الرسولﷺ مع الغلامين، لاعتقد المسلمون أنهما فعلاً سقاةُ العير؛ والحقيقة غير ذلك، حيث تمكّن الرسولﷺ من خلال استجواب الغلامين، وبفطنته وتحليله السليم للمعلومات، من معرفة عدد المشركين بطريق الاستنتاج، ويدلُّنا طريق آخر للحديث على ذلك.

أخرج الإمام أحمد[2] في مسنده بسنده **عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا،**

---

[1] إبراهيم علي محمد أحمد: الاستخبارات في دولة المدينة المنورة (ص124).

[2] [أحمد: ط الرسالة، مسند علي ابن ابي طالب،259/2:رقم حديث رقم 948]، وأبو داود في سننه – مختصراً[3/ص52: حديث 2665]، [وابنُ أبي شيبة في مصنفه: المغازي/غزوة بدر الكبرى وما كانت وما أمرها363/14: حديث رقم3783] والبزار في مسنده (البحر الزخار) (296/2:رقم حديث 719)، والطبري في "تاريخه" (424/2–426)، والحاكم في المستدرك(214/3:رقم حديث4882)، والبيهقي(276/3)، (331/9)"مختصراً"، جميعهم من طرق عن مضرِّب عن علي.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن، رجال إسناده ثقات، غيرَ حارثة بن مضرب، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة؛ لكن أبي اسحاق السبيعي مع كونه ثقة فهو مدلس من الثالثة ولم أقف على تصريح له بالسماع من حارثة بن مضرب، انظر: طبقات المدلسين (ص42)، وهو أيضاً مختلط؛ لكن سماع حفيده إسرائيل منه في غاية الإتقان للزومه إياه وكان خصيصاً به. انظر: العلائي، المختلطين(ص93). وحجاج: هو بن محمد المصيصي الأعور، ترمذي الأصل وهو ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد قبل موته سنة ست ومائتين، كما قال ابن حجر في التقريب (ص153) وقد تابعه عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى من طريق ابن أبي شيبة وهو ثقة كان يتشيع كما قال ابن حجر، ولا يضر تشيعه

فَاجْتَوَيْنَاهَا[1] وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ فَيَقُولُ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ. فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالَ لَهُ: كَمِ الْقَوْمُ؟ قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ فَجَهَدَ النَّبِيُّﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّﷺ سَأَلَهُ: كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزُرِ؟ فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا، ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ[2] مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا، مِنَ الْمَطَرِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَدْعُو رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْفِئَةَ لَا تُعْبَدْ، قَالَ: فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللَّهِ، فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ، وَالْحَجَفِ[3]، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ...).

وهنا نجد فطنةَ النبيﷺ وبراعته في استجواب الغلام واستنطاقه، وأخذ الجواب منه بطريقة غير مباشرة، وتحليله السليم لهذه المعلومات، فعقب انتهائه ﷺ من الصلاة تولى بنفسه عمليةَ الاستجوابِ مع الغلامين، بعد أن أدرك بفراسته النافذة أن الغلامين صدقا في إجابتهما الأولى، وكذبا في الثانية.

فسألهمﷺ عن مكان الجيش المكي فأخبراه به، ثم سأل عن عدد الجيش فعجزا، فلجأ الرسولﷺ إلى سؤال آخر يُمكِن من خلالِهِ معرفة عَدَد الجَيش على وجه التقريب، فسألهما عن عدد الجزور التي ينحرونها في اليوم فأخبراه أنها يوماً تكون تسعاً، وآخر عشراً .

وبذكاء وحنكة خلص الرسولﷺ إلى عدد الجيش فقال: القوم بين التسعمائة والألف، وبلا شك تعد هذه المعلومة في غاية الأهمية لجيش المسلمين الذي أصبح على بيّنة من أمر عدوه، ومن الاستجواب

لأنه لا يدع في هذا الحديث لبدعته.

ولكن الإسناد صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند(93/2)، وكذا شعيب الأرناؤوط (261/2)، فلعلهم صححوه من مجموع طرقه، والحديث قد صححه الحاكم والألباني. انظر: صحيح أبي داود– الأم (418/7).

[1] فاجْتَوَيْنَاهَا: أي أصابهم الجَوى، وهو المرض وداءُ الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، ويقال: اجتَوَيْتُ البلدَ، إذا كرهتَ المقام فيه وإن كنتَ في نعمة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(318/1).

[2] الطَشُّ: المطر الخفيف، قال ابن فارس: الطاء والشين أصيل يدل على قلة في مطر، ويجوز أن يستعار في غيره أصلا. من ذلك الطش، وهو المطر الضعيف. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (410/3).

[3] الْحَجَفُ: ضَرْب مِنَ التِّرَسَةِ، وهي الترس الذي يتقى به في الحرب، ومفردها حَجَفةٌ، وَقِيلَ: هِيَ مِنَ الجُلُودِ خاصَّة، وَقِيلَ: هِيَ مِنْ جُلُودِ الإبل مُقَوَّرةً . انظر: لسان العرب (39/9).

تَحَصَّل الرسول على نوعية المقاتلين في الجيش المعادي فعلم أن المقاتلين أشداء أقوياء؛ وبناء على ذلك يمكن تحديد الخطةَ المناسبةَ ووضَعِ الاحتياطَ اللازمِ حتى لا يفاجأ الجيش المسلم بقوة وشراسة خصمه الذي تضمن عدداً كبيراً من قادة قريش، وعليه يكون الجيش المسلم قد حصل بهذا الاستجواب على أهم المعلومات عن الجيش المعادي فعلم نوعية المقاتلين ومكان معسكره (العدوة القصوى) وعدده (وهو ما بين التسعمائة والألف). فلم يبق أمامه آنذاك سوى وضع الخطة المناسبة لمواجهة جيش بهذه العدة والعتاد)[1].

ثانياً: الاستطلاع في غزوة أحد، والاستعانة في جمع المعلومات بمن يناصره أو يُخفي إسلامه:

كان الرسولﷺ يستعين أحياناً في جمع المعلومات عن الأعداء بمن يناصره أو اعتنق الإسلام، ولا يزال يعيش مع الأعداء دون أن يعلموا بإسلامه فيحذروا منه، ومن هؤلاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ رسول اللهﷺ، فقد عاش في مكة ولم يهاجر إلى المدينة، ولكنه كان يزود رسول اللهﷺ بأخبار قريش بدقّة.

قال ابن عبد البر[2]: "وكان رضي الله عنه[3] يكتب بأخبار المشركين إلى رسول اللهﷺ، وكان المسلمون يَتَقَوَّون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه رسول الله: أن مقامك في مكة خير".

وقد أفاد العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه النبيَّﷺ في غزوةِ أُحُدٍ بتحركِ قريشٍ لمباغتته وقتاله، كان العباسُ رضي الله عنه يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالةً مستعجلة إلى النبيﷺ، ضَمَّنها جميعَ تفاصيلَ الجيش، حيث أرسلَ رسالةً سريّةً مكتوبةً ومختومة مع رجل من بني غِفارٍ إلى رسول اللهﷺ، واشترط عليه أن يوصلها إلى الرسولﷺ بنفسه بعد ثلاثةِ أيامٍ بلياليها، وسلَّمَ الرسالةَ إلى النبيﷺ وهو في مسجدِ قِباء، وفحوى هذه الرسالة اخبار النبيﷺ بخروج قريش لحربه ومباغتته، حتى يُعدُّ للأمر عدته ولا يَؤخذُ على غرة[4].

وقد أسرع رسول العباس رضي الله عنه بإبلاغ الرسالة وجدّ في السّير، حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة، التي تبلغ مساحتها خمسمائة كيلومتر، في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبيﷺ، فوافى الغفاري رَسُول اللَّهِﷺ وهو في مسجد قباء؛ ويقول له في رسالته: **(أَنْ قُرَيْشًا قَدْ أَجْمَعَتْ الْمَسِيرَ إلَيْك فَمَا كُنْت**

---

[1] الاستخبارات في الدولة المدينة المنورة (ص125).

[2] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (812/2).

[3] يقصد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

[4] للواقدي: المغازي (203/1 –204)، وانظر: للمباركفوري، الرحيق المختوم (ص250)، وانظر: الصلاّبي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (474/1)، الأساسُ في السنة وفقهها السيرة النبوية، لسعيد حوى (ص541–542).

صَانِعًا إِذَا حَلّوا بِك فَاصْنَعْهُ، وَقَدْ تَوَجّهُوا إلَيْك، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَقَادُوا مِائَتَيْ فَرَسٍ، وَفِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ وَثَلَاثَةُ آلَافِ بَعِيرٍ، وَأَوْعَبُوا مِنْ السّلَاحِ)؛ فلما دفع كتابَ الْعَبَّاس إِلَيْه، قَرَأَه على أُبِيّ بْن كعب، واستكتمه ما فِيهِ، وأتى سعدَ بن الربيع فأخبره بذلك واستكتمه إياه، فلما خَرَجَ رَسُولُ اللهﷺ من عند سعد، أتته امرأته فقالت: ما قَالَ لَكَ رَسُول اللَّه؟ فَقَالَ: وما أنت وذاك، لا أم لَكَ، قالت: قَدْ كنتُ أتسمع عليك، وأخبرت سعدًا بما سَمِعْتُ، فاسترجع وقَالَ: أراك كنت تسمعين علينا، وانطلق بها إلى رسول اللهﷺ، فأدركه فأخبره خبرها، وقَالَ: يا رَسُول الله إنى خفت أن تفشو الخبر فترى أنى المنشئ لَهُ وَقَدِ استكتمتني إياه، فَقَالَ رَسُول اللَّهﷺ: خلّ عنها[1].

وقد احتوت هذه الرسالة على أمور مهمة منها:

1) معلومات مؤكدة عن تحرك قوات المشركين نحو المدينة.

2) حجم الجيش وقدراته القتالية، مما يُعين على وضع خطة تواجه هذه القوات المعادية.

وفي هذا الموقف نلحظ كيف كان حرص الصحابة في كتمان المعلومات والأوامر الهامة حتى عن أزواجهم.

يقول الدكتور علي الصَّلَّابي[2]:"وفي هذه الحادثة درس بالغ للعسكريين، وتحذيرهم من إطلاع زوجاتهم على أسرارهم العسكرية، وخططهم وأوامرهم، وينبغي الحذر من إفشاء مثل هذه الأسرار، لأن إفشاءها يهدد الأمة ومستقبلها بكارثة كبرى، إن تاريخ الأمم والشعوب في القديم والحديث، يحدثنا أن كثيرًا من الهزائم والمآسي والآلام، قد حلت بكثير من الأمم نتيجة لتسرب أسرار الجيوش إلى أعدائها عن طريق زوجة خائنة، أو خائن في ثوب صديق، أو قريب في الظاهر عدو في الحقيقة والواقع".

ثالثاً: الاستطلاع في غزوة الأحزاب:

كان رسول اللهﷺ يُتابع أمر الأحزاب باهتمام، وذلك مع اشتداد الموقف ومحاصرةُ الأحزابِ للمسلمين أمام الخندق، ويتحرّى انصرافهم، وأراد النبيﷺ أن يستطلع ويتحرّى أخبار أعدائه عن قرب فكلّف الصحابي الجليل حذيفة بن اليمانؓ بمهمة استطلاع خاصة، وذلك باختراق صفوف الأحزاب، واستطلاعهم، والإفادة بأخبارهم.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[3] بسنده من طريق إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ[4] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ

---

[1] للواقدي: المغازي (204/1)، وانظر: داود البَلَاذُري، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (313/1-314)، وانظر: للمباركفوري، الرحيق المختوم (ص250).

[2] الصلاّبي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (474/1).

[3][مسلم: صحيح مسلم ،الجهاد والسير/غزوة الأحزاب،226/9 : رقم حديث 3343].

[4] إِبْرَاهِيْمُ بنُ يَزِيْدَ بنِ شَرِيْكٍ التَّيْمِيُّ، تَيْمُ الرَّبَابِ، الإمام، القدوة، الفقيه، عَابِدُ الكوفة، أبو أسماء، يقال: قَتَلَهُ الحَجَّاج، قيل: بل مَاتَ في حَبْسِهِ، سَنَةَ اثنتين وتسعين، وقيل: سنة أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ، ولَمْ يبلغ إِبْرَاهِيْمُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً. انظر: سير أعلام النبلاء،

حُذَيْفَةَ[1] فَقَالَ رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ **فَقَالَ قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ[2] عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ** وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ قُمْ يَا نَوْمَانُ).

وقد استعملﷺ أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: **(قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، ولا تَذعَرهم عليَّ)**[3].

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة.

يقول الدكتور علي الصلابي[4]: "ويؤخذ من قصة حذيفة دروس وعبر منها:

ط مؤسسة الرسالة(60/5).

[1] هو حذيفة بن اليمان، من كبار الصحابة ومن نجباء أصحاب رسولﷺ، وهو صاحب سره في المنافقين لم يعلمهم أحد إلا هو، واسم اليمان: حسل ويقال: حسيل- بن جابر العبسيّ اليماني، أبو عبد الله، حليف الأنصار، ومن أعيان المهاجرين. له في الصحيحين اثنا عشر حديثا، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم سبعة عشر حديثا، وكان النبيﷺ أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدا بعدك. وحذيفة هو الّذي ندبه رسول اللهﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو ، وعلى يده فتح الدينور عنوة، ومناقبه تطول – رضي الله تبارك وتعالى عنه – قال حذيفة : كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، ولى حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفى بعد عثمان بأربعين ليلة. انظر: سير أعلام النبلاء، ط الرسالة (361/2)، وانظر الإصابة (44/2-45).

[2] الذّعْرُ: فتح التاء وبالذال المعجمة، ومعناه لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي. قَالَ عُمَرُو بنُ أَحْمَرَ فِي وَفْدَ عَادٍ حين خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ. انظر: شرح النووي على مسلم (145/12).

[3] الحديث سبق تخريجه، (ص 77).

[4] علي الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، فصل غزوة الأحزاب (340/2).

1- معرفة رسولﷺ بمعادن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المآزق الحرجة.

2- الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: لقد مرت فرصة سانحة يَقْتُلَ فيها قائد الأحزاب وهمَّ بذلك، ولكنه تذكَّر أمر الرسولﷺ ألا يذعرهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فنزع سهمه من قوسه.

3- كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمنُّ الله بها على عباده المؤمنين.

4- لطف النبيﷺ مع حذيفة عند رجوعه، فقد كانﷺ يترفق بأصحابه، ولم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأنباء وأصدق الأخبار وأهمها، فشمله بكسائه الذي يصلي فيه، ليدفئه، وتركه ملفوفًا به حتى أتم صلاته، بل حتى بعد أن أفضى إليه بالمهمة، فلما وجبت المكتوبة أيقظه بلطف وخفة ودعابة قائلا: «قم يا نومان»، دعابة تقطر حلاوة، وتفيض بالحنان، وتسيل رقة، إنها صورة نموذجية للرأفة والرحمة اللتين تحلى بهما فؤاد الرسولﷺ، وتطبيق فريد رفيع لهما في أصحابه الكرام، وصدق الله العظيم في قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. [التوبة: 128]".

قال الباحث: يجب على القائد اختيار الجندي المتميز بالعديد من الصفات الهامة عند اختياره لمهمة الاستطلاع؛ والتي منها: التوكل على الله، الحنكة والذكاء، الانضباط الشديد، الشجاعة والاقدام، الدراية التامة بالمهمة والصديق والعدو، القدرة على التمويه والاختفاء، اللياقة العالية، اللباقة وسرعة تقدير المواقف ...إلخ.

5. نشر قوات تأمين في الأمام والأجنحة.

ومن إجراءات التأمين التي تقع على المُدافع العسكري، أن يقوم بنشر قوات تأمين في الأمام والأجنحة، وذلك حفاظاً على القوة الرئيسية للقوات والتي تقع في قلب التشكيل القتالي، ونجد لهذا المبدأ تطبيقاته في السُّنة النبوية نذكر منها ما يلي:

أولاً: التأمين في غزوة بدر:

أثناء التوجه من المدينة إلى موضع بدر طبق النبيﷺ (مسير الاقتراب)[1] وهو تشكيل تكتيكي لا

---

[1] مسير الاقتراب: الحركة من القاعدة إلى الهدف. كانت قاعدة المسلمين المدينة المنورة، وكان هدفهم موقع (بدر)،

لا يختلف بتاتاً عن التكتيكات الحديثة في صفحة مسير الاقتراب من حرب الصحراء؛ حيث كانت له مقدّمة، وقسم أكبر، ومؤخرة، وأخرج دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات عن العدو[1].

وقد كان تقسيم وترتيب نشر القوات أثناء تحرك المسلمين من المدينة المنورة إلى بدر؛ تقسيماً ينسجم تماماً مع إجراءات التأمين المطلوبة في مقدمة القوات وأجنحتها، وهي على النحو التالي:

أولاً: دورية استطلاعية أمامية للحصول على المعلومات عن اتجاهات القافلة التجارية ونيّات قريش.

ثانياً: القسم الأكبر[2] مؤلف من كتيبتين: المهاجرون ورايتها مع علي بن أبي طالب وعمير بن هاشم، وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ، وهاتان الرايتان سوداوان.

ثالثاً: مؤخرة بإمرة قيس بن أبي صعصعة.

رابعاً: راية المسلمين العامة بيضاء مع مصعب بن عمير بن هاشم[3].

ثانياً: التأمين في غزوة أحد:

نشر النبيﷺ قواته في المناطق الحاكمة وفي عمق أرض المعركة، وذلك ليتم تحقيق التأمين للقوات والسيطرة على مسرح العمليات، وهذا يتضح جلياً في تعليماتهﷺ في أُحُد للرماة حرصاً على تحقيق مبدأ التأمين.

أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، يُحَدِّثُ، قَالَ: **(جَعَلَ النَّبِيُّﷺ، عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ، فَلا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ، وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ).**

لكن عندما ترك الرماةُ مواقعهم، ولم يقوموا بمهمتهم كما أُمروا، أحدثوا ثغرة في صفوف المسلمين، فاغتنم خالد بن الوليد تلك الفرصةَ الذهبية، إذ كان قائدُ ميمنةِ جيشِ المشركين، وهجمَ على المسلمين من خلفهم مستفيداً من هذه الثغرة التي أحدثت خللاً كبيراً في تأمين ساحة المعركة.

قال الباحث: والتأمين مبدأ من مبادئ الحرب، يجب على المقاتل مراعاته، في الدفاع والهجوم وفي

فالحركة من المدينة المنورة بالمراحل إلى (بدر)، يطلق عليه : مسير الاقتراب. انظر: خطاب، الرسول القائد (ص116).

[1] المصدر السابق.

[2] تعبير عسكري يقصد به القوة الرئيسية من القطعات المتحركة لأغراض القتال.

[3] ابن هشام: جوامع السيرة (612/1)، لابن حزم الظاهري (83/1)، وانظر: للواقدي، المغازي (26/1). وانظر: الأصبهاني ،أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان (423/2)، وانظر: للسهيلي، الروض الأنف (67/5)، وانظر: خطاب، الرسول القائد (ص103).

[4] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه، رقم حديث 3039].

كافة المهام والأعمال العسكرية كافة، حيث لا يتحقق النصر إلا بمراعاة مبدأ التأمين للقوات، ومن أهم إجراءات التأمين هو اكتساب المعلومة عن الأعداء، والحفاظ على سريّة المعلومات التي تتعلق بقواتنا وتأمينها، فغاية التأمين حفظ القوات وكشف تهديد الأعداء ومدار هذه الغاية هو المعلومة، كما أن الذي لا يُراعي هذا المبدأ حتماً ستكون نهايته الهزيمة والسَّحق لقواته.

<u>المطلب الثالث: مبدأ الدعم المتبادل بين المدافعين.</u>

عرفت الدول أهمية اختيار الأسلحة واختبارها، فأنشئت لذلك إدارات خاصة، لاختيار أنواعها ومدياتها ولتطويرها، ولضمان سلامة وجهوزية السلاح بشكل عام، وقد بدأت تتطور العلوم التكتيكية مع تطور الأسلحة النارية وخواصها التكتيكية، ومع تطور السلاح المتسارع والكبير بدأت الجيوش بالانتقال إلى خوض المعارك بإشراك جميع أسلحة الجيش مع بعضها البعض وفي آن واحد فيما سمي بالحرب المشتركة الحديثة والتي تتطلب تنسيق وتعاون كبيرين[1].

ومنظومة النيران عند المُدافع، تتشكّل بحيث تشمل نيران جميع أنواع الأسلحة الموجودة، من مدفعية، وهاونات، ودبابات، وأسلحة مضادة للدبابات، وأسلحة الدفاع الجوى، والأسلحة الخفيفة، والمنسقة بهدف التأثير على العدو المهاجم وتحقيق هدف الدفاع[2].

ومقصود الدعم المتبادل أو الاسناد المتبادل، هو أن تتمكن الوحدة من مساندة الوحدات المجاورة لها، ويتم تخطيط الدفاع على أساس الدعم المتبادل بحيث يسمح للوحدات القائمة بالدفاع، وذلك بإسناد بعضها البعض بالنيران والمناورة[3].

وقوات الإسناد الناري يجب أن تتموضع في عرض وعمق المنطقة الدفاعية، بشكل تتمكن فيه من دعم بعضها البعض، دعماً متقابلاً في سبيل القيام بالمهمة، لأن وجود فواصل وفجوات بين وحدات الدعم المتبادل، يخلق مشاكل سلبية تنعكس على الخطة الدفاعية [4].

وهذا المبدأ العسكري وجدناه مطبقاً في سيرة الرسول القائدﷺ وأصحابه الكرام﵃، فالفن العسكري الإسلامي يُنظم المواضع الدفاعية للمقاتلين، ويوزع وحداته على تلك المواضع.

فقد كان الرسولﷺ يُشرف على عملية تنظيم الأسلحة ضد العدو وكيفية استخدامها، ويُشير إلى اختيار أفضل وأتقن الأسلحة المعروفة في زمانه؛ وكانت تعليماتهﷺ تصدر للمجاهدين بتنظيم صفوف

---

(1) تكتيك عسكري1 (25/1).

(2) انظر: معجم المصطلحات العسكرية، إصدار: جامعة الدول العربية، إدارة الشئون العسكرية، الندوة الثامنة عشر للجنة توحيد المصطلحات العسكرية – تونس، سنة 1983، واجبات الأركان – المصطلحات العامة (ص82).

(3) تكتيك الدفاع (ص9).

(4) المصدر نفسه.

المقاتلين حسب نوع الأسلحة وجَودَتها، وحُسن الاستفادة منها في المعركة، بما يخدم الدعم المتبادل بالأسلحة بين المقاتلين.

وقد كان الرسولﷺ يوصي بالرماية بالقوس العربي، لأنه أصلح للقتال من الفارسية، التي كانت فضلاً عن ضعف رميها، ينقطع وترها بسرعة ولا يسهل إصلاحها بعد ذلك[1].

كما كان الرسولﷺ يحث على تعلم الرمي، لما له من مزايا لا تتوفر في الأسلحة الأخرى؛ فهو يرد العدو عن بُعد، ويُمكّن الرماة من إصابة رؤساء العدو، كما يتيسّر للرماة أن يتحصّنوا في أماكن لا تجول فيها الخيل، هذا إضافة إلى أنّ الخيل تنفر من النبل مما يوقع الاضطراب في صفوف الفرسان، ولعنايتهﷺ بالرمي أوجد فرقة خاصة من الرماة المهرة يوم أُحد، والتي عوضت المسلمين عن النقص العددي وعن قلة الخيل عند المسلمين.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه،[2] بسنده **عن عقبة بن عامر يَقُولُ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾** الأنفال: 60، **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ).**

وفي رواية أخرى عنه في صحيحه[3] بسنده أيضاً أن النبيﷺ قال: **(مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا – أَوْ قَدْ عَصَى).** أي كان آثماً إثماً شديداً لتهاونه في أهم الواجبات التي يتحمل فيها الفرد مسئوليته في الدفاع عن الجماعة.

وكان النبيﷺ يشترك مع أصحابه في الرمي، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه **من حديث سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ، قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[4]، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ[5] قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ؟ قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّﷺ: ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ)[6].**

أولاً: الدعم المتبادل في غزوة بدر:

قال تعالى:﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [آل عمران:121]

---

(1) أحمد عز الدين خلف الله، غزوة أحد (ص159).

(2) [مسلم: الاما مسلم، الإمارة/فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، 3/ 1 522: رقم حديث 1917].

(3) [مسلم: الامام سلم، الإمارة/ فضل الرمي والحث عليه وذم نم علمه ثم نسيه،3 /1522: رقم حديث 1919].

(4) يَنْتَضِلُونَ: يتسابقون في الرمي. انظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري (38/4).

(5) فُلان: ابن الأدرع، وقيل اسمه سلمة بن ذكوان. انظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري (38/4).

(6) [البخاري: الامام البخاري، الجهاد والسير/ التحريض على الرمي،38/4: رقم حديث 2899].

ابتكر المسلمون القتال بأسلوب (الصفوف) حيث قاتلوا بها لأول مرة ضد قريش في أرض المعركة يوم بدر، وهو يُعد تكتيكاً جديداً حينذاك لم تكن تعرفه العرب، حيث كانت تقاتل بأسلوب (الكر والفر)؛ **وأسلوب الصف** يساعد المقاتلين في إسنادهم لبعضهم البعض، ويتفق مع أساليب القتال في العصر الحاضر، فهو يؤمن العمق والاحتياط، ليستطيع القائد معالجة المواقف التي ليست في الحسبان[1]. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصَّف:4]

ولا بد لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين، لمعرفة مدى تأثير تطبيق هذا التكتيك في انتصار المسلمين.

1) **القتال بأسلوب (الكرّ والفر):** هو أن يهجم المقاتلون بكل قوّتهم على العدو: النشابة منهم والذين يقاتلون بالسيوف ويطعنون بالرماح، مشاة وفرساناً، فإن صمد لهم العدو أو أحسّوا بالضعف نكصوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا يكرّون ويفرّون حتى يُكتب لهم النصر أو الفشل.

2) **القتال بأسلوب (الصفوف):** يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة صفوف أو أكثر على حسب عددهم، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء[2].

وتطبيق الرسولﷺ لأسلوب الصفوف، ساعد بشكل كبير في تطبيق مبدأ الدعم المتبادل بين المدافعين، حيث جعل الصف الأول جالساً والثاني واقفاً، وجري ترتيب القوات وفق أنساق محددة حسب ميزات السلاح التكتيكية والتي تُعطي تفوقاً على العدو.

وقد ورد نصاً صريحاً من النبيﷺ وهو يوجه قواته بتطبيق مبدأ الدعم المتبادل بالأسلحة المختلفة وفق أنساق قتالية مُرتبة.

فقد أخرج البخاري في صحيحه[3]بسنده عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: **(قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ يَوْمَ بَدْرٍ إِذَا أَكْثَبُوكُمْ[4] يَعْنِي كَثَرُوكُمْ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ).**

وفي سنن أبو داود[5] من طريق حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ السَّاعِدِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (.. **ولا تَسُلُّوا**

---

(1) خطاب: الرسول القائد (ص49).

(2) سيرة ابن هشام (195/2)، وانظر: دلائل النبوة، للبيهقي (270/3)، وانظر: خطاب، الرسول القائد (116).

(3) [البخاري: الامام البخاري، المغازي/ فضل من شهد بدراً، 380/12: رقم حديث 3686].

(4) الكَثَب في اللغة: القُرب، فيقال: أكثب إذا قارب، وأكثبوكم أي: قربوا منكم. والهمزة هنا لتعدية الفعل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(151/4)، ولسان العرب (222/3-223).

(5) [سنن أبو داوود: الجهاد/في سل السيوف عند اللقاء، رقم حديث2664]، وأخرجه [البيهقي في سننه من طريق أبي داود، جماع أبواب السير/سل السيوف عند اللقاء، 261/9: حديث رقم18476]، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة [2452/5] وأخرجه [عبد الرزاق في مصنفه/الجهاد/الرجل يغزو وأبوه كاره له، 178/5: حديث رقم9295].

السُّيُوفَ حتى يَغْشَوْكُمْ).

قال ابن حجر[1]: "فَالْمَعْنَى إِذَا دَنَوْا مِنْكُمْ وَقَدِ اسْتُشْكِلَ بِأَنَّ الَّذِي يَلِيقُ بِالدُّنُوِّ الْمُطَاعَنَةُ بِالرُّمْحِ وَالْمُضَارَبَةُ بِالسَّيْفِ وَأَمَّا الَّذِي يَلِيقُ بِرَمْيِ النَّبْلِ فَالْبُعْدُ، وَزَعَمَ الدَّاوُدِيُّ أَنَّ مَعْنَى أَكْثَبُوكُمْ كَاثَرُوكُمْ، قَالَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبْلَ إِذَا رُمِيَ فِي الْجَمْعِ لَمْ يُخْطِئْ غَالِبًا فَفِيهِ رَدْعٌ لَهُمْ.. فِي رِوَايَةٍ لَهُ **وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ** فَظَهَرَ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْأَمْرُ بِتَرْكِ الرَّمْيِ وَالْقِتَالِ حَتَّى يَقْرُبُوا لِأَنَّهُمْ إِذَا رَمَوْهُمْ عَلَى بُعْدٍ قَدْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ وَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ".

قلت: وتوجيه الرسولﷺ المذكور للمقاتلين، يستهدفُ تأخيرَ اطلاقِ النُبْل حتى مظنّةَ اصابته للهدف، وذلك حرصاً على الاستفادة من النُبْلِ لتُصيبَ اهدافها مباشرة فتكون الإصابة قاتلة ولا تضيع سدى، وهذا فيه تنظيم وإدارة صحيحه للنيران، وأخذاً بمبدأ الاقتصاد في قوة الرمي لدوام استمراريتها.

وقد طبق الرسولﷺ أسلوب القيادة التوجيهية، وإدارته للأسلحة والنيران في مكانها الصحيح، فقد تجلى ذلك في أمور، منها:

الأول: أمرهﷺ الصحابة برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة (إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل)[2].

الثاني: نهيهﷺ عن سَلِّ السيوف إلى أن تتداخل الصفوف (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) [3].

الثالث: أمرهﷺ الصحابة بالاقتصاد في الرمي (واسْتَبْقُوا نَبْلَكم)[4].

قال الشيخ عبد المحسن العباد[5]: "قوله: (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) يعني: لا تسلوها حتى يصلوا إليكم وتصلوا إليهم، فالالتحام إذا حصل تعمل السيوف عند ذلك، وإذا كان هناك مسافة

الحكم على إسناده: إسناد الحديث ضعيف؛ لأجل مالك بن حمزة؛ فهو مقبول كما قال ابن حجر، انظر: تقريب التهذيب(516)، والراوي عنه إسحاق بن نجيح، وهو مجهول كما قال ابن حجر: إسحاق بن نجيح، عن مالك بن حمزة "مجهول"، انظر: تقريب التهذيب(ص103)، وقد تابعه إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي، انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم، (2832/5)، وقد ضعفه بعض العلماء وقال عنه ابن حجر وغيره (متروك)، انظر: تقريب التهذيب(ص93). وقد ضعف الحديث شعيب الأَرنَؤُوط عند حكمه على أحاديث سنن أبي داود. انظر: سنن أبي داود، (299/4)، وكذلك الألباني عند حكمه على السنن نفسها. انظر: ضعيف أبي داود(333/2).

قلت: يشهد لمعنى هذا الحديث الضعيف الحديث الذي قبله، في موضوعنا الذي نتكلم فيه.

(1) ابن حجر: فتح الباري (92/6).

(2) صحيح السيرة النبوية برواية أخرى ونفس المعنى (ص239).

(3) أبي فارس: غزوة بدر الكبرى (ص63-64).

(4) المصدر السابق.

(5) للشيخ عبد المحسن العباد شرح سنن أبي داود (ص14-210).

قريبة، وكان هناك حد فاصل بين المسلمين والكفار، فإنه يُرسل النبل؛ لأن النبل حينها ينفع، وإذا ضربوا بالسيوف فإنهم يضربون في الهواء، فليس عندهم أحد يضرب بالسيوف، لكن إذا وصلوا إليهم بحيث تصل السيوف إليهم، تُستعمل السّيوف ولا يستعمل النبل، ما دام قد حصل الالتحام".

ثانياً: الدعم المتبادل في غزوة أُحد:

وفي معركة أُحُد نلاحظ تكليف النبيﷺ لخمسين رامياً بقيادة الصحابي الجليل عبد الله بن جبيرﷺ ينسجم مع تحقيق مبدأ الدعم المتبادل بالأسلحة المختلفة بين المدافعين، إضافة إلى مراعاة الدفاع في عمق مسرح المعركة.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **(جَعَلَ النَّبِيُّﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ).**

لكنّ سببَ هزيمةِ المسلمين عسكرياً يومَ أُحد، تتمثّلُ في عدمِ التزامِ الرماةِ وتقيدهم بأوامر قائدهِم عبدَ الله بن جبيرﷺ، وأوامرَ القائدِ العام الرسولﷺ بالثبات في أماكنهم وعدم مبارحتهم لها.

ويرجع السبب في مخالفتهم للأوامر، لمّا انتصر المسلمون في المرحلة الأولى، في ظنّهم أن مهمتهم قد انتهت، وذلك عند مشاهدتهم فرار المشركون وهروبهم من ميدان المعركة، وقد رأى الرماة الغنائم تُجمع من ساحة المعركة[2].

قال: إن عدمَ ثباتِ الرماةِ في أماكنهم، أدى إلى توقفِ الرمي، وتعطُّلهم عن أداءِ مهمتهِم الحيوية؛ مما أحدث خللاً كبيراً، حيث فُتحت ثغرةٌ استغلها فرسان العدو جيداً، الأمر الذي أدى إلى تعطيل العمل بمبدأ الدعم المتبادل بين المدافعين مما أدى إلى هزيمتهم، ويذكرُ بعضُ الكتَّابِ العسكريين المعاصرين[3]، أنَّ هُناك سببين آخرين للهزيمة هما:

أولاً: عدم مطاردة المسلمين للأعداء بعد انهزامهم.

ثانياً: مباغتة قوات الأعداء للمسلمين بسبب انشغالهم بجمع الغنائم.

---

(1) سبق تخريجه (ص80).

(2) أبو عمر والصوياني: السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة (قراءة جديدة) (273/2) وانظر: لسعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها (ص546).

(3) خطاب: في كتابه الرسول القائد (ص188).

المطلب الرابع: مبدأ الدفاع من كافة الجهات:

ويقصد بمبدأ الدفاع من كل الجهات هو أن يتم تخطيط العملية الدفاعية بشكل يسمح للمُدافعين صدّ الهجمات المعادية من جميع الجهات، ومع العلم أنَّ عمل الدفاع يُنظم في الجهة الأمامية من جبهة القتال بهدف إيقاف العدو، وصده وإخراجه والقضاء عليه؛ إلا أنه ينبغي أن يكون المدافعون قادرين على صد الهجوم المعادي من أي جهة أخرى[1].

وحينما يَسْمَح استعداد القوات المدافعة ووضع الأرض باستخدام قوات الاحتياط أو قوات التأمين، فإن ذلك يكون أفضل وسيلة لرعاية الدفاع من كافة الجهات، أما إذا لم تسمح الظروف باستخدام عناصر الاحتياط بسرعة، وفي الوقت المناسب لمواجهة التهديدات، بسبب قلة القوات ووضع الأرض، أو إمكانية التحرك؛ فإنه لا بد من احتلال النقاط الحيوية داخل منطقة الحرب[2].

وفي السنة النبوية وجد الباحث تطبيقاً لهذا المبدأ، فقد طبق النبيﷺ وأصحابه الكرامﷺ مبدأ الدفاع من كافة الجهات في العديد من المواقف الدفاعية، ومنها معركة الخندق؛ حيث جرى التخطيط للدفاع عن المدينة بإحكام من كافة الجهات، وأخذ المسلمون عند تطبيقهم هذا المبدأ بعدة عوامل لاعتبارات عسكرية، منها ما يلي:

1) طبيعة الأرض من ثلاث جهات: فمن الشرق حرة[3] واقم، من الغرب حرة الوبرة[4]، من الجنوب جبل سلع.
2) إضافة إلى ذلك، كانت **آطام**[5] بني قريظة من جهة الجنوب تُكمل نطاق الأمن، إلاّ إذا غدروا بعهدهم، وشايعوا أعداء المسلمين.
3) اكتمل تحصين بقية أجزاء المدينة بسد الفُرج بين البيوت، حتى أصبحت كالحصن.
4) حفر المسلمون الخندق في السهل الواقع شمال غرب المدينة المنورة، وهو الجانب المكشوف، الذي يُخاف منه اقتحام العدو، وقد تم حفره من شمال شرق المدينة إلى غربها، وكان حده الشرقي حَرْف (حرة واقم) [6] ، وحده الغربي وادي بطحان حيث طرف الحرة الغربية (حرة الوَبَرة)[1].

---

[1] تكتيك الدفاع (ص10).

[2] المصدر السابق.

[3] الحرة: الأرض ذات الحجارة النخرة السوداء.

[4] حرة الوَبَرَة : بثلاث فتحات مضبوط في كتاب مسلم، وقد سكن بعضهم الباء، وهي على ثلاثة أميال من المدينة. انظر: معجم البلدان (250/2).

[5] الآطام: الأُطُمْ يقال بضمتين وبضمة ثم السكون، والأطم والأُجُم بمعنى واحد، والجمع آطام وآجام، وهي الحصون وأكثرها ما يسمى بهذا الاسم حصون المدينة وقد يقال لغيرها أيضا. وقيل: هي القصور. انظر: معجم البلدان (ص219).

[6] حرة وَاقِم: إحدى حرتي المدينة وهي الشرقية سميت برجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأول وقيل

وقد أمر النبي بالذراري والنساء والصبيان فجُعلوا في حصن خوفاً عليهم من كيد الأعداء[2].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[3] بسنده **عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فِي الْأُطُمِ الَّذِي فِيهِ النِّسْوَةُ).**

وقد اختار النبيﷺ حِصْنِ بَنِي حَارِثٍ لوضع الصِّبْيَانَ وَالذَّرَارِيَّ؛ نظراً لأنه أحصن من غيره[4].

يقول ابن حجر: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سِلَعَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ وَجَعَلَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ".

ومكان حفر الخندق الواقع ما بين حرة واقم إلى حرة الوبرة تسميان اليوم **(بالشرقية والغربية)**[5].

واقم اسم أطم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة. انظر معجم البلدان (249/2).

(1) أكاديمية فلسطين: العسكرية التاريخ العسكري (ص25-26).

(2) للواقدي: المغازي (210/1).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم/من فضائل طلحة، والزبير رضي الله عنهما،4/ 1880: حديث رقم 2416].

(4) أخرج الطبراني في رواية له عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ حِصْنٌ أُحْصِنَ مِنْ حِصْنِ بَنِي حَارِثٍ، فَجَعَلَ النَّبِيُّﷺ وَسَلَّمَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَالذَّرَارِيَّ فِيهِ فَقَالَ: إِنْ أَلَمَّ بِكُنَّ أَحَدٌ فَأَلْمِعْنَ بِالسَّيْفِ، فَجَاءَهُنَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ يُقَالُ لَهُ بُجْدَانُ أَحَدُ بَنِي جَحَّاشٍ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى كَانَ فِي أَصْلِ الْحِصْنِ ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لِلنِّسَاءِ: انْزِلَنْ إِلَيَّ خَيْرٌ لَكُنَّ، فَحَرَّكْنَ السَّيْفَ فَأَبْصَرَهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّﷺ ، فَابْتَدَرَ الْحِصْنَ قَوْمٌ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ يُقَالُ لَهُ ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ، فَقَالَ: يَا بُجْدَانُ أَبْرِزْ فَبَرَزَ إِلَيْهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَرَسُهُ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ رَأْسَهُ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّﷺ). هذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (ج4، ص268، حديث رقم4378)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت – لبنان، سنة النشر (1412هـ ، ج6، ص193، حديث 10144)، وعزاه للطبراني في الكبير وقال: ورجاله ثقات.

وقد اختلف العلماء في الحكم عليه، وتوقف الباحث في الحكم على إسناده نظراً لأن فيه مجهول الحال، وفيه من الرواة لم أجد لهم ترجمة. قال الهيثمي: "رجاله ثقات" انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (ج6، ص120)، وفيه هُرَيْرِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: قال ابن حجر في التقريب (ص571): مقبول، وقد وثقه ابن معين، انظر: تاريخ ابن معين، رواية الدارمي، (ص224)، وذكره ابن حبان في الثقات، انظر: الثقات لابن حبان، (ج5، ص589)، وتلميذه مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، ذكره البخاري في التاريخ الكبير، (ج1، ص107): ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال العجلي في الثقات، (ج2، ص416)، "تابعي ثقة"، وذكره ابن حبان في الثقات، (ج4، ص245). وفيه مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْمَطِيِّ: ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد، (ج5، ص433)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال العراقي: لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، انظر: محجة القرب إلى محبة العرب للعراقي، (ص241)، قال الألباني: ترجمه الخطيب؛ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال أبو الطيب نايف المنصوري في كتابه إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، (ج1، ص584)"**مجهول الحال**".

قلت: أوافق صاحب إرشاد القاصي والداني فيما ذهب إليه **بأنه مجهول الحال**؛ وعليه فالحديث ضعيف.

(5) إبراهيم بن محمد المدخلي: مرويات غزوة الخندق (196/1).

وقد ورد تفصيل ذلك في المغازي للواقدي[1] عند قوله: "وَكَانَ الْخَنْدَقُ مَا بَيْنَ جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ بِخُرْبَى إلَى رَاتِجٍ، فَكَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ ذُبَابٍ إلَى رَاتِجٍ، وَكَانَ لِلْأَنْصَارِ مَا بَيْنَ ذُبَابٍ إلَى خُرْبَى، فَهَذَا الّذِي حَفَرَ رَسُولُ اللهِﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، وَشَبّكُوا الْمَدِينَةَ بِالْبُنْيَانِ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ وَهِيَ كَالْحِصْنِ، وَخَنْدَقَتْ بَنُو عبد الأشهل عليها بما يَلِي رَاتِجٍ إلَى خَلْفِهَا، حَتّى جَاءَ الْخَنْدَقُ من وراء المسجد، وخندقت بَنُو دِينَارٍ مِنْ عِنْدِ خُرْبَى إلَى مَوْضِعِ دَارِ ابْنِ أَبِي الْجُنُوبِ الْيَوْمَ، وَرَفَعَ الْمُسْلِمُونَ النّسَاءَ وَالصّبْيَانَ فِي الْآطَامِ، وَرَفَعَتْ بَنُو حَارِثَةَ الذّرَارِيّ فِي أُطُمِهِمْ، وَكَانَ أُطُمًا مَنِيعًا، وَكَانَتْ عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ فِيهِ، وَرَفَعَ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ النّسَاءَ وَالذّرّيّةَ فِي الْآطَامِ، وَخَنْدَقَ بَعْضُهُمْ حَوْلَ الْآطَامِ بِقُبَاءَ، وَحَصّنَ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَلَفّهَا[2]، وخَطْمَةُ، وَبَنُو أُمَيّةَ، وَوَائِلٌ، وَوَاقِفٌ، فَكَانَ ذَرَارِيّهُمْ فِي آطَامِهِمْ".

المطلب الخامس: مبدأ الدفاع في العمق:

ويُقصد بالدفاع في العمق: اتخاذ الأماكن الدفاعية ضمن الموضع الدفاعي الرئيس، بشكل متتالي يؤدي إلى منع اختراقه من قبل العدو، فإذا كان لدى المهاجم استعداد لقبول الخسائر فإنه يستطيع اختراق الواجهة الدفاعية ؛ لذلك يجب تحديد المواضع الدفاعية في العمق، وكلما كانت الجبهة الدفاعية واسعة كلما دعت الحاجة إلى عمق أكثر[3].

لذا يجب على المدافع عند وضعه خطة دفاعية أن يُراعي مبدأ الدفاع في العمق، وأن تحافظ الوحدات المدافعة في كافة المستويات على العوارض الحساسة[4] (النقاط الحيوية) داخل المنطقة الدفاعية، ويتم ذلك من خلال وضع عناصر من القوات المدافعة في المواضع الأمامية، وإقامة مواضع سادّة[5] على النقاط الحيوية، وتركيز أسلحة الإسناد في العمق.

وقد وجدنا الرسول القائدﷺ وأصحابه الكرام﷢ قد طبّقوا مبدأ الدفاع في العمق، في مواقف عسكرية دفاعية عدة، نذكر منها ما يلي:

أولاً: الدفاع في العمق في غزوة بدر:

طبّق الرسولﷺ يوم بدر مبدأ الدفاع في العمق عندما استخدم تكتيك (القتال بنظام الصفوف) ،

---

[1] للواقدي: المغازي (450/2).

[2] القاموس المحيط : القوم المجتمعون (196/3).

[3] تكتيك الدفاع (ص10).

[4] العوارض الحساسة أو (النقاط الحيوية): هي منطقة أو عارضة أرضية، تمنح من يُسيطر عليها أو يُؤمنها أو يحتلها، ميزة ترجيحية في المعركة الدائرة، وأنواعها: (عوارض طبيعية، عوارض صناعية). انظر: تكتيك عسكري (37/1).

[5] المواضع السادّة : موضع (مجهز هندسياً) يخطط له ويُحضر بقصد تشتيت وصد العدو، مع أخذ العوارض الحساسة بالحسبان وهذه المواضع تحدد في العمق والأجنحة.

حيث جعلهم في أنساق متتالية، وقد استطاع النبيﷺ بهذا الأسلوب تحقيق غاية هذا المبدأ، وهي تأمين مركز وعمق القوات المُدافعة، والسيطرة الفائقة على الجند، وجعل في يد القائد الأعلىﷺ قوات احتياطية للطوارئ حتى تعالج المواقف المفاجئة في صد هجوم معاكس، وبها تمكن من حقيق الجاهزية لدى القوات بالانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم في وقت واحد(1).

أخرج البخاري في صحيحه[2] **بسنده عن أَبِي طَلْحَةَ[3]، قَالَ: (غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ).**

وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4].

وقد وجدنا تطبيق مبدأ القتال بنظام الصفوف في أكثر من غزوة دفاعية أو هجومية منها بدر، وأُحُد، وحُنين؛ يؤكد ذلك ما أخرج البخاري في صحيحه(4) **عن البَرَاءَ رضي الله عنه، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: (لاَ وَاللَّهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ..، فَنَزَلَ**

---

(1) إبراهيم محمد العلي: صحيح السيرة النبوية (171/1)، وانظر: محمد الصوياني، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (90/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/قوله أمنة نعاسا،8/6: رقم حديث4562]. وقد وقع في رواية عند أحمد، وكذلك عند ابن حبان: (يوم بدر)، وعند البخاري وغيره: (يوم أحد). قال ابن كثير في "البداية" (28/4) : إن أُحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدر، فذكر منها حصول النعاس حال التحام الحرب. ورواية أحمد في المسند (277/26:رقم حديث16357)، جاءت عن أَبِي طَلْحَة أنه قال: (غَشِيَنَا النُّعَاسُ **وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ بَدرٍ** قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: وَكُنْتُ فِيمَنْ غَشِيَهُ النُّعَاسُ يَوْمَئِذٍ، فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ).

وإسناد أحمد صحيح على شرط الشيخين، يونس: هو ابن محمد المؤدب البغدادي، وحسين: هو ابن محمد بن بهرام المَرُّوذي، وشيبان: هو ابن عبد الرحمن النحوي، وقتادة: هو ابن دعامة السدوسي.

وهناك رواية أخرجها ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة (146/16 : حديث رقم7180)، وأخرى للبيهقي في الدلائل(273/3-274)، وفيها **(يوم بدر)**.

(3) **أَبُو طَلْحَةَ الأنصاري**: زَيْدُ بْنُ سَهْلِ بْنِ الأَسْوَدِ بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بْن النَّجّار، أَبُو طلحة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، بدري، نقيب، هو مشهور بكنيته، وهو زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بْن مَالك شهد بَدْرًا مَاتَ سنة أَربع وَثَلَاثِينَ وَصلى عَلَيْهِ عُثْمَان وَكَانَ لَهُ يَوْم مَاتَ سَبْعُونَ سنة وَكَانَ فَارس رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقد قتل يَوْم حنين عشْرين رجلا بِيَدِهِ وَهُوَ الْقَائِل أَنا أَبُو طَلْحَة واسمي زيد وكل يَوْم فِي سلاحي صيد. انظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى (383/3)، والثقات، لابن حبان (3،137)، وأسد الغابة(361/2)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر(553/3)، والطبقات لخليفة بن خياط (156/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري ، الجهاد والسير/من صف أصحابه عند الهزيمة، ونزل عن دابته واستنصر(43/4:حديث رقم2930].

وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ).

وقد كان هذا التكتيك عاملاً مهماً من عوامل انتصاره على المشركين، فهو أسلوبٌ جديدٌ في القتال غير معروف لدى العرب، وبذلك حقق التأمين لقواته في عرض وعمق مسرح المعركة، وكذلك حقق المباغتة للعدو بهذا التكتيك، فكانت النتيجة النصر والتمكين.

فالقتال (بأُسْلُوب الصُّفُوف) يُبقي القوات المُدافعة ثابتة في مواضعها بسيطرة قائدها، إلى أن يفقد زخم المهاجمين بالكرّ والفر شدّته.. عند ذاك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو؛ أما أسلوب (الكر والفر) فيجعل القائد يفقد السيطرة على قواته ولا يؤمّن له احتياط للطوارئ.

ويظهر من ذلك أن أسلوب (الصفوف) يتميز على أسلوب (الكرّ والفر) بأنه يؤمن ترتيب القوات بالعمق، فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان، كأن يصد هجوماً مضاداً للعدو، أو يضرب كميناً لم يتوقعه، أو أن يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته، أو يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة[1].

لقد سيطر الرسولﷺ على الصفوف في دفاعها وهجومها ومطاردتها، وحفظ الدفاع في العمق بهذا التكتيك، ولم يقم المسلمون بأي عمل حربي إلا بأمر منه؛ وبذلك أمّن السيطرة على قواته والاحتياط اللازم لها .. تماماً كما في الحرب الحديثة.

ثانياً: الدفاع في العمق في غزوة أُحد:

و في غزوة أُحُد نَجِد أنَّ الرَّسُول طَبّق مَبْدَأ الدِّفَاع في العُمْق في موقفين هما:

الأول: جمَع رسول اللهﷺ أهل الرأي من المسلمين، وأَعْلَمَهُم أنه يرى التحصن في المدينة المنورة وأن يدعوا قريشاً خارجها، فإذا دخلها قاتلهم فيها قتال الشوارع في منطقة يعرفها المسلمون كل المعرفة ولا تعرفها قريش، وبمشاركة جميع أهل المدينة؛ مما يساعد المسلمين في ضرب قريش وإيقاع الخسائر الفادحة بها، وكان رأي كبار الصحابة مثل هذا الرأي[2].

قلت: وهذا الميل من النبيﷺ نحو هذا الرأي ينسجم تماماً مع الأخذ بمبدأ القتال في العمق.

الثاني: اختيار النبيﷺ جبلَ عينين كموضعَ لتمركزَ الرماة، حيث تم السيطرة على مسرح المعركة، بعد اختيار موضع جبل عينين للرماة؛ وبذلك تم حماية المسلمين من أي عملية التفاف، فكانت نتيجة ذلك النصر للمسلمين، وسرعان ما كانت النتيجة عكسية عند مخالفة الرماة وتركهم لمواضعهم.

---

[1] خطاب: الرسول القائد (ص116-117).

[2] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي(200/2)، وانظر: تاريخ الطبري (60/2)، وانظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة (379/2).

فقد تَقَدَّمَ الجيشُ الإسلاميِّ إلى ميدانِ أحد، واتخذَ مواقِعَه بمُوجبِ خطة محكمة حيث نظمﷺ صفوف جيشه جاعلا ظهورهم إلى جبل أحد ووجوههم تستقبل المدينة، وجعل خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير فوق **جبل عينين** المقابل لأحد ، لحماية المسلمين من التفاف خيالة المشركين عليهم وشدد عليهم بلزوم أماكنهم وقال: "**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا مكانكم**"[(1)]، وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات تاركين الوادي لجيش قريش الذي تقدم وهو يواجه أحد وظهره إلى المدينة[(2)].

قال الباحث: تحقق التفوق التكتيكي للمسلمين بسيطرتهم على جبل الرماة (عَيْنَين) هذا العارض الحساس والحيوي، الذي مكنهم من حماية وإسناد القوات الواقعة في مسرح المعركة، واستطاعوا تأمين مسرح العمليات بكامله من التفاف المشركين عليهم، لكن هذا التفوق سرعان ما انقلب إلى خسارة وهزيمة وذلك عند مخالفة الرماة لأوامر النبيﷺ بالثبات فوق الجبل، وتخليهم عن مواقعهم القتالية ، وهذا يؤكد أهمية العمل بمبدأ الدفاع في العمق الذي أمر بتطبيقهﷺ، وبسبب المخالفة في تطبيقه من الرماة وقعت هزيمة المسلمين مباشرة فور الإخفاق في تأمينه وتطبيقه.

ثالثاً: الدفاع في العمق في غزوة الخندق:

وفي معركة الخندق نجد تطبّيق الرسولﷺ لمبدأ الدفاع في العمق، مع تأمينه للمدينة من الداخل، وذلك بعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد، وفتحت عليه جبهة تهديد جديدة؛ فعمل الرسولﷺ مباشرة على تأمين المدينة، من خلال حراسة الصحابةﷺ لها سواء من داخلها أو من جهة يهود بني قريظة، وقد كُلف بهذه المهمة ما يقارب 500 مجاهد من الصحابة، حيث أرسل (سلمة بن أسلم) في مائتي رجل، و(زيد بن حارثة) في ثلاثمائة رجل، لحراسة المدينة وتأمينها من يهود بني قريظة[(3)].

أخرج البخاري في صحيحه[(4)] بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ:**(كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ، عَلَى فَرَسِهِ، يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ؟ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجِهَادِ وَالسِّيَرِ/مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلاَفِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ(65/4: حديث رقم: 3039)].

(2) ليحيى بن أبي بكر العامري الحرضي: بهجة المحافل وبغية الأماثل (198/1)، وانظر: عبد الرحمن بن جميل قصَّاص و سعد بن موسى الموسى وخالد بن محمد الغيث ، صَحِيحُ الأَثَر وجَمَيلُ العبر من سيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم، (ص208)، والسيرة النبوية الصحيحة، للعمري (383/2).

(3) للواقدي: المغازي (460/2)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر(88/2)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (67/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، اصحاب النبيﷺ/مناقب الزبير بن العوام،5 /21: رقم حديث3720].

اللَّهِﷺ، قَالَ: مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ. فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي).

وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم وقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا، فإن كان حقاً فالحنو لي لحناً[1] أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس[2].

فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد فرجعوا فسلَّموا على النبيﷺ وقالوا: عضل والقارة[3]، فعرف النبيﷺ مرادهم[4].

وقد استقبل النبيﷺ غدر بني قريظة بالثبات والحزم، وتعامل مع الموقف بمرونة عالية فاستخدم كل الوسائل التي من شأنها أن تُقوّي رُوح المُؤمنين، وتُصدّع جَبَهَات المُعتَدِين، فأرسل النبيﷺ في الوقت نفسه سلمة بن أسلم[5] في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير ليرهبوا بني قريظة وفي هذه الأثناء استعدت بنو قريظة للمشاركة مع الأحزاب، فأرسلت إلى جيوشها عشرين بعيراً كانت محملة تمراً، وشعيراً وتيناً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إلا أنها أصبحت غنيمة للمسلمين الذين استطاعوا مصادرتها وأتوا بها إلى النبيﷺ[6].

ونستطيع القول أن هذه الإجراءات الدفاعية والتأمينية للمدينة التي قام بها النبيﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم هي بمثابة العمل بمبدأ الدفاع في العمق.

---

(1) لحناً: لَحَنَ لَهُ يَلْحَنُ لَحْناً: قَالَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُهُ عَنْهُ ويَخْفى عَلَى غَيْرِهِ لأَنه يُميلُه بالتَّوْرية عَنِ الْوَاضِحِ الْمَفْهُومِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَحِنَ الرجلُ: فَهُوَ لَحِنٌ إِذا فَهِمَ وفَطِنَ لِمَا لَا يَفْطُنُ لَهُ غَيْرُهُ. لسان العرب (379/13).

(2) ابن كثير: السيرة النبوية (199/3)، وانظر: للصلاّبي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل (328/2).

(3) قبيلتان من هذيل سبق منهما الغدر بأصحاب النبي في ذات الرجيع. وهُمُ الَّذِينَ غَدَرُوا وَاسْتَصْرَخُوا لِحْيَانَ وَبُطُونًا مِنْ هُذَيْلٍ، غَيْرَ أَنَّ الَّذِي ذَهَبَ بِالسُّبَّةِ هُمْ هُذَيْلٌ، وَلَمْ نَرَ مَنْ شَهَّرَ بِعَضَلِ وَالْقَارَةِ، بَيْنَمَا كَانَتْ أَوْلَى بِالسَّبِّ مِنْ هُذَيْلٍ. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص296). وَبَنُو عَضَل: بطن من الْعَرَب، وَكَذَلِكَ بَنو عُضيلة. والعَضَل والقارَة: بطْنَان من الْعَرَب. جمهرة اللغة (904/2).

(4) البداية والنهاية (95/4).

(5) **سلمة بن أسلم:** بن حريش بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي، يكنى أبا سعد، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم الجسر أبي عبيدة سنة أربع عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل استشهد وهو ابن ثلاث وستين سنة. الاستيعاب (198/2)، وأسد الغاب (332/2).

(6) السيرة الحلبية (323/2)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر (88/2)، والمغازي، للواقدي (460/2).

المطلب السادس: مبدأ قابلية المرونة.

والمقصود بقابلية المرونة هو "امتلاك الخطط الدفاعية مرونة في التغيير، وسرعة في القيام بعمل مضاد في مواجهة نقاط ضعف العدو أو أخطائه التكتيكية، على أن تستفيد من هذا التغيير بموقعه وفي وقته المناسب"؛ ولأجل هذه الغاية تستفيد الوحدات لدى اتخاذها تشكيل أو تموضع معين من الحد الأقصى من إمكانياتها، والتخطيط الدقيق للنيران، والاحتفاظ باحتياط قوي ومتحرك، وتجهيز شبكة مناسبة من الارتباط والاتصال[1].

وقد وجد الباحث هذا المبدأ العسكري مُطبَّقاً في غزوات الرسول القائدﷺ وأصحابه الكرامﷺ، بل كان مبدأ المرونة العسكرية حاضر لدى القادة المسلمين عند التخطيط والتنفيذ، وفي كثير من المواقف والتي منها:

أولاً: المرونة في غزوة بدر:

ظهرت المرونة العسكرية عند الرسول القائدﷺ عند إشارة الحُباب بن المنذر عليه، حينما نزلﷺ في موقعه وقال له: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال له رسول اللهﷺ: (لقد أشرت بالرأي، فنهض ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، وغور القلب، ثم بنى حوضاً عليه القليب[2] الذي نزل عليه)[3].

وقد كانت الاستجابة من النبيﷺ لرأي الحُبابﷺ، وتغيير خطة انتشار المجاهدين يوم بدر، وما ترتب عليها من إجراءات ميدانية، تغليباً لرأي عسكري قد يكون أصوب من غيره، وهذا يعكس المرونة العسكرية العالية عند الرسول[4]ﷺ.

ثانياً: المرونة في غزوة أُحد:

ظهرت المرونة العسكرية للرسول القائدﷺ عند نقله لأرض المعركة خارج المدينة المنورة، للتصدي للمشركين وقتالهم خارجها.

أخرج النسائي في سننه[5] بسنده **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (اسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِﷺ النَّاسَ يَوْمَ**

---

[1] أكاديمية فلسطين العسكرية ، تكتيك الدفاع (ص11).

[2] القليب: هو البئر والجمع قلب. وقد سبق التعريف به في هذا الفصل، انظر (ص6).

[3] الحديث سبق تخريجه، (ص55).

[4] لابن هشام : السيرة النبوية (625/1)، والطبقات الكبرى (15/2).

[5] [السنن الكبري:التعبير/الدرع115/7:رقم حديث7600]، من طريق أمية بن خالد، وأخرجه أحمد في المسند(99/23: رقم حديث1478) من طريق عبد الصمد وعفان، و[الدارمي في مسنده (المعروف بسنن الدارمي)/الرؤيا فِي الْقُمُصِ وَالْبِئْرِ

أُحُدٍ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي لَفِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَكَأَنَّ بَقَرًا تُنْحَرُ وَتُبَاعُ، فَفَسَّرْتُ الدِّرْعَ الْمَدِينَةَ، وَالْبَقَرَ نَفَرًا وَاللهُ خَيْرٌ، فَلَوْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فِي السِّكَكِ فَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ مِنْ فَوْقِ الْحِيطَانِ قَالُوا: فَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ مَا دُخِلَتْ عَلَيْنَا قَطُّ ، وَلَكِنْ نُخْرُجُ إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَشَأْنُكُمْ إِذًا، قَالَ: ثُمَّ نَدِمُوا فَقَالُوا: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ رَأْيَهُ فَأَتَوَا النَّبِيَّﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأْيُكَ فَقَالَ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَلْبَسَ لَأْمَتَهُ ثُمَّ يَضَعُهَا حَتَّى يُقَاتِلَ).

وقد كانت هذه المرونة نابعة من استجابتهﷺ لرأي الأكثرية من الصحابة من الشباب والكهول؛ على الرغم من رغبتهﷺ إبقاء القتال داخل المدينة.

وكذلك ظهرت مرونتهﷺ يوم أُحُد أثناء استبساله وأصحابه في القتال والدفاع عندما نزل الرماة عن مواضعهم، وانتهز خالد بن الوليد فرصة ترك رماة المسلمين لمواضعهم، فهاجم مواضع الرماة التي تركوها، عندها استطاع خالد أن يصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، والسيطرة على ساحة المعركة من خلال احتلال هذا الموضع الحيوي والهام.

وقد تبدلت موازين القوى في المعركة بسيطرة خالد على تلة الرماة، فانقض على المسلمين من خلفهم، وتحرّج موقف المسلمين وأصبح خطيراً جداً، خاصة وأن صفوفهم لم تكن رصينة في مواضعها لتستطيع الصمود، إذ تبعثر أفرادها لجمع الغنائم[1].

وقد شكّلت مناورة خالد بن الوليد الالتفافية على المُسْلِمِين مبَاغَتَة تَامَّة لَم يَكُونوا يَتَوَقَّعُونَهَا، وقد تبعثر أكثرهم وبقي القليل منهم إلى جانب النبيﷺ، يقاتلون ليشقوا لهم طريقاً بين قوات قريش التي أطبقت عليهم من كل جانب[2].

قلت: ظهرت المرونة العالية – في هذا الموقف العصيب – عند قائد المعركة رسول الله ﷺوأصحابه الكرامﷺ، حيث شارك في القتال والدفاع عن المسلمين بنفسه باستبسال، وبينما تركّز زخم

وَاللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالسَّمْنِ وَالتَّمْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي النَّوْمِ، 1378/2: رقم حديث2205]، من طريق الحجاج بن المنهال، أربعتهم (أمية، وعبد الصمد، وعفان، وحجاج) عن حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر.

الحكم على الحديث: الحديث إسناده صحيح، لأجل أمية بن خالد فقد وثقه أبو حاتم، وأبو زرعة والعجلي، انظر: للعجلي، الثقات (ص236)، والجرح والتعديل (303/2)، والترمذي، والذهبي في الكاشف (255/2) وذكره ابن حبان في الثقات(40/4)، وقال الدارقطني: ما علمت إلا خيراً، وقال أحمد: كان يحدث من حفظه، انظر: سؤالات الحاكم (ص186)، لكن ابن حجر قال في التقريب (ص114): صدوق، وقد تابعه الثقات كما في التخريج، وأبو الزبير ثقة وتدليسه لا يضر، حيث صرح بالسماع من جابر عند أحمد. **قال الباحث: هو ثقة.**

[1] خطاب : قادة فتح العراق والجزيرة (ص47-211)، والأنوار في سيرة النبي المختار، لسليمان ابن محمد اللهيميد(59/1) وانظر: خطاب ، لرسول القائد (ص181).

[2] ثبت مع الرسول ﷺ أربعة عشر رجلاً من أصحابه: سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار. انظر طبقات ابن سعد (43/2).

هجوم المشركين على النبيﷺ ومن حوله من أصحابه للقضاء عليه؛ كان الرسولﷺ يقاتلهم بنفسه بكل كفاءة وشجاعة وإقدام حتى رُوِىَ سيفُه من دمائهم، وقد اعترضته مصائب جمّة فكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، وتعرَّضت حياته للخطر لولا عناية الله ولطفه.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[(1)] بسنده **عَنْ أَنَسٍ**، **(أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ).**

وكذلك أصحابهﷺ؛ فقد استماتوا في الدفاع عن رسول اللهﷺ وحمايته، فهذا الصِّحابي أبو دجانةﷺ[(2)] يصد بجسمه النِّبَال المُنهَالَة صوبَ النَّبيﷺ، حيث حَنَى ظَهرَه عَلَيه والنُّبل يقع فيه، وذاك الصِّحابي قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِﷺ يقي وَجْهَ رَسُولِ اللهِﷺ، بِوَجْهِه.

وَأَبُو طَلْحَةَ الأنصاري بين يدي رسول اللهﷺ يحمي السهام عنه فيتلقفها في صدره ونحره وظهره، ويرمي بشدة وقد كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، أم عمارة نسيبة بنت كعب الخزرجية[3] ألقت سقاءها يومها، واستلّت سيفاً وأخذت تذود عن النبيﷺ بالسيف وترمي عن القوس، حتى خلص الجراح إليها، ووقف سعد بن أبي وقاص إلى جانب النبيﷺ يرمي بالنبل دونه، والنبيﷺ يناوله النبل ويترصّد له إصاباته، ورمى النبيﷺ عن قوسه، حتى تحطمت القوس، وتساقط المسلمون حوله صرعى مستقتلين في الدفاع عنه..

---

(1) [مسلم : صحيح مسلم ، الجهاد والسِّير/غزوة أُحُد، 1417/3 : رقم حديث1791].

(2) أبو دجانة الأنصاري، صحابي مشهور واسمه: سماك بن خرشة بن لوذان، بْنِ عَبْدِ وُدِّ بْنِ زيد بن ثعلبة بن الخزرج الساعدي، شهد أَبُو دجانة بدْرًا، وأخذ سيف النبيﷺ يوم أحد ليعطيه حقه، فقاتل فيه أحسن قتال، وثبت مَعَ النَّبِيِّﷺ وبايعه على الموت ودافع عنه دفاعاً مريراً حتى كثرت جراحه، وكان مُعلَّما في القتال بعصابته الحمراء، شهد أَبُو دُجَانَةَ القادسية وَشَهِدَ الْيَمَامَةَ وَهُوَ فِيمَنْ شَرَكَ فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، وَقُتِلَ أَبُو دُجَانَةَ يومئذ شهيدًا سنة اثنتي عشرة فِي خلافة أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. وَلِأَبِي دُجَانَةَ عَقِبٌ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ وَبَغْدَادَ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (146/3). وانظر: الهاشمي الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا(419/3). والإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (146/3).

3 **نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ** بن عَمْرو بن عَوْف بن مَبْذُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمٍ المازنية الْأَنْصَارِيَّة الخزرجية، وهي إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَامِرِ بْنِ النَّجَّارِ، تُكنى أُمُّ عُمَارَةَ وتُكنى أُمُّ عَطِيَّة، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين، وكانت تغزو كثيرًا مَعَ رَسُول اللَّهِﷺ، تُمرِّض المَرضى، وتُداوي الجَرحى، قال عنها رسول الله يَوْمَ أُحُدٍ: (مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلا شِمَالا إِلا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي)، وكانت تغسل الموتى، قد شَهِدت غُسل ابنة رَسُول اللَّهِﷺ، وحكت ذلك فأتقنت، دخلت البصرة وَكَانَ جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت، ولها عَنِ النَّبِيّﷺ أحاديث روى عنها أنس بْن مالك، ومحمد بْن سيرين، وحفصة بنت سيرين. انظر: لابن الأثير، أُسد الغابة في معرفة الصحابة (356/7)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (1947/4) والطبقات الكبرى: لابن سعد(305/8) والثقات: لابن حبان(423/3) ،والتعديل والتجريح لمن خرّج له البخاري في الجامع الصحيح (1288/3)، ومعرفة الصحابة، لابي نُعيم (3455/6).

حتى استطاعوا شقّ طريقهم عبر صفوف قريش إلى رابية مشرفة من روابي جبل (أُحُد)(1).

أخرج البخاري في صحيحه(2) بسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: **(لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ3، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنْ النَّبْلِ، فَيَقُولُ انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ..).**

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما(4) واللفظ للبخاري عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: **(مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُفَدِّي رَجُلًا بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي).**

وقد تركت هذه الإستماتة أثرها في قريش، فتوقف زخم هجومهم قليلاً، واستفاد المسلمون من هذه الفرصة السانحة، فصعد النبيﷺ بهم إلى جبل (أُحُد).

ثالثاً: المرونة في غزوة الأحزاب:

وفي غزوة الخندق ظهرت المرونة العسكرية عند الرسولﷺ، عندما أخذ برأي سلمان الفارسي ﷺ في حفر الخندق في الجهة المكشوفة من المدينة، ليحول بين العدو وبين دخول المدينة.

ولعلّ من أسباب النصر في غزوة الأحزاب، هو المرونة التي استخدمها النبيﷺ في الدفاع عن المدينة محاورها كافة، وتحريكه لدوريات الحراسة والمراقبة المستمرة والشاملة حول المدينة؛ فقد قرر النبيﷺ تحريك قوات من المسلمين لحراسة المدينة وتأمينها عندما غدر يهود بني قريظة بعهدهم معه.

وقد كان أحرجُ موقفٍ يقفه المسلمون غدر بني قريظة، فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام (81/2-82)، وانظر: السيرة الحلبية (67/3)، وانظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (32/2)، وانظر: سبل السلام من سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، تأليف: صالح بن طه عبد الواحد (358/1).

(2) [البخاري : صحيح البخاري ، الجمعة/مَنْ انْتَظَرَ حَتَّى تُدْفَنَ،5/ 97 : رقم حديث 4064].

(3) **مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ: مُجَوِّبٌ:** بضم الميم وفتح الجيم وكسر الواو المشددة وفي آخره باء موحدة ومعناه مُترّس عليه يقيه بالجوبة وهو الترس وجمعه أجواب، **والحَجَفَة:** بفتح الحاء المهملة وفتح الجيم والفاء أيضا وهي الترس إذا كان من جلد ليس فيها خشب. انظر: معجم مقاييس اللغة (491/1)، وفتح الباري لابن حجر (100/1)، وشرح السنة للبغوي (391/13).

(4) [البخاري : صحيح البخاري، الجِهَادِ وَالسِّيَرِ/المِجَنِّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ ، 39/4 : رقم حديث رقم2950]، وفي كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ} [آل عمران: 122]،[8/ 42: رقم حديث6184].

يمنعهم من ضربهم من الخلف، بينما كان أمامهم جيش لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه، وكانت ذراريهم ونساؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ، وصاروا كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، أما رسول اللهﷺ، فقد جاءه خبر نقض بني قريظة فعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلاء، وقد اشْتَدَّ عَلَى النَّاسِ الْبَلَاءُ وَالْخَوْفُ حِينَ رَأَوْهُ اضْطَجَعَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ عَنْ بَنِي قُرَيْظَةَ خير، ثم نهض مبشراً يقول: «**الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره**» ثم أخذ يخطط لمجابهة الظرف الراهن، وكجزء من هذه الخطة كان يبعث الحرس إلى المدينة، لئلا يؤتى الذراري والنساء على غرة[1].

أخرج الإمام أحمد في مسنده[2] من حديث عبد الله بن عَمرو قال: **(صلَّى بنا رسولُ اللهﷺ المغربَ فعَقَّبَ قومٌ وذهَبَ قومٌ، فخَرَج حين مَضى نصفُ الليل وقد حَسَر عن رُكْبَتَيْه فَزَعًا، وقد حَفَزَهُ النَّفَسُ[3]، وهو يقول: أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ! أَبْشِرُوا! هَذَا رَبُّكُمْ فَتَحَ بَابَ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ؛ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى).**

يقول الدكتور صالح زهر الدين[4]:"من أسباب فشل المشركين وتحقيق النصر للمسلمين في غزوة الأحزاب، طريقة الدفاع "**المرنة**" التي اعتمدها الرسولﷺ، فقد كانت قواته جاهزة باستمرار للتحرك باتجاه أيّة ثغرة وسدّها بسرعة. كما أن انتظام الدوريات والمراقبة المستمرة والشاملة حرم المشركين من انتهاز أية فرصة".

ومن مرونتهﷺ السياسية المرتبطة مباشرة بأحداث المعركة؛ سَعْيُهُ لِعَقْد اتفاق صلح مُنفرد مع غطفان، بهدف تحييدهم من المعركة؛ وذلك لمّا اشتد البلاء والخوف على المؤمنين، حيث فكّر النبيﷺ

---

(1) انظر: للبيهقي، دلائل النبوة (430/3)، ولابن كثير: السيرة النبوية(200/3)، وانظر: لابن هشام، السيرة النبوية (222/2).

(2) [أحمد ، 363/11 : رقم حديث6750]، وأبو نعيم في الحلية (54/6)، من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي أيوب المراغي عن نوف بن فضالة عن عمرو، وأخرجه ابن ماجه[262/1: رقم حديث 801]، من طريق أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر نوفاً، وأخرجه البزار [357/6: رقم حديث 2365]، من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عَنْ مُطَرِّفِ بن الشخير عن عبد الله بن عمرو.

الحكم على الاسناد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (265/2)، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (365/1) ، والأثيوبي في ذخيرة العقبى (235/9).

(3) حَفَزَهُ النَّفَسُ: أي: غلبة النفس وأعجله. انظر: النهاية غريب الحديث (407/1)، وتاج العروس (ح ف ز) .

(4) صالح زهر الدين، مصطفى طلاس، رياض تقي الدين : موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى عام 1968 (ص44).

في بعض الأعمال التكتيكية التي قد تُمكنه من زعزعة صفوف أعدائه وتفريق كلمتهم. فقد أرادﷺ أن يصالح غطفان على أن يُعطيهم ثلث ثمار المدينة، ويرجعوا عنه وعن أصحابه إلى بلادهم.

ولكن عندما استشار الرسولﷺ السُّعود "زعماء المدينة" في عقد الصلح، رفضوا أن يتنازلوا للمشركين عن أي شيء، ما كانوا يعطوهم إياه قبل الإسلام إلا بيعاً أو قرى، فأقرَّهم النبيﷺ على ذلك لِمَا رآه من روح معنوية عالية عند الأنصار، وأمر بإلغاء الصحيفة.

أخرج الطبراني في صحيحه[1] بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: **(جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرَى، أَوْ قِرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ).**

---

[1] [الطبراني: تفسير الطبراني، المعجم الكبير، 28/6:رقم حديث5409] وابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق أحمد مختار الندوي (420/4) ، أبو بكر البزار في مسنده (337/14: حديث8017)، والدولابي في الكنى والأسماء (786/2: رقم حديث 1368)، وابن الأعرابي في معجمه (829/2: رقم حديث 1708)، وأبو نعيم الأصبهاني، في معرفة الصحابة (رقم حديث 2759).

الحكم على الحديث: الحديث **إسناده حسن،** فيه عقبة بن سنان صدوق ، قاله أبو حاتم في الجرح والتعديل،(6/ 311)، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة مختلف فيه، وثقه ابن معين، والنسائي في موضع..، وقال مرة لا بأس به، وقال ابن المبارك: لم يكن به بأس، وقال ابن عدي: أرجوا أنه لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات (499/8)، وقال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه، وقال الجوزجاني: ليس بقوي يشتهى حديثه، وقال ابن سعد: كثير الحديث يستضعف، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام، أما الذهبي فقال: صدوق، حديثه في عداد الحسن؛ **وعليه يميل الباحث لرأي الذهبي بأنه صدوق.**

وفيه عثمان بن عثمان الغطفاني مختلف فيه، وثقه ابن معين في الجرح والتعديل (160/6)، ووثقه ابن حبان، انظر الثقات (203/7)، وقال أبو زرعة في الضعفاء (909/3): لا بأس به، وقال أحمد: رجل صالح ثقة من الثقات، وقال الدارقطني: أحد الثقات الصالحين، انظر: العلل(19/3)، وانظر: سؤالات السلمي (ص188)، وقال أبو حاتم: شيخ يُكتب حديثه، انظر: الجرح والتعديل(91/2)، وقال البخاري في التاريخ الكبير(244/6)، مضطرب الحديث . وقال النسائي: ليس بالقوي، انظر: تهذيب الكمال، وقال ابن عدي: لم أر في حديث منكراً. الكامل (295/6)، قال الذهبي : كان رجلاً صالاحاً حسن الحديث فيه شيء، انظر: تاريخ الإسلام (923/4)، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام، **وبناءاً على ما سبق يميل الباحث إلى أنه صدوق.**

وكان قد جرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة[1] في ذلك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من الكتاب وقال: **(ليجهدوا[2]علينا)**[3].

يقول صاحب كتاب التاريخ العسكري[4]: "ورغم البساطة التي يبدوا فيها الحدث وأن الأمر كله لا يعدو فكرة طرحت ثم طويت؛ إلا أن الأمر أخطر من ذلك في حالة الحرب إذ لا ينسجم ذلك ووحدة القيادة وقوة العزم. بل ظهر المسلمون وكأن زعماءهم لا يعرفون ما يريدون وليسوا على رأي واحد، والقيادة وإن كانت شورى في مرحلة التخطيط والتهيؤ ولكنها كلٌ واحدٌ عند التنفيذ، ولو أن غطفان قد غيّرت رأيها أو طالبت بأكثر مما قبلت به ابتداءاً لسهُل الأمر، أما أن يُقررُ القائد الأعلى أمراً ويعقد عليه، ويُطلع عدوه عليه ثم يعترض (أو يرجوه) بعض مرؤوسيه خلاف ذلك، ويتم الأمر على هذه الصيغة فأمرٌ يصعُب قبوله، سيما والقائد الأعلى هنا الرسول الكريم محمد بن عبد الله الذي أرسى فنون الحرب والقيادة، والتردد في الحرب أمرٌ في غاية الخطورة".

قال الباحث: وهنا درسٌ في غاية الدقة، لسلوك قائد المدرسة العسكرية الإسلامية محمدﷺ؛ فقد أبدى مرونة في موقفٍ حرجٍ كهذا وهو أمام خيارين أحلاهما مر؛ فإما أن يتم الاتفاق المبرم بينه وبين غطفان وقادة جنده غير راضين عن هذا الاتفاق، أو أن يلغي هذا الاتفاق _ كما فعل _ مع الآثار السلبية المترتبة على ذلك، من خطورة التردد والانعطاف عن اتخاذ قرار هو في مراحله الأخيرة، إلا أنه كان الأسلم والأقل ضرراً؛ ولعلّنا نجدُ في موقفهﷺ هنا تأصيلاً شرعياً، للأخذ بالمرونة عند المواقف الحرجة في حالة الدفاع العسكري، عملاً بفقه الموازنات وأخذاً بقاعدة أخف الضررين، وكلٌ يقدَّر بقدره.

المطلب السابع: الاستفادة القصوى من العمليات الهجومية.

ينسجم هذا المبدأ مع القاعدة العسكرية التي تقول **(أفضل وسيلة للدفاع الهجوم)**، حيث ينمّي

---

[1] المُراوضة: صيغة مفاعلة، وهي في الأصل تطلق على ما يجري بين المتبايعين من الزيادة والنقصان كأن كل واحد منها يُروّض صاحبه، مأخوذة من رياضة الدابة، وتطلق كذلك على المداولة التي تكون بين طرفين في أمر من الأمور، ما لم تصل إلى العزم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ (276/2)، ولسان العرب، لابن منظور، اعداد وتصنيف: يوسف خياط (1255/1).

[2] يقال: جهد القوم في الشيء، أي جدّوا فيه وبالغوا، وعلى هذا يكون معنى قول سعد: ليجهدوا علينا، أي ليبذلوا أقصى غايتهم في حربنا، وهذا دليل على عدم اهتمام سعد رضي الله عنه بما يكيده هؤلاء الأعداء للمسلمين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (319/1: ولسان العرب520/1).

(3) الطبري: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (573/2).

[4] أكاديمية فلسطين العسكرية : التاريخ العسكري (ص40).

الدفاع التعرضي الشعور بالتفوق على العدو، بينما الدفاع السلبي يؤدي إلى إضعاف الروح المعنوية المؤدية إلى الهزيمة. لذا؛ ينبغي على قادة الوحدات المدافعة أن يحافظوا على ثبات الروح الهجومية كأولوية، وأن يحافظوا على اندفاع وشجاعة قادة الوحدات الصغرى.

ويمكن المحافظة على الروحية الهجومية لدى المجاهدين المدافعين، وكذلك الحفاظ على زمام المبادرة في العمليات من خلال:

1) تنفيذ إغارات، وإرسال الدوريات، والكمائن، والهجمات الإيذائية.
2) إعداد الخطط التي تستهدف تدمير العدو وإخراجه من المنطقة الدفاعية (الهجوم المضاد) وأيضاً من خلال الاستفادة من تحرك الأسلحة المحمولة العضوية أو المأمورة[1].

في العلم العسكري الحديث ينبغي لإرادة النصر تحقيق المعادلة التالية: (إرادة القتال + إدارة العدة والعدد= النصر)، فإذا كانت قدراتنا العسكرية من العدد والعُدة ضعيفة مقابل قوى العدو؛ وإرادتنا قوية تكون النتيجة تحقيق توازناً ونصراً ممكناً، شرط أن تعوض إرادة القتال قلة العدد والعدة، وهذا ما حدث في معركة بدر، وأُحُد، والخندق.

يقول اللواء الركن خطّاب[2]: "لقد أثبتت كل الحروب في كل أدوار التاريخ، أن التسليح والتنظيم الجيدين والقوة العددية، غير كافية لنيل النصر ما لم يتحل المقاتلون بالمعنويات العالية. لقد كان تنظيم وتسليح الإيطاليين في الحرب العالمية الثانية متميزين، كما كان عددهم ضخماً؛ فلم يغن عنهم كل ذلك، لأن معنوياتهم كانت منهارة! لذلك كانوا عبئاً ثقيلاً على حلفائهم الألمان في كل معركة اشتركوا فيها معهم. بل كان الحلفاء يعتبرون المناطق التي تشغلها القوات الإيطالية فراغاً عسكرياً لا يُكترث به!! إن المعنويات العالية التي كان يتحلى بها المسلمون في (بدر)، من أهم أسباب نصرهم في تلك المعركة الحاسمة".

لكن القارئ لكتب السيرة النبوية والتاريخ، يجد أن المسلمين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية، وإليك بعض النماذج التي تُظهر الروحية القتالية العالية لدى المقاتلين المسلمين، والذين حوّلوا معاركهم من وضعية دفاع إلى وضعية هجوم.

أولاً: الاستفادة من العمليات الهجومية في غزوة بدر:

استخدم المسلمون يوم بدر استراتيجية دفاعية هجومية؛ فما أن بدأت المعركة، ونجح المسلمون في

---

(1) هي وحدة تُرسل بشكل مؤقت غلى تنظيم غير تنظيمها الأساسي على أن تكون مسئولية الدعم والإدارة والتدريب والعمليات لهذه الوحدة على عاتق الوحدة الآمرة إلا إذا ورد أمر آخر في الدستور المعطى، وعادة تكون المسئوليات المتصلة بنقل وتنقلات الآخر بتصرف القائد الرئيسي.

(2) خطاب: الرسول القائد (ص113).

صد الهجوم المعادى أكثر من مرة، وعندما فشلت هجمات المشركين وزادت خسائرهم وفَتُر حماسهم، تحول المسلمون إلى الهجوم، فتفرق المشركون وولوا بالفرار، على أثر الهزيمة؛ ويعتبر هذا أسلوباً جديداً للقتال، ينطبق تماماً مع مبدأ الاستفادة القصوى من العمليات الهجومية.

وقد كانت خطة المسلمين في بدر، عدم البدء بالهجوم؛ بل الثبات وصد هجوم المشركين، مع عدم استخدام السهام إلا بعد أن تدنو قوات العدو منهم، ثم تنهال السهام عليهم بكثافة عالية، وتصيب أكبر عدد منهم، وتضعف من قوتهم.

قال الله تعالى آمرا لهم **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الأنفال:45]

كانت إرادة القتال عند المسلمون في بدر عالية، وكثيراً من المشاهد البطولية أظهرت فدائية وحماس رسول الله ﷺ وأصحابه الكرامِ، وقد تزاحم الناس، ودنا بعضهم من بعض للقتال، وكان رسول اللهﷺ يحرض المؤمنين على القتال، ومن ذلك قولهﷺ: **(قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)**، فقام عمير بن الحمام الأنصاري وقال قولته المشهورة، بخ بخ يا رسول الله! ... ثم قاتل حتى قتل فكان أول قتيل[1].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه [2] بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: **(انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ).**

وقد قاتل رسول اللهﷺ قتالاً شديداً، وكان أقرب الناس من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً، ونزّل الله الملائكة بالرحمة والنصر، وقاتلوا المشركين[3]، قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** الأنفال:12

---

[1] السيرة النبوية، لابن هشام (627/1)، وانظر: لابن حزم الظاهري، جوامع السيرة (113/1)، وانظر: للبيهقي ، دلائل النبوة (69/3)، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (182/3).

[2] [مسلم : صحيح مسلم ، الإمارة/ثبوت الجنة للشهيد رقم حديث1901].

[3] السيرة الحلبية (ص190-191).

ثانياً: الاستفادة من العمليات الهجومية في غزوة أُحُد:

يُعتبر إصرار الصحابة يوم أُحُد على الخروج للقتال خارج المدينة، وعدم بقاءهم فيها، دلالة واضحة على الرُّوح القتالية الهجومية العالية لدى الصحابةﷺ في أُحُد، حيث لما جمع رسول اللهﷺ أهل الرأي واستشارهم في الخطة الحربية التي يتبعها، كان رأي الأكثرية من الشباب المتحمس ممن ذاقوا حلاوة النصر في بدر، يضاف إليهم من فاتتهم غزوة بدر، وكانوا يتحرَّقون شوقاً للشهادة بعد قبول القتال داخل المدينة والذهاب لملاقاة العدو خارجها[1].

وقد كان الرسولﷺ يحرِّض أصحابه على القتال ببسالة يوم أُحد، وقد كان قتال الصحابةﷺ بروح هجومية استشهادية، أي مقبلة على الشهادة كحال الاستشهادي الذي يحمل بنفسه منفرداً وسط صفوف الأعداء.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: **(أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ[3]، قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ – أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ –، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ – أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ –، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا)**.

وأخرج مسلم في صحيحه[4] بسنده أيضاً عن أنس بن مالك: **(أنَّ رسولَ اللهﷺ أخذ سيفا يوم أُحُد، فقال: مَن يأخذُ مني هذا؟ فبسطوا أيديَهم– كلُّ إنسان منهم يقول: أنا، أنا– فقال : فمن يأخذه بحقه؟ فأحْجَم القومُ، فقال سِماك بن خَرَشَة، أبو دُجَانَةﷺ: أَنا آخُذُه بحقِّه، قال: فأخذه فَفَلَقَ به هَامَ[5] المشركين)**.

وقد كان لشجاعة أبي دجانةﷺ في ذلك اليوم أثر بارز على جيش الرسولﷺ حيث ارتفعت معنويات المسلمين لقتال الأعداء، فاشتد القتال وزادت ضراوته وظلت سيوف الحق تحصد رؤوس الكفرة، فكان حملة لواء المشركين أول القتلى.

---

(1) لأبي الحسن الندوي : السيرة الحلبية (ص49).

(2) [مسلم : صحيح مسلم ، الجهاد والسير/غزوة أحد(1415/3: رقم حديث 1789).

(3) فَلَمَّا رَهِقُوهُ: أي غَشَوه وقربوا منه، وأرهقه: أي غشيه. قال صاحب الأفعال رهقته وأرهقته أي أدركته قال القاضي في المشارق قيل لا يستعمل ذلك إلا في المكروه قال وقال ثابت كل شيء دنوت منه فقد رهقته. انظر: ابن القطاع، أبي القاسم السعدي: كتاب الأفعال (29/2).

(4) [مسلم : صحيح مسلم ، المناقب/فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة ، 1917/4رقم حديث2470].

(5) ففلق به هام المشركين : أي شق به رؤوسهم ، ويراد بذلك: القتل والإبادة. انظر[مسلم1917/4].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ[1]:"وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا، يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ، وَكَانَ له عصابة حمراء يُعلم بها عند الحرب يعتصب بها، فيُعلم أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ، قَالَ: فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ، أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا ثُمَّ جَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيْلِ

ألاَّ أَقُوم الدَّهْرَ في الكيُّولِ[2] أَضْرِبُ بِسَيفِ اللهِ والرَّسُولِ".

والتبختر في القتال يدل على استصغار شأن العدو، وعدم المبالاة به، وهذا مما يُدخل الرعب في قلوب الأعداء، كما تشتد به عزيمة المسلمين.

قال ابن عبد البر[3]: "وقاتل الناس قتالاً شديداً ببصائر ثابتة، فانهزمت قريش، واستمرت الهزيمة عليهم".

ومن الأبطال الذين أبلوا بلاء حسنا في أُحد: طلحة بن عبيد اللهﷺ فقد قاتل قتالاً شديداً دفاعاً عن رسول اللهﷺ حين انكشف عنه كثير من المسلمين، وكر المشركون على رسول اللهﷺ فأحدقوا به من كل ناحية، وصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه، وعن شماله، ويدور حوله يترس بنفسه دون

رسول اللهﷺ، وإن السيوف لتغشاه، والنبل من كل ناحية وهو يتلقاه بجسمه، فلما رآه يفعلﷺ ذلك قال له: قد أوجب. أي قد أوجب لنفسه الجنة بقتاله وجهاده ودفاعه عن رسول اللهﷺ.

أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده[4] بسنده من طريق عِيسَى بْنُ طَلْحَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَالَت: **(كَانَ أَبُو بكر إِذْ ذكر يَوْم أحد قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لِطَلْحَةَ! ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُ قَالَ: كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أحد، فَرَأَيْت رجلا يُقَاتل فِي سَبِيل الله دونه، وَأَرَاهُ قَالَ: حمية، قَالَ: فَقُلْتُ: كُنْ طَلْحَةَ، حَيْثُ فَاتَنِي مَا فَاتَنِي، فَقُلْتُ: يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَحَبَّ إِلَى، وبيني وَبَين الْمُشْركين رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى**

---

(1) المدني: سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار(326/1)، وانظر: سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا (66/2).

(2) الكَيُّول: مؤخرة الصفوف في الحرب. وَلم يسمع إِلَّا فِي هَذَا الحَدِيث وَهُوَ عَليّ التَّشْبِيه بكيول الزندى، وَهُوَ سَواد ودخان يخرج مِنْهُ آخرا بعد الْقدح إِذا لم يور نَارا، وَذَلِكَ شَيْء لَا غناء فِيهِ.

(3) النمري : الدرر في اختصار المغازي والسِّير، تحقيق الدكتور شوقي ضيف (ص148).

(4) [مسند الطيالسي: أحاديث أبي بكر رضي الله عنه، 8/1 : رقم حديث6]، ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (263/3) وابن حبان في صحيحه (ج3: رقم حديث670) بنحوه، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (96/1). وأورده ابن كثير في السيرة النبوية (58/3).

الحكم على إسناد الحديث: إسناده ضعيف؛ فيه إسحاق بن يحيى بن طلحة التيمي، متفق على ضعفه من الخامسة انظر: لابن حجر، تقريب التهذيب (ص103) وانظر: للمزي ، تهذيب الكمال (389/2).

رَسُولِ اللَّهِﷺ مِنْهُ وَهُوَ يَخْطِفُ الْمَشْيَ خَطْفًا لَا أَخْطِفُهُ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجِرَاحِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ وَقَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وجنته حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمِغْفَرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: "عَلَيْكُمَا صَاحِبَكُمَا" يُرِيدُ طَلْحَةَ وَقَدْ نَزَفَ، فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ، قَالَ: وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَاكَ مِنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: أقسم عَلَيْك بحقى لما تَرَكتنِي، فتركته فكره تنَاولهَا بِيَدِهِ فَيُؤْذَى رَسُولُ اللَّهِﷺ فأزم عَلَيْهَا بِفِيهِ، فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلْقَتَيْنِ وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ، وَذَهَبْتُ لِأَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي لَمَا تَرَكْتَنِي. قَالَ: فَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ فَكَانَ

أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتْمًا[1]! فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِﷺ، ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَةَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْجِفَارِ فَإِذَا بِهِ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ مِنْ بَيْنِ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ وَضَرْبَةٍ، وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ أُصْبُعُهُ، فَأَصْلَحْنَا مِنْ شَأْنِهِ).

ومن هؤلاء الكرامﷺ الصَّحَابي الجَلِيل الحُبَابُ بنُ المُنذرﷺ، حامِل لِوَاء الخَزْرج في أُحُد، والذي كَانَ يحْمِلُ عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وهم يَهْرُبُونَ مِنْهُ، وكان يَحُوشُهُمْ يَوْمَئِذٍ كَمَا تُحَاشُ الْغَنَمُ.

عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ، قَالَ: **(حَدّثَنِي مَنْ نَظَرَ إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ، وَإِنّهُ لَيَحُوشُهُمْ يَوْمَئِذٍ كَمَا تُحَاشُ الْغَنَمُ، وَلَقَدْ اشْتَمَلُوا عَلَيْهِ حَتّى قِيلَ قد قُتِلَ، ثُمّ بَرَزَ وَالسّيْفُ فِي يَدِهِ وَافْتَرَقُوا عَنْهُ، وَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وَإِنّهُمْ لَيَهْرُبُونَ مِنْهُ إِلَى جَمْعٍ مِنْهُمْ، وَصَارَ الْحُبَابُ إِلَى النّبِيّﷺ، وَكَانَ الْحُبَابُ يَوْمَئِذٍ مُعْلِمًا بِعِصَابَةٍ خَضْرَاءَ..)**[2].

وتُحدثنا كُتُب السيرة النبوية عن المعنويات العالية وصورها المتعددة، ومن هذه الصور ما جاء في المغازي للواقدي وسيرة ابن هشام في تنافس الصبيان في الخروج لقتال المشركين وتدافع الناس، إلا أن رسول الله قد رد الصبيان الذين لم يتجاوزوا في أعمارهم خمسة عشر عاماً[3].

---

[1] هَتْمًا: يُقَالُ لِمَنْ انْقَلَعت ثُنْيتاه أَهْتَم. انظر: ابن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي (489/2).

[2] الواقدي: المغازي (257/1)، وانظر: لابن هشام، السيرة النبوية (430/1)، وانظر: المقريزي، امتاع الأسماع، (1/ 158).

[3] **يقول الواقدي:** "وَمَضَى رَسُولُ اللّهِﷺ حَتّى أَتَى الشّيْخَيْنِ فَعَسْكَرَ بِهِ. وَعُرِضَ عَلَيْهِ غِلْمَانٌ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَالنّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ، وَعَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَرَدّهُمْ. قَالَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَقَالَ ظُهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّهُ رَامٍ وَجَعَلْت أَتَطَاوَلُ وَعَلَيّ خُفّانِ لِي. فَأَجَازَنِي رَسُولُ اللّهِﷺ. فَلَمّا أَجَازَنِي قَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ لِرَبِيبِهِ مُرَيّ بْنِ سِنَانٍ الْحَارِثِيّ، وَهُوَ زَوْجُ أُمّهِ يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولُ اللّهِ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَرَدّنِي، وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ. فَقَالَ مُرَيّ بْنُ سِنَانٍ الْحَارِثِيّ: يَا رَسُولَ اللّهِ رَدَدْت ابْنِي وَأَجَزْت رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَابْنِي يَصْرَعُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِﷺ:"تَصَارَعَا فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعًا " فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللّهِﷺ – وَكَانَتْ أُمّهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ".انظر:[للواقدي ، المغازي/غزوة أحد216/1].

يقول الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس[1]:"إن هذا التنافس عند الشباب وهم في عمر الزهور، فيم يتنافسون؟ وماذا يريدون؟ إنهم يتنافسون على الموت ولا يكترثون بهذه الحياة الدنيا، مع أن الشباب غالباً ما ينزعون إلى اللهو في فترة شبابهم، ولكنهم يتنافسون على الموت، عزفت نفوسهم عن الدنيا والتعلق بها، لأن العقيدة الإسلامية تغلغلت في شغاف قلوبهم حررتهم من حب الدنيا، واللهث وراء ملذاتها وبهرجها، وربطتهم بالحياة الآخرة التي هي دار مقام حقا، وهذه العقيدة حررتهم من الخوف على الأجل وحررتهم من الخوف على الرزق، لأنها قد غرست في قلوبهم أن عمر الانسان محدود لا تنقصه الجرأة والاقدام في القتال، ولا يزيده الجبن والتقاعس لحظة واحدة، وأيقنوا بفضل هذه العقيدة أن الرزق بيد الله، ولا يملك واحد في الدنيا أن يزيد في رزق أحدهم شيئاً أو ينقص، وأن اقدامهم وجرأتهم في القتال لا تنقص من رزقهم حبة خردل، وتقاعسهم ع القتال لا يزيد في رزقهم أو آمالهم شيئاً، واذا كان الأمر كذلك، فلا نامت أعين الجبناء، ولا كان الجبن ولا كان الجبناء".

ثالثاً: الاستفادة من العمليات الهجومية بالهجوم على بني قريظة فور الانتهاء من الأحزاب:

جاء الأمر الرباني إلى رسول اللهﷺ بأن يخرج لقتال يهود بني قريظة، بعد نقضهم العهد الذي بينهم وبين رسول اللهﷺ، وتآمرهم مع الأحزاب ضد المسلمين. وهذا التحرك العسكري تجاه بني قريظة ينسجم مع تحقيق المبدأ العسكري العام (أفضل الدفاع الهجوم).

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: **(ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّﷺ إِلَيْهِمْ)**.

وأخرج البخاري أيضاً في صحيحه[3] بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **(قَالَ النَّبِيُّﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ)**.

وتحرك الجيش الإسلامي نحو بني قريظة أرسالاً حتى تلاحقوا بالنبيﷺ، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ثلاثون فرساً، فنازلوا حصون بني قريظة، وفرضوا عليهم الحصار ... إلخ.

---

[1] أبو فارس : في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد (ص40).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، المغازيي/مرجع النبيﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم5/ 111، رقم حديث4117].

[3] [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/مرجع النبيﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، 111/5، رقم حديث 4119].

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ أَنَسٍ‌رضي الله عنه قَالَ: **(كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ، سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ‌ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ).**

وهنا نلحظ قوة المسلمين بسرعة استجابتهم لنداء رسول الله‌ﷺ بالتحرك تجاه بني قريظة، وكيف كان نشاطهم وخفتهم عند النفير للجهاد في سبيل الله تعالى.

يقول العميد الركن فاروق حسين آغا[2]: "امتاز المسلمون الأوائل بنشاط فائق وخفة في الوزن وسرعة في الحركة. كانوا خفيفي الأثقال يألفون خشونة العيش وشظفه، يكفيهم الكفاف ويتجافون عن الترف ويألفون سكن البادية. كانوا نحيفي الأجسام ضامري البطون تنهب خيولهم بهم الأرض نهباً، وكان امتيازهم بسرعة الحركة قد عوض عليهم الحماية بالتدرع حيث إن أمان المقاتل هو أفضل إذا كان سريع الحركة منه إذا كان كثيف التدرع وثقيل الحركة، فكان المقاتل يدور حول خصمه في خفة وسرعة فينقضَّ عليه من حيث يختار ومن حيث يمكنه الانتصار عليه. هكذا كان شأن المقاتل المسلم".

المطلب الثامن: مبدأ الانتشار:

يتوجب على المدافع أن ينشر قواته بطريقة، يكون فيها أقل ضرراً أمام كافة أسلحة العدو، ويتوقف حشد القوات المنتشرة في زمان ومكان مناسبين، على مدى تحرك الوحدات المدافعة، والتي بدون أدنى شك سوف يتضاعف في هذه الحالة معدل ضررها لهذا يترتب على القائد أن يوازي بين الانتشار والحشد، وفقاً للمهمة ووضع الأرض ، وذلك لكي يكون هناك قدرة قتالية مناسبة مع المهمة، وأيضاً للوقاية من الضرر أمام العدو.

ويُركز القائد جلّ اهتمامه على أصل الانتشار، ويبني تخطيطه على الدفاع المحلي بمجموعات صغيرة، فالانتشار السليم والتحصين القوي والارتباط الوثيق لهذه المواقع يزيد من فعالية نيراننا ويقلل من فعالية نيران العدو[3].

وقد طُبِّق هذا المبدأ باهتمام كبيرعند قادة الإسلام العسكريين وعلى رأسهم رسول الله‌ﷺ وأصحابه الكرام‌رضي الله عنهم في غزواتهم ومعاركهم؛ نذكر من ذلك الشواهد التالية:

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/مرجع النبي‌ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، 111/5، رقم حديث4118].

[2] فاروق حسين آغا: الإعجاز العسكري في القرآن(ص29)، بتصرف (قليل من الاختصار).

[3] تكتيك الدفاع (ص13).

أولاً: الانتشار في غزوة بدر الكبرى:

تم تطبيق مبدأ انتشار المقاتلين المسلمين في معركة بدر، حيث تم توزيعهم كالتالي:

1) عندما تحركت قوات المسلمين من المدينة المنورة تجاه بدر، راعى رسول اللهﷺ مبدأ الإنتشار وذلك لضمان تأمين القوات، مجزئين إلى أقسام وفق التالي: (دورية استطلاعية في المقدمة، تشكيل قتالي مكون من كتيبتين: كتيبة للمهاجرين وكتيبة للأنصار، مؤخرة بإمرة قيس بن أبي صعصعة)[1].
2) انتخاب مقر قيادة المعركة وهو موضع للرسولﷺ مشرف على منطقة القتال في بدر، وقد بُنى فيه – العريش– وكُلف العديد من الصحابة بحراسة هذا المقر.
3) ترتيب المقاتلين على شكل صفوف، وقد ساوى الرسولﷺ بين الصفوف، بعد أن شجع أصحابه وحرّضهم على الصبر في القتال، وبذلك استطاع النبي السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارئ.
4) أمر الرسولﷺ أصحابه أن يصدوا هجمات المشركين وهم مرابطون في مواقعهم، حيث قال لهم: (إذا دنا القوم منكم، فانضحوهم بالنبل)[2].

ومن خلال ما سبق نجد أن المسلمين دخلوا المعركة بالانتشار الآنف الذكر: مقر قيادة كامل، وسيطرة لقائد واحد، وأسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل، هو أسلوب الصفوف[3]؛ وبهذا الانتشار للقوات استطاع الرسولﷺ أن يُحدث توازناً في القوى رغم عدم تكافؤها، وأن يُباغت قريشاً ويُحقق انتصاراً.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب[4]:"إن تطبيق الرسولﷺ لأسلوب الصفوف في معركة بدر، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين؛ والتاريخ العسكري يحدثنا بأن سر انتصار القادة العظام.., هو أنهم طبقوا أسلوباً جديداً في القتال غير معروف أو قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة، وقد استعرض الرسولﷺ أصحابه قبل القتال، فعندما رآهم يتزاحمون ويدنو بعضهم من بعض جعلهم صفوفاً".

---

(1) الظاهري : جوامع السيرة (83/1)، وانظر: للواقدي، المغازي (26/1)، سيرة ابن هشام (12/1)، وانظر: الأصبهاني، أخلاق النبي وآدابه(423/2)، و خطاب الرسول القائد (ص103).

(2) صحيح السيرة النبوية برواية أخرى وبنفس المعنى (ص239).

(3) أسلوب الصفوف ، تقدم تعريفه في مبدأ الدعم المتبادل.

(4) خطاب : الرسول القائد (ص110).

ثانياً: مبدأ الانتشار في غزوة أُحد:

جرى توزيع المقاتلين المسلمين في أُحُد وفق العمل بمبدأ الانتشار للقوات، وذلك وفق الترتيب التالي:

1) نظم الرسولﷺ أصحابه صفوفاً للقتال بأسلوب (الصف)، وتخير الأشداء ليكونوا طليعة الصفوف.
2) تكليف خمسين من الرماة بإمرة عبد الله بن جبير بالتموضع على الجبل، وكان هدفه من وضع هذه القوة هو حرمان العدو من الالتفاف على قواته من الخلف، ولتكون هذه القوة قاعدة أمينة لقواته، تحمي ظهرها وتستند إليها وتستر انسحابها عند الحاجة.
3) لم يكتف النبيﷺ بالانتشار على أرض أُحُد فحسب؛ بل راعت خطته الانتشار والدفاع عن المدينة المنورة، وذلك بتحصينها وضمان سلامتها من خلف خطوط القتال، ومن ذلك توجيهه لبعض الصحابة للحفاظ على سلامة المدينة[1].

أخرج الإمام البيهقي في دلائل النبوة[2] من **حديث موسى بن عقبة قولهﷺ: (فَامْكُثُوا وَاجْعَلُوا الذَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ فِي الْأَزِقَّةِ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ)**، وَكَانُوا قَدْ شَكُّوا أَزِقَّةَ الْمَدِينَةِ بِالْبُنْيَانِ حَتَّى صَارَتْ كَالْحِصْنِ.

أثر مخالفة تطبيق مبدأ الانتشار في معركة أُحد:

وقعت الهزيمة بالمسلمين عند مخالفة تطبيق هذا المبدأ أثناء سير المعركة، وذلك عندما ترك الرماة مواضع انتشارهم التي كلفهم بها قائد المعركة العام الرسول[3]ﷺ.

وقد أخطأ الرماة في مخالفتهم أوامر النبيﷺ، وعدم تقيدهم بمبدأ الانتشار والبقاء على مهمتهم التي كلفهم بها النبيﷺ، حيث شكّل انسحابهم من مواضعهم خللا تكتيكاً كبيراً أثَّر على نتائج المعركة بصورة عكسية؛ وذلك بمجرد تحرك خالد بن الوليد واستغلاله لهذا الخطأ التكتيكي القاتل حيث استطاع ضرب مؤخرتهم، وتطويق المسلمين.

وهذا الخلل الذي وقع من الرماة، مَكّنَ خَالد بن الوَليد من استهداف جَمع المسلمين وقيادتهم، وتَمَكّنوا من الوصول إلى الرسولﷺ بضرباتهم ورماياتهم، فوقع عليه الصلاة والسلام وأغمي عليه وقد شج وجهه،

---

(1) لابن هشام : السيرة النبوية (43/2)، وانظر: للواقدي، المغازي (460/2)، و لابن سعد الطبقات الكبرى (67/2).

(2) أخرجه أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي ، باب سياق قصة خروج النبيﷺ (206/3)، وفي البداية والنهاية، لابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي باب غزوة أحد في شوال سنة ثلاث (12/4) ، وأورده ابن كثير في السيرة النبوية (24/3).

(3) سيرة ابن هشام (78/2)، وانظر: سيرة ابن اسحاق(327/1)، وانظر: للواقدي، المغازي (229/1-230)، وانظر: السيرة النبوية دروس وعبر، لمصطفى السباعي، (ص115).

وخدشت ركبته، وجرحت شفته السفلى، وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتا المغفر في وجنته فتكاثروا عليه يريدون قتله. واستشهد حمزة عم الرسولﷺ، بالإضافة إلى 70 شهيداً من المسلمين[1].

إن مخالفة الأوامر في معركة أُحد يعتبر درساً مهماً، وإن نتائجها المعروفة كافية لغرس هذا الدرس في النفوس.

ثالثاً: مبدأ الانتشار في غزوة الأحزاب:

جرى توزيع المقاتلين المسلمين في الأحزاب وفق العمل بمبدأ الانتشار للقوات، وذلك وفق الترتيب التالي:

1) أثناء اعداد الخطة الدفاعية، أمر الرسولﷺ بحفر الخندق، ووزع أعمال الحفر بالتساوي بين أصحابه، وجرى توزيع المجاهدين العاملين في حفر الخندق على طول خط الجبهة المراد حفر الخندق فيها، وكان الرسولﷺ يتابع الإنجاز للأعمال بنفسه، وقد سيطر على العمل، فلا يستطيع أحد ترك واجبه إلا بأمر منه، حتى أنجز أعمال حفر الخندق قبل وصول المشركين إلى المدينة المنورة[2].

2) بعد حفر الخندق قام الرسولﷺ باستعراض جيشه وتنظيمه، فقسّم الجيش إلى فرقتين:
   - المهاجرين وأعطى لواءهم لمولاه زيد بن حارثة.
   - الأنصار وأعطى لواءهم لسعد بن عبادة.

وكانت أغلبية الجيش تتألف (كما هي العادة) من الأنصار[3].

3) أثناء توزيعهم على خط الجبهة احتل المسلمون مواضعهم خلف (الخندق) واستفادوا من مناعة جبل (سلع) لحماية ظهورهم وجناحهم الأيسر من التفاف الأحزاب من ذلك الاتجاه لقطع خط رجعتهم إلى المدينة المنورة وضربهم من الخلف وتطويقهم، كما استفادوا من وعورة حرة الوبرة لحماية جناحهم الأيسر، ووعورة حرة واقم لحماية جناحهم الأيمن، والحرة الجنوبية لحماية مؤخرتهم[4].

---

[1] سيرة ابن إسحاق (327/1)، وانظر: سيرة ابن هشام (78/2)، وانظر: السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر (ص115) وانظر: فاروق حسين آغا، الإعجاز العسكري في القرآن الكريم، (ص73).

[2] لابن حزم الظاهري: جوامع السيرة (148/1)، وانظر: للماوردي، أعلام النبوة (116/1)، وانظر: العمري، صحيح السيرة (421/2).

[3] طبقات بن سعد (67/2)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر (88/2)، وانظر : محمد أحمد باشميل، من معارك الإسلام الفاصلة غزوة الأحزاب (ص166).

[4] لابن سيد الناس: عيون الأثر (86/2).

4) قسَّمﷺ واجبات احتلال الموضع بين أصحابه، بحيث لا يغفل أحد عن شبر من الخندق ليلاً ونهاراً، على الرغم من برودة الطقس؛ وكانﷺ لا يترك مقرّه إلا ليقوم بتفتيش الحرّاس والمواضع الدفاعية وليحرض المؤمنين على القتال ويرفع من معنوياتهم(1).

5) تركز الجزء الأكبر من انتشار القوات المسلمة (شمال المدينة) خلف الخندق، وقد تحصّن المسلمون وراء الخندق الواسع العميق، ذلك لأنها المنطقة الوحيدة المكشوفة من المناطق المحيطة بالمدينة المنورة؛ إذ أن جهات المدينة الأخرى محاطة بالبساتين الكثيفة والعوارض الطبيعية الأخرى، وذلك يحول دون إمكان إجراء القتال بقوات كبيرة في أطراف المدينة عدا الشمالية منها[2].

6) جمع الرسولﷺ النساء والأطفال في بيوت قوية البنيان في منطقة آمنة داخل المدينة، وذلك للإفادة من مناعتها في حمايتهم، حيث هجروا البيوت الواهنة التي لا تساعد على الحماية والدفاع، وأمّن الرسولﷺ حرساً قوياً للذراري الذين تركهم في دور المدينة(3).

7) انتخب الرسولﷺ لحراسة المدينة قوة خاصة قسّمها إلى فصيلتين: فصيلة أعطى قيادتها لزيد بن حارثةﷺ، والأخرى أعطى قيادتها لِسَلَمَةَ بنُ أَسْلَمﷺ، وأمر هاتين الفصيلتين بأن تقوما بأعمال الدورية والحراسة داخل المدينة وعلى مشارفها وخاصة ناحية الجنوب حيث تقع منازل بني قريظة الذين لم يكن المسلمون على ثقة منهم بالرغم من الحلف العسكري المعقود بين الفريقين[4].

8) تعيين أمير للمدينة بالنيابة: حيث أصدرﷺ مرسوماً عيَّن بموجبه ابن أم مكتوم ليكون أميراً على المدينة حتى تنتهي معركة الأحزاب، ولم يثبت ذلك في حديث صحيح لكنه مما يتساهل في قوله[5].

9) استكمالاً وإتماماً لانتصار المسلمين في الخندق تحرك ثلاثة آلاف من المسلمين بقيادة الرسول

---

[1] الرسول القائد (ص237).

[2] لابن سعد: الطبقات الكبرى (51/2)، وانظر: للواقدي، المغازي (454/2)، وانظر: الصحيحة أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية (420/2).

[3] لابن حزم الظاهري، جوامع السيرة (148/1)، وانظر : صالح زهر الدين، موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى عام 1968 (ص44).

[4] لابن سعد، الطبقات الكبرى (51/2)، للواقدي، المغازي (460/2)، وانظر: محمد أحمد باشميل، غزوة الأحزاب (ص167).

[5] لابن هشام: السيرة النبوية (716/3-717)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر (86/2)، وانظر: محمد أحمد باشميل، من معارك الإسلام الفاصلة غزوة الأحزاب (ص167).

تجاه بني قريظة لمحاسبتهم على غدرهم بالمسلمين في أشد أوقاتهم حرجاً[1].

10) بقي أن نُشير إلى تميز انتشار المسلمين بالضبط والسيطرة ووحدة القيادة؛ وهذا لم يكن موجوداً عند الأحزاب بل كانت على خلاف ذلك.

يقول اللواء الركن خطاب(2)**:**"لم تكن للأحزاب قيادة موحدة تستطيع السيطرة على جميع القوات المتجمعة، وتوجيهها للعمل الحاسم في الوقت الحاسم. كان لكل قبيلة قائد بل عِدَّة قُوَّاد، ولم يستطع هؤلاء القادة تنظيم خطة موحدة للهجوم على المسلمين. وقد كان من المستحيل اتفاقهم على قائد منهم ليسيطر على الجميع لأن هذا القائد سينال شرفاً عظيماً يتميز به على الآخرين، ولا يمكن للآخرين أن يرضوا بهذا التمّيز".

المطلب التاسع: مبدأ الاستفادة من الوقت المتوفر.

يجب على القائد العسكري أن يدرس الأرض دراسة كاملة، لإعداد وتحضير أعمال الدفاع، وفق خطة زمنية محددة، لذلك فإن لمقدار الزمن المتوفر دور في إعداد الدفاع، وتحضير المواضع، وتوزيع النيران، وتعيين أولوية وتنفيذ المهام. والدفاع لا يتأثر فقط بطول المدة الزمنية المتوفرة، بل بكيفية تقسيم هذا الزمن والاستفادة الصحيحة منه، وهذا يحوز على أهمية في مجال التخطيط والإعداد [3].

وقد تم الاستفادة من الوقت بصورة كبيرة وعظيمة في الغزوات الدفاعية (بدر، أُحُد، الخندق)، وتوضيحه كما يلي:

أولاً: الاستفادة من الوقت في معركتي بدر وأحد:

كان للمسلمين السَّبق في الوصول لأرض المعركة في كلا المعركتين (بدر وأحد)، وقد ساعدهم ذلك في وضع خطة المعركة ميدانياً، من خلال دراسة الأرض وتحضير خطة الدفاع وانتشار المقاتلين وتموضعهم على المحاور الحيوية والأماكن الحاكمة وفق الخطة.

ففي بدر استفاد الرسولﷺ من نزوله المبكر على أرض بدر قبل قريش، حيث اختار مسرح العمليات الذي يناسبه وحجز الآبار، واختار موضعاً للعريش، كما اختار الرسولﷺ وقت الصباح للقتال؛

---

[1] لابن سعد: الطبقات (51/2)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر (68/3)، وقد انفرد ابن سعد بذكر عدد جيش المسلمين وعدد خيلهم دون إسناد.

[2] الرسول القائد (234-235).

[3] تكتيك الدفاع (13).

وذلك حتى يستفيد منه، إذ جعل الشمس في عيون المشركين[1].

وفي أُحُد انتخب الرسولﷺ أَحْصَنَ بقعة ملائمة قريبة من المدينة، وهي جبل أُحد وشعب الجبل، جاعلاً ظهر جيشه إلى أصل الجبل، ووزع قواته من الرماة وغيرهم بين حصون الطبيعة، بما يتناسب مع تعزيز قوته والسيطرة على مسرح المعركة.

وبذلك استطاع المسلمون الاستفادة من الوقت المتوفر لتهيئة مقاتليهم وفق خطتهم، وإجبار عدوهم على القتال، وفق خطتهم الموضوعة والمجهزة؛ الأمر الذي رفع نسبة الجهوزية القتالية الدفاعية لصالح المسلمين.

ثانياً: الاستفادة من الوقت في معركة الخندق:

استغرق حفر الخندق أسبوعين فقط[2]، وهذا الزمن قياسي جداً مقارنة مع حجم وطول واتساع الخندق الذي أُنجز، وقد تم الاستفادة من الوقت بشكل كبير، حيث وفر ذلك التأمين العام للقوات المسلمة.

كما أدى إلى تحقيق مبدأ المباغتة عند الأحزاب، وأفقدهم الفرصة الثمينة التي لن تعود إليهم مرة أخرى؛ فإذا لم يستطع المشركون بعد تجمُّعِهم الضخم هذا أن يقضوا على المسلمين، فلن يستطيعوا القضاء عليهم بعد تفرُّقِهم[3].

ورغم قلة الوقت أمام المسلمين، إلا أن الرسولﷺ نجح في إتمام خطته الدفاعية، قبيل وصول الأحزاب على مشارف المدينة، حيث استغل الوقت جيداً عندما قسم القوات إلى مجموعات ووزع عليهم مهام حفر الخندق، وكلف كل عشرة منهم بإنجاز أربعين ذراعاً[4].

قلت: إن انتهاء المسلمين من حفر الخندق خلال أيام معدودة رغم طول المسافة، من غرب الحرة الشرقية إلى شرق الحرة الغربية – أي ما يقرب من ثلاثة آلاف متر أو تنقص قليلاً –، أضف إلى ذلك

---

(1) لابن هشام: السيرة النبوية (192/2)، وانظر: المدرسة العسكرية النبوية (ص306)، الرسول القائد (ص85-86)، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ص306).

(2) هناك خلاف بين أصحاب السّير والتاريخ، على المدة الزمنية التي استُغرقت لحفر الخندق، لكن على الأرجح كما في اثبت الأقاويل: أنها كانت خمسة عشر يوما، وذلك كما ذكره الحلبي وقال: (به جزم النووي رحمه الله في الروضة). انظر : لعلي بن برهان الدين الحلبي السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (636/2).

(3) الرسول القائد (ص234).

(4) لم تثبت في ذلك رواية صحيحة من الناحية الحديثية، ولكن وردت آثار ضعيفة يمكن الإفادة منها مثل: دلائل النبوة، للبيهقي(ج3/ص418) ، وتفسير الطبري(ج21/ ص33)، ومدار الروايات على كثير بن عبد الله بن عمرو المزني وهو ضعيف. وانظر: السيرة النبوية لابن كثير(ج3/ص192)، وانظر: إمتاع الأسماع(ج13/ ص291)، وعيون الأثر، لابن سيد الناس (ج1/ص210).

عرض الخندق الذي لا تستطيع أن تتجاوزه الفرس المدرَّبة، مع وجود العمق الذي لا يستطيع الفارس إذا نزل أن يصعد منه، أو الرجل أن يصعد منه، وكل ذلك خلال أيام معدودة !! لا شك أن هذا في ميزان ذلك الوقت يعتبر أمراً صعباً جداً؛ وهذا يعكس كم كانت همَّة النبيﷺ وأصحابه﷾ وجدّهم، وقوة تفاعلهم جميعاً في إعداد خطتهم الدفاعية.

المطلب العاشر: مبدأ تحضير وتنسيق الخطط الدفاعية.

يتوقف النجاح في إدارة وتنفيذ الدفاع على كيفية إعداد وتنسيق الخطط الدفاعية. والخطة العامة للدفاع لا بد أن تشمل:

1) خطة استخدام القوات
2) خطة النيران
3) بقية الخطط: كالهندسة، والموانع، والدفاع الجوي، ومضاد الدروع.
4) الخطط الفرعية: كالهجوم المضاد، والهجوم الإيذائي، وخطة الانسحاب [1].

يقول الدكتور محمد أبو فارس[2]: "والمخطط الناجح حين يريد أن يضع خطة، لمعركة من المعارك يخوضها سواء كانت هجومية أو دفاعية، يجب أن يحصل على معلومات مستفيضة دقيقة عن أحوال العدو وقدراته وسلاحه، ومن باب أولى يجب أن يعرف معرفة شاملة وتامة عن جنوده وسلاحهم وكفاءاتهم الفنية والعملية والتدريبية".

ومن خلال تحليل الغزوات الدفاعية (بدر، وأُحُد، والخندق) وجد الباحث أنّ الرسولﷺ وأصحابه الكرام﷾ كانوا يُراعون جيداً هذا المبدأ الدفاعي الهام؛ فقد كان يخطط لكل عمل يريد أن يقوم به، فيختار الوقت المناسب، والظرف المناسب، والمكان المناسب، والرفيق المناسب، والسلاح المناسب، ويفرغ جهده في التخطيط والأخذ بالأسباب ثم يدع النتائج إلى الله عز وجل، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أولاً: خطة استخدام القوات:

تنظيم الجيش من الأمور الهامة التي يسعى إليها القائد لأنه بدون التنظيم تدب الفوضى في الميدان وتعوج الصفوف وتتعثر الأوامر، ويساعد ذلك على التفكك وعدم الانضباط؛ لذلك حرص على حسن تنظيم الجيش الإسلامي واستخدام قواته بصورة مثالية[3]، ومن ذلك ما يلي:

---

[1] تكتيك الدفاع (ص13).

[2] المدرسة العسكرية النبوية (ص90).

[3] لعبد العزيز بن محمد هنيدي: العسكرية في الاسلام في ضوء ما ورد في القرآن الكريم، جائزة الأمير سلطان الدولية في

1) استخدام القوات في غزوة بدر:

يلاحظ أن النبيﷺ في غزوة بدر قد خطط للتوزيع الآمن والفعّال لقواته، فاختار الموقع العسكري الناجح لجيشه بعد إشارة الحباب بن المنذر، وقد اختار المكان المتفوق الذي يقوي مركزه القتالي ويُضعف مركز عدوه؛ إذ جعل الشمس في عيون المشركين، واختار وقت الصباح لذلك القتال. وعبأ النبي جنوده للقتال وحضهم عليه، واستخدم أسلوباً جديداً في القتال هو أسلوب الصف، بينما اعتمدت قريش على أسلوب الكر والفر، وقد أشرف الرسولﷺ بنفسه على تعديل صفوف المقاتلين، وبذلك استطاع النبي السيطرة على قوته والاحتفاظ باحتياط للطوارئ[1].

2) استخدام القوات في غزوة الخندق:

استفاد النبيﷺ جيداً من الاستثمار الأمثل للقوات، من حيث توزيعهم على طول خط الجبهة، وتكليف الجميع بالمشاركة في إعداد الخطة الدفاعية وحفر الخندق، فالجميع يعملون بجدّ وفاعلية، وليس هناك أحد أفضل من الآخر، ولا يوجد بينهم كسلان أو متهاون، وكانﷺ يعطي كل عشرة من الصحابة مسافة أربعين ذراعاً، وعندما ينتهون منها يأخذون غيرها وغيرها وهكذا.

بل كانﷺ وهو النبي المطاع والحاكم لدولة المدينة، والقائد الأعلى لجيش المسلمين، ينزل بنفسه ليحفر مع المسلمين، لا يشرف على الحفر فقط! وإنما يقوم بالحفر بنفسه، فيضرب بالمعول بنفسه، ويأخذ التراب بنفسه، وكشف عن بطنه حتى لا تعوقه الملابس عن الحركة، والصحابة لا يرون بطنه من التراب الذي غطَّاه.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عن جابرﷺ قال: **(إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ[3]، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ..).**

ولم يكتف الرسولﷺ بحفر الخندق، بل جمع الصحابة الثلاثة آلاف[4] الذين اشتركوا في الحفر،

حفظ القرآن للعسكريين (ص98).

(1) لابن هشام: السيرة النبوية (196/1)، المدرسة العسكرية النبوية (ص306)، الرسول القائد (ص85ـ86)، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ص306).

(2) [البخاري: صحيح البخاري ،المغازي/غزوة الخندق وهي الأحزاب108/5: رقم حديث4101].

(3) أهْيَل، أو أهْيَم: أي صار رملاً سائلاً لا يتماسك. لأبي السعادات، النهاية في غريب الأثر (677/5).

(4) **ذكر بن اسحاق وجمهور علماء السيرة: أنهم ثلاثة آلاف مقاتل.** انظر: سيرة ابن هشام (215/2)، وتفسير الطبري (129/21ـ130)، من مرسل عروة وغيره، وفتح الباري (393/7)، من طريق أبي اسحاق بأسانيده. **وجزم ابن حزم أنهم**

ونظّم نقط حراسة للخندق، وفرق قتال وكتائب مقاومة؛ ليمنع المشركين من تخطي الخندق تحت أي ظرف[1].

وهذا أيضاً ينسجم مع مراعاة خطة استخدام القوات من حيث توزيعها، وخطة استخدام النيران من حيث مواضع الرمايات وأولويتها.

وقد قَسَّم الرَّسول القائدﷺ منطقة الحفر على أصحابه، لكل عشرة منهم أربعون ذراعاً (ما يعادل 28متر)، وعمل هو بالحفر أيضاً، وقد اجتهد صاحب كتاب التاريخ العسكري الإسلامي بعد تحليل ودراسة لأبعاد الخندق فوصل إلى تسجيل التقديرات والأبعاد التالية[2]:

الأبعاد	المسافة بالذراع	المسافة بالمتر
الطول	5 آلاف	3500
العرض	9 فما فوق	ستة ونصف فما فوق
العمق	10.7	7.5

وحتى يُدرك حجم العمل الذي أداه المسلمون، بقيادة الرسولﷺ، والاستخدام الأمثل لعمل القوات، ومقدار الجهود التي بذلوها؛ فإنه لو قُسّم طول الخندق الكلي 3500م، على عدد أفراد جيش المسلمين، وهو ثلاثة آلاف مقاتل، لكان نصيب الفرد الواحد من العمل في الحفر (1.666 متر) من الجبهة.

3) استخدام القوات في الخدمات القتالية كالسُّقيا، والتموين، والتطبيب:

كان الرسولﷺ يجيد استخدام قواته بكافة أصنافهم وقدراتهم المختلفة، ومن ذلك استغلال النساء في المعارك القتالية، حيث كان يُسند أمر السُّقيا ومُداواة الجرحى إلى الصحابيات رضوان الله عليهنّ.

سبعمائة فقط، وقد بنى ذلك على أساس أن المسلمين كانوا سبعمائة بأحد وبينها وبين الخندق في رأيه سنة واحدة فمن أين صار للمسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، انظر: جوامع السيرة (ص178).

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: "رأي ابن حزم الذي جزم بصحته لا يصح، فالذين شهدوا الوليمة وحدهم في بيت جابر بن عبد الله كانوا ألفاً كما في الحديث الصحيح. والذين كانوا يقومون بالدوريات لحراسة المدينة كانوا خمسمائة، فكيف يكون سائر الجيش تسعمائة!!. وما بين أحد والخندق سنتان وقد كبر من الصبيان عدد ممن لم يشهدوا أحداً لصغر سنهم، وقام المسلمون بنشاط كبير في الدعوة إلى الإسلام رغم الأخطار، وكانت الهجرة إلى المدينة تعقب دخول الإسلام، فلا غرابة إذا ما زاد عدد جيش المسلمين".انظر: السيرة النبوية الصحيحة (426/2).

ويميل الباحث إلى ما ذهب إليه الدكتور العمري.

[1] لابن سعد : الطبقات الكبرى (76/2).

[2] العسكري اكاديمية فلسطين العسكرية : التاريخ (ص27).

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: **(كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ نَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ[2]، وَنَرُدُّ[3] القَتْلَى وَالجَرْحَى إِلَى المَدِينَةِ).**

وأخرج مسلم في صحيحه[4] بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: **(كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى).**

ثانياً: خطة استخدام النيران:

في صدر الإسلام كانت الأسلحة تقتصر على الرماح والسهام، وغيرها من الأسلحة التي تُرمى عن بُعد، ثم تطورت حتى أصبح هناك مقذوفات نارية ترمى بالمنجنيقات، إلى أن اخترعت الأسلحة النارية التي تعمل بالبارود بدءاً بالرصاصة وانتهاءً بالصواريخ عابرة القارات، إلى غير ذلك من الأسلحة غير التقليدية كأسلحة الدمار الشامل.

وقد كانت الرماية محط اهتمام النبيﷺ، فقد وردت الأحاديث التي تبيّن العناية النبوية بالحث على تعلم وتعليم الرماية والقنص والمداومة عليها.

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: **(مَرَّ النَّبِيُّﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ[6] فَقَالَ النَّبِيُّﷺ ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ قَالَ فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ قَالُوا كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ قَالَ النَّبِيُّﷺ ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ).**

وقد كانت التوجيهات النبوية عند المواجهة مع الأعداء تقضي بمراعاة خطة النيران، وتنظيم عملية توزيع الأسلحة بما يخدم تحقيق الكفاءة النارية من أنواع الأسلحة المختلفة، ومن ذلك ما يلي:

---

(1) [البخاري : صحيح البخاري، الطب/هل يُداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل،122/7 : رقم حديث 5679].

(2) نَخْدُمُهُمْ: بإعداد الطعام ونحوه. انظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري (122/7).

(3) وَنَرُدُّ: ننقلهم ليُدفن القتلى ويداوى الجرحى، وخروج المرأة إلى الغزو للقيام بمثل هذه الأعمال مشروط بما إذا لم يوجد من يقوم بها من الرجال زيادة عمن يحتاج إليه للأعمال القتالية. انظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في صحيح البخاري (122/7).

(4) [مسلم : صحيح مسلم ، الجهاد والسير/غزو النساء مع الرجال،1443/3 : رقم حديث1810].

(5) [البخاري : صحيح البخاري ، الجهاد والسير/التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}رقم حديث2899].

(6) يَنْتَضِلُونَ: يرتمون بالسهام ويتسابقون في الرمي. ابن منظور، لسان العرب: (665/11)، وابن الاثير، النهاية في غريب الأثر (158/5).

1) خطة النيران في غزوة بدر:

كانت التوجيهات القتالية من الرسولﷺ تقضي بأن يقوم أصحاب النبال والرماح برمي العدو إذا اقتربوا منهم وأصبحوا في موضع إصابة السهم أو الرمح، فيكون الرمي في هذه الحالة دقيقاً، والإصابة مؤكدة، وأمرهمﷺ أن يقتصدوا في الرمي – مبدأ الاقتصاد بالقوى – ولقد أمرهم أيضاً ألا يهاجموا عدوهم إلا إذا أمرهم، وكان إيعاز الأمر القتالي: شدوا[1].

أخرج البخاري في صحيحه[2]عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: **(قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ يَوْمَ بَدْرٍ إِذَا أَكْثَبُوكُمْ[3] يَعْنِي كَثَرُوكُمْ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ).**

ولا يفوتنا أن نُبيّن أنّ الرَّمي من مسافات بعيدة يكشف موقع الرماة، فضلاً عن أنه لا يكون محكماً فيطيش التصويب[4].

2) خطة النيران في غزوة أحد:

عند وصول الرسولﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى ساحة المعركة، جرى توزيع المقاتلين، على نحو يراعي ميزات وقدرات سلاحهم، ويراعي تغطية ساحة المعركة بالرمايات المختلفة، وذلك وفق التالي:

- صف الرسولﷺ الجيش جاعلاً ظهره لجبل "أحد" ووجهه للمشركين، وجعل على كل فرقة منها قائداً.
- اختارﷺ خمسين من الرماة وعلى رأسهم ابن جبير الأنصاري، ووضعهم على مرتفع صغير من جهة الميسرة، لتأمين عمق مسرح المعركة، وليحموا ظهر المسلمين من التفاف المشركين من ورائهم، وكلفهم بمهمتهم مبيناً لهم هدف مهمتهم ومفسراً لهم التهديد والثغر المطلوب منهم سدُّه وإغلاقه.

أخرج الإمام أحمد في مسنده[5] من حديث **ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّﷺ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِعٍ، ثُمَّ قَالَ:**

---

(1) لابن حجر: فتح الباري (92/2)، وانظر: محمد عبد القادر أبو فارس: المدرسة العسكرية النبوية (ص94).

(2) الحديث سبق تخريجه، انظر (ص83).

(3) الكَثَب في اللغة: القُرب، فيقال: أكثب إذا قارب، وأكثبوكم أي: قربوا منكم. والهمزة هنا لتعدية الفعل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(151/4)، ولسان العرب (222/3-223).

(4) العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (ص276).

(5) [مسند أحمد، رقم حديث2609]، و[الطبراني في المعجم الكبير301/10:رقم حديث10731]، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، ومن سورة آل عمران (2/ 324: رقم حديث3163)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة آل عمران(786/3: رقم حديث4325)، والبيهقي في دلائل النبوة (269/3-271)، من طريق سليمان بن داود الهاشمي، بهذا الإسناد. وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده صحيح رغم أنّ ظاهر إسناده الضعف، ورغم أن رجاله ثقات فعبيد الله وأبو الزناد تابعيان ثقتان كما عند ابن حجر في التقريب(535/1-413)، وسليمان بن داود بن علي ثقة فقيه جليل، كما في التقريب(323/1)، وشيخه عبد الرحمن صدوق وهو سبب الضعف الظاهر فقد قال فيه الحافظ في التقريب(480/1)، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد.. وسليمان بن داود بغدادي وعلى هذا فالسند ضعيف؛ لكن عند الرجوع إلى كتاب العلل

(احْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ، فَلا تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلا تُشْرِكُونَا).

وفي رواية أخرجها البخاري في صحيحه[1] بسنده **عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ قَالَ: (جَعَلَ النَّبِيُّﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ).**

ثالثاً: الخطط الفرعية:

والخطط الفرعية هي جزء من خطة الدفاع ويتفرع منها (خطة الهجوم المُضاد): وهو أعلى صور النشاط الذي تمارسه القوات خلال إدارة المعركة الدفاعية، حيث يمكن من تغيير مقارنة القوات، والوسائل لصالح القوات المدافعة، وينفذ الهجوم المضاد لإخراج العدو وترميم منطقة الحرب، وهو واحد من المناورات الهجومية، ينفذ ليتم تدمير العدو أو إخراجه من منطقة القتال[2].

أولاً: الهجوم المضاد في غزوة بدر:

كانت خطة القتال في بدر تسير على مرحلتين:

للإمام الترمذيُّ نجد قوله (606/2)، ما روى سليمان الهاشمي عنه فهي حسان، نظرت فيها فإذا هي مقاربة وجعل يستحسنها فإسناده حسن، عبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات غير سليمان بن داود شيخ أحمد –وهو الهاشمي– فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة جليل.

وأبو الزناد: هو عبد الله بن ذكوان، وعبيد الله: هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي.

وقد قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره"(114/2): هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحداً ولا أبوه.. ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها.

وقال الشيخ أحمد شاكر معلقاً على قول ابن كثير هذا: وهو حديث غريب حقاً، في لفظه ما يوهم أن ابن عباس شهد الوقعة، وما كان ذلك قط، فإنه كان إذ ذاك طفلاً مع أبيه بمكة، والظاهر عندي أنه حكاه عن واحد من الصحابة ممن شهد أُحداً، ونسي بعض الرواة أن يذكر من حدَّث ابن عباس به، حتى يقول في حديثه: "فما زلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل" إلخ، وأما سياق القصة في ذاتها فصحيح، له شواهد كثيرة في الصحاح، أشار ابن كثير إلى بعضها في "التفسير" وفي "التاريخ".

قلت: من شواهده مقطعاً من حديث عبد الله بن مسعود عند أحمد في المسند(462/1ـ463)، ومن حديث البراء بن عازب عند أحمد في المسند(293/4)، والبخاري حديث رقم(3039ـ4043)، وحديث الزبير بن العوام عند ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام"(82/3)، وحديث أبي هريرة عند أحمد في المسند(317/2)، والبخاري حديث رقم:(4073)، ومسلم حديث رقم:(1793)؛ **وعليه وبناءً على ما سبق: فالحديث صحيح.**

[1] الحديث سبق تخريجه (ص 57).

[2] تكتيك الدفاع (ص36).

المرحلة الأولى: القتال الدفاعي حتى ينهك قوة العدو، **والمرحلة الثانية:** القتال الهجومي؛ والتي يُؤمر بها للإنطلاق بالهجوم المضاد والدخول في حالة القتال الهجومي، وتعقب فلول المشركين قتلاً وأسراً؛ وذلك بعد إنهاك قدرة العدو على القتال، وصد هجماته على أعقابها وإفشالها، وإيقاع القتل والإثخان فيه.

وأوامر مرحلة القتال الهجومي يوم بدر كانت واضحة من النبيﷺ، ما أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه بإسناده عَنْ مَالِكِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: **(إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ، وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ)**[1]، والغشيان هنا: تداخل الصفوف والالتقاء المباشر. وفي قولهﷺ **(وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ)**؛ وفي هذا إشارة إلى وقت بدء القتال بالهجوم والخروج من الحالة الدفاعية.

يقول الدكتور محمد أبو فارس[2]:"ترى من خطة الرسولﷺ هذه أنه قد أمر باستخدام السلاح الأبيض في المرحلة الأخيرة من مراحل القتال، وهي عند اشتباك الأيدي والاقتحام وتداخل الصفوف، وهذا مبدأ عسكري هام في وقت استخدام السلاح الأبيض وكيفيته".

قلت: هنا نجد الرسولﷺ قد وضع قواعد الاشتباك للمسلمين بالسلاح الأبيض وحدد كيفية استخدام السلاح الأبيض، وهو السيف وذلك بالقتال وجهاً لوجه، بحيث لا يُستخدم إلا وقت الالتحام وتداخل القوات، فعندما يتم التلاحم يوقف الرمي ويلجأ إلى السلاح الأبيض، وهذا يندرج ضمن الاستخدام الأمثل للسلاح، والتنظيم الجيد للنيران.

ومن خلال ما سبق سرده نجد أن النبيﷺ قد راعى مبدأ تحضير وتنسيق الخطط الدفاعية، من حيث خطة استخدام القوات، وخطة استخدام النيران، والخطط الفرعية والخطط الأخرى.

---

(1) الحديث سبق تخريجه، (ص 83).

(2) المدرسة العسكرية النبوية (ص95).

المبحث الثاني: أنواع العمليات الدفاعية

تتنوع العمليات الدفاعية بالعديد من الأشكال والأنواع الدفاعية[1]، ومن هذه الأنواع ثلاثة أنواع هي:

1. الدفاع المتحرك.
2. الدفاع الثابت (الدفاع عن منطقة).
3. العمليات التراجعية[2].

ولو درسنا سير المعارك الدفاعية في السيرة النبوية فإننا نجد أن النبيﷺ وأصحابه الكرام﷢ قد طبّقوا هذا النوع من العمليات الدفاعية في كُلٍّ من الغزوات (بدر، وأُحد، والخندق) وكذلك في العديد من المعارك التي جرت مع الصحابة الكرام، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: الدفاع المتحرك، أو (الدفاع التأخيري):

والدفاع المتحرك ويسمى (الدفاع التأخيري) وهو نوع من الدفاع يقوم على فكرة التخلي المؤقت عن جزء من الأرض، وجر العدو إلى مناطق قتل محددة، وتدميره بنيران الأسلحة كافة، والهجمات المضادة، ويعتمد على الاحتياطات القوية المتمركزة في الأرض. ويحدد القائد المُدافع مكان وظروف الاشتباك الحاسم المُناسب والمتفوق لصالح قواته، ولكي يُستدرج العدو إلى المكان المحدد قد يتم التنازل مؤقتاً عن جزء من الأرض[3].

ونجد تطبيق هذا المبدأ في العمليات العسكرية في السنة النبوية في المشاهد التالية:

أولاً: الدفاع المتحرك في بدر الكبرى :

حيث جرى القتال في هذه المعركة خارج المدينة المنورة بأسلوب الدفاع المتحرك؛ وقد كان هدف المسلمين كسر شوكة قريش وإيقاع أكبر قدر ممكن من القتل فيهم وفي قادتهم. ولم يكن للمسلمين حينها هدف الدفاع عن الأرض والاحتفاظ بها.

---

[1] أنواع العمليات الدفاعية هي: 1- من حيث نوع العمليات (الدفاع الثابت والدفاع المتحرك)، 2- من حيث نوع التحضير: (دفاع مع فرصة ودفاع عاجل)، 3- بحسب شكل الأرض: (الدفاع في السهل، الدفاع الدائري، الدفاع بصورة نقطة ارتكاز، الدفاع في ساحل النهر أو البحر، الدفاع في المنحدر وعكس المنحدر، الدفاع في المناطق السكنية)، أنظر: تكتيك الدفاع (ص21).

[2] المصدر السابق.

[3] أكاديمية فلسطين العسكرية، تكتيك الوحدات الصغرى (ص165-166)، وانظر: تكتيك الدفاع (ص22).

ثانياً: الدفاع المتحرك في معركة أُحد:

حيث خرج النبيﷺ ومعه الصحابة الكرامﷺ من المهاجرين والأنصار للدفاع عن المدينة المنورة خارج حدودها[1]، وقد اختار النبيﷺ لهذه المعركة موضع أحد، واستقر الجيش عند شعب الجبل جاعلا ظهره على أصل الجبل، ونشر قواته بما يتناسب مع تحقيق التفوق العسكري المطلوب في مسرح المعركة، وقال: لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال[2].

ويمتاز هذا الموقع – عسكرياً – الذي اختاره رسول اللهﷺ بأنه أحصن بُقعة ملائمة قريبة من المدينة: فلو كان ميدان القتال بعيداً لصَعُب الدفاعُ عن المدينة فيما لو قصدتها قريش قبيل القتال أو خلاله، كما أنها ليست بالقريبة جداً من المدينة فتمتد المعركة داخلها ويُصبح الجيش موزعاً ما بين داخل المدينة وخارجها فتتعذر السيطرة على الموقف كما يتعذر الإشراف على القتال.

وقد كان سبب إصرارهم على القتال خارج المدينة المنورة ما يلي: [3]

1. كان الأنصار قد تعهدوا في بيعة العقبة على الدفاع عن رسول الله فكان أغلبهم يرى أن المكث داخل المدينة تقاعس منهم على نصرة رسول الله.
2. كانت الأقلية من المهاجرين ترى أنها أحق من الأنصار في الدفاع عن المدينة ومهاجمة قريش وصدها عن زرع الأنصار وسرحهم.
3. كان الذين فاتتهم غزوة بدر يتحرَّقون إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى.
4. كانوا يرون أن في محاصرة قريش للمسلمين في المدينة ظفراً يجب ألا تحلم به، وظنوا أن هذا الحصار سيطول فيصبح المسلمون مهددين بقطع المؤونة عنهم.

فهذا سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، والنعمان بن مالكﷺ، وطائفة من الأنصار يقولوا لرسول اللهﷺ: **(إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبناً عن لقائهم فيكون هذا جراءة منهم علينا)**[4]

---

[1] كانت هناك رغبة عند النبي بالبقاء في المدينة – أي تطبيق مبدأ الدفاع الثابت – لكنه نزل عند رأي أصحابه المتحمس للخروج وعدم البقاء في المدينة.

[2] سيرة ابن إسحاق (ص325)، وانظر: لابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء(221/1)، وانظر: لابن حزم ، جوامع السيرة (ص124)، وانظر: لمصطفى السباعي، السيرة النبوية – دروس وعبر (ص84).

[3] لأحمد عز الدين خلف الله، غزوة أحد (ص50ـ52).

[4] الزرقاني، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (394/2) وانظر: عماد الدين خليل، دراسة في السيرة (157/1).

ثالثاً، الدفاع المتحرك في القادسية:

استخدم سعد بن أبي وقاص ﷺ في معركة القادسية القتال بأسلوب (الدفاع المتحرك)، على حدود العراق وذلك بعد وصوله إلى القادسية، بناءً على توجيهات وأوامر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ له[1].

المطلب الثاني: الدفاع الثابت.

والدفاع الثابت هو نوع من أنواع العمليات الدفاعية، يتم فيه استخدام الجهد الأقصى لعناصر النار والمناورة، بهدف الاحتفاظ بالأرض وصد وتدمير القوات المهاجمة أمام الحد الأمامي لمنطقة القتال ومنع العدو من اختراق الحدود الدفاعية. وفي هذا النوع من الدفاع يأخذ القائد بالحسبان تنفيذ

---

(1) استخدم سعد بن أبي وقاص ﷺ في معركة القادسية القتال بأسلوب **(الدفاع المتحرك)**، على حدود العراق وذلك بعد وصوله إلى القادسية، وكان قد سبق جيش العدو الفارسي بالوصول لأرض المعركة مدة شهر كامل، حيث قام سعد بدراسة للموقف العام في أرض المعركة وتقديره، وإرسال التفاصيل للخليفة عمر؛ وعليه أصدر الخليفة عمر ﷺ أن يقوم بعمل دراسة تفصيلية وافية لأرض المعركة ليتم إعداد الخطة الملائمة والتي تتناسب مع حجم التهديد الكبير، وكانت توجيهاته الأولى كما يلي: (أن يلتزم سعد وضع الارتقاب في موقعه بين الخندق ونهر العتيق، وأن لا يبادر العدو بالهجوم مستدرجاً إياه لاجتياز النهر، وأن يهاجم بعد انكشاف العدو وحصاره، وأن يستثمر النصر ويلاحق فلول جيش العدو حتى اقتحام المدائن)؛ **ومن خلال وصف سعد لأرض المعركة وضع الخليفة عمر استراتيجية القتال على جبهة العراق تتلخص بالأوامر التالية:**

1) الانكفاء بجيش المسلمين حتى حدود أرض العراق لناحية الجزيرة العربية.
2) استدعاء كل من أسلم في تلك البقاع للانضمام إلى جيش المسلمين وحمل السلاح.
3) اتخاذ وضع الدفاع لحين صدور أمر جديد.

ويكون الخليفة عمر ﷺ بأومراه هذه قد سحب جيش المسلمين المتوغل في أرض العراق حتى أرض الجزيرة، وانتقل به من وضع الهجوم إلى وضع الدفاع مع استنفار كل من يستطيع حمل السلاح من مسلمي تلك الديار؛ وقد تركزت أعمال سعد القتالية في دفاعه المتحرك على حدود العراق على:

1) مسالح العدو ومراكزه الدفاعية، بغية سبر قوته واستكشاف تحركاته.
2) قرى العدو ومزارعه بقصد التزود بالمؤن واستنزاف احتياطه منها.
3) قوافل العدو وما تحمله من خيرات، بغية قطع خطوط مواصلاته وإمداداته. انظر: العميد الركن فاروق حسين آغا، الاعجاز العسكري في القرآن (175–182).

ومما سبق نستطيع القول أن القائد سعد ﷺ استخدم أسلوب القتال بالدفاع المتحرك، حيث كان يشاغل دفاعات الفرس ويقوم بالاغارات والكمائن لهم لاستنزافهم، وكشف تحركاته، والاغتنام من قوافله وقطع طرق الإمداد على عدوه.

اشتباك حاسم أمام منطقة الحرب[1] أو المستوى الدفاعي الأمامي.

ونجد تطبيق هذا المبدأ في العمليات العسكرية في السنة النبوية في المشهد التالي:

الدفاع الثابت في معركة الخندق:

حيث جهَّز المسلمون الخندق ليكون الحد الأمامي لمنطقة القتال والذي يحرم على الأحزاب اختراقه؛ وترتب على ذلك مباغتة المسلمين للأحزاب بهذا الخندق الذي صدهم ومنعهم من دخول أرض المدينة وبقي حشد الأحزاب منحصر أمام حامق المدينة، الأمر الذي أدى إلى نجاح خطة المسلمين الدفاعية.

وقد كان النبيﷺ يشارك أصحابه في إعداد الخطة الدفاعية، وهو واثق من نصر الله تعالى، ويعلم أن جنده سيفتحون البلاد والآفاق، كما وعده الله تعالى :﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾. [النور: 55].

أخرج الإمام أحمد في المسند[2] بسنده **عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنْ الخَنْدَقِ لا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ قَالَ:**

---

[1] منطقة الحرب: هي قسم من المنطقة الدفاعية، يسمى حدها الأمامي (حامق) أي: الحد الأمامي لمنطقة القتال، وخطوط حدودها الجانبية تتصل بخط الحد الخلفي لمنطقة مسئولية الوحدة المدافعة وهي تنقسم إلى قسمين: منطقة الدفاع الأمامي، ومنطقة الدفاع الخلفي.

[2] [مسندأحمد، مسند البراء بن عازب،626/30 : رقم حديث 18694] وأخرجه النسائي في الكبرير،(رقم حديث8858) وأبو يعلى برقم (1685)، من طريقين عن عوف، بهذا الإسناد، وأورده الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية (194/3-195)، وقال: وهذا حديث غريب، تفرد به ميمون بن أستاذ هذا، وأورده الهيثمي في المجمع (130/6-131)، وقال: رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن، رواته ثقات، وميمون بن أستاذ، فقد وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات، وقد روى عنه جمع، وهو ليس بميمون أبي عبد الله الضعيف الموجود في (التقريب)، حيث فرّق بينهما أبو حاتم، انظر: التقريب(ص556)، وانظر: تعجيل المنفعة، لابن حجر(416)، والجرح والتعديل(203/8)، والفتح الرباني، للساعاتي، (ص264)؛ لذا حسنه ابن حجر في الفتح (397/7).

والحديث له أصل في صحيح البخاري من حديث جابر رقم(4101) وفيه: (فأخذ النبيﷺ المِعْوَل، فضرب في الكُدْية، فعاد كثيباً أَهْيَلَ أو أَهْيَمَ)، وليس فيه الزيادة التي في رواية أحمد.

فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَالَ عَوْفٌ[1]: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ" فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ وَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا" ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ" وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا" ثُمَّ قَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ" وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا).

---

(1) عوف: هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، يكنى أبا سهل مولى لطيئ، وكان ثقة كثير الحديث، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع، قَالَ يَحْيَى القطان مات سنة ست وأربعين ومائة انظر: لابن سعد،الطبقات الكبرى(191/7)، وانظر: للبخاري، التاريخ الكبير(58/7).

الفصل الثاني: تكتيك العمليات في السنة النبوية

الفصل الثاني: تكتيك العمليات الهجومية في السنة النبوية

المبحث الأول: تعريف العمليات الهجومية، وبيان أهميتها.

المطلب الأول: تعريف العمليات الهجومية :

أولاً: تعريف (الْهُجُوم) لغةً:

مادتها اللغوية (هَجَمَ): قال ابن فارس[1]: "الهاء والجيم والميم، أصل صحيح واحد يدل على ورود شيء بغتة، يقال: هَجَمَ، يَهْجِم، هُجُومَاً، فهو هَاجِم، ومنه: هجمت على الشيء بغتة أهْجُمُ هُجوماً، وهجم على القوم: إذا أتاهم بغتةً، وهجم على العدو هجوماً، أي باغتهم ودخل مساكنهم".

وتقول العرب: (قد هَجَمَ اللصُّ على القوم)؛ معناه: قد دخل عليهم؛ ويقال: قد هجم البيت على القوم: إذا سقط عليهم، وريحٌ هَجومٌ: تقلع البيوتَ والثُّمامَ[2].

ثانياً: تعريف (الْهُجُوم) اصطلاحاً:

هناك عدة تعريفات للهجوم اصطلاحاً، أذكر منها الآتي:

1. **الهجوم:** "هو النوع الرئيسي للأعمال القتالية، وهو الوسيلة الرئيسية لتدمير تجمعات العدو، ولن يتحقق ذلك إلا باختراق دفاعاته والقضاء على قواته وتدمير أسلحته ومعداته وتطوير الهجوم إلى العدو بما يؤدي إلى تفتيته ثم تدميره أو أسر قواته واحتلال المناطق الحيوية من دفاعه"[3].
2. **الهجوم:** "هو النوع الرئيسي للأعمال القتالية، فبالهجوم الحاسم وحده يمكن تحقيق النصر، والهدف الرئيسي من الهجوم هو تدمير العدو، ويتحقق ذلك بإنزال الخسائر به بنيران جميع الوسائل وضربات القوات الجوية بالاندفاع إلى عمق دفاعاته، ثم حصاره وتدمير وأسر قواته والاستيلاء على أهم الخطوط والأهداف في الوقت المحدد بأقل خسائر ممكنة"[4].

ويميل الباحث إلى التعريف الثاني، لأنه أشمل ويحقق العديد من الغايات الهجومية.

---

(1) معجم مقاييس اللغة (37/6)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(2055/5)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (6880/10).

(2) الزاهر في معني كلمات الناس (448/10).

(3) جامعة الدول العربية، العمليات الهجومية الندوة (ص5).

(4) جامعة الدول العربية، المعركة الهجومية (ص2).

ثالثاً: تعريف العمليات التَّعَرُّضِيَّة:

التَّعَرُّض: هو التوجه بصورة عامة نحو العدو بقصد ملاقاته وتدميره، ويشمل جميع الأعمال القتالية التي يتم فيها التقدم نحو العدو، مثل: التقدم للتماس[(1)]،الهجوم بأنواعه، استثمار النجاح والمطاردة[(2)].

العَمَلِيَّات التَّعَرُّضِيَّة[(3)]:هي جميع الأعمال القتالية التي يتم فيها التعرض للعدو مثل التقدم للتماس، والهجوم بأنواعه، واستثمار النجاح[(4)]، والمطاردة[(5)].

ويعتبر الهجوم هو النوع الرئيسي للعمليات التعرضية، المتمثل في التأثير الناري والتقدم المندفع للقوات بهدف تدمير العدو واحتلال أو استعادة الأرض والتمسك بها[(6)].

قلت: وبناءً على التعريفات السابقة يظهر لنا أن العمليات التعرضية أعمُّ وأشمل من العمليات الهجومية، وأن العمليات الهجومية تُعتبر جزءاً من العمليات التعرضية.

المطلب الثاني: أَهَمِّيَةُ العَمَلِيَّاتِ الهُجُومِيَّة:

تُشَكِّل الرَّغْبةُ بالانتصار ركيزة أساسية للروح الهجومية، وهذه الرغبة هي بحد ذاتها مصدر مهم لتحقيق القدرة في العمليات الهجومية، وتكمن أهمية العمليات الهجومية في أن الانتصار لا يتحقق إلا من خلال الهجوم الذي تقوم به الوحدات القتالية؛ ويكون بفعل امتلاك قادتها ومقاتليها، لروح هجومية،

---

(1) التقدم للتماس: هو عملية هجومية تهدف إلى تحقيق التماس مع العدو أو لإعادة التماس معه بعد فقدانه، وتهدف الغاية منه إلى اكتساب تفوق على العدو بعيداً عن القتال الحاسم لغرض تسهيل العمليات. انظر: أكاديمية فلسطين العسكرية ، تكتيك الهجوم (ص28).

(2) أكاديمية فلسطين العسكرية ، تكتيك الوحدات الصغرى (ص23).

(3) تكتيك عسكري (38/1).

(4) استثمار النجاح: هو عملية هجومية تلي عادة هجوماً ناجحاً، بغية استغلال ضعف دفاعات العدو أو انهيار قسم منها، وتهدف هذه العملية منع العدو من إعادة تنظيم دفاعاته مجدداً، أو تنفيذ انسحاب منظم. انظر: تكتيك الهجوم (ص43).

(5) المطاردة: عملية هجومية ضد قوة عدوة متراجعة، وهي تلي عملية مهاجمة ناجحة، ويعطى الأمر بتنفيذ المطاردة عندما لا يعود العدو قادراً على القيام بدفاع منظم ويحاول فك الإشتباك، وتهدف المطاردة إلى استمرار الضغط على العدو وتدميره كلياً. انظر تكتيك الهجوم (ص51).

(6) تكتيك عسكري (38/1).

وشجاعة قتالية، وقدرة في توجيه وإدارة هذه الوحدات بنحو صحيح وسليم.

كما أن النتيجة الحاسمة في الحرب لا تتحقق إلا عن طريق العمليات الهجومية فقط، حيث يمتلك القائد في هذه العمليات عنصر الابتكار ويفرض إرادته على خصمه. ويحتاج تنفيذ العمليات الهجومية إلى تدريب، وروحية عالية، وقادة يمتلكون القدرة على اتخاذ القرارات الحاسمة في وقتها.

وبالرغم من امتلاك الجيوش في الوقت الحاضر لأسلحة فعالة وفتاكة وملائمة، ابتداءً من البندقية وحتى منظومة الصواريخ، إلا أن النجاح في ذلك يتوقف على الشجاعة والجرأة والكفاءة والمهارة القتالية، الذين هم بمثابة العنصر المؤثر في الحرب[1].

ويتمثل الهدف النهائي من العمليات التعرضية بفرض الإرادة على العدو، وذلك من خلال تدمير قواته أو انتزاع رغبة القتال منه وإماتتها، ومع أن قوات المشاة تستهدف من عملياتها التعرضية احتلال الأرض، إلا أن غايتها الأساسية بعد تحقيق ذلك، تتمثل بالقضاء على العدو نهائياً، وهذا الأمر لا ينبغي في التخطيط أثناء إدارة العمليات، تجاهله أو التغاضي عنه أو تناسيه[2].

المطلب الثالث: غاياتُ الهُجُومِ، وأُسُسُ نَجَاحِ العَمَليَّاتِ الهُجُومِيَّة.

أولاً: غايات الهجوم:

يتمثل الهدف النهائي من العمليات الهجومية، بفرض الإرادة على العدو، وذلك بغية تدمير قواته أو انتزاع رغبة القتال منه وإماتتها، ومع أن قوات المشاة تستهدف من عملياتها الهجومية احتلال الأرض، إلا أن غايتها الأساسية بعد تحقيق ذلك، تتمثل بالقضاء على العدو نهائياً[3].

وتتمثل الغاية الرئيسية من العمليات الهجومية، في تدمير وإبادة العدو، ويساعد على تحقيق تلك القوات، ويساهم في تحقيق الغايات التي تليه، والتي تكون القوات راغبة بها وهي:

1. تدمير قوات العدو.
2. احتلال الأرض.
3. كشف الانتشار، الاستعداد، التركيب.
4. حرمان العدو من المصادر الحيوية.

---

(1) تكتيك الوحدات الصغرى (ص185).

(2) أكاديمية فلسطين العسكرية، تكتيك الهجوم (ص4-8).

(3) تكتيك الهجوم (ص5).

5. حرف أنظار العدو عن بقية النقاط[1].

ثانياً: أسس نجاح العمليات الهجومية:

تُخَطَّط وتُدار العمليات الهجومية بتنسيق أعمال قتال التشكيلات والأسلحة، طبقاً لفكرة وخطة واحدة، وتحت سيطرة واحدة، لتحقيق هدف محدد، وعادة ما يكون الهدف من هذه العملية هو هزيمة تجمعات العدو في مسرح العمليات الحربية[2].

ويتوقف نجاح العمليات الهجومية، في الجانب التكتيكي على العديد من الأسس والمتطلبات، والتي منها:

1. الدراسة الشاملة والتقدير السليم لقدرات العدو مع التنظيم الجيد لكل أنواع الاستطلاع لتوفير المعلومات الدقيقة عنه.
2. التحديد السليم لاتجاه الجهد الرئيسي للهجوم (الضربة الرئيسية).
3. حشد قوات متفوقة في اتجاه الهجوم الرئيسي (الضربة الرئيسية وفتحها بسرعة وسرية شاملة).
4. التشكيل المناسب للمعركة، والحسم في القتال واستمرارية الأعمال الهجومية مع تنمية جهود القوات.
5. القيادة والسيطرة المستمرة على القوات، و التعاون الجيد بين القوات والمحافظة عليه.
6. المناورة بالنيران والقوات والوسائل أثناء القتال واستخدام الأنساق الثانية والاحتياطيات في الوقت المناسب.
7. التأمين الشامل للقوات القائمة بالهجوم (القتالي، الإداري، الهندسي)[3].

<u>المطلب الرابع: صفاتُ المُقاتل المُهاجم:</u>

يجب أن يتميز الجندي المهاجم عن غيره من المقاتلين، حيث تجتهد قادة الجيوش على تشكيل قوات متخصصة بالأعمال الهجومية يتم الاهتمام بها تدريبياً ولوجستياً بشكل خاص، ويُطلق عليها العديد من الأسماء في واقعنا المعاصر مثل: (الوحدات الخاصة، وقوات النخبة، والحرس الخاص، وقوات البشمركة ...إلخ)؛ وتكون مسئولية هذه القوة بيد القائد العام عادة أو من ينوبه من القيادات العليا للقوات.

وإعداد الجندي المسلم وتهيئته ليقاتل بصورة جيدة من المقاصد العظيمة التي يجب أن يفكر فيها قادة

---

(1) المصدر السابق.

(2) الموقع الإلكتروني مقاتل من الصحراء.

(3) جامعة الدول العربية، العمليات الهجومية، (ص5).

المسلمين، حتى يتحقق النصر على الأعداء، وتربية المقاتل المسلم قبل دخولهم لأرض المعركة أمر حتمي وضروري وذلك لأن المسلم له صفاته الخاصة التي تميزه عن غيره من جنود البشرية، فهو يحمل رسالة السماء، وينبغي أن تكون له تربيته الإسلامية الصحيحة، والتي تجعل من الجندي المسلم جندياً متميزاً متوكلاً على ربه، ومعتزاً بدينه، وفيه حبه لوطنه وأرضه.

وللقائد والجندي المجاهد صفات يجب أن يتحلى بها، لنبني جيشاً قوياً يفيد ولا يضر، يبني ولا يهدم، يقاتل ولا يفر، ومن أهم الصفات المطلوب تحققها في المقاتل المسلم (قادة وجنداً) ما يلي:

1. إخلاص وتسديد النية لله تعالى:

الإخلاص من الصفات الهامة التي ينبغي للمجاهد التحلي بها، والله عز وجل أمرنا أن تكون عبادتنا وأعمالنا خالصة لوجه الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 4].

وإخلاص النية شرط في قَبول الأعمال، ومن لم يُخلص في جهاده لم يكن لـه نصيبٌ فيه، فإذا نوى أمراً دنيوياً لم يكن لـه إلا ما نوى، وإن ذهبت نفسه.

أخرج البخاري في صحيحه[1] **بسنده عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).**

وإذا أظهر المجاهد للناس أنه يُجاهد في سبيل الله ولم يكن كذلك، فهذا أول من تُسَعَّر به النار؛ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ..).**

2. المداومة على ذكر الله والإكثار من الاستغفار:

ذكر الله كثيراً من صفات المؤمنين المجاهدين، وقد أمر الله بالذكر والدعاء عند لقاء العدو، قال

[1] [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، 6/1: رقم حديث1].

[2] [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، 1513/3: رقم حديث 1905].

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:45]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾. [الأحزاب:41]، وقال: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

والإكثار من الذكر والاستغفار من عوامل النصر في المعركة، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نكون ذاكرين لله في كل أحوالنا وليس في القتال والشدة فقط؛ لأنه سبحانه النصير فنعم المولى ونعم النصير.

أخرج مُسْلِم في صحيحه[1] بسنده **عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ).**

وعليه فالجندي المسلم مطالب بذكر الله حال الرباط، وحالا الإعداد والتدريب، وحال النفير، وحال القتال، وحال الالتحام، وفي كل حال هو فيه .

3. الإكثار من الدعاء والإلحاح به قبل وأثناء وبعد المعركة.

من أعظم وأقوى عوامل النصر والتمكين في المعركة الاستغاثة بالله والتذلل إليه وكثرة ذكره؛ لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى:

﴿ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126]، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به، فينصره ويمده بجنوده، مُعلماً أصحابه أهمية الدعاء في المعركة، ومن ذلك ما جاء في معركة بدر.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: سَيُهْزَمُ الجَمْعُ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ، وَقَالَ وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، يَوْمَ بَدْرٍ).**

وفي الحديث أن النبي ﷺ قد ألح على الله بالدعاء رغم علمه بنصر الله له ولدينه، وهذا تعظيماً لجلال الله سبحانه، وتعليماً لنا حتى نلجأ إليه سبحانه وتعالى بالدعاء ولا نتهاون فيه.

وأخرج مسلم في صحيحه[3] بسنده **عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: (لَمَّا**

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، الحيض/ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ، 282/2: رقم حديث373].

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ما قيل في درع النبي والقميص في الحرب، 42/2: رقم حديث2915].

[3] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، 1383/3: رقم حديث1763].

كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ).

وهذا الحديث يدل على مدى حرص النبيﷺ على الدعاء قبل القتال وأثناءه، ليعلمنا أنّ الدعاء من أقوى الأسلحة التي يجب أن يتسلح بها المقاتل المسلم في المعركة.

وأخرج أبو داود في سننه[1] **من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُﷺ: (ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ**

---

[1] رواه مالك في الموطأ موقوفاً عن سهل بن سعد، قال ابن حجر في نائج الأفكار(370/1)، "وقد أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً واتفق على ذلك رواة الموطأ"، وقال ابن عبد البر في التمهيد،(138/21)،"هكذا هو موقوف على سهل بن سعد في الموطأ عن جماعة الرواة"، ومثله لا يقال من جهة الرأي.

أما المرفوع؛ فقد أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء(21/3)،(حديث رقم2540)، والدارمي في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء عند النداء،(293/1)، حديث رقم(1200)، وابن أبي عاصم في الجهاد (164/1)،حديث (18)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس (6/5)،حديث(1720)،وابن الجارود في المنتقى من السنن المسندة، كتاب الطلاق، باب ما جاء في الدعاء عند القتال(267/1)،حديث رقم (1065)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْأَذَانِ وَرَجَاءِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ عِنْدَهُ (219/1)،حديث رقم (4199)،والطبراني في المعجم الكبير (135/6)، حديث رقم (5756)، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الطبراني: "لَيْسَ لِرُزَيْقٍ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثُ، وَحَدِيثٌ آخَرُ مُنْقَطِعٌ"، والروياني في مسنده (209/2)، حديث رقم (1045)، والحاكم في المستدرك، كتاب الطهارة، ومن أبواب الأذان والإقامة (313/1)، حديث رقم (712)، والبيهقي في السنن الكبرى، باب الدعاء بين الأذان والإقامة (604/1)، حديث رقم (1938)، وهو عند البيهقي أيضاً في الدعوات الكبير، باب الدعوات والقول عند الأذان (111/1)، حديث رقم (52)، جميعهم من طرق عن موسى بن يعقوب الزمعي وهو سيئ الحفظ، وقد تابعه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

الحكم على إسناد الحديث: الحديث إسناده حسن، لأجل مُوسَى هُوَ ابنُ يَعْقُوبَ الزَّمْعِيُّ، فقد وثقه ابن معين، وابن القطان، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن المديني: ضعيف منكر الحديث، وقال أبو داود: "صالح قد روي عنه ابن مهدي"، وله مشايخ مجهولون، وقال النسائي: "ليس بالقوي"، وقال ابن عدي بعد ذكره لأحاديث أنكرها عليه: "وهو عندي لا بأس به وبرواياته". وقال عنه ابن حجر في التقريب (ص554)، صدوق سيء الحفظ، قال الباحث: هو كما قال ابن حجر.

وقد تابعه مالك في الرواية عن أبي حازم – سلمة بن دينار الأعرج – بإسناد صحيح عند ابن حبان، وصححه ابن خزيمة، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود (294/7)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، ج4، ص193: حديث صحيح، وهذا اسناد حسن المتابعات والشواهد.

قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا).

في هذا الحديث: أن الدعاء عند المعركة والتحام الصفوف لا يرد، وفيه حثٌّ على دوام الدعاء وعدم تركه في أي حال؛ فمن يدعو الله في الحرب من الأولى أن يدعوه في غير هذا الموضع.

وفي غزوة خيبر كانت صيحات رسول اللهﷺ والمسلمين تعلو بذكر الله من خلال التكبير.

أخرج البخاري في صحيحه[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ **(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ غَزَا خَيْبَرَ فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ .. فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ{فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} قَالَهَا ثَلَاثًا.**

4. الهِمّة العالية:

ينبغي على المجاهد أن يكون من أصحاب الهمم العالية، وأن يُضرب له من كل سهمٍ في عبادة ربه نصيباً، ولتكن همّته كهمة أبي بكرؓ عندما أراد أن يدخل من أبواب الجنة الثمانية.

أخرج البخاري في صحيحه[(2)] بسنده عن أَبَي هُرَيْرَةَ، قَالَ: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِﷺ، يَقُولُ: (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابٍ، - يَعْنِي الجَنَّةَ، - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ)**

والمقاتل المسلم يجب أن يكون صاحب همة عالية في جهاده، جاهزاً للنفير في أي وقت من ليل أو نهار، وتحت أي ظرف، فهو على ثقة بنصر الله عز وجل، ويعلم بأنه إن قُتل فإن مثواه الجنة، فتجده لا يهاب الموت، بل يعشق الشهادة ويطلبها أكثر من الحياة طمعاً بما عند الله، وهذه الهمة تجعل منه جندياً لا يهاب عدوه، ولا يخشى كثرة عدته وعتاده.

أخرج مسلم في صحيحه[(3)] **بسنده عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً[(4)]، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ).**

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/ ما يذكر في الفخذ..، 83/1: رقم حديث 371].

[(2)] [البخاري: صحيح البخاري ، أصحاب النبيﷺ/قَوْلِ النَّبِيِّﷺ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا ، 6/5: رقم حديث1889].

[(3)] [مسلم : صحيح مسلم ، الإمارة/فضل الجهاد والرباط ، 1503/3: رقم حديث1889].

[(4)] هَيْعَةً: الصوت عند حضور العدو، أو الصوت الذي يفزع منه. انظر: غريب الحديث والأثر، لابن الجوزي(507/2).

وفي الحديث حث على القيام للعدو بهمّة وخفة مع عدم الإبطاء في مواجهته، وقد وصف النبيﷺ من يفعل ذلك بأنه من أفضل الناس عيشاً.

5. الإعداد والتدريب:

ينبغي على المجاهد أن يُعِدَّ نفسه بدنياً وعسكرياً، وإيمانياً وروحياً، وسلوكياً وأخلاقياً، وخاصة أبناء النخبة والخاصة والمكلفين بأعمال هجومية، فقد كان سلفنا رضوان الله عليهم يُعِدون خيولهم أيضاً للجهاد في سبيل الله، فكانوا يُعوّدون الخيل على الكرّ والفرّ حتى في حال السِّلم حتى تألف ذلك عند القتال.

لا يُمكن أن يُقاتَل العدو بغير إعداد ولا عُدّة، ولهذا قال الله ﷻ: **﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** [الأنفال: 60].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: "يَجِبُ الِاسْتِعْدَادُ لِلْجِهَادِ بِإِعْدَادِ الْقُوَّةِ وَرِبَاطِ الْخَيْلِ فِي وَقْتِ سُقُوطِهِ لِلْعَجْزِ فَإِنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ بِخِلَافِ الِاسْتِطَاعَةِ فِي الْحَجِّ وَنَحْوِهَا فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ".

فالقيام بواجب الجهاد لا يتأتى إلا بالإعداد، ذلك الإعداد الذي جعله الله تعالى فرقاناً بين المؤمن والمنافق في قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾**. [التوبة: 46].

6. الثبات والصبر عند لقاء العدو:

قال تعالى: **﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[آل عمران: 146-148].

من عوامل النصر الثبات عند اللقاء، وعدم الانهزام والفرار، ومن الصفات المهمة التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم عند القتال الصبر، فهو يُعطي المجاهد قوة في مواجهة الأعداء، وهو من الأسلحة المهمة للجيش المسلم من أجل تحقيق النصر، وقد جاء الصبر في الحديث مقروناً بالنصر.

---

[1] مجموع الفتاوى ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (259/28).

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)**. والحديث فيه الحث لنا على الصبر والثبات عند لقاء العدو.

وقد ثَبَت الرسول القائدﷺ في جميع معاركه التي خاضها، كما فعل في بدر، وأحد، وحنين، وكان يقول في غزوة حنين حينما ثبت وتراجع بعض المسلمين: **(أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ)**.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: **(سَأَلَ رَجُلٌ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، أَوَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ البَرَاءُ، وَأَنَا أَسْمَعُ: أَمَّا رَسُولُ اللَّهِﷺ لَمْ يُوَلِّ يَوْمَئِذٍ، كَانَ أَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الحَارِثِ آخِذًا بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ، فَلَمَّا غَشِيَهُ المُشْرِكُونَ نَزَلَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»، قَالَ: فَمَا رُئِيَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ مِنْهُ)**.

بل قد كان أصحابه ﷺ يحتمون به إذا حمي الوطيس، واشتدت المعركة، ففي صحيح مسلم[3] عن البراءﷺ قال: **(كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ ﷺ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ)**، وهو ﷺ قدوتنا وأسوتنا الحسنة قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .[الأحزاب: 21]، وثَبَتَ أصحابُهﷺ من بعده أيضاً.

7. الرغبة فيما عند الله تعالى:

مما يعين على النصر على الأعداء هو الطمع في فضل الله وسعادة الدنيا والآخرة؛ ولهذا نصر الله نبيهﷺ وأصحابه من بعده، ومما يدل على الرغبة فيما عند الله تعالى ما يأتي:

أولاً: ما فعلَ أنسُ بن النضر، عمّ أنس بن مالك يوم أحد، فقد أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : **(غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِﷺ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللَّهُ قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاءِ – يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍﷺ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌﷺ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌﷺ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسٌ ﷺ: كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾)**.

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/لا تمنوا لقاء العدو، 63/4: حديث رقم3026].

[2] [البخاري: صحي البخاري، الجهاد والسير/من قال خذها وأنا ابن فلان67/4: حديث رقم3042]

[3] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/في غزوة حنين، 1401/3: رقم حديث 1776].

[4] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا..."19/4: رقم حديث2805].

ثانياً: ما فعل عُمير بن الحمام في بدر ، فقد أخرج مسلم في صحيحه[1] من حديث أنس بن مالكﷺ أن النبي ﷺ قال يوم بدر: **(قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، فقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ[2]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ، قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَﷺ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[3] فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ).**

والمسلم المجاهد في سبيل الله تعالى إذا رغب فيما عند الله تعالى، فإنه لا يبالي بما أصابه رغبة في الفوز العظيم.

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً　　عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي[4]

8. التزام وصايا الرسولﷺ أثناء القتال:

من صفات المقاتل الشجاع؛ أنَّه يحمل قلباً رحيماً طيِّباً أثناء القتال في ساحة الجهاد في سبيل الله؛ فهو إذا قَتَل قَتَل بحق؛ وإذا امتَنَع امتَنَع بحق؛ فهو يتحرَّكُ ويَسْكُنُ بحكمة وعقل، وقبل هذا كله تجده يحمل تديُّناً واستقامة على الشرع؛ فلا يُمثِّل بجثة عدوه، وإذا قتل لا يقتل طفلاً أو امرأةً أو شيخاً كبيراً أو راهباً في صومعته؛ إلا إذا ساعدوا على القتال، فما أروع حال من كانت هذه من صفاته.

أخرج الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما[5] من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قَالَ: (وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِﷺ ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ).**

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه [6] بسنده عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، **ثُمَّ قَالَ:**

---

(1) [مسلم : صحيح مسلم ،الإمارة/ثبوت الجنة للشهيد ، 1509/3: رقم حديث1901].

(2) قَوْلُهُ: (بَخٍ بَخٍ): فِيهِ لُغَتَانِ إِسْكَانُ الْخَاءِ وَكَسْرُهَا مُنَوَّنًا، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُطْلَقُ لِتَفْخِيمِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ فِي الْخَيْرِ. شرح النووي على مسلم(45/13).

(3) مِنْ قَرَنِهِ: هُوَ بِقَافٍ وَرَاءٍ مَفْتُوحَتَيْنِ ثُمَّ نُونٍ، أَيْ: جُعْبَةِ النُّشَّابِ. شرح النووي على مسلم(46/13).

(4) العسكري:الأوائل(ص209)،وهذا البيت من قول الصحابي الجليل خبيب بن عديﷺ حين صُلب وعُذّب من قريش على أن يترك دينه فقُتل في سبيل الله ثابتاً على دينه صابراً محتسبا.

(5) [البخاري: صحيح البخاري الجِهَادِ وَالسِّيَرِ/قَتْلِ النِّسَاءِ فِي الحَرْبِ، 61/4 : رقم حديث3015].وأخرجه[مسلم في صحيحه : الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/ تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ،1364/3: رقم حديث1744].

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا،[1357/3: رقم حديث1731].

اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ– فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ،..).

إن المتأمل لحروب رسول الله محمدﷺ ضد أعدائه سواء المشركين، أو اليهود، أو النصارى، ليجِد حُسن خُلق رسول اللهﷺ مع كل هؤلاء الذين أذاقوه ويلات الظلم والبطش، كما كان رسول الله في كل حروبه عادلاً لا يظلم أحداً؛ فإذا تأمّلْنا وصايا رسول اللهﷺ بشأن الجيوش المعادية نجد كمال الأخلاق ونُبل المقصد.

المبحث الثاني: أنواع العمليات الهجومية في السنة النبوية:

من أعظم إنجازات العسكرية الإسلامية أن الجيوش الإسلامية امتدت بفتوحاتها الإسلامية العظيمة، وقد استطاعت أن تهزم الإمبراطوريتين العظيمتين (الفارسية والبيزنطية) وتصبح القوة الأولى على الأرض.

وقد أتقن المسلمون القتال بكافة أنواع العمليات الهجومية، على مختلف أشكالها ومستوياتها بكفاية عالية، مثل العمليات الهجومية الصغيرة المحدودة كعمليات الاستطلاع، والإغارة، والمطاردة، والمحاصرة، ومهاجمة المواقع الحصينة، واقتحام الأسوار، وعبور الأنهار.

كذلك أتقن المسلمون – وهم أبناء البادية – فنون الحرب البحرية، وبناء الأساطيل وبلغوا درجة من الكفاية استطاعوا بها هزيمة أسطول بيزنطة وهو أعظم قوة بحرية في زمانهم.

يقول ابن خلدون[1]:"... والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر– بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط – وصارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة، والعساكر الإسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية إلى البرّ الكبير المقابل لها من العدوة الشّماليّة، فتوقع بملوك الإفرنج وتثخن في ممالكهم... وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من سواحل الإفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية، وأساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح".

وكذلك أتقن المسلمون القيام بالعمليات الهجومية الكبيرة المنسقة، والتي تتطلب كفاية عالية في الإدارة والتخطيط والقتال؛ بل كانت لهم القدرة على القتال في جبهتين أو أكثر، وإدارة دفة الحرب في كل منهما بكل كفاية واقتدار، واستطاع المسلمون أن يحركوا جيوشاً كاملة والانتقال بها مئآت الكيلو مترات لمساندة جيوش في معارك أخرى، بتنسيق وتكامل وكأنهم في معركة واحدة، وهذا مثل فريد في التاريخ الحربي الذي لم تبلغه أقوى الأمم وأعظمها خبرة في الحروب.

ومن المعلوم من وجهة نظر فن الحرب أن الحرب على جبهتين من أصعب المواقف التي تواجه القيادة، فهي تنطوي على مشكلات بالغة الصعوبة والتعقيد، ويكفي أن نعلم أن العسكرية الألمانية لم تُهزم

---

[1] انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، واسمه: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، (315/1)، وانظر: مقدمة ابن خلدون، الفصل الرابع والثلاثون، قيادة الأساطيل (ص135).

في الحرب العالمية الثانية (1939–1945) إلا حين فتح الحلفاء أمامها جبهة ثانية للقتال[1].

ووفقاً للمعايير المقررة في العلم العسكري وفنه، فإنه يوجد عدة أنواع للعمليات الهجومية، صنفها أصحاب الفن العسكري بخمسة أنواع، سنذكرها خلال هذا المبحث مع تذكر تطبيقاتها في المعارك الإسلامية، وهي على النحو التالي:

1) عمليات التقدم للتماس، أو التحرك للتماس.
2) عمليات الاستطلاع بالقوة ، أو الاستطلاع بالقتال.
3) العمليات الهجومية المُنسَّقة.
4) عمليات استثمار النجاح.
5) عمليات المطاردة .

ويتم تحديد نوع العملية الهجومية، حسب الوظائف التي توكل للقوات من أجل فرض الحرب على العدو، وهذه الوظائف هي:

- كشف استقرار العدو وتثبيته في مواضعه (تثبيت العدو).
- تنفيذ مناورة على العدو لغرض الإمساك بالتفوق التكتيكي .
- شن هجوم عنيف في زمان ومكان مناسبين من أجل تدمير العدو[2].

المطلب الأول: الطابع الهجومي للعقيدة العسكرية الإسلامية:

العقيدة العسكرية هي مجموعة المبادئ أو المفاهيم والسياسات المتخذة كدليل لبناء واستخدام القوات المسلحة في المستويات الثلاث، (الاستراتيجية، والعملياتية، والتكتيكية) بهدف دعم الاستراتيجية الوطنية لتحقيق أهدافها[3].

وتشكل العقيدة العسكرية، الأرضية الواسعة لتنظيم وتسليح القوات، واستخدامها لما تحتويه هذه العقيدة من مبادئ وأسس ومفاهيم راسخة، وللعقيدة العسكرية شقان يكمل كل منهما الآخر وهما:

1. الشق النظري: وهو الذي يركز على النواحي الفكرية والتخطيطية.
2. الشق التطبيقي: وهو الذي يهتم بالنواحي العملية والتنفيذية، وهذا الشق يظهر في كافة مستويات

---

(1) تكتيك عسكري (71/1).

(2) تكتيك الهجوم (ص27).

(3) للرائد الركن رشيد السبيعي، مجلة الملك خالد العسكرية (العدد 41)، عام 1413هـ، أطروحة العقائد العسكرية، للمقدم فني سابقاً عبدا الله العمري من منسوبي القوات الجوية الملكية السعودية.

الأداء العسكري سواء الاستراتيجي أو العملياتي أو التكتيكي[1].

وإذا ما نظرنا إلى الطابع العام للعقيدة الإسلامية، فقد يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل يمكن اعتبار العقيدة العسكرية الإسلامية المنبثقة عن الدعوة الإسلامية الانسانية الشمولية عقيدة ذات طابع هجومي أم دفاعي؟

يرى بعض المؤرخين العسكريين[2] أن العقيدة العسكرية الإسلامية هي عقيدة ذات طابع دفاعي، بينما يحصر بعضهم جواز الحرب في الإسلام بحالتين هما: حالة الدفاع عن النفس وعن الدين وحرية العقيدة، وحالة ردّ الاعتداء، معتبراً أن الحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية[3].

وقد خالف هذا الرأي العميد الركن دكتور ياسين[4] سويد باعتبار العقيدة الإسلامية هي عقيدة ذات طابع هجومي، مخالفاً المؤرخين الذين حصروا الحرب المشروعة في الإسلام بالحرب الدفاعية دون سواها، وقد ذكر الأسباب التي يرى من خلالها أنّ العقيدة الإسلامية ذات طابع هجومي والتي منها النقاط الآتية[5]:

1. لم يكن النبي محمدﷺ نبياً مرسلاً للعرب فقط، وإنما كان صاحب رسالة إنسانية كونية حملها لينشرها على الناس أجمعين، لذا كان لا بد أن ينطلق هو وخلفاؤه من بعده، حاملين رسالة الإسلام إلى العالم وخارج حدود الجزيرة العربية، وذلك أمر يتطلب ولا شك، اقتحاماً إيجابياً ومبادأة وتوسعاً لفرض السيادة، وهذه كلها مواقف هجومية بطبيعتها.
2. لم يكن للعقيدة الإسلامية أن تحقق ما حققته من توسع وفتوح في جميع أقطار الدنيا لو لم تكن تتميز بعقيدة عسكرية هجومية، فالجهاد في الإسلام لم يكن لرد الإعتداء بقدر ما كان لنشر مبادئ الدين الحنيف، لذا لم يعتبر المسلمون جهادهم في سبيل نشر الإسلام اعتداء، وإنما هو قتال في سبيل إعلاء كلمة الله، باعتبار أن الدين عند الله الإسلام، كما أنه – أي القتال– دفاع

---

[1] هنيدي، العسكرية في الاسلام على ضوء ما ورد في القرآن الكريم (ص84).

[2] محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص404ـ405).

[3] محمد فرج، المدرسة العسكرية الإسلامية (ص86ـ87).

[4] **الدكتور ياسين سويد:** هو ضابط في الجيش اللبناني برتبة (عميد ركن)، دكتور دولة في التاريخ من جامعة السوربون بباريس، وأستاذ مادة التاريخ العسكري في الجامعة اللبنانية، وعضو في الجنة الدولية للتاريخ العسكري، أسهم في تأليف العديد من الكتب والمراجع التاريخية والعسكرية، منها: التاريخ العسكرية للمقاطعات اللبنانية..، والفن العسكرية الإسلامي، وكتاب التنشئة الوطنية الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وقيادة الجيش اللبناني عام 1973، كما أسهم في تأليف الموسوعتين العسكرية والسياسية الصادرتين عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وله العديد من الأبحاث والدراسات التاريخية والعسكرية في عدد من المجلات والصحف اللبنانية والعربية.

[5] سويد، الفن لعسكري الإسلامي (363ـ366).

عن عقيدة الإسلام في وجه المشركين.

3. لم يكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا بالجهاد الذي هو في صلب الحياة الإسلامية ومن أهم الشعائر اللازمة لممارسة عقيدة الإسلام قولاً وعملاً، ورغم أنه (لا إكراه في الدين) يظل الجهاد في الإسلام أحد أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية التي حددت لغير المسلمين من أهل الكتاب ثلاثة منافذ للخلاص لا رابع لها وهي: الإسلام أو الجزية أو المنابذة، أي القتال، ولم تحدد للكافرين والمشركين أكثر من منفذين هما: الإسلام أو القتال.

وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية على أهل الكتاب في دولته، وحيث يبسط سيادته، فذلك لأمر يتعلق بالنظام العام للدولة، حيث يكون أهل الكتاب رعايا، ولا تكون الجزية أكثر من بدل عن الحماية أو الخدمة العسكرية، وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد فُرِضت على الكفار والمشركين، فذلك لأمر يتعلق أيضاً بالنظام العام للدولة الإسلامية، حيث يجب أن تسود دعوة الإسلام دون غيرها،وهكذا تكون الجزية بالنسبة إلى أهل الكتاب الذين لم يدخلوا في الإسلام، مظهراً من مظاهر الإقرار بسلطة الدولة الإسلامية وسيادتها، ويكون الإسلام بالنسبة إلى من دخل فيه من الكفار والمشركين، مظهراً من مظاهر الإيمان بعقيدة الإسلام.

4. لا ينتقص من سمو الدين الإسلامي وأخلاقيا أن تكون العقيدة العسكرية المنبثقة عن هجومية في الأساس، فما أرسل الله نبيه إلا رسولاً للعالمين، وما كانت الدعوة الإسلامية لتتقوقع داخل حدود الجزيرة العربية، طالما أنها أتت لتكون دعوة إسانية وشمولية، ولكن المسلمين حافظوا، في جميع مراحل فتوحهم، على أخلاقية في السلوك العسكري في ممارسة الحرب ندر أن عرفها سواهم من الفاتحين.

5. لم يكن المسلمون ليتحملوا هزيمة واحدة داخل حدود الجزيرة العربية إذا ما حوصروا من أعدائهم الرابضين على حدودهم (الروم والفرس)، لذا كان عليهم أن ينقلوا الحرب إلى ديار الأعداء، وبالفعل، لم يخض المسلمون معركة واحدة مع هؤلاء الأعداء أو مع سواهم، داخل الجزيرة العربية.

6. إن ما لا يمكن إنكاره هو أن القتال أهم مظاهر الجهاد في الإسلام، لذا فقد كرّم الله في قرآنه الكريم المقاتلين وحضهم عليه كما علّمهم الكثير من أصوله ومبادئه، وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقاد هو نفسه المسلمين إلى القتال في معارك عديدة وعلمهم الكثير من أصول القتال وآدابه، كل ذلك يدل على أن القتال هو أحد خصائص الدعوة الإسلامية.

7. لم يكن المسلمون ليرتضوا بعد أن أصبح الأمر لهم في الجزيرة العربية، أن لا يتطلعوا إلى حياة أفضل يرون مظاهرها خارج حدود جزيرتهم، وربما يعترض الكثير من المفكرين المسلمين على

القول إن التطلع إلى حياة أفضل كان غاية من غايات الحرب في الإسلام، ولكن الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أنه وإن لم تكن الدوافع الاقتصادية غاية الحروب الإسلامية في الأساس. إلا أنها بعد النهضة الإسلامية في الجزيرة العربية وانفتاح عرب هذه الجزيرة على العالم الخارجي بفضل عقيدتهم الجديدة، أصبحت – أي الدوافع الإقتصادية – تمثل حافزاً هاماً من حوافز الحرب عند المسلمين.

8. إذا قررنا أن الإسلام أمر بالجهاد وحض عليه، وأمر المسلمين بالردع وأقرّه لهم، فالجهاد كما حدده الإسلام يكون بالمال والنفس، كما تكرر في عدد من الآيات الكريمة، والردع يكون بالاستعداد للقتال وبمباشرته قبل أن يبادر العدو به، فالجهاد إذن، والقتال أحد أسسه، لا بد وأن يكون ذا طابع هجومي في الأساس، وهو كذلك بمفهومة العام، وكذلك الردع أيضاً.

9. إن (الطابع الهجومي) للعقيدة العسكرية الإسلامية لا يعني إطلاقاً (العدوانية)، طالما أن الجهاد في جوهره، وفي المفهوم الإسلامي ذو غاية محددة وواضحة هي نشر الدعوة الإسلامية، فإذا ما انحرف القتال عن هذه الغاية لم يعد جهاداً، بل أصبح مجرد نزوة دنيوية لا علاقة لها بعقيدة الإسلام من قريب أو بعيد، وقد كان يكفي أن تبلغ الدعوة غايتها (وهي الدخول في الإسلام، أو المعاهدة، أو الالتزام المادي – أي الجزية) حتى يمتنع المسلمون عن القتال، إذ إن عدم امتناعهم عنه، في هذه الحالة، يجرده من أنبل أهدافه وأقدسها، وهي نشر دين الله، فيصبح المسلمون عندها مجرد قوم يقاتلون لغايات دنيوية لا تربطها بأخلاق الإسلام وعقيدته أي صلة.

إلا أنه يجب أن لا يغرب عن بالنا أن الحرب ليست هي الأساس في السعي لنشر دين الله الإسلامي وفي علاقات المسلمين بغيرهم، فإذا أدت العلاقات إلى الغاية المرجوة منها وهي نشر الدعوة الإسلامية ودفع الظلم عن المسلمين ورد الاعتداء عنهم، لم يعد للحرب من مبرر، أما إذا لم تؤد هذه العلاقات إلى غايتها المرجوة أصبح القتال أمراً لازماً، بل واجباً دينياً على المسلمين.

وإذا كان المسلمون قد لجأوا إلى أسلوب الهجوم في القتال، في سعيهم لحماية الدعوة الإسلامية والذَّوْذ عنها ونشرها، فذلك لأنهم كانوا ملزمين بالدفاع عنها ضد مختلف صنوف الأعداء الذين واجهوها، منذ بدئها، سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، كما كانوا ملزمين بتنفيذ أوامر الله عز وجل في أن تعمّ هذه الدعوة الناس أجمعين، فكان عليهم أن يؤدوا المهمة التي انتدبهم الله لها وهي: الجهاد في سبيله ونشر دينه في أصقاع الأرض قاطبة وفي الأمم كافة، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بالوسائل الهجومية، سلماً كانت هذه الوسائل أو حرباً.

ومن كل ما تقدم ذكره من أسباب، يرى العميد الركن ياسين سويد أن العقيدة العسكرية

الإسلامية هي عقيدة ذات طابع هجومي، وقد جمع الإسلام في القرآن والسنة، بين النظرية والتطبيق، في تحديد هذه العقيدة العسكرية وفي ممارستها، ولم يتوان الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، والقادة العسكريون في مختلف معارك الفتوح، عن الاستمرار في تطبيق هذه العقيدة القتالية، حتى تمكنوا بفضلها، من تحقيق أعظم الانتصارات في تاريخ الأمم[1].

قال الباحث: أخالف العميد الركن د. ياسين سويد فيما ذكره من حصره وترجيحه للعقيدة العسكرية الإسلامية أنها عقيدة ذات طابع هجومي فقط؛ وأخالفه أيضاً فيما قاله أنَّ التطلع إلى حياة أفضل، وأن الدوافع الاقتصادية كانت غاية من غايات الحرب في الإسلام أو كانت تمثل حافزاً هاماً من حوافز الحرب عند المسلمين. فالرسولﷺ حدد للمقاتل المسلم غايته الأساسية من الجهاد، وهي نُصرة دين الله ونشر الإسلام في ربوع الأرض، وأن تكون كلمة الله هي العُليا، بعيداً عن المَغْنَمِ، أو الذِّكْرِ أو الشَّجَاعَةِ أو مَا شَابَه.

فقد أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده **عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).**

ويرى الباحث أن العقيدة العسكرية الإسلامية اتسمت بالطابعين (الدفاعي والهجومي معاً)، وذلك يكون حسب ميدان التدافع بين الناس وظروف المسلمين، وما تطلبه مصلحة الدولة الإسلامية حفاظاً على قوتها وهيبتها وتحقيقاً لغاياتها، مع ترجيحي لأولوية بقاء الطابع الهجومي؛ وذلك لما يُحققه هذا الطَّابِع من القُوة والهَيبة والرَّدع لأعداء دين الله المجرمين، وحتى لا يكون سُلْطَانٌ في الأرض لغير الله فيكون الدين كُله لله، وتُزال الحواجز المادية التي تمنع الإسلام من الوصول إلى الشعوب والمتمثلة في سلطان الطواغيت، وبذلك يصبح النَّاس أحراراً في اختيار عقيدتهم، ولن يتحرر الإنسان في الأرض، إلا حين يكون الدين كله لله، والذي يترتب عليه نشر العدل والرحمة للعالمين.

فمشروعية القتال جاءت عامة دون تقييد بأن تكون بطابع دفاعي مثلاً، وذلك بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. [التوبة:36].

وقال تعالى: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْركين حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾. [التوبة: 5]، وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

[1] سويد، الفن لعسكري الإسلامي (366).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، 20/4: رقم حديث2810].

بِاللهِّ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ . [التوبة:29]، ولا يمكننا حصر القتال الذي أمرنا الله عز وجل به بالدفاع فقط؛ فأسباب وظروف المعارك تتقلب عند خوضها من حال إلى حال ومن موقف إلى آخر، بغية الظفر على الأعداء، فالدفاع والهجوم والمطاردة وغيرها من الأعمال القتالية قد تكون متلازمة ببعضها البعض أو متتالية، وقد تُفرض على أصحابها فرضاً بسبب ظروف معينة؛ فأحيانا تكون في مهمة محدودة وتتدحرج بك الأمور إلى معركة أوسع (دفاعية كانت أو هجومية)، وأحياناً تذهب لخوض معركة هجومية وأنت تقصد غاية وقائية أخذاً بالمبدأ العسكري (أفضل الدفاع الهجوم)، واتقاءً لشرٍ محتمل وعدوان أعظم ..إلخ.

والواجب على أبناء الأمة العمل بكافة السُّبل لنشر الدين في كافة أرجاء المعمورة، وحتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض؛ وغاية القتال نشر دين الله ليتحقق وعد الله بالإستخلاف في الأرض؛ وهذا لن يتحقق بالدعوة سلماً فقط، أو ببقائك في مواضعك تنتظر قتالاً دفاعياً من عدوٍ مهاجم، بذريعة أن الإسلام دين الرحمة ولم يُنشر بالسيف؛ بل الإسلام دين الرحمة للعالمين ودين القوة والرهبة على أعداء الله الذين لم ينصاعوا لرسالة العدل السماوية.

قال الحق جل وعلا:﴿وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[النور: 55].

هذا وقد وردت كلمة استخلف في القرآن الكريم بصيغة فعلية تتضمن حرفي السين والتاء، وصيغة استفعل تدل على الطلب كما هو معروف عند النحاة. ففعل استخلف في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. أي طلب الله منكم أيها المؤمنون المجاهدون أن تكونوا خلفاء في الأرض.

وقد وجد الباحث كلاماً لطيفاً لسيد قطب في الظلال ينسجم تماماً مع رأيه، وهو يتحدث عن مراحل الجهاد في الإسلام، ثم يذكر سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين، جديرة بالوقوف أمامها طويلاً.

يقول سيد قطب مُتحدثاً عن سمات الجهاد في الإسلام[1]: "السمة الأولى: هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين، فهو حركة تواجه واقعا بشريا، وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي، إنها تواجه جاهلية اعتقادية تصورية تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تسندها سلطات ذات قوة مادية، ومن ثم تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه، تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل. والسمة الثانية في منهج هذا الدين: هي الواقعية الحركية، فهو حركة ذات مراحل كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها... **والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد، ولا يراعون هذه السمة فيه، ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة منها، الذين يصنعون هذا يخلطون خلطا شديدا ويلبسون منهج هذا الدين لبسا مضللا، ويحملون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية،... ويقولون- وهم مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان-: إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع!** ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلا بتخلية عن منهجه وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد! لا بقهرهم على اعتناق عقيدته. ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها".

ويقول في لسياق ذاته أيضاً[2]:"ان الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحرارا- بالفعل- في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم- بعد رفع الضغط السياسي عنهم وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم- ولكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيدا للعباد! وأن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله! إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده وذلك بتلقي الشرائع منه وحده، ثم ليعتنق كل فرد- في ظل هذا النظام العام- ما يعتنقه من عقيدة! وبهذا يكون «الدين» كله لله، **والذي يدرك طبيعة هذا الدين- على النحو المتقدم- يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان، ويدرك أن ذلك لم**

---

[1] لسيد قطب، في ظلال القرآن (1432/3).

[2] المصدر السابق (ص1435).

يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح «الحرب الدفاعية» كما يريد المهزومون أمام ضغط الواقع الحاضر وأمام هجوم المستشرقين الماكر، أن يُصوروا حركة الجهاد في الإسلام إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض بوسائل مكافئة لكل جوانب الواقع البشري وفي مراحل محددة لكل مرحلة منها وسائلها المتجددة. وإذا لم يكن بد من أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة «دفاع»" .

قلت: لقَد وَضَعَ الإسلام للجهاد في سبيل الله (نظاماً شاملاً) يتَّسمُ بمبادئ العَقيدةِ والأَخلَاق والرَّحْمة من جانب، ويتَّسمُ بالقُوَّة والرَّهْبَة والرَّدْع لأعداء الله الظالمين المُجْحِدين من جانب آخر، بُغْيَة تحكم شرع الله تعالي نَشْرِ العَدْل لِلبَشَرِيّة فِي الأَرْض.

<u>المطلب الثاني: العمليات الهجومية المحدودة:</u>

من أنواع العمليات الهجومية:العمليات الهجومية المحدودة كالإغارة، أو الاستطلاع بالقوة، أو التقدم للتماس أو ما شابه ، وتختلف غايات هذه العمليات؛ فالاستطلاع بالقوة مثلاً هي عملية ذات هدف محدد، تنفذ للحصول على معلومات ولتحديد مكان العدو، واختبار استعداداته، وقوته، وردّات فعله، وتوسيع دائرة المعلومات عنه، والهجوم على هدف محدد ينفذ بواسطة وحدة ما، أو عدة وحدات على نقطة حساسة، وقد ينفذ على عدة نقاط حساسة، بهدف كشف وضعية العدو، وقد يتم المحافظة على الهدف والإمساك به من بعد احتلاله، إذا ما أُتيح ذلك[1].

وعمليات الإغارة هي عملية قتالية هجومية تتميز بسرعة الانطلاق والتنفيذ والانسحاب، تنفذ بهدف الحصول على معلومات، ولا يكون لاحتلال الأرض والإمساك بها أية أهمية تلحظ، وتتوقف كيفية تنفيذ هذا الأسلوب، على حجم ونوع الوحدة التي تقوم به، ويجب على القائد من بعد توجيه ضربة للعدو في نقطة قوية أو ضعيفة، أن يكون جاهزاً لاستثمار أي نجاح غير متوقع أو للتملص من القتال[2].

وتتميز عمليات الإغارة بالهجمات المباغتة والعمل الخاطف، وتتضمن التنقل داخل الأراضي التي يسيطر عليها العدو في منطقة العمليات، وقد تعمد القوات إذا ما كانت قادرة، إلى الإمساك بالأرض التي احتلتها واستطلعتها، أو الانسحاب السريع بعد حركات قصيرة نسبياً، وبالإضافة إلى إلحاق الخسائر بقوات العدو، وقد تستهدف الإغارات هدفاً أو أكثر من الأهداف التالية:

1. تدمير المنشآت الحيوية؛ كالجسور، ومعامل الطاقة، ومراكز الاتصالات والمواصلات.

---

(1) تكتيك الهجوم (34-35).

(2) تكتيك الهجوم (36-37)، وانظر: المصطلحات البرية، إصدار: جامعة الدول العربية، لجنة توحيد المصطلحات والمفاهيم العسكرية (ص30).

2. الاستيلاء على الأسلحة والتجهيزات والمؤن.

3. تحويل الانتباه عن عمليات أخرى.

4. إحداث أقصى انفتاح لقوات العدو[1].

وتستخدم إجراءات الهجوم العادية، بالاعتماد على احتلال أهداف محددة في مواجهات ضيقة، مع المحافظة على قوة الاندفاع، وللمهاجم حق اختيار بعض أو كل الطرق الآتية:

أ. الشوارع مع تفادي استخدام المناطق المفتوحة المعرضة لنيران العدو.

ب. الحدائق والمساحات الخلفية للمباني الموازية للشوارع.

ت. أسطح المنازل.

ث. الممرات تحت الأرض.

ومن الضروري أن يعرف كل عنصر من العناصر المهاجمة مدى تقدم أي عنصر آخر خاصة عناصر الإسناد، حيث يجب الاتفاق على طريقة توضيح مدى تقدم أي عنصر داخل المنطقة[2].

وأبرز ما تحققه هذه العمليات في العدو هو المباغتة نظراً لتميزها بسرعة الحركة والمناورة ، ويتم الظهور بهذه العمليات أمام العدو في وقت لا يقدّره، وبصورة لا يتوقّعها، وبأسلوب يجهله، وهي من أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب[3].

وقد استخدم النبيﷺ أسلوب العمليات الهجومية المحدودة، كعمليات الإغارة السريعة من خلال سراياه وغزواته، وكانت تقصد أهداف محددة لجمع المعلومات والاستطلاع، ولتحقيق استراتيجية الردع، ولتأمين الجبهة الداخلية من أي دهم أو مباغتة سواء كان من داخل المدينة أو من خارجها.

وقد حاولت قريش أن تشن حرباً إعلامية ودعائية ضد المسلمين مستغلين أحداث عمليات الإغارة التي ينفذها المسلمون، لتحريض القبائل العربية، للنيل من عزيمة المسلمين؛ ولذلك قرر النبيﷺ استهداف مقرات وتجمعات العدو داخل المدينة وخارجها، والقضاء عليها قبل أن تنطلق من قواعدها[4].

يقول اللواء محمد وتر[5]: "بلغ من علم الرسول العربيﷺ، أنه استخدم الإغارة في شروطها وصفاتها كما لو استخدمت في الحروب الحديثة، بل إنها في الوقت الحاضر، لم تبلغ ما بلغته من قبل في التنفيذ وحسن اختيار القادة".

---

(1) الحروب الخاصة (ص47).

(2) المصدر السابق (ص12-13).

(3) الرسول القائد(ص450)، والمدرسة العسكرية الإسلامية (ص614-615)، والمدرسة العسكرية الإسلامية وقادتها العظام (ص96).

(4) رضوان والثلاثيني ، الأمن في السنة النبوية (ص21).

(5) ضاهر وتر، الإدارة العسكرية في حروب الرسولﷺ (ص82).

وقد كان رسول اللهﷺ يُغير وقت الصباح، امتثالاً لقول الله تعالى ﴿فَالْمُغِيرَاتِ[1] صُبْحًا﴾ العاديات:3، وقد روي عَن النَّبِيﷺ أَنه كَانَ فِي الْغَزْو لَا يُغير حَتَّى يصبح فَإِذا أصبح فَإِن سمع أذانا أمسك وَإِلَّا أغار، حيث كان الناس ينتظرون الأذان فإذا لم يسمعوا الأذان علموا أن الرسول قد أغار[2].

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده من طريق حُمَيْدٍ، قَالَ **سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا).**

والإغارة عند الفجر مبدأ في الهجوم أقره العلم العسكري الحديث، حيث يكون الأعداء نيام أو غير مستعدين للقتال، ويكون المهاجمون قد استفادوا من ستار الظلام ليقتربوا من خط الانطلاق، وبذلك يتحقق أمران أساسيان لتحقيق المفاجأة:

1) الاقتراب السريع من العدو تحت جنح الظلام.
2) بدء الهجوم عند الفجر.

والهُجُوم فَجْراً ليس سهلاً فهو يحتاج إلى قيادة مُسيطرة والى ضبط شديد لتنفيذ الأوامر، ويحتاج إلى قوة مدرّبة تستطيع معرفة أهدافها، فلا يصطدم بعضها ببعض، فيؤدي ذلك إلى خسائر في الأرواح دون مبرر، وهذا مما يدل على كفاءة المقاتلين المسلمين وتدريبهم المتميز على فنون القتال[4].

ونجاحُ المُقاتلين المُسْلمين بِتَنْفِيذ أَعْمَالَهُم الهُجُومية فَجراً، معناه وصولهم إلى درجةٍ عاليةٍ في التدريبِ والضبطِ والسيطرة على القوات، وهما أهم عناصر الجيش القوي الرَّصِين.

وقد أحدثت عمليات الإغارة رُعباً كبيراً في نفوسِ أعداءِ الإسلام، وجَعَلت للدولة الإسلامية هيبةً ومهابةً في نُفُوسِهم، ويؤكد ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة؛ منها قول الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾. [آل عمران: 151].

وقد أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: **(بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي).**

---

[1] المغيرات: من الإغارة أو الهجوم.

[2] لابن قيم الجوزية، الفروسية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان (ص132).

[3] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/دُعَاءِ النَّبِيِّﷺ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، 47/4 رقم حديث2943].

[4] خطاب، الرسول القائد (ص217).

[5] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/قول النبيﷺ "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، 54/4: رقم حديث 2977].

ومن خلال الاطِّلاع على السُّنة النبوية، ودارسة أحداث الغزوات والسرايا، وجدنا العديد من العمليات الهجومية المحدودة كعمليات الإغارة، ودوريات القتال، والسرايا الاستطلاعية، والتي تمت بقصد تحقيق أهداف محددة، نذكر منها ما يلي:

أولاً: الإِغَارَة عَلَى بَنِي المُصْطَلِق:

قرر الرسولﷺ الإغارة على بني المصطلق، وقد سُميت بـ(**غَزْوَة المُرَيسِيع، أو غزوة بَنِي المُصْطَلِق**)، عندما سمع أن قبيلة بني المصطلق تجمعوا ليُهاجموا المسلمين في المدينة بعد أُحد؛ فباغتهم بخروجه إليهم في شعبان سنة 6 هـ، ووصل إليهم عند منطقة تعرف بماء المُرَيسِيع[1]، وقد انتصر المسلمون انتصاراً كبيراً وكانت ضربة قوية لبني المصطلق؛ حيث غنموا غنائم ضخمة وكبيرة، وسبوا عدداً كبيراً من نساء القبيلة، وكان منهنَّ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التي أصبحت أم المؤمنين بعد ذلك، وهي ابنة زعيم بني المصطلق الحارث بن ضرار.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده **عن نافعﷺ (إِنَّ النَّبِيَّﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ[3]، وَأَنْعَامُهُمْ[4] تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ[5]، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ[6]، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ).**

قال ابن سعد[7]: "فَرَمُوا بِالنَّبْلِ سَاعَةً، ثم أَمَرَ رَسُولُ اللهﷺ أصحابَه فَحَمَلُوا حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ، فما أفلَتَ منهم إنسان وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم، وسبى رسول اللهﷺ الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء، ولم يُقتل من المسلمين إلا رجلاً واحداً، وكان بن عمر يُحدث أن النبيﷺ أغار عليهم وهم غارون ونعمهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم".

---

[1] المُرَيسِيع: هو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، سار النبيﷺ، في سنة خمس إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعا فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبيﷺ، ولهذا السبب هذه الغزوة تعرف في بعض الكتب بغزوة المُرَيسِيع. انظر: معجم البلدان (118/5).

[2] [البخاري:العتق/مَنْ مَلَكَ مِنَ العَرَبِ رَقِيقًا، فَوَهَبَ وَبَاعَ وَجَامَعَ وَفَدَى وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ،148/3:رقم حديث2541].

[3] غارون: غافلون أي أخذهم على غرة وبغتة. الحميدي، محمد بن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، (195/1).

[4] أنعامهم: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما تطلق على الإبل.

[5] مقاتلتهم: البالغين الذين هم على استعداد للقتال.

[6] سبى ذراريهم: أخذهم سبيا ووزعهم على الغانمين بعد أن ضرب عليهم الرق. والذراري جمع ذرية وهي ههنا النساء والأولاد غير البالغين.

[7] لابن سعد، الطبقات الكبرى (64/3).

ثانياً: الإغارة على بني قريظة:

أغار النبيﷺ على بني قريظَةَ بعدما نَقَضُوا العَهْدَ، وعَاوَنُوا قُرَيشاً على المُسلمينَ في يوم الأحزاب، وسمحوا للمشركين بدخول المدينة لاستئصال المسلمين، حيث لما بدت خيانتهم لرسول اللهﷺ بنقض العهد، أمر جبريل عليه السلام النبيﷺ بالتوجه إليهم لزلزلتهم، وليرد كيدهم في نحرهم.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ، وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الغُبَارُ**[2]**، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلاَحَ فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: فَأَيْنَ؟**[3] **قَالَ: هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِﷺ).**

وأخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده أيضاً عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: **(قَالَ النَّبِيُّﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّﷺ ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ).**

قال ابن سعد[5]: "وبعث بلالاً فنادى في الناس أن رسول اللهﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، واستخلف رسول اللهﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوما أشد الحصار، ورموا بالنبل فانجرحوا فلم يطلع منهم أحد فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول اللهﷺ أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم فأشار إليهم بيده أنه الذبح ثم ندم فاسترجع وقال خنت الله ورسوله فانصرف فارتبط في المسجد ولم يأت رسول اللهﷺ حتى أنزل الله توبته ثم نزلوا على حكم رسول اللهﷺ".

قال ابن حجر[6]:"السبب في ذلك هو ما وقع من بني قريظة من نقض عهده وممالأتهم لقريش وغطفان عليه ... توجه النبيﷺ إليهم كان لسبع بقين من ذي القعدة وأنه خرج إليهم في ثلاثة آلاف".

ثالثاً: حصار وإجلاء بني قينقاع عن المدينة:

كان رسول اللهﷺ يدعو يهود بني قينقاع إلى الإسلام، وكان يذهب إليهم ويجمعهم في سوقهم ويدعوهم

---

(1)[البخاري: الجهاد والسير/الغسل بعد الحرب والغبار،21/7: رقم حديث2813].

(2) عصب رأسه الغبار: ركبه وعلق به كالعصابة.

(3) فأين: أي فأين أخرج ؟.

(4) [البخاري: صحيح البخاري ، أبواب صلاة الخوف/صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء،15/2: رقم حديث946].

(5) لابن سعد، الطبقات الكبرى (74/2).

(6) لابن حجر، فتح الباري (408/7).

إلى الاسلام حتى يسلموا.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **(بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّﷺ فَنَادَاهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا القَاسِمِ، فَقَالَ: ذَلِكَ أُرِيدُ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا القَاسِمِ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: اعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ).**

ورغم دعوة النبيﷺ ليدخلوا الإسلام وحرصه عليهم؛ إلا أنهم كانوا يردوه باستعلاءٍ وغرور، بل كانوا يتوعدونه إذا ما قاتلهم.

أخرج أبو داود في سننه[2] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: **(لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: سَتُغْلَبُونَ).**

وقد قام المسلمون بحصار يهود بني قينقاع في حصونهم داخل المدينة، وكان ذلك في أوائل شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، وسبب ذلك هو:

1) تجسسهم على المسلمين لصالح المشركين، ونقلهم كل المعلومات عن نيات المسلمين وحركاتهم إلى قريش، وإظهار عداوتهم بوضوح للمسلمين.
2) نبذهم العهد الذي كانوا قطعوه على أنفسهم للمسلمين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وأظهروا البغي[3].
3) تعرضهم لامرأة مسلمة تبيع حليها في سوق بني قينقاع، فاستغاثت المرأة، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشدت يهود على المسلم فقتلوه، ثم لجأ يهود إلى حصونهم يحتمون

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الإكراه/في بيع المكروه ونحوه، في الحق وغيره ، 20/9: رقم حديث6944].

[2] [سنن أبو داود: الخراج والإمارة والفيء/كيف إخراج اليهود من المدينة ، 154/3: رقم حديث3001]،وأخرجه [الطبري في تفسيره، 227/6: رقم حديث6666]، و[البيهقي في السنن الكبرى:الجزية/من لا تؤخذ منه الجزية من أهل الأوثان ، 309/9: رقم حديث18629].

الحكم على إسناد الحديث: إسناده ضعيف، لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ولم يوثقه غير ابن حبان انظر: لابن حبان ، الثقات (392/7)، وباقي رجاله ثقات ، وقد ضعفه الألباني انظر : للألباني ضعيف أبي داود – الأم (430/2)، وانظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ، للألباني (ص2).

[3] لابن سعد، الطبقات الكبرى (158/4).

بها، وهذا السبب المباشر الذي حرك قوات المسلمين نحوهم[1].

وكان الهدف من حصارهم هو القضاء على بني قينقاع في المدينة المنورة؛ ليستقر الأمر فيها للمسلمين ولتكون المدينة قاعدة أمينة للمسلمين يرتكزون عليها في العمليات العسكرية المقبلة، وكانت نتيجة الحصار استسلام بني قينقاع، ثم إجلاءهم عن المدينة[2].

رابعاً: غزوة بَنِي سُلَيْمٍ:

كانت غزوة بني سليم عبارة عن دورية قتال بقوة مائتي راكب وراجل، قادها النبيﷺ بنفسه إلى منازل بني سليم وغطفان، الواقعة في قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ[3]، وسبب القيام بهذه الدورية هو أن الرسولﷺ بلغه أن قبائل غطفان وسليم قد كونت اتحاداً فيما بينها، وأخذت في التحشد لغزو المدينة، فجردﷺ هذه الحملة التأديبية التي بلغت قوتها مائتي راكب[4].

وقد باغت النبيﷺ هذه القبائل المحتشدة في عُقر دارها، حيث وصل بقواته السريعة إلى مكان التحشد وداهمهم على حين غفلة منهم، ففروا بمجرد وصول المسلمين، بعد أن تركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة، وقد قسم النبيﷺ هذه الغنيمة أربعة أخماسها بين أفراد الجيش، فخصّ كل رجل منهم بعيران، وقد بقى الرسولﷺ بجيشه في ديار سليم وغطفان ثلاثة أيام؛ لإظهار هيبة المسلمين ولإرهاب العدو، ثم عاد أدراجه إلى المدينة دون أن يلقى حرباً، وكانت هذه الدورية في أواخر شهر شوال من السنة الثانية للهجرة[5].

خامساً: غَزوَةُ ذِي أَمَرّ[6]:

وهي أكبر حملة عسكرية يقودها الرسولﷺ خارج المدينة قبل معركة أُحُد، فقد بلغ عدد رجال هذه الحملة أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل.

وسبب هذه الحملة أن استخبارات المدينة، نقلت إلى القيادة فيها، أن جمعاً كبيراً من بني ثعلبة ومحارب احتشدوا بذي أمر، وأن هدفهم هو الإغارة على أطراف المدينة؛ فسارع الرسولﷺ كعادته لإرهاب

---

(1) لابن هشام السيرة النبوية وهي ضعيفة (314/3).

[2] باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى – غزوة أحد (ص42)، وانظر: خطاب، الرسول القائد (ص145).

[3] **قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ**: منطقة تقع على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام، ويقال قرقرة الكدر، وهي بناحية معدن بنى سليم قريب من الأخضية وراء سد معونة، وبين المعدن وبين المدينة ثمانية برد. انظر: معجم البلدان (441/4)و الطبقات الكبرى، لابن سعد(21/2).

[4] لابن هشام، السيرة النبوية (43/2)، و للواقدي ، المغازي (182/1)، وانظر: للظاهري ، جوامع السيرة (ص120).

[5] للواقدي، المغازي (182/1)، وانظر: خطاب ، الرسول القائد (ص146)، وانظر: العمري ، السيرة النبوية الصحيحة (374/2).

[6] ذي أمر: موضع بنجد من ديار غطفان وتقع بناحية النخيل، وتسمى في بعض كتب السير غزوة غطفان.

الأعراب، فجهز هذه الحملة الكبيرة وقادها بنفسه، لضرب هؤلاء الأعراب في ديارهم قبل أن يتحركوا[1].

وفي أثناء سير الرسولﷺ بجيشه نحو العدو، ألقى جنوده القبض على رجل من بني ثعلبة المقصودين بالحملة فأُدخل على الرسول فدعاه الرسول إلى الإسلام فأسلم، وضمه الرسول إلى مفرزة بلال.

ثم قال الرجل (واسمه الحباب) للنبي إنهم – أي بني ثعلبة ومحارب – لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك إليهم لهربوا في رؤوس الجبال، ثم صار هذا الرجل دليلاً لجيش النبي إلى أرض العدو.

وقبل أن يصل الرسولﷺ إلى مكان تجمع تلك القبائل، بلغهم خبر حملة المدينة فسارعوا إلى الهروب، وتفرقوا في رؤوس الجبال، وقد كان قائد هذا التجمع رجلاً من بني محارب اسمه (دعثور بن الحرث الغطفاني)[2].

وقد وصل الرسول بجيشه إلى مكان التجمع وهو الماء المسمى (بذي أمر) ولم يعدﷺ إلى المدينة إلا بعد أن قام هناك بجيشه شهراً كاملاً، وذلك ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ويرهب من تحدثه نفسه بالاستخفاف بهم، وقد كان القيام بهذه الحملة في شهر محرم من السنة الثالثة للهجرة[3].

قال الباحث: كان لهذه العمليات الهجومية المحدودة من الدوريات الاستطلاعية وعمليات الإغارة أو المحاصرة ...إلخ، أثرها الكبير في تحقيق استراتيجية الردع الإسلامية، وإظهار القوة من خلال عنصرين من أهم عناصر الاستراتيجية العسكرية هما: (الحركة والمفاجأة) زيادة هيبة ونفوذ دولة الإسلام في الجزيرة العربية، وكانت هذه العمليات بمثابة حرب وقائية، من أنجح الأساليب التي عملت على إضعاف حشد الأعداء وتعطيل ردّات فعلهم.

<u>المطلب الثالث: العمليات الهجومية المنسّقة تعريفها، وأقسامها في الإسلام:</u>

العمليات الهجومية عبارة عن هجوم ينفذ من خلال تطبيق وتنسيق كافة الفنون القتالية، وأخذ مجمل الجوانب التكتيكية بعين الاعتبار، ويخطط لهذا النوع من الهجوم بدقة عادة وينفذ بعد استطلاع كامل ومقارنة القدرة القتالية للطرفين وتحليل سائر العوامل المؤثرة في القتال، وقد ينفذ الهجوم المنسق قبل أو بعد بقية العمليات الهجومية الأخرى[4].

لم تكن الحرب متكافئة في غالبية العمليات الهجومية التي قام بها المسلمون ضد أعدائهم، حيث غالباً ما كانت معايير القوى متباينة ومختلفة بين الطرفين في العديد من النواحي من حيث: (عدد

---

(1) سيرة ابن هشام (46/2) ، وانظر: للصلابي ، السير النبوية عرض أحداث وتحليل وقائع (ص452).

(2) لابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (355/1).

(3) خطاب، غزوة أحد (ص46).

(4) تكتيك الهجوم (ص39).

المقاتلين وتدريبهم وتسليحهم، العقيدة القتالية، أرض المعركة، العتاد والتسليح، التجهيزات والتحصينات القتالية).

لقد قاتل المسلمون عدة قوى مختلفة من القبائل والشعوب أثناء فتحهم للبلاد الاسلامية ونشرهم للإسلام، ومع الاختلاف في الحالات القتالية من معركة لأخرى؛ إلا أن المسلمين أبدعوا في إحداث توازنٍ مع الجيوش المنظمة والكبيرة كقتال (الروم والفرس) رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة، وأحدثت تفوقاً وتميزاً في قتال القبائل والجيوش الصغيرة غير المنظمة كقتال (المشركين) من القبائل العربية، وكذلك أبدع المسلمون في السيطرة على الجبهات الحصينة والتي لها دفاعات قوية وتجهيزات دفاعية كقتال (اليهود) في خيبر وبني النضير وغيرها.

وقد قسمت العمليات الهجومية المنسقة في ظل حياة النبيﷺ وأصحابه الكرامﷺ إلى التقسيمات التالية:

أولاً: العمليات الهجومية ضد جيش صغير:

قاتل الرسولﷺ وأصحابه الكرامﷺ، المشركين من القبائل العربية في العديد من الغزوات والسرايا، ورغم ما تميز بعض القبائل العربية وتفاخرها برجالها وأداءها القتالي؛ إلا أن المسلمين قد أبدعوا في التفوق عليهم في براعة القتال، والتكتيكات الحربية.

لكن لا يمكننا اعتبار قوة وشراسة القتال في العمليات الهجومية داخل الجزيرة العربية من القبائل العربية وغيرهم، هي كتلك المعارك والعمليات الهجومية مع جيوش الفرس والروم الكُبرى، حيث يوجد العديد من المفارقات ما بين قتال جيش صغير كالمعارك مع العرب وبين المعارك مع الجيوش الكبرى كالمعارك مع الفرس والروم، وذلك من الجوانب التالية:

1) العدد والعُدة القتالية ومكان القتال:

قاتل المسلمون التشكيلات أو الجيوش الصغيرة من أعدائهم داخل الجزيرة العربية، وهذه المعارك تعتبر محدودة من حيث العدد والعُدة، فهي لا تتعدى من حيث عدد الجند إلى بضع مئات غالباً، أو بضع آلاف أحياناً، فهي ليست بالكبيرة كتلك الجيوش الكبرى من الفرس والروم التي تُعد بعشرات الآلاف، أيضاً الاختلاف من حيث أماكن القتال لهذه المعارك وطبيعة المناورات الهجومية، حيث كانت تقع تلك المعارك مع القبائل داخل الجزيرة العربية بخلاف المعارك الكبرى التي حدثت خارج الجزيرة .

وسأذكر بعض المعارك على سبيل المثال، موضحة في الجدول الآتي:

م	اسم الغزوة	عديد القوات "للطرفين"		مكان المعركة	التاريخ	مجمل النتائج
		المسلمون	أعداء المسلمين			
1	بنو سليم	200 راكب وراجل	بنو سليم	قرقرة الكدر بين مكة والمدينة	أواخر شوال من السنة الثانية للهجرة	فرار بني سليم وتركوا أموالهم للمسلمين.
2	يهود بني النضير	مسلمو المدينة كافة	بنو النضير من يهود	ضواحي المدينة المنورة	ربيع الأول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاء بني النضير عن ضواحي المدينة المنورة
3	دومة الجندل	1000 راكب وراجل	قبائل دومة الجندل	دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	لاذت القبائل بالفرار
4	عمرة القضاء	400 راكب وراجل	قريش	مكة المكرمة	ذو الحجة من السنة السادسة الهجرية	بقي المسلمون ثلاثة أيام في مكة بعد أن خرج المشركون
5	خيبر	1600 راكب وراجل	يهود خيبر	خيبر	محرم من السنة السابعة الهجرية	فتح خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء
6	فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر	مكة المكرمة	رمضان من السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة المكرمة
7	حنين	12000 ألفاً	هوازن وثقيف	وادي أوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	فك المسلمون الحصار عن الطائف ورحلوا عنها إلى المدينة واندحار هوازن وثقيف

2) التكتيكات المستخدمة في قتال الجيوش الصغيرة:

تعتبر أساليب وفنون قتال الجيوش الصغيرة من القبائل العربية وغيرها غير مُنظّمة كتلك التكتيكات التي في المعارك الكبرى، لكنها حققت العديد من المبادئ العسكرية الهامة على صعيد (العمليات الدفاعية أو الهجومية) وقد ظهر ضعف التكتيكات العسكرية لدى القبائل العربية وغيرها أمام دهاء وقدرة رسول اللهﷺ العسكرية أصحابه الأفذاذ.

وفي استعراض سريع لتكتيكات بعض المعارك التي حدثت بين المسلمين وأعدائهم، سيتضح لك ضعف التكتيكات التي قام بها أعداء المسلمين مقابل براعة المسلمين في تكتيكاتهم القتالية[1]، وهي على النحو التالي:

م	اسم الغزوة	تكتيك القوات		مجمل النتائج
		تكتيك المسلمين	تكتيك الأعداء	
1	غزوة بدر الكبرى	1- طبّق الرسولﷺ مسير الاقتراب من المدينة إلى بدر، وهو تشكيل لا يختلف بتاتاً عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء. 2- تحريك دورية استطلاع أمامية، وتقسيم القوات إلى مقدمة ثم القسم الأكبر مؤلف من كتيبتين[2]، ثم مؤخرة. 3- انتخاب موضع مشرف على منطقة القتال "العريش" لقائد المعركةﷺ. 4- القتال بأسلوب الصف، وهو أسلوب جديد تفاجئت به قريش. 5- تحديد كلمة تعارف في القتال بين المسلمين.	1- لا يوجد قيادة واحدة منظمّة، ولا يوجد سيطرة على القوات، حيث جرى قتالهم كأفراد لا كمجموعة موحّدة. 2- القتال بأسلوب (الكر والفر) المعهود عند العرب.	1- النصر للمسلمين والهزيمة النكراء لقريش. 2- استشهاد أربعة عشر مسلماً، وقتل سبعون رجلاً من المشركين، وأسر سبعون أيضاً.
2	غزوة أحد	1- النجاح الاستخباري للمسلمين في معرفة الرسولﷺ لما يُحاك من قريش ضدهم. 2- رباط المسلمون من أهل المدينة المنورة وعليهم السلاح بالمسجد كما بات الحراس في مداخل المدينة لحراستها. 3- جمع الرسولﷺ أهل الرأي لاستشارتهم في	1- بعد إنجاز قريش استعداداتها العسكرية للحركة، سلكت طريق مكة–المدينة، ثم نزلت عند بعض السفوح من جبل (أحد) على بعد خمسة أميال من المدينة المنورة.	

[1] أبو فارس، المدرسة العسكرية النبوية (ص151-152)، وانظر: خطاب ، الرسول القائد (ص100-115).

[2] الكتيبتان: كتيبة المهاجرين ورايتها مع علي بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ، وهاتان الرايتان سوداوان.

		كيفية لقاء العدو. 4- انتخاب الموضع المناسب للمعركة، حيث عسكر المسلمون بالشعب من موضع (أحد) في عدوة الوادي، جاعلين ظهرهم إلى جبل (أُحد). 5- انتخاب مواضع الرماة، وضع خمسين من الرماة في موضع على طريق تؤدي من الجبل إلى خلف قواته. للدفاع في العمق ولتأمين القوات عند انسحابها أو عند أي إلتفاف من خلف الجبل. 6- إصدار الأوامر الجازمة لقوة الرماة، وتحديد قواعد الاشتباك لهم. 7- إصدار الأوامر الجازمة لكافة القوات المسلمة بألا يقاتل أحد إلا بأمر منهﷺ. 8- تحديد كلمة (شيفرة) للمسلمين ليتم الاندفاع والحمل على المشركين. "أمت، أمت" 9- بعث التنافس بين المسلمين لإظهار البطولة ورفع المعنويات القتالية لدى جميع المجاهدين. 10- الدفاع المستميت عن الرسول ﷺ، " قائد المعركة" وإفشال مخطط قريش بإغتيال النبيﷺ.	2- نظم المشركون قوتهم للقتال بأسلوب (الصف) وأمنوا حماية ميمنة الصفوف وميسرتها بالفرسان. 3- بذلت نساء قريش أقصى جهودهن لتشجيع قريش وبعث الحماس في نفوسهم لأخذ ثاراتهم من المسلمين. 4- كان لقريش قائد عام للمعركة هو أبو سفيان بن حرب. لكن لم تظهر له حنكة، وكانت سيطرته ضعيفة. 5- استخدم المشركون الإشاعة للتأثير على معنويات المسلمين حيث أشاعوا خبر مقتل الرسولﷺ في المعركة. وقد أثر ذلك في صفوف المسلمين. 6- استخدام مبدأ النار والحركة والنار والمناورة: استغلال خطأ الرماة وتحرك خالد بن الوليد بهجوم مضاد حيث قام بالإلتفاف وراء قوات المسلمين والسيطرة على قاعدة الرماة في الوقت الذي انهزم فيه المشركون، فباغت جيش المسلمين من الخلف مباغتة تامة، واستهدف جمع المسلمين وقيادتهم.	
3		1- **القتال بأسلوب الدفاع الثابت** من خلال اعتماد الدفاع داخل المدينة، واستغلال البيوت قوية البنيان للإفادة من مناعتها في حماية النساء والأطفال.	1- **فشل مواصلة الهجوم وتحقيق الهدف:** عدم قدرة الأحزاب التعامل مع تكتيك المسلمين الجديد، حيث لم	حقق التأمين للقوات الإسلامية، واندحرت الأحزاب عن المدينة متقهقرة.

	غزوة الخندق	2- **تحقيق مبدأ المباغتة** للأحزاب بالخندق وهو أسلوب قتالي فارسي لم تعهده العرب من قبل، ويدخل في أساليب العرب الحربية لأول مرة في التاريخ فتفاجئت بل وصُدمت به قوات الأحزاب ولم تستطع اجتيازه. 3- **الاستغلال الأمثل للأرض** من خلال حفر الخندق، وعسكرة الجنود المسلمين إلى سفح (سلع) حيث جعلوا (سلعاً) خلف ظهورهم. 4- **تخذيل الأحزاب** وزعزعة الثقة فيما بينهم من خلال حادثة نُعيم بن مسعود. 5- **تفعيل العمل الاستخباري** من خلال استطلاع أخبار الأحزاب من خلال إرسال لحذيفة بن اليمان. مما ساعد في تقدير الموقف السليم ومعرفة موقف الأعداء.	تعرف قريش أسلوب القتال المناسب لاجتياز الخندق والتغلب على المدافعين عنه. 2- **فشل في وحدة القيادة:** حيث كان لكل قبيلة قائد بل عدة قواد، وكان من المستحيل اتفاقهم على قائد يسيطر على جميع القوات. وتوجيهها للعمل الحاسم. 3- **سوء الطقس:** سوء اختيار التوقيت المناسب "موسم القتال في الشتاء"، حيث كان الأعراب يعيشون في العراء ولم يتمكنوا من الاستفادة من مواد التدفئة والإعاشة. لذلك لم يستطيعوا البقاء لحصار المدينة مدة طويلة. 4- **فشل الحصار:** لعدم قدرة الأعراب على صبر على الحصار المديد، وقد تذمر الأعراب من طول الحصار أثّر ذلك على معنوياتهم، فآثروا الإرتحال على البقاء. 5- **انعدم الثقة بين الأحزاب** بسبب نجاح خطة نُعيم بن مسعود في التفرقة بينهم.	
4	**دومة الجندل**	سار الرسولﷺ إلى دومة الجندل، حيث كان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى باغتهم بالإغارة.		ولُّوا هاربين ولم يبق أحد منهم بساحتهم.
5	**غزوة بني المصطلق**	بدأ القتال معهم بالتراشق بالنبال وقتاً يسيراً ثم أمر المسلمين بأن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، حيث أغار عليهم فجراً.		استسلموا جميعاً أسارى في أيدي المسلمين

6	**فتح مكة**	عندما اقتربﷺ من مكة أمر المسلمين بإشعال النيران فهبت قريش مذعورة من هذه النيران.		استسلم قائدهم أبو سفيان بعد أن وقع في قبضة المسلمين، وصار يأمر أهل مكة بالاستسلام وعدم القتال، بعد أن رأى قوة المسلمين وإصرارهم على القتال.

ثانياً: العمليات الهجومية ضد جيش كبير:

بدأ الرسولﷺ يخطط لخوض العمليات الهجومية الكبرى تمهيداً للفتح الإسلامي العظيم، فهو الذي رسم الخطة التمهيدية التي حملت جيش المسلمين على فتح أرض الشام[1]، وتأسيس أول ركن لدولة الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

وقد بدأ الترتيب من النبيﷺ لبدء خوض العمليات الهجومية الكبرى، يوم أن قرّرﷺ البدء بتجهيز جيش العسرة (جيش تبوك) للخروج لمحاربة جيش أكبر دولة في العالم في ذلك الوقت، (جيش الدولة الرومانية العظمى)، وهذا العدو ما كان العرب يتخيلون حتى لقاءه، فهي دولة ضخمة، ولها تاريخ طويل في الحروب[2].

وقد تحول المسلمون إلى استراتيجية الهجوم خارج حدود الجزيرة العربية، وذلك بعد أن اشتد عضد المسلمين وقويت شوكتهم بانضمام قريش إليهم بعد فتح مكة، ثم استقر الأمر لهم في الجزيرة العربية بانضواء جميع القبائل العربية تحت لواء الاسلام، وبعد أن تمكنوا من القضاء على فتنة الردة وفلول المرتدين.

وقد أظهر الله عز وجل بعد الرسولﷺ الخلفاء الراشدون الذين قادوا الفتوح الإسلامية وساقوا الجيوش في مشارق الأرض ومغاربها، خاصة في العراق والشام ومصر وإفريقية، وقد ظهر إدراكهم العميق للاستراتيجية العسكرية بمفهومها العصري الحديث، على الصعيد الفني والتنظيمي والإداري والتكتيكي أحياناً، ما جعله في مصاف كبار الفاتحين التاريخيين في العالم[3].

اتخذ الخليفة الأول أبو بكرﷺ قراره بأن يدفع بجيوش المسلمين نحو بلاد العراق والشام، ليقارع بها

---

[1] أرض الشام: حدودها من الغرب بحر الروم "البحر الأبيض المتوسط" ومن الشرق البادية من "أبلة" إلى الفرات إلى حد الروم، ومن الشمال بلاد الروم "تركيا"، ومن الجنوب حد مصر وتيه بني إسرائيل. انظر: معجم البلدان(219/5).

[2] خطاب، اريخ جيش النبيﷺ (ص40).

[3] سويد، الفن العسكري الاسلامي أصوله ومصادره، العميد الركن (ص83).

أعظم امبراطوريتين وأقواهما في ذلك العصر (الروم والفرس)، وكان هذا الأمر تنفيذاً لرغبة النبيﷺ عندما جهّز حملة لغزو الشام بقيادة أسامة بن زيدﷺ إلا أنه توفي قبل انفاذها، وكانت من وصايا النبيﷺ قبل موته إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه لقتال الروم.

وقد كان الخليفة أبو بكرﷺ قد اتخذ قراره الذي يُعتبر خياراً (استراتيجياً) يقوم على اعتماد استراتيجية شاملة ومباشرة بعيدة المدى، تهدف إلى نشر الدين الحنيف على بني البشر جميعاً، وحماية للرسالة نفسها من التقوقع ضمن حدود الجزيرة العربية، فكانت البداية مع انفاذ جيش أسامة رضي الله عنه لغزوة تبوك.

وغزوة تبوك اسم لمع في سماء الغزوات حيث أعطت للدولة الإسلامية هيبتها، ووضعتها بحذاء قوة الروم والفرس؛ وبرغم كل المعوقات إلا أن الجيش العملاق بفضل الله عز وجل تجهز، وكان تعداده ثلاثون ألف مقاتل مسلم، وهو أكبر جيش إسلامي يتم تشكيله، وقد خرج هذا الجيش بالفعل إلى تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة، مُعلناً بدء العمليات العسكرية الهجومية الإسلامية ضد جيش الدولة الرومانية العظمى.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (**بَعَثَ النَّبِيُّﷺ، بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**).

وقد آثر الخليفة أبو بكر الصديقﷺ، أن يُنفذ جيش أسامة بالموازاة مع حروب الردة، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ: (وَاللَّهِ لَوْ خَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَنِي السِّبَاعُ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - لَأَنْفَذْتُ جَيْشَ أُسَامَةَ)[2].

وبعد الانتهاء من حروب الردة وتوحيد الجزيرة العربية تحت راية إسلامية واحدة، وضع الصديقﷺ وهو الخليفة الأول للرسولﷺ، استراتيجية الفتوحات الإسلامية الكبرى، وذلك بالقيام بالعمليات الهجومية الكُبرى لنشر الإسلام في الشرق والغرب، مُعلناً إكمال خارطة الطريق التي رسمها الرسول القائدﷺ لنشر الإسلام في ربوع المعمورة، غير أن هذا الأمر يقضي مجابهة أعظم دولتين في ذلك العهد: دولة الفرس في الشرق (العراق)، ودولة الروم في الغرب (الشام وفلسطين)[3].

أعلن الخليفة أبو بكر الاستنفار العام للمسلمين، وجهز ست فرق، وأرسل عليها ستة قادة، هم من

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبيﷺ/مَنَاقِبِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّﷺ23/5: رقم حديث3730].

(2) الحنفي، بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (284/1).

(3) حسين آغا، الاعجاز العسكري في القرآن الكريم (ص91)، وانظر: المغلوث ، سلسلة أطلس تاريخ الخلفاء الراشدين- أطلس الخليفة أبي بكر الصديق (ص65).

أشهر قادته وأكثرهم خبرةً ودراية بالقتال، بالإضافة إلى فرقة سابعة كانت كقوة احتياط متمركزة في المدينة، و قد حرك الجيوش الإسلامية على الجبهات كالتالي:

1) **فرقة احتياط مركزية:**

- **فرقة بقيادة عكرمة بن أبي جهل:** احتياط متمركزة في المدينة.

2) **ثانياً: تحريك الجيوش إلى دولة الفرس:**

- **فرقة بقيادة خالد بن الوليد:** إلى العراق مقتحماً إياه من الجنوب نحو الشمال.
- **فرقة بقيادة عياض بن غنيم:** إلى العراق مقتحماً إياه من الشمال نحو الجنوب.

محكماً الطوق على العراق بحركة كماشة.

3) **ثالثاً: تحريك الجيوش إلى دولة الروم:**

- **فرقة بقيادة يزيد بن ابي سفيان:** إلى دمشق، ثم مساندة الفرق الأخرى في تحركاتها والعمل بالتساند معها.
- **فرقة بقيادة شرحبيل بن حسنة:** إلى بصرى عاصمة حوران، ثم مساندة الفرق الأخرى في تحركاتها والعمل بالتساند معها.
- **فرقة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح:** إلى حمص، ثم مساندة الفرق الأخرى في تحركاتها والعمل بالتساند معها.
- **فرقة بقيادة عمرو بن العاص:** إلى فلسطين.

وقد كانت الفرق الأربع الأخيرة، مُكلّفة بفتح واحتلال منطقة مساحتها نحو 120 ألف كلم2، وهي منطقة تمتد من غزة غرباً حتى صحراء الشام شرقاً، ومن معان جنوباً حتى دمشق شمالاً، والمسافة بين غزة وصحراء الشام 300كلم، كما أن المسافة بين معان ودمشق 400 كلم، ناهيك بأن هذه الفرق تبتعد عن قاعدة تموينها المدينة بالحجاز نحو 1100كلم، في وقت انعدمت فيه وسائل الاتصال باستثناء السُعاة على ظهور الخيل أو الإبل التي كان عليها أن تقطع هذه المسافات في فترات زمنية طويلة تبلغ بضعة أسابيع؛ الأمر الذي يدفع الخليفة لأن يحسب لكل شيء حسابه، ولفترة طويلة، مع اعطاء قدر من حرية التصرف لكل قائد[1].

وقد تميز تحريك الجيوش إلى بلاد الشام والعراق بالتشعب للاستطلاع بالقوة والمناورة، والحشد

(1) سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص88–89)، وانظر: حسين آغا، الإعجاز العسكري في القرآن (ص95).

المتفوق، والتعاون والتنسيق الكاملين، من أجل خوض المعركة الفاصلة، والتميّز الأكبر هو انتصار المسلمين وهم القلّة المؤمنة على الجيوش الجرارة الكافرة، رغم عدم وجود تكافؤ بين القوات؛ فالمسلمون يحاربون جيوش كبيرة وقوية ومنظمّة يتفوقون عليهم بالعديد والعتاد والتجهيزات بأضعاف أضعاف مضاعفة، حقاً إنها معجزة عسكرية بكل المقاييس.

فهذا جيش سعدﷺ يقاتل الفرس في القادسية ببضعة وثلاثين ألفاً، وينتصر عليهم وقد بلغ عديدهم ما يزيد على مائتين وأربعين ألفاً من المقاتلين[1].

وهذا خالد بن الوليدﷺ يقاتل الروم في اليرموك بتسعة وثلاثين ألفاً، وينتصر المسلمون عليهم وقد بلغ عددهم مائتي ألف مقاتل رومي، ويتحرك خالدﷺ لبلاد فارس بثمانية عشر ألف جندي مسلم ويكسر بهم مائة وعشرين ألفاً من جنود الفرس[2].

أما الأندلس فقد فتحت باثني عشر ألفاً وأمامهم مائة ألف إسباني صليبي في عقر دار الأسبان[3].

وهذه المعارك الهجومية ضد الجيوش الكبرى من الروم أو الفرس لا تُقارن بالمعارك التي حدثت مع قريش والقبائل العربية من حيث العَدَد أو العُدَّة أو المكان أو الظروف؛ حيث إن العرب لما حشدوا حشدهم في الأحزاب بالكاد جمعوا عشرة آلاف، وهذا كان رقماً مهولاً عندهم، فكيف استطاع المسلمون أن يَغزُو بِلَاد فارس، مع علمهم أن جيش فارس أكثر منهم بكثير! وهناك فجوة هائلة بينهم في التسليح والإعداد؛ بالإضافة إلى أن الحرب في عقر دار الفارسيين في وسط بلاد الفرس في العراق وإيران وغيرهما من البلاد على بعد مئات الأميال من المدد.

ولم يكن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليقل دراية وكفاية في الشأن الاستراتيجي عن سلفه أبي بكر، إذ كان يكفي أن يصف له قائد جيشه العدو وأرض المعركة، حتى يصدر القرار الملائم، فقد كان الفاروق عمر رضى الله عنه يطلب من قادته، وهم بعيدون عن المدينة، عاصمة الإسلام ومركز القائد الأعلى، أن يصفوا له بالتفصيل، عدوهم الذي عليهم أن يواجهوه، عدداً وعدة وقادة ومستوى معنوياً، يصفوا له أرض المعركة وطبيعتها، حتى إذا درس الوصف المرسل إليه استطاع أن يتخذ القرار المناسب[4].

---

(1) لابن الاثير، الكامل في التاريخ (289/2).

(2) لابن الاثير، الكامل في التاريخ (255/2)، وانظر: الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط (161/1).

(3)عادل كمال، استراتيجية الفتوحات الإسلامية– القادسية (ص51– 81).

(4)سويد ، الفن العسكري الإسلامي (ص91).

لقد تسلم عمر بن الخطاب الخلافة وبايعه الناس، وجيوش المسلمين في العراق والشام فتابعت هذه الجيوش فتوحها بتوجيه منه، فكان يُسيّر تلك الجيوش إلى الحرب ويبعث الأوامر إل قادتها في مختلف الجبهات، ويُحرك القوات من إقليم إلى آخر ومن جبهة إلى أخرى بسرعة ودراية فائقتين، وكان يُدير المعارك على مختلف الجبهات وهو في موقعه بالمدينة كأنما رسمت أمامه مواقع القتال رسماً، فيُقيّم الوضع العسكري لجيوشه وللعدو على كل جبهة، ثم يصدر أوامره وتعليماته وفقاً لهذا الوضع، كأنما هو مع تلك الجيوش يشهد قتالها ويراقب مناوراتها، وقد أتم الخليفة عمرﷺ فتح العراق وإيران والشام ومصر، وأعاد تنظيم الجيش ورتب ديوان الجند، وحقق قول النبيﷺ فيه: **(لَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ)**[1]، وقد اعتمد الخليفة عمر استراتيجية إنشاء الحصون والثغور والعواصم في البلدان التي فتحها، وعلى حدود الدولة الإسلامية، وفي الأماكن الاستراتيجية، وأقام في تلك الحصون والثغور والعواصم جيوشاً تحميها وتدافع عن الأرض المفتوحة، وفرض الخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وعزز استقلال القضاة عن الولاة[2].

يقول العميد الركن د. ياسين سويد[3]: "يمكن القول إن فهم الخلفاء المسلمين لتنظيم الجيوش وإدارتها قد جاوز مفهوم ذلك العصر إلى حد كبير، وقد ظهر ذلك جلياً عند الخليفة عمر بن الخطاب الذي يعتبر أول منظم للجيش الإسلامي بشكله المتطور والمعروف في ذلك الزمن، إذ بادر هذا الخليفة إلى تنظيم الجيش على أسس علمية حديثة حتى صح القول إن جيشاً إسلامياً رسمياً ظهر إلى الوجود في عهد عمر، فقد أنشأ (ديوان الجند)[4] الذي نظم بواسطته إحصاء المقاتلين وحدد حقوقهم وواجباتهم، وأقر مبدأي التسريح والاستبدال، وسن التجنيد الإلزامي على كل مسلم بالغ وقادر، ثم نظم الجيش تنظيماً هرمياً وأنشأ الوحدات العسكرية بكامل هيئاتها القيادية وملاكاتها التنظيمية، وأنشأ في الجيش كذلك أجهزة مختلفة كالجهاز الإداري والإعلامي والمعنوي والقضائي والطبي وغيرها".

ثالثاً: العمليات الهجومية ضد قرى محصنة ودفاعات قوية:

ذكر القرآن الكريم طبيعة وجُبن اليهود ورهبتهم وخوفهم من المسلمين، كما ذكر ما اشتهروا به في قتالهم، من حيث تحصيناتهم الدفاعية كالجدر والقلاع الحصينة والملاجئ والخنادق وما شابه، قال تعالى: **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ* لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبيﷺ/مناقب عمر بن الخطاب..، 10/5: رقم حديث3682].

(2) العمري، لسيرة النبوية الصحيحة (680/2)، وانظر: السياسة الشرعية، جامعة المدينة العالمية – ماليزيا (ص694).

(3) سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص93).

(4) ديوان الجند: هو الذي يحصر فيه جند كل إمارة وأعطياتهم وكل ما يختص بشؤونهم وقد حُددت لهم ولذويهم رواتب ونفقات منظمة، وأول من وضعه الخليفة عمر بن الخطاب. انظر: للماوردي، الأحكام السلطانية (ص297).

وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾. [الحشر:13-14].

ومعلوم عن اليهود ما هم عليه من الغدر والخيانة ونقد العهود، وكيف تآمروا على المسلمين، وغدروا بالعهود والمواثيق، حيث كانت جميع خططهم مبنيّة على الغدر والخيانة؛ فيهود بني قينقاع نقضوا العهد فآذوا امرأة مسلمة وقتلوا مسلماً ثأر لهذه المرأة، ويهود بني النضير نقضوا العهد وتآمروا على قتلهﷺ، وحاولوا تنفيذ المؤامرة بتكليف اليهودي عمرو بن جحاش بن كعب بإلقاء صخرة على رأس الرسولﷺ، ويهود بني قريظة نقضوا العهد وتآمروا مع الأحزاب للغدر بالمسلمين والقضاء عليهم، ويهود خيبر حزَّبوا الأحزاب ضد المسلمين في غزوة الأحزاب، وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة، وهم الذين وضعوا خطة لاغتيال النبيﷺ، فكان لا بد من محاربتهم والتخلص منهم، فهُم سبب لكل شر وبلاء في أرض الجزيرة، وكان للنبيﷺ مع اليهود أربع غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: غزوة بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خيبر بعد الحديبية[1].

وقد تفوق المسلمون بتكتيكاتهم القتالية ضد يهود، واتسم المسلمون في قتالهم وعملياتهم الهجومية ضد القرى المحصنة ذات الدفاعات القوية، بالعديد من الأساليب والتي منها: التطويق، والحصار، والرمي غير المباشر، واقتحام الحصون، وتخريب بيوتهم، والقتال المباشر بين البيوت والأحراش .. وغير ذلك.

ومن أبرز التكتيكات التي استخدمت ما يلي:

م	اسم الغزوة	تكتيك القوات		مجمل النتائج
		تكتيك المسلمين	تكتيك الأعداء	
	غزوة بني قينقاع	▪ كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول اللهﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول اللهﷺ خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه[2].	▪ تجسس يهود على المسلمين لصالح المشركين، ونقلهم المعلومات عن نيات المسلمين وحركاتهم إلى قريش، وإظهار عداوتهم بوضوح للمسلمين. ▪ نبذ يهود العهد الذي كانوا قطعوه على أنفسهم للمسلمين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وأظهروا البغي[3].	▪ كانت نتيجة الحصار استسلام بني قينقاع، وقد أجلاهم الرسولﷺ عن المدينة، شريطة ترك سلاحهم وأموالهم للمسلمين خلال ثلاثة أيام[1].

---

[1]لابن حزم، جوامع السيرة (149/1)، وانظر: لبدر الدين الحلبي، المقتفى من سيرة المصطفى.."(135/1)، وانظر :لعبد الواحد سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام (ص463)، وانظر: إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية (ص243).

[2] المدني، سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق : سهيل زكار(ص314).

[3] طبقات ابن سعد (29/2).

			■ تعرض يهود لامرأة مسلمة تبيع حليها في سوق بني قينقاع، فاستغاثت المرأة، فوثب أحد المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشدت يهود على المسلم فقتلوه، وهذا السبب المباشر الذي حرك قوات المسلمين نحوهم. ■ لجأ يهود إلى حصونهم يحتمون بها.	■
	غزوة بني النضير	■ سار رسول الله ﷺ إليهم وضرب عليهم الحصار وشدد عليهم المراقبة ■ قطع نخيلهم كما دمر بعض المسلمين بيوتهم.	■ بعد خمسة عشر يوماً من الحصار ملأ الرعب قلوبهم فاشترط عليهم الخروج دون أن يأخذوا معهم قطعة سلاح وأن يسلموا هذه الأسلحة للمسلمين، وامتلك المسلمون بقية أموالهم بعد خروجهم.	■ استسلموا جميعاً لحُكمه ﷺ، وتم إجلاؤهم من المدينة.
3	**غزوة بني قريظة**	■ كان النبي يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه، ولذلك أرسل ﷺ الزبير بن العوام ليأتيه بأخبارهم. أخرج البخاري في صحيحه[2] عن جَابِرٍ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: (مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ. فذهب الزبير ثم رجع يقول لرسول	■ حاولوا أن يعرضوا على الرسول ﷺ عروضاً ينسحبون من المدينة كما بنو قينقاع وبنو النضير، فأبى ﷺ. ■ فلما رأوا أن الأمر جدٌ وليس بالهزل قبلوا بحكم سعد بن معاذ الذي حكم بأن يقتل المقاتلون وتسبى الذراري وأن تقسم أموالهم.	■ وافق الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ، وأمر بحفر خندق في سوق المدينة فضرب أعناقهم وأهال عليهم التراب[4]. ■ بلغوا: ستّ مائَة أَو سبع مائَة، وَالْمُكْثِرُ لَهُمْ يَقُولُ: كَانُوا بَين الثمان مائَة وَالتسع مائَة وفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، رَأْسُ الْقَوْمِ[5].

---

(1) باشميل، وسوعة الغزوات الكبرى – غزوة أحد(ص42)، وانظر : خطاب، الرسول القائد (ص145).

(2) [البخاري : صحيح البخاري، غزوة الخندق وهي الأحزاب111/5].

		الله: رأيـتهم يصـلحون حصـونهم ويـدرّبون طـرقهم[1]، وقـد جمعـوا ماشيتهم[2]. ثم أراد أن يتحقق من الأمر، فبعث سـعد بـن معـاذ وسـعد بـن عبـادة وخـوات بـن جبيـر وعبـد الله بـن رواحـة، فرجعوا إلـى النبـي فـأخبروه بذلك[3]. ▪ حاصرهم النبيﷺ، ثم قرر اقتحام حصونهم.		
4	**غزوة خيبر[6] سنة 7هـ**	▪ تحـرك الرسـولﷺ بأصـحابه إلـى مواضــع (الرجيــع) مــن أرض غطفـان، ليحـول بـين تعـاون يهـود خيبـر وغطفـان خلفـائهم فـي قتـال المسـلمين؛ وبهـذه الحركـة اسـتطاع الرسـول ﷺ إيهـام غطفـان بـأن الهجـوم موجـه ضـدهم وأن قـوات المسلمين توشك أن تطوقهم. ▪ تغيير الاتجاه: عاد الرسول ﷺ إلى خيبـر، ولكنــه أرسـل مفـرزة مـن أصـحابه لمباغتـة ديـار غطفـان الضـارية لمعاونـة يهـود. ونجحـت هـذه المفـرزة فـي إلقـاء الرعـب فـي ديـار غطفـان، ممـا اضـطر هـذه	▪ أرسـلوا إلـى غطفـان يسـتمدونهم؛ لأنهـم كـانوا حلفـاء يهـود خيبـر ومظـاهرين لهـم علـى المسـلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين.	سقوط خيبر واستسلام يهود فدك ووادي القرى وتيماء، فتم بذلك القضاء عسكرياً على يهود الجزيرة العربية. أصبحت خيبر ملكًا للمسلمين وصارت موردًا مهمًّا لهم، وقد تحسن الوضع الاقتصادي بعد خيبر، قال ابن عمرﷺ ما شبعنا حتى فتحت خيبر)(1)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ:

[4] سيرة ابن هشام (241/2)، وانظر: للبيهقي، دلائل النبوة (23/4).

[5] المصدر السابق.

[1] يدرّبون طرقهم: المعنى أنهم يسهلون طرقهم من أجل السّير إلى المسلمين، أو أنه كنى بذلك عن الأخذ بالاستعدادات كافتها لقتال المسلمين. انظر: لسان العرب (962/1).

[2] مغازي الواقدي (457/2).

[3] سيرة ابن هشام (231/3-238).

[6] خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة المنورة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، انظر التفاصيل في معجم البلدان (495/3).

[1] [البخاري: صحيح البخاري ، المغازي/غزوة خيبر، رقم حديث4243].

		القبيلة إلى الإسراع بالعودة إلى ديارها لحمايتها من تهديد المسلمين، وتركت يهوداً وحدهم أمام المسلمين. ▪ بعث الرسولﷺ عباد بن بشر رضي الله عنه في سرية استطلاعية يتلقط أخبار العدو، ويستطلع إن كان هناك كمائن، فلقي في الطريق عينًا لليهود من أشجع، فحقق معه وجمع منه معلومات. ▪ طبق الرسولﷺ مسير الاقتراب بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خيبر ليلاً. ▪ أتم الرسولﷺ تطويق خيبر فور وصوله في نفس الليلة دون أن يستطيع يهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم. ▪ لم يعرف يهود أنهم أصبحوا مطوقين بقوات المسلمين إلا عند خروج قسم من الفلاحين صباحاً ليباشروا أعمالهم، فلما رأوا جيش المسلمين عادوا أدراجهم[1]؛ حيث فاجأهمﷺ بالضربة الأولى وهم غير مستعدين، منتشرين في مزارعهم. ▪ قتال خيبر بين حصونها.		(قُلْنَا الْآنَ نَشْبَعُ مِنْ التَّمْرِ)[3].

[1] راجع قانون الحرب والحياد من القانون الدولي: (الحصار): الإحاطة بقرية أو بلد، سواء كانت محصنة أو غير محصنة مدافعاً عنها أم غير مدافع، لمنع الدخول والخروج منها حتى تضطر إلى التسليم.

ولا يؤثر على هذه القاعدة، إن من نتائج الحصار تجويع سكان المنطقة غير المقاتلين من النساء والأطفال، بل ليس من واجب القوات المحاصرة إخطار أهل المنطقة بالحصار المزمع لتمكين المدافعين من إخلائها منهم، ولا من واجبها أن تسمح لهؤلاء بالخروج إذا طلب إليها ذلك، لأن بقاء هذا الفريق الكبير من المدنيين مع المدافعين عن المنطقة المحاصرة يزيد في متاعبها ويُعجِّل في التسليم. وليس هناك مانع من أن يقوم المحاصرون بإجراءات أخرى تُعَجِّل في سقوطها، كقطع موارد المياه ومهاجمتها بالسلاح.

[3] [البخاري: صحيح البخاري ، المغازي/غزوة خيبر ، رقم حديث 4242].

المطلب الثالث: عمليات استثمار النجاحات العسكرية.

أولاً: تعريف استثمار النجاح، وأهميته ومتطلباته.

استثمار النجاح: هو عملية هجومية تلي عادة هجوماً ناجحاً، بغية استغلال ضعف دفاعات العدو أو انهيار قسم منها، وتهدف هذه العملية منع العدو من إعادة تنظيم دفاعاته مجدداً، أو تنفيذ انسحاب منظم[1].

عادة ما تكون عمليات استثمار النجاح العسكري متتالية بعد نجاح عملية هجومية، وللاستفادة من أي نجاح، يكون من الضروري الاحتفاظ بجزء من القدرة القتالية كقوة احتياط، حيث يجب على القائد أن يستفيد بسرعة من أي نجاح، أو فرصة، أو معلومات تتوفر لديه أثناء تنفيذ العمليات.

وينبغي أن ينفذ الهجوم بعنف وقدرة فائقة، وإذا ما حصل إبطاء في الهجوم في مقطع من منطقة العمليات، فإنه ينبغي أن تحشد الجهود، في سبيل تحقيق النجاح في منطقة أخرى، تتوفر فيها فرص تحقيقه، ولتحقيق استثمار النجاح، فإنه وبالقدر الذي يكون محتاجاً فيه إلى قدرة قتالية متفوقة؛ كالاحتياط، والقدرة النارية، والدعم القتالي، ودعم الخدمات القتالية، يكون بحاجة أيضا، إلى توفر الشجاعة والجرأة لدى الأفراد والوحدات وتكون هذه القوات قوية ومتحركة بما فيه الكفاية، وتُرصد كقوات لاستثمار النجاح[2].

ثانياً: الأمثلة من السنة النبوية ومن المعارك الاسلامية:

في السنة النبوية المطهرة، الكثير من المواقف التي استثمر فيها الرسولﷺ نجاحاته بأفضل صورة، فكانت العملية تحقق أكثر من هدفها؛ ومن ذلك ما يلي على سبيل المثال:

1) **استثمار النجاح بعد غزوة الأحزاب:**

استثمر الرسولﷺ هزيمة الأحزاب وتوجه مباشرة لبني قريظة لمعاقبتهم، والقضاء عليهم بسبب نكثهم العهد مع المسلمين عند تجمع الأحزاب حول المدينة المنورة، مما جعل المسلمين مهددين بالإبادة والفناء.

وكان الاستثمار هدفه محاسبة الغادرين من يهود على غدرهم بالمسلمين في أشد أوقاتهم حرجاً، ومحاسبة القبائل التي غدرت بدعاة المسلمين[3].

---

[1] تكتيك الهجوم (ص43).

[2] المصدر السابق (ص23-24).

[3] خطاب ، الرسول القائد (ص231-233).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[1] بسنده، **عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: (نَادَى فِينَا رَسُولُ اللهِﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوْتَ الْوَقْتِ، فَصَلَّوْا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِﷺ، وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ، قَالَ: فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ).**

وعلى الرغم من تعب المسلمين الشديد لبقائهم مدة طويلة محاصرين، وعلى الرغم من برودة الطقس، فقد أسرع المسلمون لتنفيذ أمر الرسول ﷺ، وأنجزوا تجمعهم حول حصون بني قريظة قبل أن يحل الظلام من ذلك اليوم، وانتهى أمرهم بحكم سعد بن معاذ فيهم: (أن يُقتل المقاتلون، وتُقسم الأموال وتُسبى الذراري والنساء).

أخرج البخاري في صحيحه[2] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: **(لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ).**

وقد طُبِّق فيهم حُكم سعد؛ فقتل مقاتلوا بني قريظة جميعاً ومعهم حيي بن أخطب الذي تزعم حركة تجميع الأحزاب ضد المسلمين، إلا ثلاثة رجال[3] أسلموا، ولم يقتل من الأطفال والنساء أحد عدا المرأة التي قتلت الشهيد المسلم برحاها، فقتلت بجرمها هذا.

2) استثمار النجاح بعد فتح مكة:

استثمر الرسولﷺ دخوله مكة فاتحاً مُنتصراً، في تحقيق هدف كبير وغاية سامية ، وهو إدخال الأمن في نفوسهم وترقيق قلوب الناس حتى يدخلوا في دين الإسلام برغبةٍ وطواعية.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[4] بسنده **عن أبي هريرة** قال: **(كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ،... فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ).**

---

(1) [مسلم:صحيح مسلم ، الجهاد والسير/الْمُبَادَرَةِ بِالْغَزْوِ، وَتَقْدِيمِ أَهَمِّ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ، 1391/3: رقم حديث1770].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/إذا نزل العدو على حكم رجل ، 76/4 : رقم حديث3043].

(3) الثلاثة الذين أسلموا هم: ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة. انظر سيرة ابن هشام (256/3).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/فتح مكة ، 1407/3: حديث رقم1780].

ومن ذلك أيضاً استثمار الرسولﷺ لنجاحه في انتصار فتح مكة، والتحول بجميع أهلها لغزوة حنين؛ فحين تم للنبيﷺ فتح مكة وتحريرها من سلطان الوثنية، ودخل معظم القرشيين في الإسلام، واستتبَّ له الأمر فيها، توجه إلى حُنين، وذلك في السنة الثامنة للهجرة لست ليال خلون من شهر شوال ووصل إلى حنين في العاشر منه[1].

وفي هذا الحراك استثمار عسكري واضح لنجاحهﷺ بعد فتح مكة.

3) استثمار النجاح بعد معركة حطين:

قصد الباحث ذكر هذا النموذج الناجح من المعارك الاسلامية التاريخية، من حيث استثمار النجاحات العسكرية التي دارت على أرض فلسطين، تفاؤلاً بما هو قادم – بإذن الله – من انتصارات في معارك تحرير أرض فلسطين، واقتداءاً بما جاء به صلاح الدين الأيوبي في نجاحات عسكرية استثمرها بعد معركة حطين مباشرة، حيث سار صلاح الدين الأيوبي للاستيلاء على قلعة (طبرية) التي استعصت عليه قبل تلك المعركة، فنزل على طبريّة وتسلّم قلعتها، ثم رحل طالباً مدينة (عكا)، وكان نزوله عليها يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الآخر، وقاتلها يوم الخميس، وصلى أول جمعة فيها منذ ملكها الصليبيون بعد أن استولى عليها، واستنقذ من كان فيها من الأسارى المسلمين، وكانوا زهاء أربعة آلاف نفر، استولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع.[2]

وفرّق قواته في بلاد الساحل للاستيلاء على الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، فاستردت من الصليبيين نابلس، وحيفا، وقيسارية[3]، وصفورية[4]، والناصرة، بسهولة ويسر، ثم زحف صلاح الدين إلى (تبنين)[5] وهي قلعة منيعة، فنصب عليها المجانيق، وضيّق عليها بالزحف الخناق؛ وكان بها رجال أبطال شديدون في دينهم، فاحتاجوا إلى معاناة شديدة، وبعد قتال عنيف استرد صلاح الدين (تبنين) من الصليبيين، فدخلها عنوة، وأسر من بقي فيها حياً من المقاتلين.

وسار إلى صيدا واستردها من الصليبيين، فأقام عليها ورتب أمورها. كما سار صلاح الدين شمالاً

---

[1] لابن هشام، السيرة النبوية (4/64-65)، وانظر: لابن سعد، الطبقات الكبرى (2/150)، وانظر: تاريخ الطبري (3/70).

[2] خطاب ، بين العقيدة والقيادة (ص296).

[3] قَيْسارِيّة: بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتقع بين حيفا ويافا جنوب حيفا. معجم البلدان (4/421).

[4] صَفُّورِيَةُ: بلدة تقع من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبرية وتقع شمال غرب الناصرة. معجم البلدان (3/414).

[5] تِبْنِيْن: قلعة حصينة، وهي بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بلدة بانياس بين دمشق وصور. معجم البلدان (2/ص14).

حتى أتى بيروت فنازلها، فاشتبك بالصليبيين المدافعين عنها وضيق عليها الخناق، حتى استعادها، كما استرد (جُبَيلاً) أيضاً، وقصد (عسْقلان)[1] تاركاً مدينة (صُور)، لأن الصليبيين احتشدوا فيها من كل المدن الساحلية، فقدّر أن استعادة (عسقلان) أيسر من استعادة صور، وقد قاتل صلاح الدين الصليبيين في عسقلان قتالاً شديداً، حتى استطاع استعادتها، وكان قد استردّ في طريقه إليها مواضع كثيرة : الرّملة، ويبنا، والدارون، وأقام على عسقلان إلى أن استعادت قواته (غزّة)، وبيت جبرين، والنطرون بغير قتال[2].

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب[3]: "ومن المدهش حقا أن هذا الزحف الموفق عسكرياً إلى أبعد الحدود، تمّ في أقل من شهر، وبدا كالسيل الجارف لا يقوى على صده شيء، وأخذ سلطان الصليبيين يتلاشى ويضعف في الأماكن التي يحتلونها، وأصبح أمرهم واهناً مضطرباً".

<u>المطلب الرابع: عمليات المطاردة العسكرية.</u>

تأتي عمليات المطاردة العسكرية بعد العمليات الهجومية الناجحة، وتكون مطلباً مهماً يجب أن يُنفّذ وأن تختم به كل معركة إذا دعت الضرورة إلى ذلك، فبعد كل هجوم ناجح لابدّ من أن يتوج بمطاردة عنيفة للقضاء على العدو[4].

والمطاردة: هي عملية هجومية ضد قوة عدوة متراجعة، وهي تلي عملية مهاجمة ناجحة أو عملية استثمار النجاح، ويعطى الأمر بتنفيذ المطاردة عندما لا يعود العدو قادراً على القيام بدفاع منظم ويحاول فك الاشتباك، وتهدف المطاردة إلى منع العدو من تنظيم انسحابه و استمرار الضغط على العدو وتدميره كلياً، ولذلك تلجأ قوات المطاردة الى قطع طرق انسحاب العدو لتدميره[5].

وفي تطبيق هذا النوع من العمليات تأثير عظيم على معنويات الأعداء من جوانب ثلاثة:

الأول: أنها تجعل المقاتل يفقد ثقته في نفسه بسبب انهيار الروح المعنوية لديه، فيتردد في العودة إلى القتال خوفاً من القتل أو الأسر.

الثاني: أنها تفقده الثقة في قيادته، لأن كل واحد منهما في حالة المطاردة لا تهمّه مدافعة الخصم

---

[1] عَسْقَلانُ: هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام، وتقع شمال غزة على البحر الابيض المتوسط. وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدّث بها خلق كثير. معجم البلدان (122/4).

[2] للموصلي، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي) ، (295/1-299).

[3] خطاب، بين العقيدة والقيادة (ص298-299).

[4] خطاب، لرسول القائد (ص180).

[5] تخطيط الهجوم(ص15)، وانظر: إصدار جامعة الدول العربية : 2005م، أسس المعركة الهجومية (ص72).

والانتصار عليه بقدر ما يهمه التفكير في النجاة بنفسه.

الثالث: أنها تفقده الثقة في سلاحه، حيث يلقيه من يده فلا هو يستطيع أن يستخدمه ولا السلاح يستطيع أن يحميه.

ومتى فقدت الثقة بين الجندي وقائده أو بين الجندي وسلاحه؛ فإنها لا تقوم للعمل العسكري قائمة[1]؛ ونظراً لأهمية هذا النوع من العمليات الهجومية، فقد كان الرسولﷺ يأخذ به في عملياته العسكرية عندما تدعو الحاجة إلى ذلك، حيث يُعدُّ تطبيقه لعمليات المطاردة العسكرية سبقاً عسكرياً اعتمدته المدارس الحديثة[2].

ومن أمثلة تطبيق النبيﷺ وأصحابه الكرام﷠ لعمليات المطاردة في السنة النبوية ما يلي:

أولاً: المطاردة في غزوة السويق:

وهي قوة مطاردة، أَلَّفَهَا الرسولﷺ بسرعة، لمطاردة القوة القرشية التي أغارت بقيادة أبي سفيان بن حرب على المدينة ليلاً خلسة، فعند رجوع أبي سفيان من بدر نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمداً، ولذلك جهّز مائتي راكب من قريش وقادهم إلى منطقة المدينة ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة بهذه القوة، وإنما قام بأعمال هي أشبه بأعمال القرصنة، حيث عسكر بقوته على مسافة بعيدة من المدينة، ثم دخل إليها تحت جنح الظلام مستخفياً، ونزل على سلام بن مشكم اليهودي سيد بني النضير، فآواه الخائن ودله على عورات المسلمين، ثم رجع إلى معسكره، ولما رجع إلى قومه أرسل منهم مفرزة[3] صغيرة فأغارت على ناحية بأطراف المدينة، يقال لها (العريض) ليقوموا بأعمال التخريب، وفعلاً قامت هذه المفرزة المتسللة بحرق مجموعة من النخيل وقتلت رجلين من المسلمين كانا يعملان هناك، ثم هربت هذه المفرزة القرشية إلى معسكرها بالوادي[4].

وقد سجل في هذه الغزوة أول صورة سافرة للتعاون بين معسكري الشرك بمكة، ومعسكر مشركي أهل الكتاب بالمدينة، وقد ظهرت في هذه الغزوة كراهية اليهود للمسلمين في صورة سافرة واضحة، وقد اتصف هذا العمل الخيانة وبالجبن، وهو يشبه عمل القراصنة الذين يسطون على الآمنين ويقتلون العُزَّل،

---

[1] عبد الله الرشيد، لقيادة العسكرية في عهد الرسولﷺ (ص513).

[2] محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول1977م (ص29ـ562 ـ623ـ624)، وانظر: الرسول القائد(ص381)، وغزوة حنين (ص186).

[3] المفرزة: اصطلاح عسكري معناه (قوة واجب) وهي إفراز عنصر متكامل من وحدة أو تشكيل لتنفيذ مهمة محددة، وهي جماعة عادة ما تكون قليلة خفيفة. انظر: المصطلحات المتعلقة بالتدريب التكتيكي للوحدات حتى مستوى كتيبة، إصدار: جامعة الدول العربية، لجنة توحيد المصطلحات والمفاهيم العسكرية، المنعقدة بمقر الأمانة العامة بالقاهرة سنة: 1992، (ص74).

[4] سيرة ابن اسحاق (السير والمغازي)(310/1)، وانظر: سيرة ابن هشام (44/2).

وتتأكد قرصنته لهذه الأسباب:

1) عدم دخوله المدينة، بل عدم جراءته على ذلك.
2) دخل إلى ضواحيها البعيدة التي يصعب وجود حراسة عليها.
3) الدخول ليلاً لا نهاراً، يحميه ستر الليل المرخي عليه.
4) هجومه على العُزَّل الآمنين.

لكن الملاحظ هو سرعة المسلمين إستعادة زمام الأمور، وخفتهم بالرد المباغت والسريع، وذلك عندما علم المسلمون بعملية التسلل هذه، حيث سارع فوراً الرسولﷺ على رأس قوة من أصحابه لمطاردة أبي سفيان وجَدَّ في مطاردته، وكاد المسلمون يفتكون به، لولا فعله بالتخلص من السُّويق(1)، فتمكن أبو سفيان من الإفلات، لأن حملته كانت من الفرسان الذين ألقوا بتموينياتهم من الطعام أثناء هروبهم، ليكونوا أسرع على الهروب.

وقد وصل الرسولﷺ في مطاردته لأبي سفيان إلى منطقة قرقرة الكدر، ثم عاد إلى المدينة دون أن يلقى حرباً، وكانت هذه الحركة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية(2).

ثانياً: المطاردة في غزوة حُنين وملاحقة الفارين إلى الطائف:

عندما انتصر المسلمون يوم حُنين، انسحبت أكثر ثقيف باتجاه (الطائف)، وكان معهم مالك بن عوف، وانسحبت هوازن والقبائل الأخرى باتجاه (أوطاس)3 و (نخلة)(4).

استثمر الرسولﷺ انتصاره هذا، وأمر بالمطاردة لجيش الطائف، وذلك لمّا انسحب المشركون يوم حُنين من ميدان القتال فقد أمر الرسولﷺ بمطاردة فلولهم المنهزمة، فقد وذهب بنفسه ومعه بعض أفراد الجيش وطارد ثقيفاً حتى اضطرت إلى أن تلجأ إلى حصن الطائف.

وقد قام المسلمون بالمطاردة، وأعلن النبي ﷺ أن من قتل مشركاً فله سلبه، ووصلت مطاردة المسلمين

---

(1) السُّويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير؛ وقد كانت المواد التموينية لقريش يومها من السويق، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق على اسم هذه المادة التي تخففوا من حملها بإلقائها للإمعان في الهرب. انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (ص330).

(2) سيرة ابن إسحاق (310/1)، وانظر: للواقدي، المغازي(181/1)، وانظر: لابن حزم الظاهري، جوامع السيرة (ص120).

(3) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حُنين للنبيﷺ ببني هوازن، ويومئذ قال النبيﷺ: حمي الوطيس وذلك حين استعرت الحرب وهوﷺ أول من قاله. انظر: معجم البلدان (ص281).

(4) نخلة : واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين. انظر معجم البلدان (276/8).

إلى (أوطاس)، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحة بالأرواح، كما وصلوا إلى (نخلة) فأوقعوا بالمنسحبين إلى هناك من هوازن أيضاً خسائر فادحة، كما استسلم كثير من المشركين فوقفوا أسرى.

ومن المشاهد على هذه الخسائر ما رواه أحمد في مسنده من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: **(أَنَّ هَوَازِنَ جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ وَالْإِبِلِ وَالنَّعَمِ، فَجَعَلُوهُمْ صُفُوفًا يُكَثِّرُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ، فَلَمَّا الْتَقَوْا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يومئذٍ: "مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلَبُهُ"، فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ)**[1].

قلت: يظهر لنا في هذا الحديث ما وقع من عظيم الخسائر في صفوف المشركين، نتيجةَ المطاردةِ لهم، ومن أمثلة ذلك: ما قام به أبو طَلْحَةَ من قَتلٍ لعشرينَ رجلاً وأخذَهُ لِأَسلابِهِم.

وهناك شاهدٌ لحديثِ أحمدَ في صحيحِ البخاري رواه أَبُو قَتَادَةَ، يذكُرُ فيهِ كيف كانَ المُسلمونَ يُثْبِتُونَ البَيِّنةَ على القَتيلِ حَتى يَأخُذوا أَسلَابَهُم.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عن أَبَي قَتَادَةَ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ، يَوْمَ حُنَيْنٍ: **مَنْ لَهُ بَيِّنَةٌ عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ، فَقُمْتُ لِأَلْتَمِسَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا يَشْهَدُ لِي، فَجَلَسْتُ، ثُمَّ بَدَا لِي، فَذَكَرْتُ أَمْرَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: سِلاَحُ هَذَا القَتِيلِ الَّذِي يَذْكُرُ عِنْدِي، قَالَ: فَأَرْضِهِ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَلَّا، لاَ يُعْطِيهِ أُصَيْبِغَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَدَعَ أَسَدًا مِنْ أُسْدِ اللَّهِ، يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ ، فَأَدَّاهُ إِلَيَّ..).**

---

[1] [أحمد: مسند أحمد، 292/20: رقم حديث 12977]، [مسند أبي داود 71/3: رقم حديث 2718]، [مسند الطيالسي552/3: رقم حديث2192]، [المستدرك2/ 142: رقم حديث 2591] .

الحكم على إسناد الحديث: الحديث ورجاله ثقات، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وقد صححه الألباني، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

لابن كثير، قصة الحدث يوم حنين بتفاصيلها في: السيرة النبوية(620/3)،وانظر:العامري، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل (423/1)، وانظر: لخطاب ، الرسول القائد (ص350).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الأحكام/الشَّهَادَةِ تَكُونُ عِنْدَ الحَاكِمِ، فِي وِلاَيَتِهِ القَضَاءَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ، لِلْخَصْمِ 69/9: رقم محديث 7170].

المبحث الثالث: مبادئ العمليات الهجومية

تعتبر مبادئ العمليات الهجومية هي الملاحظات الأساسية للحرب الهجومية، وهي عبارة عن استخدام سلسلة من القواعد العامة والمنطقية، بغية تنفيذ عملية عسكرية ما، بحيث تؤخذ هذه القواعد بالحسبان في تخطيط وتنفيذ الهجوم.

وتساعد هذه الملاحظات القائد، في إعداد وتطوير خطة الهجوم، والمدة الزمنية التي يجب أن تستهلك لاستخدام أي أصل من أصول الحرب، كما وتساعد القائد أثناء إدارة العمليات، ولا يكون هناك نجاح للقائد في أعماله الهجومية إلا من خلال تطبيقه للملاحظات الأساسية للحرب الهجومية[1].

وسأقوم بسرد هذه المبادئ بشيء من التفصيل، مع ذكر تطبيقاتها في المعارك الاسلامية، وفق المطالب الآتية:.

المطلب الأول: تحقيق التماس مع العدو وحفظه:

تحقيق التماس هو أحد أنواع الأعمال التعرضية الذي يهدف إلى تحقيق التماس مع العدو أو استعادته والتطوير المبكر للموقف لكسب ميزة على العدو قبل الاشتباك الحاسم معه[2].

ويتم العمل على تحقيق التماس مع العدو، عندما لا تكون قوات الصديق بوضع التماس مع العدو، ولتحقيق ذلك فإنه يمكن الاستفادة من قوات التأمين والاستطلاع، للتوصل إلى معرفة إمكانات وطرق عمل العدو، على أن يُستفاد من كافة الوسائل والإمكانات الموجودة، لإبقاء المراقبة على العدو قائمة[3].

وتشهد غالبية الغزوات النبوية والمعارك الإسلامية، بالأخذ بمبدأ تحقيق التماس مع الأعداء، والاشتباك معهم واختراق صفوفهم.

وقد ورد من الأحاديث النبوية من وصايا رسول الله الحربية ما يدل على الحرص على تطبيق هذا المبدأ والتي منها :

أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: **(قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ يَوْمَ بَدْرٍ إِذَا أَكْثَبُوكُمْ يَعْنِي كَثَرُوكُمْ فَارْمُوهُمْ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ).**

---

[1] أكاديمية فلسطين العسكرية، تكتيك الهجوم (ص7-15).

[2] المصطلحات العسكرية في العمليات التعرضية (ص2).

[3] تكتيك الهجوم (ص16).

[4] [البخاري : صحيح البخاري ، المغازي/فضل من شهد بدراً380/12 : رقم حديث 3686].

والكَثَب في اللغة: القُرب، فيقال: أكثب إذا قارب، وأكثبوكم أي: قربوا منكم[(1)]. والمقصود هنا هو تحقيق التماس مع العدو بحيث تكون الاسلحة والرمايات فاعلة في العدو.

وفي سنن أبي داود والبيهقي _ واللفظ لأبي داود[(2)] – بسنده من طريق حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ السَّاعِدِىِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: **(إذا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ ولا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حتى يَغْشَوْكُمْ).**

ولن يكون لهذه الوصية النبوية تطبيق إلا بعد تحقيق التماس مع الاعداء، ومن شواهد تحقيق التماس ما يلي:

أولاً: تحقيق التماس في غزوة حنين:

في الصفحة الأولى من القتال يوم حنين، ولما صلى رسول اللهﷺ بالمسلمين صلاة الفجر، توجه في عَمَاية[(3)] الصبح إلى وادي حنين حيث يعسكر مالك بن عوف الهوازني[4] بجيشه .

وأثناء تقرب المسلمين من الوادي من أجل تحقيق التماس مع عدوهم، تعرضوا لاشتباك تصادمي مفاجئ ، وكان القوم قد كمنوا لهم في شعاب الوادي وفي أجنابه ومضايقه، فوقعت المعركة على أشدها.

أخرج مسلم في صحيحه[(5)] بسنده **عن إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي**[(6)]، قَالَ: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّﷺ وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا، وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، **فَاسْتَطْلَقَ** إِزَارِي فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: «لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا»، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ

[(1)] النهاية في غريب الحديث والأثر(151/4)؛ ولسان العرب (222/3-223).

[(2)] سبق تخريجه والحكم عليه. (ص 83).

[(3)] عَمَاية الصبح : أي بقية ظلمة من الليل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (ج3، ص305).

[4] مَالِكُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، انهزم يَوْم حنين كافرا، وَهُوَ كَانَ رئيس جيش المشركين يومئذ، ولحق فِي انهزامه بالطائف، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِحَبْسِ أَهْلِهِ بِمَكَّةَ عِنْدَ عَمَّتِهِمْ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ سَأَلَهُمْ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ، وَقَالَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّهُ إِنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ، وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ»، فَلَمَّا بَلَغَ مَالِكًا هَذَا الْخَبَرُ، خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ سِرًّا مِنْ ثَقِيفٍ، فَلَحِقَ رَسُولَ اللَّهِﷺ فَيُدْرِكُهُ وَقَدْ رَكِبَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ فَأَسْلَمَ، فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَاهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ، وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب(1356/3)، والطبقات الكبرى لابن سعد(629/1).

[(5)] [مسلم: صحيح مسلم ، الجهاد والسير/في غزوة حنين1402/3 : رقم حديث1777].

[(6)] هو سَلَمَةَ بنُ الأَكْوَع رضي الله عنه.

الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده[1] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: **(لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ قَالَ: انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ أَجْوَفَ[2]، حَطُوطٍ[3]، إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ، وَفِي أَجْنَابِهِ، وَمَضَايِقِهِ قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا، وَأَعَدُّوا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا، وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ، قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ فَاسْتَمَرُّوا لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ).**

قلت: دلت الأحاديث النبوية المذكورة على تحقيق التماس مع العدو بوضوح من قبل المسلمين، ثم جرى الالتحام والاشتباك معهم.

ثانياً: تحقيق التماس في غزوة مؤتة[4]:

حين خرج المسلمون لمؤتة في جمادي الأولى من السنة الثامنة الهجرية، كان المسلمون ثلاثة آلاف مقاتل، وكان المشركون والروم مائة ألف مقاتل، وقد وصلت قوات المسلمين (معان)[5] من أرض الشام، ولكن أنباء حركتهم وصلت إلى الروم قبل وصول المسلمين إليهم، فحشدوا قواتهم في (مآب)[6] من أرض

---

[1] [مسند أحمد 273/23: رقم الحديث 15027]، والبزار(1834) من طريق يحيى بن سعيد، وأبو يعلى (1862) و (1863) ، وابن حبان في صحيحه (95/11:رقم حديث4774).

الحكم على إسناد الحديث: الحديث إسناده حسن، لأجل محمد ابن إسحاق، فهو صدوق مدلس من الرابعة، وقد صرّح بالسماع في مسند أبي يعلى وغيره، فانتفت شبهة تدليسه، وحسنه شعيب. انظر: طبقات المدلسين(ص51).

[2] واد أجوف: أي واسع كبير القعر.

[3] الحَطُّ: وَضْعُ الأحمال عن الدَّوابِّ. والحَطُّ: الحَدْرُ من العُلوِّ. وحَطَّتِ النَجيبةُ وانحَطَّتْ في سيرها من السرعة، وحَطُوطٌ والمُنْحَطُّ مِنَ المَناكِب: المُسْتَفِلُ الَّذِي لَيْسَ بمُرْتَفِعٍ وَلَا مُسْتَقِلٍّ وَهُوَ أَحسنها، وحطت الدَّابَّة حطاطا: أسرعت مُعْتَمدَة فِي الزِّمَام على أحد شقيها فَهِيَ حطوط وَفُلَان حطا نزل، وَيُقَال حط رَحْله: أَقَامَ وَحط وزره وَضعه عَنهُ. انظر: للفراهيدي، العين(18/3)، لابن منظور، ولسان العرب(274/7)، والمعجم الوسيط (182/1).

[4] مُؤتَةُ: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: موتة من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: موتة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف، وهي تقع بين الكرك والطفيلة. انظر: معجم البلدان(ص219/5).

[5] معان: مدينة أردنية معروفة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. انظر:معجم البلدان (93/8).

[6] مآب: مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء، ومآب، مؤاب: لواء الكرك حالياً في الأردن، وليست هناك بلدة باسم مآب (249/7).

البلقاء، فلما علم المسلمون بأمر جموع الروم المتفوقة على قواتهم فواقاً ساحقاً، تذاكروا بينهم فرأى بعضهم أن يكتبوا إلى النبي ﷺ يخبرونه بالموقف الراهن ويتلقوا أوامره النهائية؛ لكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجّع الناس قائلاً يا قوم: والله إنّ التي تكرهون لَلَّتِي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة، قال الناس: صدق ابن رواحة، فصار رأي أكثرهم بأن يمضوا إلى هدفهم مهما تكن النتائج[1].

وقد تحرك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من القبائل فحَصَلَ تحقيق التماس الأول مع عدوهم في قرية (مشارف)[2] بتخوم البلقاء، ولكنّ المسلمين رأوا أن منطقة قرية (مؤتة) أنسب لقبول المعركة فيها، وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها نظراً لقلة قوتهم بالنسبة إلى الأعداء.

بدأ القتال بين قوتين غير متكافئتين عَدداً وعُدداً، وقد لاحظ المسلمون تفوق الروم وحلفائهم عليهم، ولكنهم لم يكترثوا بذلك، وبدأ هجوم المسلمين باندفاع زيد بن حارثةﷺ بالراية إلى صفوف العدو، فحارب مستقتلاً مستميتاً حتى مزقته رماح العدو، وتناول الراية جعفر بن أبي طالبﷺ واندفع بها فأصيبت يده اليمنى، فتناول الراية بشماله فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد، وأخذ عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل أيضاً، وتناول الراية ثابت بن أقرم البلوي[3]، فهتف بالمسلمين: (يا قوة اصطلحوا على رجل منكم).. واصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه[4].

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **(أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى،**

---

(1) لابن هشام، السيرة النبوية (375/2)، وانظر:لابن كثير، السيرة النبوي (458/3)، وانظر: للمباركفوري، رحيق المختوم (ص363).

(2) مشارف: قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من أعمال دمشق. انظر التفاصيل في معجم البلدان (60/8).

(3) ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ بن ثعلبة بن عدي بن الْعَجْلَانَ البَلوي الأنصاري، شَهِدَ بَدرًا والمشاهد كلها، ثم شهد غزوة مؤته، فدفعت الراية إليه بعد قتل عَبْد الله بن رواحة، فدفعها ثابت إلى خالد بن الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال منى، وقتل ثابت ابن أقرم سنة إحدى عشرة في الردة،

وقيل: سنة اثنتي عشرة، قتله طليحة بن خويلد الأسدي في الردة هو وعكاشة بن محصن في يوم واحد، واشترك طليحة وأخوه في قتلهما جميعا، ثم أسلم طليحة بعد. انظر: وانظر: لابي نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة(475/1)، وانظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب (199/1).

(4) الرسول القائد (ص305- 308).

(5) [البخاري: صحيح البخاري ، المغازي/غزوة مؤتة من أرض الشام14/5 : رقم حديث4261].

وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ).

ثالثاً: تحقيق التماس في اليرموك[1]:

اجتمع المسلمون باليرموك وعليهم أبو عبيد بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وعكرمة بن أبي جهل، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص؛ فلمّا طلع عليهم خالد فرح المسلمون وارتفعت معنوياتهم، وقد أعاد خالد تنظيم جيشه بعد توليه لقيادة الجيش، فخرج في تكتيك جديد لم تعرفه العرب من قبل، إذ نظّم جيشه في ستة وثلاثين كردوساً[2] إلى الأربعين، وقال: إن عدوّكم قد كثر وطغى، وليس من التبعية تعبيةً من في رأي العين من الكراديس[3].

وقد جعل ربع جيش المسلمين من الخيالة، وكانوا حوالي 10 آلاف فارس، وقسّم الجيش إلى 36 كتيبة من المشاة وُزّعت على أربعة ألوية مشاة (اثنان في القلب بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة، وجناحان الميسرة بقيادة يزيد بن أبي سفيان والميمنة بقيادة عمرو بن العاص)، وتشكل كل لواء منهم من تسعة سرايا كانت منظّمة على أساس التجّمع القبلي أو العشائري، بحيث يقاتل كل واحد إلى جانب أخيه المسلم من عشيرته أو قبيلته[4].

وقد اختار خالد لقيادة الكراديس كبار قادته واشجعهم ممّن صهرتهم تجارب الحرب أمثال(القعقاع بن عمرو، وضرار بن الأزور، وعكرمة بن أبي جهل، ومذعور بن عدي، وعياض بن غنم، وهاشم بن عتبة، وزياد بن حنظلة)[5] .

وجعل لكل لواء مجموعة من الاستطلاع بحيث يتم مراقبة أرض المعركة كاملة، وكانت خط الجبهة

---

(1) اليرموك: واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن. معجم البلدان (504/8).

(2) الكردوس: كلمة ذات أصل يوناني وهي مُعرّبة عن كلمة (كورتي)، وأغلب الظن أن الروم أخذوها كما أخذوا سواها من التنظيمات العسكرية، عن اليونان، وهي تعني فرقة من الجيش أو كتيبة يراوح عددها بين ستمائة رجل (عند الروم) وألف رجل (عند المسلمين) . وينقسم الكردوس إلى أجزاء عشرية؛ فالعريف يقود عشرة رجال، وآمر الأعشار يقود مئة رجل، وقائد الكردوس يأمر عشرة من أمراء الأعشار أي ألف رجل، ولكل كردوس قائد له راية. وكان خالد بن الوليد أول قائد مسلم استخدم نظام الكراديس وعبأ جيشه على أساسه، حتى اعتبر المؤرخون عمله هذا فتحاً جديداً في الفن العسكري عند المسلمين وسميت التعبئة التي عبّأ جيشه على أساسها باسمه (التعبئة الخالدية). انظر:لسويد،معارك خالد بن الوليد، (ص105-106)، وانظر : لخطاب، خالد بن الوليد المخزومي (ص143)، وانظر: لبسام العسلي، فن الحرب الإسلامي (112/1).

(3) خطاب، خالد بن الوليد المخزومي (ص143).

(4) أكاديمية فلسطين العسكرية، التاريخ العسكري (ص57).

(5) فن الحرب الاسلامي، بسام العسلي (ج1، ص 112).

يمتد على 11 ميلاً[1] وكلّف كل من قيس بن حبيرة وأمير بن طفيل وميسرة بن مرزوق بقيادة فرق الخيالة التي تلعب دور الوحدات الاحتياطية للتدخل في حال أي تراجع ممكن للألوية الإسلامية، وكان ضرار بن الأزور ينوب عن خالد بن الوليد بقيادة الوحدة المتنقلة في حال انشغال خالد في الأعمال القتالية في المعركة.

قرر خالد أن يكون هو البادئ في التعرض لاستلام زمام المبادأة والاحتفاظ بها، فأصدر أوامره إلى قوات الجبهة بالزحف نحو العدو فحصل التماس مع العدو ويدأ هجومه مستهدفاً به تدمير قوات العدو التأمينية في الخطوط الأولى، وتثبيت العدو واستدراج احتياطه إلى الأمام وتفكيك تشكيلاته التعبوية، وإرباك توازنه وبعثرة وحداته.

<u>**المطلب الثاني: توسيع الوضعية وتطوير الموقف:**</u>

توسيع الوضعية يرتبط مباشرة بتحقيق التماس، فعندما يتحقق التماس مع العدو يتم مباشرة العمل بإجراءات معينة بقصد تدمير قواته التأمينية، ويُسعى إلى كشف دفاعاته الأساسية؛ والغاية من ذلك القيام بكافة الإجراءات التي تنفذ بقصد تحصيل المعلومات عند العدو، وكشف نشاطاته ونقاط الضعف والقوة لديه.

وتقوم قوات التغطية في العمليات الهجومية عادة، بعمل توسيع الوضعية، ويرغم العدو على كشف مواضعه الدفاعية، بفعل تنفيذ سلسلة عمليات، وإذا لم تتمكن قوات التغطية من القيام بذلك، عندها قد تقدم القوة الرئيسية على تنفيذ استطلاع بالقوة (بالقتال)[2].

إن الإخفاق في تحقيق توسيع الوضعية، يجعل العبور الحاسم للقائد مستحيلاً، ويزيد من إمكانية المباغتة من خلال عمليات العدو المواجهة.

في العصر الحديث أصبح للتكنولوجيا أهمية في الاستفادة منها في هذا الجانب، حيث من ضمن الأدوات التي تستخدم في توسيع الوضعية، والاستفادة منها: طائرات التجسس، والطائرات بدون طيار، الرادارات، وأجهزة التحسس الإلكترونية، الجواسيس المحليون، وغير ذلك[3].

---

[1] كان خط الجبهة الذي يقاتل فيه المسلمون في اليرموك 11 ميلاً، حيث يتجه المسلمون غرباً في مواجهة الروم وإلى الجنوب إلى يمين الجيش الرومي يمر نهر اليرموك شمالاً وعلى بُعد أميال باتجاه الجنوب الغربي هناك طرف وادي الرقاد.

[2] تكتيك الهجوم (ص17).

[3] المصدر السابق.

وفي السيرة النبوية شواهد على تطبيق مبدأ توسيع الوضعية، والتي منها:

أولاً: توسيع الوضعية في فتح مكة:

فقد كان من أهم أعمال النبيﷺ في القتال يوم فتح مكة ترتيبه لجيش المسلمين وتوزيعه المهمات على قادته؛ حيث لمّا وصل النبيﷺ مشارف مكّة، قسّم جيشه خمس فرق، وعيّن لكل فرقة قائداً خاصاً بها[1].

ومن أهداف هذا التقسيم زيادة المرونة للقوات بتوسيع وضعيتهم، حتى يسهل عليهم دخول مكة من جهاتها الأربع في آن واحد، وذلك بهدف مباغتة قريش واستسلامها دون مقاومة، وقد حدد النبيﷺ لكل قائد جهة مُعينة يدخل منها، وذلك على النحو الآتي:

الفرقة الأولى: (الميسرة) بقيادة الزبير بن العوام، وقد أمره أن يدخل مكة من شمالها، من جهة كُدَى[2].

الفرقة الثانية: (الميمنة) بقيادة خالد بن الوليد وقد أمره أن يدخل من جهة اللِّيط[3].

الفرقة الثالثة: (قوات الأنصار) بقيادة سعد بن عُبادة، وأمره أن يدخل مكة الغرب، من جهة كَدَاء[4].

الفرقة الرابعة: (قوات المهاجرين) بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وقد كلفه أن يدخل من الجهة الشمالية الغربية، من اتجاه جبل هند.

الفرقة الخامسة: بقيادتهﷺ مع بقاء قيادة الجيش العامة له، وقد دخلت مكة من الجهة الشمالية الغربية[5].

أخرج البخاري في صحيحه[6]، بسنده **عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا الَّتِي بِالْبَطْحَاءِ، وَخَرَجَ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى).**

---

(1) مغازي الواقدي (825/2)، والسيرة النبوية (406/2).

(2) كُدَى: بالضم جبل بأسفل مكة ويسمى (جبل مكة). معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (1118/4).

(3) اللِّيط: كسر أوّله، بعده ياء، وطاء مهملة: موضع بأسفل مكة، مذكور فى رسم أذاخر. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع (1167/4).

(4) كَدَاء: بفتح الكاف جبل بِأَعْلَى مَكَّة. وكداء هذا الجبل: هو عرفة بعينها. انظر: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع(1117/4).

(5) القيادة العسكرية في عهد الرسولﷺ (ص231–232). وانظر: خطاب، الرسول القائد (ص339).

(6) [البخاري: صحيح البخاري، الحج/من أين يخرج من مكة145/2: رقم حديث 1577].

وأخرج أيضاً في صحيحه[1]، بسنده **عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ النَّبِيَّﷺ لَمَّا جَاءَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَ مِنْ أَعْلاَهَا، وَخَرَجَ مِنْ أَسْفَلِهَا).**

وقد كانت أوامر الرسولﷺ لقواده بألّا يُقاتلوا إلا إذا اضطروا إلى القتال، حتى يتم فتح مكة سلمياً وبدون قتال؛ وقد نجحﷺ بهذه الخطة، فلم تلق تلك القوات مقاومة، وكان دخول جيش المسلمين من الجهات الأربع ضربة قاضية لفلول المشركين التي عجزت عن التجمع، وضاعت منها فرصة المقاومة.

ويجد الباحث في تقسيم الرسولﷺ قواته إلى فرق رئيسية، وتوزيعهم ليدخلوا مكة من كافة الجهات تطبيقاً للمبدأ الهجومي المسمى (توسيع الوضعية)، وقد استطاع بذلك مفاجئتهم فانكشفت دفاعاتهم وعُطِّلت ردّة فعلهم المضادة؛ فكان العبور الحاسم للقائد وكانت السيطرة الكاملة على مكة دون قتال.

يقول الدكتور علي الصلابي[2]: "نجحت خطة الرسولﷺ؛ فلم يستطع المشركون المقاومة، ولا الصمود أمام الجيش الزاحف إلى أم القرى، فاحتل كل فيلق منطقته التي وجه إليها، في سلم واستسلام، إلا ما كان من المنطقة التي توجه إليها خالد بن الوليد، فقد تجمع متطرفو قريش ومنهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وغيرهم مع بعض حلفائهم في مكان اسمه (الخَنْدَمَة) وتصدوا للقوات المتقدمة بالسهام، وصمموا على القتال، فأصدر خالد بن الوليدؓ أوامره بالانقضاض عليهم، وما هي إلا لحظات حتى قضى على تلك القوة الضعيفة وشتت شمل أفرادها، وبذلك أكمل الجيش السيطرة على مكة المكرمة".

ثانياً: توسيع الوضعية في معركة اليرموك:

اليرموك نهر يَنْبع من جبال حوران، يجْرِي قرب الْحُدُود بَين سوريا وفلسطين، وينحدر جنوبا ليصب فِي غور الْأُرْدُن ثمَّ فِي الْبَحْر الْمَيِّت، وَيَنْتَهِي مصبه فِي جنوب الحولة، وَقبل أَن يلتقي بنهر الْأُرْدُن بمسافة تتراوح بَين ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعين كيلو مترا يُوجد وَاد فسيح تحيط بِهِ من الْجِهَات الثَّلَاث جبال مُرْتَفعَة شاهقة الِارْتفَاع، وَيَقَع فِي الْجِهَة الْيُسْرَى لليرموك.

وقد اخْتَار الرّوم هَذَا الْوَادي لِأَنَّهُ الْمَكَان الَّذِي يَتَّسِع لجيشهم الضخم عدده مِائَتَان وَأَرْبَعون ألف مقَاتل؛ أما الْمُسلمُونَ فقد عبروا النَّهر إِلَى الْجِهَة الْيُمْنَى، وضربوا معسكرهم هُنَاكَ فِي وَاد منطبح يَقع على

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الحج/من أين يخرج من مكة2/ 145: رقم حديث 1576].

[2] الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل (758/1).

الطَّرِيق المفتوح لجيش الرّوم، وَبِذَلِك أغلقوا الطَّرِيق أَمَام الْجَيْش المزهو بعدده وعدده، فَلم يعد للروم طَرِيق يسلكون مِنْهُ، أَو يفرون إِذْ اضطروا للفرار، لِأَن جَيش الْمُسلمين قد أَخذ عَلَيْهِم مسلكهم الوحيد[1].

وقد طبّق المسلمون مبدأ توسيع الوضعية يوم اليرموك، حين انتشروا على كامل خط الجبهة بمجرد حصول التماس مع العدو الرومي، فتحقق العمل بتوسيع الوضعية للقوات المُسلمة.

وفور بدء القتال الضاري بين الطرفين كانت حالة القتال بين مد وجزر لكليهما، لكن المسلمين نجحوا في تحقيق الغاية من توسيع الوضعية وهي كشف مواضع العدو ونقاط ضعفه؛ وقائد المعركة سيدنا خالدﷺ يُراقب الموقف عن كثب، وينتظر اللحظة الحاسمة ليتخذ قراره بعد توسيع الوضعية بشن هجومه المُنسّق بقواته الاحتياطية في نقطة ضعف العدو، والتي حانت حين حدثت ثغرة واسعة بين فرسان العدو ومشاتها، وذلك عندما اندفع الفرسان الروم باتجاه مشاة المسلمين، وتوغلوا عميقاً في مواضعهم وابتعدوا عن وحدات مشاتهم التي كانت تتقدم ببطء.

أضف إلى ذلك بطء الحركة للجيش الرومي، فرغم ما كانت عليه الجيوش الرومية في بلاد الشام من تجهيزات بأحدث الأسلحة وآلات الحرب، ووسائل الانتقال والاتصال؛ إلا أن الجندي الرومي كان بعكس المقاتل المسلم، بطيء الحركة، كثير الأحمال والأثقال، يَصلُح للدفاع أكثر منه للهجوم، ويؤثر الحرب بالقرب من قواعد تأمينه[2].

وقد لمح خَالِد رضي الله عنه فِي الْجنُود حماساً للهجوم والقتال، وتأكد أَن الْمُسلمين قد تأهبوا للمعركة بِكُل إمكاناتهم، فانتهز الفرصة، وَأمر عِكْرِمَة والقعقاع أَن ينشبا الْقِتَال، ونشبت المعركة حامية الوطيس، مستعرة الأوار، السيوف تخطف الْأَرْوَاح، وتزيل الْهَام، وتفري الْأَجْسَام إلى أن انتصر المسلمون[3].

<u>المطلب الثالث: استثمار نقاط ضعف العدو المكشوفة:</u>

عند تنفيذ العمليات والاصطدام باية مقاومة معادية، يسعى القائد لاجتناب الاشتباك مع العدو في المناطق التي يتمتع فيها بقدرة قتالية كافية، ويعمل على تحقيق الحد الأقصى من الاستثمار لنقاط العدو الضعيفة والمكشوفة، ونقاط ضعف العدو قد تحصل بفعل العوامل التالية[4]:

---

(1) الوكيل، موقعة اليرموك دراسة وتحليل (ص175).

(2) سويد، معارك خالد بن الوليد (ص282).

(3) موقعة اليرموك دراسة تحليلية (ص181).

(4) تكتيك الهجوم (ص17).

1) انتشار خاطئ.

2) معنويات ضعيفة.

3) دعم ضئيل.

4) اشتباهات تكتيكية.

وهذا المبدأ يجب أخذه بالحسبان عند التخطيط لشن عمليات هجومية، وهو هامٌ جداً، حيث يُعطي ميزة ترجيحية للمهاجم بمباغتة عدوه، والظفر والانتصار عليه.

ومن الوصايا العسكرية القيمة للقائد العسكري الصيني (سون تزو) في هذا الجانب ما يلي[1]:

- اهجم بينما هو غير مستعد، اظهر في المكان الذي لا يتوقعك فيه.
- إذا كنت قوياً فأظهر الضعف للعدو كي يهجم عليك، وإذا كنت ضعيفاً فاحرص على إظهار نقاط القوة لديك، فيحترس منك العدو ويبتعد- يجب أن تكون تحركات العدو بناء على إشارات نرسلها نحن إليه، وبذلك نبقيه في الموقع الذي نريده له.
- يمكنك التقدم بطريقة تجعل مقاومتك مستحيلة؛ إذا قصدت نقاط ضعف العدو، ويُمكنك التراجع والنجاة من مخاطر مطاردة العدو لك؛ إذا كانت تحركاتك سريعة.

في العمليات العسكرية (الهجومية) في السنة النبوية، والتاريخ الإسلامي الزاخر، نجد الكثير من التطبيقات لهذا المبدأ، نذكر منها الآتي:

أولاً: استثمار نقاط ضعف العدو من حيث اختيار الوقت:

كان الرسولﷺ يستثمر نقاط الضعف عند العدو والتي منها اختيار الوقت المناسب وغير المتوقع لاختيار ساعة الهجوم؛ كوقت الفجر مثلاً والذي كان النبيﷺ يفضله في القتال في غزواته، حيث لم يكن يغير على الأعداء إلا عند الفجر، أو عند الزوال وتفيؤ الأفياء وهبوب الرياح، وحتى اليوم ما زالت ساعات الفجر الأولى هي الساعات المفضلة للهجوم في التكتيك العسكري الحديث، وهو مبدأ في الهجوم أقره العلم العسكري الحديث[2].

---

[1] سون تزو، فن الحرب (ص16ـ36).

[2] سويد ، الفن العسكري الإسلامي، العميد الركن (ص69ـ 298).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[1] من حديث **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ..).**

إن الهجوم في الزمان غير المتوقع للعدو يكون في نقطة ضعفه، ومن ذلك الهجوم فجراً كما كان عليه النبيﷺ فهو يحقق المباغتة للعدو في غير حسبانه؛ فهو إمّا نائمٌ لا يفيد في القتال، أو مُستيقظاً غير متهيئ له.

لكن لا بد أن نُشير إلى أن المهم هنا هو تحقيق المفاجأة باختيار الوقت المناسب، والوقت المناسب ليس بالضرورة عند الفجر دائماً، حيث أنه إذا كررنا الهجوم في كل مرة عند الفجر وأصبح الأمر عادة متّبعة في الهجوم زالت المفاجأة، لأن العدو بات ينتظره ويستعد له في هذا الوقت بالذات، فالمقصود إذن هو تحقيق المفاجأة[(2)].

وقد قالت العجم: (أخِّر الحرب ما استطعت، فإن لم تجد بُداً فاجعل ذلك آخر النهار)[(3)].

ومن الأمثلة الرائعة لذلك تطبيق سيدنا خالد بن الوليدﷺ لهذا المبدأ، فقد كان يُحسن اختيار وقت العمل المناسب للهجوم، ففي الْوَلَجَةِ[(4)] أحسن اختيرا وقت بروز الكمين للعدوّ، وفي أجنادين أحسن توقيتها، فجعلها قبل اليرموك ليتفرغ للعدو بكامل قواه، وفي حصار دمشق أحسن اختيار وقت اقتحام السور إذ كان العدو سادراً عن خصمه لاهياً عنه، وفي اليرموك أحسنا اختيار توقيت الحركة الإفراجية[5] والهجوم العام على العدو، وهناك كثير غير هذه الأمثلة التي أبدع خالد بن الوليد في توقيت اللحظات

[(1)] [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، 288/1 : رقم حديث382].

[(2)] حسين آغا، الإعجاز العسكري في القرآن سورة العاديات وأسباب النصر والهزيمة في المعارك (ص43).

[(3)] الدينوري ، عيون الأخبار (ص202/1).

[(4)] معركة الْوَلَجَةِ: وقعت في بلاد الرافدين في مايو 633م، بين جيش الخلفاء الراشدين بقيادة خالد بن الوليد والامبراطورية الفارسية وحلفاءها من العرب المسيحيين. في هذه المعركة كانت قوات الفرس ضعف قوات المسلمين، وهزم خالد بن الوليد القوات الفارسية رغم تفوقها العددي. انظر: معجم البلدان(383/5)، وانظر: طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية (ص135).

[5] **الحركة الافراجية:** عندما لاحظ خالد انحسار الروم عن مواقعهم وتقدم المسلمين نحو ميسرتهم، وتراجع الروم في الميسرة والقلب والميمنة أمر خالد قادة الجيش بالهجوم العام على العدو، وفصل بين مشاتهم وفرسانهم، ثم إلتف خالد بخيالته نحو خيالتهم، فانضغط العدو الرومي، وما أن أحسّ خالد بعزم خيالة الروم على الهرب حتى أفرج عن فرسانهم بحركة بارعة، وفسح لهم المجال فانطلقت مسرعة منسحبة وهي لا تلوي على شيء، ثم اقتحم على مشاتهم خنادقهم فهزمهم.

التي أتته بالنصر المبين[1].

ثانياً: استثمار نقاط الضعف من حيث المكان:

في معركة اليرموك وقع اختيار القائد العام خالد بن الوليدﷺ لأرض المعركة بعد دراسة مُستفيضة، حيث انتخب موقعاً حيوياً حاكماً، فاستدرج عدوّه إليه في نقطة ضعف وفي مكان محصور ومنكشف له، ثم تمركزت قوات الجيش الاسلامي في منطقة سدّت على العدو سبل الخروج كافة[2].

وقد استثمر خالدﷺ نقطة ضعف ثانية للعدو هي انتشارَه الخاطئ في خِضَم المعركة؛ عندما حدثت ثغرة واسعة بين فرسان العدو الرومي ومشاتها، وذلك بعد اندفاع فرسان الروم وتوغلهم عميقاً بين المسلمين بعيداً عن مواضعهم وعن وحداتهم المشاة التي كانت تتقدم ببطء.

وكانت هذه اللحظة الحاسمة لخالد حيث قرر زجّ قواته الاحتياطية بقيادة (عكرمة بن عمه وفارس قريش) فعزلت الجناح الأيسر للعدو، ثم باغت الروم بنفسه (بقواته الضاربة) بحركة التفاف على مؤخراتهم وتمكّن من إحاطتهم وإكمال الطوق عليهم؛ وبذلك تم حصرهم بين قوات المسلمين التي كانت تتعاون فيما بينها خلال المعارك فسدّت السُّبل بوجه العدو وانصب على العدو وابل من السهام والأسنّة والرماح مما أدى إلى تبعثر قواتهم وتكبدهم خسائر فادحة انتهت بالنصر المؤزر[3].

<u>المطلب الرابع: احتلال النقاط الحيوية والسيطرة عليها:</u>

غالباً ما يتوقف النجاح في العمليات الهجومية، على السرعة في السيطرة علي ،مما يؤدي ذلك إلى تسهيل القيام بالمهمة.

والأرض الحيوية هي الأرض التي يتوقف صمود الدفاع على التمسك بها ونجاح الهجوم بالاستيلاء عليه[4].

يكون الاستيلاء علي نقطة حيوية ما والسيطرة عليها أهمية معينة، عندما تجعلنا قادرين على استثمار ذلك الموقف، في سبيل تدمير العدو، والنقطة الحيوية المهمة، هي التي تحقق للقائد مميزات في مجال الرصد، والاختفاء والغطاء، وحقول الرمي، والتحكم بالطرق، والتأمين.

قد يتواجد العديد من النقاط الحيوية داخل عمل كل وحدة، لكن القائد ينتخب النقطة الحيوية التي

---

[1] سويد، معارك خالد بن الوليد (ص383-384).

(2) الفن العسكري الإسلامي (ص232).

[3] التاريخ العسكري (ص59).

[4] لجنة توحيد المصطلحات والمفاهيم العسكرية المصطلحات البرية، إصدار جامعة الدول العربية (ص78).

يساعد احتلالها في إبادة العدو، وأي نقطة تكون ضمن منطقة الهدف وتؤدي إلى تسهيل عملية احتلاله والقضاء على العدو فيه؛ فإنها تتخذ عادة كهدف أساسي، وهذا ما يتطلب من القائد، تركيز وحشد قدرته القتالية في سبيل احتلالها (هجوم رئيسي)[1].

وفي المعارك الإسلامية الكثير من التطبيقات لهذا المبدأ الهجومي ومنها الآتي:

أولاً: النقاط الحيوية في معركة كاظمة:

وقع اختيار القائد خالد بن الوليد على منطقة كاظمة[2]، وهي أول معركة له بالعراق، حيث قسم جيشه ثلاث فرق وواعَدَها جميعاً (الحفير) وكان هو على رأس احداها، فلما علم هُرْمُزَ بخروجه وأنّ المسلمين تواعدوا (الحفير) سبقهم إليه ونزل به واتّخذ تشكيلات القتال، واقترن رجاله بالسلاسل لئلا يفرّوا[3].

ولكن خالد رضى الله عنه قدر الموقف وقرر الانحياز إلى كاظمة؛ ذلك أن كاظمة بلدة تقع في طرف الصحراء من جهة الجزيرة، فإذا انحاز المسلمون إليها فإنهم يحمون ظهورهم بصحراء الجزيرة ويسهل عليهم القتال في الرمال، الأمر الذي يصعب على عدوّهم، فكان لخالد ما أراد، فاضطر هرمز لموافاته إلى كاظمة، حيث سبق خالداً إليها واستولى على نبع ماء وحيد فيها[4].

فكان ذلك حافزاً جديداً لجند خالد على الاستبسال في القتال للحصول على الماء، إذ قال لهم خالد، وقد رأى أن الفرس سبقوه إلى مكان المعركة وعسكروا هناك على الماء: (انزلوا وحطّوا أثقالكم ثم جالدوهم حَتَّى تُجْلُوهُمْ عَنِ الْمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلُ الْمَاءِ لِأَصْبَرِ الطَّائِفَتَيْنِ، وأكرم الجندين).

فلمّا استقرَّ بِالْمُسْلِمِينَ الْمَنْزِلُ وَهُمْ رُكْبَانٌ عَلَى خُيُولِهِمْ، بَعَثَ اللَّهُ سَحَابَةً فَأَمْطَرَتْهُمْ حَتَّى صَارَ لَهُمْ غُدْرَانٌ مِنْ مَاءٍ، فَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَفَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا، فلمّا تواجه الصفّان وتقاتل الفريقان، ترجّل هرمز ودعا خالداً للنزال والمبارزة مبيتاً الخيانة، فَتَرَجَّلَ خَالِدٌ وتقدّم إِلَى هُرْمُزَ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ وَاحْتَضَنَهُ خَالِدٌ، وَجَاءَتْ حَامِيَةُ هُرْمُزَ فَمَا شَغَلَهُ عَنْ قَتْلِهِ، وَحَمَلَ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى حَامِيَةِ هُرْمُزَ فَأَنَامُوهُمْ، وَانْهَزَمَ أَهْلُ فَارِسَ وَرَكِبَ المسلمون أكتافهم إلى اللّيل واستحوذ المسلمون وخالد عَلَى أَمْتِعَتِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ

---

[1] تكتيك الهجوم (ص15).

[2] معجم البلدان، على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة (431/4).

[3] خطاب، خالد بن الوليد (ص118).

[4] معارك خالد بن الوليد (ص384).

فَبَلَغَ وِقْرَ أَلْفِ بَعِيرٍ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ ذَاتَ السَّلاسل لِكَثْرَةِ مَنْ سُلْسِلَ بِهَا مِنْ فُرْسَانِ فَارِسَ[1].

قال الباحث: في هذه الوقعة نجد هناك حرصاً من القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه على تحصيل عدة نقاط حيوية كانت سبباً في حسم المعركة وانتصار المسلمين وهي:

1. **اختيار المكان:** وقع اختياره على كاظمة التي تقع في طرف الصحراء من جهة الجزيرة، حتى يحمي مؤخرة قواته بجعل ظهورهم بصحراء الجزيرة، وحتى يسهل على قواته القتال في الرمال، الأمر الذي يصعب على عدوِّهم.
2. **تحصيل الماء:** حرص خالد على السيطرة على نبع الماء الوحيد، لما لها من حيوية كبيرة في استمرار عافية وعمل القوات.
3. **قتل قائد العدو(هُرمُز):** حرص القائد خالد على قتل زعيم الفرس هرمز عند المبارزة، وعندما بدا ذلك واضحاً لأَصحَاب هُرمُز حَمَلوا للغَدر بِخَالِد وإِشْغَالِه عن هُرمُز، فلم يشغله ذلك عن قتله، وظل مهتماً بهذا الهدف الحيوي الذي حسم المعركة به. وقد حمل القعقاع بن عمرو عليهم فقتلهم، وانهزم أهل فارس.

ثانياً النقاط الحيوية في معركة وادي البرباط[2] أو (معركة العبور إلى الأندلس):

تسمى معركة وادي البرباط، وتسمى معركة وادي لكّه[3]، تسمى أيضاً معركة العبور إلى الأندلس، وقد جرت هذه المعركة بين طارق بين زياد الليثي وبين رودريك ملك القوط وآخر ملوك أسبانيا قبل الفتح في عام 92هـ (711م)، وقد استمرت ثمانية أيام وانتهت بهزيمة القوط هزيمة تامة ثم فتح الأندلس بكاملها.

وأهمية هذه المعركة أنها كانت أول معركة حاسمة في الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، إذ تمزق على إثرها الجيش الاسباني (القوطي) وانهار، وانفتحت أمام طارق ومن جاء بعده من المسلمين الفاتحين،

---

(1) لابن كثير، البداية والنهاية (379/6). وانظر: خطاب، خالد بن الوليد (ص118).

(2) وداي البرباط: يقع جنوب وادي لكّه وعلى موازاته، ويمتد من شرق مدينة (شذونة) شمالاً ماراً بمحاذاة بحيرة (الخندق) أو الخاندا ، ومخترقاً السهل الفسيح المحيط به، لينتهي في المحيط الأطلسي (أو بحر الظلمات) عند مدينة البرباط بالقرب من الطرف الأغر على الساحل الجنوبي للأندلس.

(3) يجدر الإشارة إلى أن كلمة (لكّه) تلفظ بصور مختلفة، مثل: لَكُّه عند ابن عذاري والحميري، ولَكَّه عند القرّي وابن القوطي وعند ابن الخطيب، ولِك في الصورة الاسبانية للرازي، وقد حاول البعض تفسير اسم هذا الوادي (بوادي اللذة أو وادي السرور) . انظر: سويد، الفن العسكري الإسلامي(ص330).

أبواب الأندلس وما بعدها من أسبانيا وجنوب فرنسا[1].

وقد قام موسى بن نصير بإرسال الوحدات الاستطلاعية مؤلفة من سرية بلغت أربعمائة من المشاة وألفاً من الخيالة، وكانت بقيادة طريف بن مالك النخعي، وأمره أن يجتاز المضيق إلى الساحل المقابل للساحل الأفريقي، ليستطلع أخبار العدو فيه ويعود، وقد استعان بالمراكب والسفن لعبور المضيق.

وقد استطلع أخبار العدو في تلك الجهات، ثم عاد مع سريته ليحدث موسى بن نصير عن مواطن القوة والضعف في تلك البلاد، وما تنعم به من الخيرات، مما زاد حماسة موسى للاستعجال بفتح بلاد الاندلس الذي بدأ فعلياً بالتحضير لفتح هذه البلاد برفقة طارق بن زياد حيث كانا يعملا على تنظيم الجيش الذي سيقوم بهذه المهمة الخطيرة؛ ولم يمر عام على الحملة الاستطلاعية حتى كانت طلائع الفتح تبحر من سبتة في رجب عام 92هـ بقيادة طارق بن زياد[2].

الجدير بالذكر أن هذه الحملة لم تُبحر دفعة واحدة خشية أن ينفضح أمرها وتثير انتباه العدو، بل كانت تنقل إلى الساحل الأندلسي في السفن التجارية، حتى اكتمل قوامها سبعة آلاف مقاتل، جلهم من البربر المسلمين ما عدا قلة من العرب.

ومن النقاط الحيوية التي استولي عليها طارق بن زياد فور وصوله وجيشه على الساحل الجنوبي الأندلسي، أنه قاعدة عسكرية حصينه عند سفح جبل كالبي (Calpe) الذي سمي فيما بعد (جبل الفتح أو جبل طارق)، كما أقام سوراً أحاط به جيوشه سمي (سور العرب)، كما باشر بإحكام رأس الجسر الذي أقامه بجيشه، ووسعه، وأنشأ ميناء ليصل به إلى ميناء (سبتة) المغربي[3].

وقد كان اختيار ميدان القتال من قبل طارق من أهم عناصر نجاحه في هذه المعركة، إذ أسند ميمنة جيشه إلى بحيرة خاندا شرقاً الممتدة عدة كيلو مترات، والتي يصبّ فيها نهر البرباط الذي يمر بوادي البرباط، وأسند ميسرته إلى الوادي المذكور غرباً، كما أسند مؤخرة هذا الجيش إلى جبال (رتينا) العالية جنوباً، منتظراً أن يأتيه العدو من الشمال بعد أن وضعه في موضع الاضطرار لا الاختيار[4].

---

[1] المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (5/2).

[2] سويد ، الفن العسكري الإسلامي (ص329-331).

[3] أبو عُبيَّة، موجز عن الفتوحات الإسلامية (ص98).

[4] سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص341).

وقد كانت استمرت هذه المعركة ثمانية أيام انتهت بهزيمة القوط هزيمة تامة، وقد استثمر طارق ابن زياد النصر، فذهب مباشرة للسيطرة علي عاصمة عدوه طليطلة، وفي الوقت نفسه أرسل حملات مختلفة إلى أنحاء البلاد لكي يحتل المواقع الاستراتيجية فيها فيفقد القوط في إعادة تنظيم جيشهم ومتابعة القتال أو النصر؛ فأرسل إحداها إلى داخل البلاد شمالاً نحو قرطبة، وكانت قصبة هامة في الأندلس، وارسل أخرى شرقاً على الساحل الجنوبي للبلاد نحو ملقة، وأرسل ثالثة إلى داخل البلاد شمالاً بشرق نحو غرناطة، وكانت تشكل موقعاً استراتيجياً هاماً في بلاد الأندلس، ثم توجه بنفسه شمالاً إلى العاصمة طليطلة واستولى عليها، فظل الحكم القوطي شريداً طريداً في أنحاء الأندلس إلى أن سقط، وفتحت الاندلس بكاملها[1].

ويرى الباحث من خلال ما سبق ذكره أنّ القائد موسى بن نصير، ومعه القائد طارق بن زياد قد حرص كل منهم للسيطرة علي النقاط والمواقع الحيوية (قبل وأثناء وبعد هذه المعركة) والتي كان لهذه المواقع الحيوية الأثر الكبير في تعزيز قوة المسلمين، وتحطيم قوة عدوهم، نذكر منها ما يلي:

1) قيام موسى بن نصير بإرسال الوحدات الاستطلاعية، ليتم استطلاع بلاد الأندلس والإفادة بأخبار العدو فيها.
2) استغلال السفن التجارية في نقل القوات إلى الساحل الأندلسي حتى اكتمل قوامها سبعة آلاف مقاتل، حيث لم تُبحر دفعة واحدة خشية أن ينفضح أمرها وتثير انتباه العدو.
3) سيطرة طارق بن زياد فور وصوله وجيشه على الساحل الجنوبي الأندلسي لجبل كالبي (Calpe) الذي سمي فيما بعد (جبل الفتح أو جبل طارق9) لم له من أهمية حيوية.
4) سيطرة طارق بن زياد على رأس الجسر الذي أقامه بجيشه، وتوسيعه، وإقامة قاعدة حصينة له عند سفح الجبل، وأنشاء مرفأ يصله بسبتة، كما أنشأ حول الجبل سوراً يحمي به قواته سُمّي (سور العرب).
5) إسناده ميمنة جيشه إلى بحيرة خاندا شرقاً والممتدة عدة كيلو مترات، والتي يصبّ فيها نهر البرباط الذي يمر بوادي البرباط، وإسناده لميسرة جيشه إلى الوادي المذكور غرباً.
6) إسناده مؤخرة هذا الجيش إلى جبال (رتينا) العالية جنوباً، منتظراً أن يأتيه العدو من الشمال بعد أن وضعه في موضع الاضطرار لا الاختيار.
7) استثمر طارق بن زياد النصر في هذه المعركة، فذهب مباشرة للسيطرة علي عاصمة عدوه طليطلة،

[1] المصدر السابق ، وانظر: المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب (ص8/2).

وحتى يتحقق له ذلك أرسل بالتوازي مع حملته حملات مختلفة في بلاد الأندلس على المواقع الاستراتيجية الحيوية والتي تشكل القوة والنفوذ لمملكة القوط؛ في الشمال نحو قرطبة، وفي الشرق على الساحل الجنوبي نحو ملقة، وفي الشمال الشرقي نحو غرناطة، وكانت تشكل موقعاً استراتيجياً هاماً في بلاد الأندلس.

المطلب الخامس: تحصيل الابتكار في العمل وتحقيق المباغتة للعدو:

من الأهداف الأساسية لنجاح العمليات الهجومية، هو امتلاك القائد لميزة الابتكار في العمل والاحتفاظ به، وابتكار العمل هو عبارة عن الظروف التي يستفيد القائد في ظلها، من كافة الإمكانات الموجودة بقصد التأثير في العمليات.

يجب الاستفادة من جميع الإمكانات القتالية، والمباغتة، وأخطاء العدو ونقاط ضعفه، لامتلاك الابتكار في العمل، والقائد الذي يكون لديه ابتكار في العمل، يتمكن بسرعة وحسم من القيام بردة فعل أمام التغيير الحاصل في الوضعية (الموقف) التي يكون لها خطط جاهزة وفرعية[1].

والابتكار في العمل غايته تحقيق أحد أصول الحرب الأساسية وهو (المباغتة) للعدو، وعنصر المباغتة في الحرب من أقوى العناصر الفاعلة في ضرب العدو في عمقه وإصابته في مقتل، فالحروب القديمة والحديثة على حدٍ سواء، تعتمد أساساً على عنصر المباغتة، والإغارة المفاجئة، لما تحدثه من ربكة في التخطيط، وشلل في التفكير، وتراجع كبير على مستوى الرد العسكري.

يقول العقيد البرت ميرغلن[2]: "المباغتة مبدأ هام جداً من مبادئ الحرب، وتدخل في الإطار النفسي.. فإن المباغتة تعتمد أساساً على المهارة في تصور التدابير التي بإمكانها خداع العدو، وتحويل أنظاره عما يجري .. ويتمتع الجانب الذي يحقق المباغتة بمزايا هائلة في حين يواجه الجانب الذي يقع ضحية المباغتة كثيراً من المساوئ والمصاعب، التي تؤدي في غالب الأحيان إلى الهزيمة".

قال الباحث: كان الرسولﷺ يحرص على أن يفاجئ أعداءه بأساليب قتالية جديدة، وقد اعتمدﷺ بشكل كبير على هذا العنصر الفاعل، من خلال الابتكار في الأساليب والمعدات القتالية التي كان يواجه بها أعداءه، وكما ذكرنا في فصل العمليات الدفاعية ابتكاره للقتال لأسلوب الصفوف، ومباغتة الأحزاب بالخندق، واعتماد الرسائل المكتومة وغيرها من الأساليب؛ فإنه حرص على امتلاك عنصر الابتكار و المباغتة بأساليب أخرى في العمليات الهجومية.

---

(1) تكتيك الهجوم (ص19).

(2) ميرغلن، كتاب حرب المباغتة (ص289).

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أولاً: استخدام المنجنيق والدبابة:

كان تسليح المسلمين متميّزا بالدروع والأسلحة الأخرى، وقد برز سلاحان جديدان استخدمهما المسلمون في معاركهم: (المنجنيق[1] والدبابة[2]).

وقد استخدم الرسولﷺ الْمَنْجَنِيقَ فقد نصبها في خيبر[3]، وهمّ بذلك ليرهب اليهود لكن لم يثبت أن استخدمها ضدهم، وفي حصار الطائف استخدم الرسولﷺ المنجنيق والدبابة، وبذلك استفاد من سلاحين جديدين في القتال[4].

وقد روى الواقدي، أنَّ النَّبيﷺ نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ على أهل الطائف، كما ذكر ابن هشام عمن يثق به أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ أَوَّلُ مَنْ رَمَى فِي الْإِسْلَامِ بِالْمَنْجَنِيقِ، رَمَى أَهْلَ الطَّائِفِ[5].

---

(1) **المنجنيق:** بفتح الميم، وتكسر عند الأكثر، والميم أصلية عند سيبويه، والنون زائدة، ولذا سقطت في الجمع، والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة، وتُستخدم لهدم الحُصون بالحجارة الضخمة، أو لرمي الأعداء بالنبال، أو لإحراق مواقع العدو بالنفط ونحوه، ويتألف بصورة عامة من عامود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة، يمر بها حبل متين، في طرفه الأعلى شبكة في هيئة كيس، توضع حجارة أو مواد محترقة في الشبكة، ثم تحرّك بواسطة العامود والحبل، فيندفع ما وضع في الشبكة من القذائف ويسقط على الأسوار، فيقتل أو يحرق ما يسقط عليه. انظر: سويد، معارك خالد بن الوليد(ص61).

(2) **الدبابة:** عبارة عن آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها، وتصنع من الخشب الثخين المغلّف بالجلود أو اللبود، تُركّب على عجلات مستديرة، فهي عبارة عن قلعة متحركة يستطيع المشاة الاحتماء بها من نبال الأعداء. انظر: القاموس المحيط، الدبابة(ص65/1).

(3) ذكر الطبري أن خيبراً يوم أن حاصرها النبي صلى الله عليه وسلم كانت تختزن المجانيق والدبابات والدروع والسيوف في بيت تحت الأرض، وقد دل الرسول عليه يهودي قبض عليه أثناء الحصار. انظر: للطبري،تاريخ الأمم والملوك(133/3).

(4) السيرة الحلبية(48/3) وانظر: لابن سعد ، الطبقات الكبرى (158/2).

(5) للواقدي ، المغازي (927/3)، وانظر: سيرة ابن هشام(483/2)، وأخرجه أبو داود في المراسيل(ص248:حديث رقم335)، وابن سعد في الطبقات الكبرى(159/2)، من طريق سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن مكحول به؛ وهذا الحديث ضعيف، لأنه مرسل. وقد ضعفه ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام (481/1).

كما أخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ، قَالُوا: **(شَاوَرَ رَسُولُ اللهِﷺ أَصْحَابَهُ فِي حِصْنِ الطَّائِفِ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَى أَنْ تَنْصِبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى حِصْنِهِمْ فَإِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ نَنْصُبُ الْمَنْجَنِيقَاتِ عَلَى الْحُصُونِ، وَتُنْصَبُ عَلَيْنَا، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوِّنَا، وَيُصِيبُ مِنَّا بِالْمَنْجَنِيقِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْجَنِيقٌ طَالَ الثَّوَاءُ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِﷺ فَعَمِلَ مَنْجَنِيقًا بِيَدِهِ، فَنَصَبَهُ عَلَى حِصْنِ الطَّائِفِ، وَيُقَالُ: قَدِمَ بِالْمَنْجَنِيقِ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ وَدَبَّابَتَيْنِ، وَيُقَالُ: الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَيُقَالُ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحْمَاةٌ بِالنَّارِ فَحَرَّقَتِ الدَّبَّابَةَ،**

وهذان السلاحان الجديدان باغت بهما النبيﷺ أعداءه في الطائف؛ ولكنّ أهل الطائف استطاعوا أن يحرموا المسلمين من فوائد هذين السلاحين، وذلك باستخدامهم أسلوب جديد في مكافحة الدبابة، وهو حرق الدبابة بالحديد المنصهر، حيث قذف المشركون الحديد المصهور على خشب الدبابات، فاحترقت تلك الأخشاب واضطرّ المحتمون بها الى الفرار، فأصبحوا بعد انكشافهم هدفا مناسبا لرميهم بالسهام، وبذلك أحبطت ثقيف محاولة المسلمين للإفادة من استعمال المنجنيق والدبابة استعمالا مفيدا حاسما[1].

وقد طوَّر المسلمون الدبابة بعد ذلك وأدخلوا عليها كثيرا من التعديلات والتحسينات، وغطوا أخشابها بالجلد المشبّع بالخل كي لا تشتعل، كما صار الصُندوق أشبه بعمارة ضخمة، تسير على عدد من العجلات اكثر وأضخم، وتنتهي ببرج مرتفع بارتفاع السور المُحصّن المُهاجم، وتُثبت في داخلها سلالم تنتهي بشُرُفات تقابل شرفات الحصن حيث يصعد الرجال فيتسلقون بواسطتها سور الأعداء، ويطردون رماتهم، وفي القرن الثاني للهجرة صار العرب يستخدمون في الدبابة عتاداً خاصاً لنقب الأسوار يُدعى (رأس الكبش)[2].

وكان عروة بن مسعود حين حاصر النبيﷺ أهل الطائف بجرش يتعلم عمل الدبابات والمنجنيق، ثم رجع إلى الطائف بعد أن ولى رسول اللّٰهﷺ فعمل المنجنيق والدبابات والعرادات[3]، وأعد ذلك حتى قذف اللّٰه في قلبه الإسلام[4].

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا، فَنَادَى سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيُّ: لِمَ تَقْطَعُ أَمْوَالَنَا؟ إِمَّا أَنْ تَأْخُذَهَا إِنْ ظَهَرْتَ عَلَيْنَا، وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: فَإِنِّي أَدَعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَتَرَكَهَا). وهذا الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، جماع أبوا ب مغازي رسول الله بنفسه..، باب مسير النبيﷺ إلى الطائف..،(161/5). وهو في سبل الهدى والرشاد(385/5)عن الواقدي، **وهذا الحديث ضعيف بجميع طرقه.**

وانظر ذكر رواية نصب المنجنيق في: الروض الأنف، للسهيلي(337/7)، وانظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للزرقاني(10/4)، ومعجزات النبيﷺ، لابن كثير الدمشقي(ص332)، وعيون الأثر، لابن سيد الناس(25/2).

[1] السيرة الحلبية (48/3)، وانظر: خطاب ، الرسول القائد (ص361).

[2] للطبري ، تاريخ الأمم والملوك (133/3)، وانظر: سويد، معارك خالد بن الوليد (ص67).

[3] العرادة: أصغر من المنجنيق، ترمي الحجارة المرمى البعيد، أو منجنيق صغير كان يستعمل لرمي السهام الكبار دفعة واحدة وإلى مسافات وأهداف بعيدة لا تطالها القسي العادية. انظر: محيط المحيط، لفظة (عرد)،(1366/2).وانظر، الفن الحربي في صدر الإسلام (ص156).

[4] إمتاع الأسماع (29/14).

ثانياً: استخدام الحسك الشائك(1) **في الطائف:**

ومن الابتكاراتِ العسكريةِ التي استُخدمتْ: الْحَسَكُ الشائكِ، وقد كان المقاتلون يبثون هذا النوع من العتاد الحربي ويزرعونه حول الخنادق، وهذا ما فعله النبيﷺ في حصاره للطائف، فقد صنع الحسك الشائك من خشب على شكل صليب بحيث تتألف كل حسكة من اربع شعب مدببة، وزرعه في الأرض حول الخندق[2].

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد: "فحاصرهم – أي الرسولﷺ – ثمانية عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ونثر الْحَسَكَ سُقَّبَين من عيدان حول الحصن"[3].

وكما استعمل المسلمون هذا النوع من العتاد في حروبهم فقد استعمله الفرس والروم كذلك للدفاع عن حصونهم وخنادقهم، فهو عتاد يستعمل في الدفاع كما في الهجوم، ويستعمله المحاصر والمحاصر معاً[4].

ثالثاً: استخدام سلم الحصار:

سلم الحصار[5] عرفه العرب منذ فجر الإسلام، واستخدمه خالد بن الوليدﷺ في فتح دمشق، بل كان استخدامه سبباً رئيسياً في فتح دمشق.

---

(1) الحسك الشائك: في الأصل هو نبات له شوك صلب، أشهره ما يسمى بحسك السعدان، وقد استعير على شكل هذا الشوك لصنع أداة خشبية في البدء، ثم أصبح أداة حديدية ذات شعب ثلاث أو أكثر مشبعة تغرز شعبتان منها في الأرض وتبقى الأخرى فوق سطحها لتعيق تقدم المهاجمين من خيالة ومشاة، وكانت تزرع حول الخنادق وفي الأماكن الضيقة والممرات الإجبارية. انظر: سويد، فن الحرب الاسلامي، اللواء الركن (ص29).

(2) للواقدي، المغازي (927/3)، وانظر: للمقريزي، امتاع الأسماع (21/2)، وانظر: سويد، معارك خالد بن الوليد (ص73).

(3) لابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (120/2).

وقد اختلفوا في عدد أيام محاصرة الطائف؛ فَقَالَ قَائِلٌ: ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ قَائِلٌ: تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ قَائِلٌ: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. فَقَالَ قَائِلٌ: بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً. انظر: مغازي الواقدين(927/3)، وانظر: لابن سيد الناس، عيون الأثر(250/2)، وانظر: للمقريزي،إمتاع الأسماع(22/2).

(4) الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق : د. محمد كمال الدين عز الدين علي، (525/2)، وانظر: سويد، معارك خالد بن الوليد (ص73).

(5) هوسلم من حبال مجدولة بشكل درجا تنتهي بوهق أو أنشوطة يرميها المُحاصِرون على أعلى السور وشرفاته لتعلق بها، ويتسلّقون السور بواسطة السلم بعد تثبيته. انظر: عبد الرؤوف عون الفن الحربي، في صدر الإسلام (ص173).

يقول ابن الأثير[1]: "وُلِدَ لِلْبِطْرِيقِ الَّذِي عَلَى أَهْلِهَا مَوْلُودٌ، فَصَنَعَ طَعَامًا، فَأَكَلَ الْقَوْمُ وَشَرِبُوا، وَتَرَكُوا مَوَاقِفَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَالِدٍ، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ، وَكَانَ قَدِ اتَّخَذَ حِبَالًا كَهَيْئَةِ السَّلَالِيمِ وَأَوْهَاقًا، فَلَمَّا أَمْسَى ذَلِكَ الْيَوْمَ نَهَدَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ الَّذِينَ قُدِّمَ عَلَيْهِمْ، وَتَقَدَّمَهُمْ هُوَ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو وَمَذْعُورُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَمْثَالُهُ، وَقَالُوا: إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرًا عَلَى السُّورِ فَارْقَوْا إِلَيْنَا، وَاقْصُدُوا الْبَابَ، فَلَمَّا وَصَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَى السُّورِ أَلْقَوُا الْحِبَالَ، فَعَلِقَ بِالشُّرَفِ مِنْهَا حَبْلَانِ، فَصَعِدَ فِيهِمَا الْقَعْقَاعُ وَمَذْعُورٌ وَأَثْبَتَا الْحِبَالَ بِالشُّرَفِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَكَانُ أَحْصَنَ مَوْضِعٍ بِدِمَشْقَ، وَأَكْثَرَهُ مَاءً، فَصَعِدَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ انْحَدَرَ خَالِدٌ وَأَصْحَابُهُ وَتَرَكَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مَنْ يَحْمِيهِ وَأَمَرَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ، فَكَبَّرُوا، فَأَتَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ وَإِلَى الْحِبَالِ، وَانْتَهَى خَالِدٌ إِلَى مَنْ يَلِيهِ فَقَتَلَهُمْ، وَقَصَدَ الْبَابَ فَقَتَلَ الْبَوَّابِينَ، وَثَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَدْرُونَ مَا الْحَالُ، وَتَشَاغَلَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِمَا يَلِيهِمْ، وَفَتَحَ خَالِدٌ الْبَابَ وَقَتَلَ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الرُّومِ، فَلَمَّا رَأَى الرُّومُ ذَلِكَ قَصَدُوا أَبَا عُبَيْدَةَ وَبَذَلُوا لَهُ الصُّلْحَ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَفَتَحُوا لَهُ الْبَابَ"

كما استخدمه الزبير بن العوامﷺ في فتح حُصون بابليون بمصر، بل كان استخدام السّلم سبباً رئيساً في فتح الحصن، وذلك لمّا أبطأ الفتح على عمرو بن العاص، قال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا. فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر، معه السيف، وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر، فلما اقتحم الزبير، وتبعه من تبعه، وكبر من معه، وأجابهم المسلمون من خارج، لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا، فهربوا، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن، فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك[2].

وقد تطورت صناعة هذه السلالم فيما بعد للاستخدامات العسكرية وغيرها، فأصبحت تُصنع من الخشب والحديد والألمنيوم المقوى، وترتفع بارتفاع السور تقريباً.

---

[2] أبو القاسم المصري ،فتوح مصر والشام، تأليف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (85/1).

رابعاً: الابتكار بأسلوب (التكتيك المتغير):

استعمل المسلمون في معركة القادسية أسلوب (التكتيك المتغير) وفقاً لكل حالة من حالات القتال وظرف من ظروفه، ففي (اليوم الأول) من المعركة نراهم يحتالون على الفيلة المهاجمة فيقطعون وُضُنها بعد أن يرموها بنبالهم فتفر من ميدان القتال بعد أن ترمي مَنْ على ظهورها من رجال الفرس فيفتك المسلمون بهم.

وفي (اليوم الثاني) اعتمدوا أسلوب المبارزة كي يطيلوا أمد القتال ريثما يصل إليهم المدد القادم من الشام، كما يعمدون إلى إيصال هذا المدد إلى ساحة القتال تباعاً زمرة إثر زمرة بغية إيهام العدو بكثرته.

ثم يعمدون حيلة تكتيكية بارعة وذلك بأن يجللوا إبلهم ويبرقعوها تشبهاً بالفيلة ثم يطلقونها في صفوف العدو فتجفل خيلهم وتولي هاربة لا تلوى على شيء.

وفي (اليوم الثالث) يعمد المسلمون إلى مواجهة فيلة الفرس المحمية بخيالتهم ومشاتهم بأن يهاجموا أكبرها وأضخمها فيفقأوا عيونها ويقطعوا مشافرها، فتفر الفيلة هاربة، ويتساوى الفرس والمسلمون في ساحة القتال، بعد أن يخسر الفرس فيلتهم، أي مدرعاتهم.

ولما رأى المسلمون أن أمد القتال يمكن أن يطول قرروا الهجوم العام فعبأوا صفوفهم وزحفوا زحفة واحدة، حتى تمكنوا من اختراق صفوف العدو وانكشف قلبه فقتلوا رستم قائد جيش عدوهم، وانهزم جيش الفرس هزيمة ساحقة[1].

وهكذا نرى الابتكار والأسلوب التكتيكي الذي اتبعه المسلمون في هذه المعركة لم يتقيد بالأساليب التقليدية التي كانت متبعة في القتال، بل انتقل لكل حالة بما يناسبها بعيداً عن الروتين المتّبع أو المتوقّع عادة؛ فكانوا يفاجئوا عدوهم في كل يوم بأسلوب جديد.

خامساً: الابتكار في الهجوم البحري:

وردت العديد من الآيات القرآنية التي تدفع الإنسان إلى الاستفادة من نعم الله تعالى في آفاق الأرض وأعماق البحر وترشده إلى الاعتناء بآلاء البر والبحر، ومنها الآيات التالية:

---

[1] سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص275–276)، وانظر: لابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري (302/2– 309).

قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : 164].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: 22].

وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ﴾ [إبراهيم: 32].

تعتبر هذه الآيات بمثابة الدوافع النفسية والمعنوية والحوافز الاقتصادية والأساليب القتالية والحضارية للأمة الإسلامية، فما كان أمام المسلمين إلا أن يقتحموا مجالات البحار والأنهار مثل اقتحامهم مجالات الأقطار والأمصار في البر لنشر الدعوة الإسلامية وتوسيع الفتوحات وصد الهجمات المضادة عن طريق البر والبحر، وبدافع من الإرشادات القرآنية لاقتحام مجالات البر والبحر والاستفادة من نعمائهما والسيطرة على مقاليدهما، والاستعانة بطاقاتهما ومدخراتهما في بناء حضارة إنسانية وارفة الظلال تعيش تحتها البشرية كلها في أمن وسلام تحت ظل الإسلام، وهكذا غرس الإسلام الوعي البحري في نفوس المسلمين واستوعبوا المعارف والعلوم للازمة في مجالات الرحلات البحرية وبناء كانت الحاجة للاستفادة من البحر في تحقيق وتوسيع الفتوحات الإسلامية.

لم يركب المسلمون البحر غازين في عهد رسول اللهﷺ وعهد خليفته أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إلا أن المسلمين ركبوا البحر غازين في عهد الخليفة عثمان بن عفان وبطلب من معاوية – وكان والياً على الشام – حيث أرسل عام 28هـ (648م) حملة لغزو قبرص وفتحها، وتم له ذلك.

وقد كان المسلمون في بادئ أمرهم، يتهيبون ركوب البحر، إلا أنهم سرعان ما تعودوه، فغزوا بعد قبرص رودس وصقلية وفتحوهما، ثم خاضوا ضد الروم عام 34 هـ (655م) أهم معركة بحرية في تاريخ الفتوح الاسلامية، وهي معركة ذات الصواري وانتصروا فيها انتصاراً حاسماً، وكانت الحملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر[1].

وبالرغم من عدم وجود تكافؤ بين قدرات القوتين البحريتين، ورغم عدم وجود خبرة قتالية بحرية عند

[1] سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص80).

المسلمين، **إلا أنّ الإصرار على النصر جعلهم يبتكرون شيئاً ساعدهم على جعل المواجهة برية إلى حدٍ ماء وسط البحر؛ وذلك عندما قاموا بربط مراكبهم وسفنهم البحرية المتقاربة ببعضها البعض، وإيجاد ميداناً يُحاكي القتال البري، ثم ربطوا مراكبهم البحرية في مراكب الأعداء وجعلوا منها ميداناً برياً للقتال فسهُلت عليهم المواجهة.**

يقول الدكتور طه عبد المقصود أبو عُبيَّة[1]:"يبدو أن المسلمين أدركوا أن خوض قتال بحري ضد هذه الأعداد الضخمة من السفن المدربة مخاطرة غير مأمونة، فاختروا أن يجعلوها حربا برية في البحر، فربطوا سفنهم المتقاربة في سفن الأعداء، وجعلوا من ظهورها ميدانا بريا للقتال، واشتدت المعركة، وقتل من الجانبين أعداد هائلة، واختلطت دماء القتلى بمياه البحر، فصبغته بلونها الأحمر القاني، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما، وانتهى القتال بانتصار حاسم للمسلمين، وأسفر عن بداية لطور بحري جديد سيطر المسلمون فيه على حوض البحر المتوسط الشرقي على حساب البحرية البيزنطية، وأكسبهم خبرة طيبة في المجال البحري".

لقد كانت معركة ذات الصواري التي انهزم فيها الأسطول البيزنطي والذي يعتبر أقوى أساطيل زمانهم، وفي أول هجوم بحري للمسلمين في معركة ذات الصواري سنة 34 هجرية، بمثابة معجزة للقوة البحرية الإسلامية بكل المعايير والمقاييس وقد غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط؛ لأن هذه النتيجة كانت انتهاء لعصر السيادة للبيزنطيين في البحر المتوسط وابتداء عصر السيادة الإسلامية في عالم هذا البحر عسكريا وسياسيا اقتصاديا.

وقد بشر رسول اللهﷺ المسلمين بأنهم سيغزون البحر في سبيل الله وسيخوضون قتالاً بحرياً ينتصرون فيه، وقد دعا رسول الله للصحابية أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ[2] أن تكون منهم بناءً على طلبها.

أخرج البخاري في صحيحه [3] **بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ – وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ – فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ ،**

---

(1) موجز عن الفتوحات الإسلامية (ص25/1).

(2) أمُّ حَرَامِ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جُنْدُبِ ن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية، اسْمهَا الرُّمَيْصَاء، وَأُمُّهَا مُلَيْكَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ، تَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَمْرُو بْنُ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَوَّادٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ قَيْسًا وَعَبْدَ اللَّهِ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ حَرَامٍ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِﷺ، وأم حرام خالة أنس بن مالك، وكان رسول اللهﷺ يكرمها ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدة. انظر: لابن الأثير، أسد الغابة (304/7)، والطبقات الكبرى، لابن سعد(434/8)، والثقات، لابن حبان (132/3).

(3) [البخاري : صحيح البخاري، الجهاد والسير/الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، 16/4 : رقم حديث 2788]

فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِﷺ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ[1] هَذَا البَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ: مِثْلَ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ، شَكَّ إِسْحَاقُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ - كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ، فَرَكِبَتِ البَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ).

ومن الأحاديث الشريفة التي تدل على فضل الغزو في البحر ما أخرجه الحاكم في المستدرك(2) **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، وَمَنْ أَجَازَ[3] الْبَحْرَ، فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا، وَالْمَائِدُ[4] فِيهَا كَالْمُتَشَحِّطِ[5] فِي دَمِهِ).**

قال الباحث: وقد أبدعت المقاومة الفلسطينية في التفوق على العدو الصهيوني – الأكثر تطوراً من بين جيوش العالم – بالعديد من الابتكارات والأساليب القتالية التي باغتته وحققت فيه مقتلة عظيمة، ومن ذلك ابتكار القتال من خلال الأنفاق الدفاعية والهجومية، وتنفيذ عمليات هجومية في أوقات

---

(1) ثَبَج: أَيْ وسَطه وَمُعْظَمَهُ. انظر: لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (206/1).

(2) [الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، في المستدرك على الصحيحين، قسم الفيء ، 2/ 55 : رقم حديث2634]، والطبراني في المعجم الأوسط (280/3)، حديث (314)، و(البيهقي في السنن الكبرى، الحج/ ركوب البحر لحج أو عمرة(334/4)، حديث رقم (898)، وهو عنده أيضاً في شعب الإيمان (11/4)، حديث رقم (4221)، وابن أبي عاصم الشيباني في كتابه الجهاد، (656/2)، حديث (280)، وأمالي بن بشران في أماليه (ص289)، حديث رقم (1530)، جميعهم من طريق عبد الله بن صالح بن يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد به.

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (315/5: رقم حديث 19754)، عن وكيع عن الثوري به ، بنحوه.

وللحديث له شاهد آخر أخرجه ابن ماجه من طريق أبي الدرداء ، كتاب الجهاد ، باب فضل غزو البحر(928/2 : رقم حديث 2777).

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن لغيره (بشواهده)، أما هذا الإسناد فضعيف، حيث رجاله ثقات عدا الراوي عن عطاء فهو مجهول الحال. وقد صحح إسناده الحاكم فقال: الحديث على شرط البخاري ، ووافقه الذهبي (143/2)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم حديث (4154).

(3) أَجَازَ: أي قطع وسار. النهاية في غريب الحديث والأثر (315/1).

(4) الْمَائِد فِي البَحْرِ: هُوَ الَّذِي يُدَارُ بِرأسِهِ مِنْ رِيحِ البَحْرِ واضْطِرَابِ السَّفِينَةِ بالأمْواج. النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 379).

5 كَالْمُتَشَحِّطِ: قال الخطابي: "الذي يضطرب في دمه". أعلام الحديث للخطابي (1467/2).

الضباب، وتنفيذ عمليات بحرية من خلال الضفادع البشرية، وتصنيع العديد من المعدات القتالية محلياً كالصواريخ التي ضربت عمق الكيان وحاصرته جوياً لأسابيع، وتصنيع وتسيير الطائرات بدون طيار لرصد مواقعه في العمق وضرب بعض الأهداف، واختراق أجهزته الأمنية عبر الفدائيين الأمنيين.. ، وغيرها من الأساليب المختلفة والتي أبرزت إبداع المجاهد الفلسطيني .

<u>المطلب السادس: حفظ مواصلة الهجوم:</u>

تتم المحافظة على مواصلة الهجوم، بالاستفادة من القدرة القتالية، وبواسطة سرعة تقدم الوحدات المهاجمة، واستخدام الاحتياط، وتوفر دعم الخدمات القتالية بشكل كافٍ، مع الاستفادة من أي جهد متاح، ومراعاة قابلية المرونة.

ولحفظ مواصلة الهجوم يتعيّن علي القائد عند تخطيطه للعمليات، أن يضع ضمن مخططه كافة الاحتمالات الممكنة، وذلك لأنه قد تحدث في المعركة تطورات غير متوقعة. ولهذا كان قادة العرب المسلمين يحتفظون بقوة احتياطية لمجابهة المواقف الطارئة[1].

يقول بسّام العسلي[2]: "حافظ القادة باستمرار على هذا المبدأ، فكانوا يحتفظون بقوة احتياطية تحت تصرف القائد لمجابهة الطوارئ غير المتوقعة، وعندما توسعّت ميادين القتال وفُتحت الشام والعراق وتوغل المسلمون في فارس وبدأت الفتوحات في الجبهة الغربية لمصر، أصدر الخليفة عمر أوامره بتخصيص قوة احتياطية من الفرسان في كل اقليم، واجبهم التحرك فوراً لدعم كل طارئ في الجبهة او دعم الجبهات الاخرى وذلك كمقدمة ريثما يتم ارسال قوات دعم اكبر".

ولهذا المبدأ منافع عسكرية عظيمة، فهو يكسر شوكة العدو ويُضعف قدرته على المقاومة، ويحطم روحه المعنوية، كذلك يعطي القائد المهاجم السيطرة على الموقف، وحرية التحرك في الميدان، ويمنحه روحاً قتالية عالية، ومعنويات مرتفعة وشعوراً بالتغلب على الخصم.

وتطبيق هذا المبدأ يحتاج إلى قادة وجنود يتميزون بالشجاعة والإقدام، بل إن الاتصاف بالشجاعة والتضحية بالنفس عند المهاجم من أعظم أسباب النصر، ومن الأسباب التي تعين على ذلك الاعتقاد بأن الجهاد لا يقدم الموت ولا يؤخره، قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ .[النساء: 78].

---

[1] تكتيك الهجوم (ص21).

[2] بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي (25/1).

قال الشاعر:

مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتِ الحَالاتُ وَالمَوْتُ وَاحِدُ

ولهذا كان أهل الإيمان الكامل هم أشجع الناس، وقد كان رسول اللهﷺ أكملهم شجاعة هو إمامهم.

أخرج مسلم في صحيحه[1] **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ).**

ويُحدثنا البراءﷺ عن شجاعته وإقدامهﷺ يوم حُنين، وكيف كانوا يحتمون برسول اللهﷺ لشجاعته وثباته في وجه العدو.

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده **عن الْبَرَاءُ: (كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّﷺ).**

وعن شجاعته يُحدثنا علي بن الطالبﷺ يوم بدر، كيف كان رسول اللهﷺ أَقْرَبَهُم إلى العَدُو، وأشَدَّهم بَأْسَاً.

أخرج الإمام أحمد في المسند[3] **من حديث عَلِيٍّﷺ، قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا).**

وهكذا أصحابهﷺ، ومن بعدهم من قادة وجند الإسلام، ومن أهل العلم والإيمان؛ فينبغي للمجاهدين أن يقتدوا بنبيهمﷺ ، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ .[الأحزاب:26].

وقد طبق الرسولﷺ هذا المبدأ في عملياته الهجومية، وهناك الكثير من النماذج في المعارك الإسلامية التي تظهر فيها بطولات المسلمين، وحرصهم على تحقيق أهدافهم بمواصلة الهجوم مهما كلفهم ذلك، ومن هذه النماذج ما يلي:

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ 4/ 1802: رقم حديث2307].

(2) الحديث سبق تخريجه (ص156).

(3) [أخرجه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب،81/2 : رقم حديث 654]، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ج6، ص426)، (حديث 32614)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، (ص313)، (حديث رقم 103)، من طريق وكيع، بهذا الإسناد.

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة، وثقه ابن معين، انظر: تاريخ ابن معين، (ص90)، وابن حبان في الثقات(182/4)، والعجلي في ثقاته (103/1)،قال عنه أحمد: حسن الحديث، انظر: الجرح والتعديل(255/3)، وقد روى له البخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن، وإسرائيل سماعه من جده في غاية الإتقان للزومه إياه وكان خصيصاً به، والإسناد صححه شعيب.

أولاً: حرص الرسولﷺ على مواصلة الهجوم يوم حنين:

ظهر حرص الرسولﷺ على مواصلة الهجوم يوم حنين، عندما التقى المسلمون والكفار، ووقع المسلمون في كمين وادي حنين ولّى المسلمون راجعين مدبرين؛ فطفق رسولُ الله يركضُ بغلتَه قِبَل الكُفار، مواصلاً هجومه نحوهم.

أخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده **عن العَبَّاس قال: (شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِﷺ).**

وفي صحيحه أيضاً[2] بسنده **عن سَلَمَةَ: (مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللهِﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللهِﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ).**

دلت الأحاديث السابقة على شجاعته رسول اللهﷺ العظيمة وحرصه على مواصلة الهجوم والانتصار على الأعداء؛ فركوب الرسولﷺ على البغلة وركوضه نحوهم، ثم نزوله عنها وقتالهم وهو على الأرض فيه البسالة في القتال والفداء وكمال الشجاعة والثبات؛ ولهذا ذكر العلماء أن ركوبهﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس: هو النهاية في الشجاعة والثبات؛ لأن ركوب الفحولة أو الفرس مظنة الاستعداد للفرار والتولي، وكذلك نزوله إلى الأرض حين غَشَوْهُ يدل على المبالغة في الثبات، والشجاعة والصبر [3].

ثانياً: حرص الرسولﷺ على انفاذ جيش أسامة:

التحق النبيﷺ بالرفيق الأعلى، وكانت من وصايا النبيﷺ قبل موته إنفاذ جيش أسامة لقتال الروم، وفور تولي أبو بكر الخلافة، فكان أول أمر أصدره بعد أن تمت له البيعة بالخلافة إنفاذ جيش أسامة، وقد أصرَّ أبو بكرﷺ، أن يُنفذ جيش أسامة بالموازاة مع حروب الردة، قَالَ أَبُو بَكْرٍﷺ: (وَاللَّهِ لَوْ خَشِيتُ أَنْ

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/في غزوة حنين ، 1398/3: رقم حديث1775].

[2] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/في غزوة حنين ، 1403/3: رقم حديث1777].

[3] [مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي358/12]، و[فتح الباري: لابن حجر32/8].

تَأْكُلَنِي السِّبَاعُ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ – يَعْنِي الْمَدِينَةَ – لَأَنْفَذْتُ جَيْشَ أُسَامَةَ)[1].

وكما يروي صاحب السيرة الحلبية: أن أسامة وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا عمر: ارجع إلى خليفة رسول اللهﷺ فاستأذنه أن يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول اللهﷺ وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون، وقالت له الأنصار‌ﷺ: فإن أَبَى أبو بكر إلا أن يَمضِي: أي الجيش فأبلغه منا السلام، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة، فقدم عمر على أبي بكر‌ؓ وأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر: والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول اللهﷺ، قال عمر‌ؓ: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة، فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول اللهﷺ وتأمرني أن أنزعه، فخرج عمر إلى الناس فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول اللهﷺ، هذا كلامه[2].

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّﷺ، بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ).**

قلت: وفي إنفاذِ جيشِ أسامةَ إصرارٌ على مواصلةِ الهجوم؛ وحرصٌ من أبي بَكرؓ على إنفاذ وصية رسول اللهﷺ ؛ رغم ما طرأ على المسلمين من مخاطر وتهديدات كحركة الردّة داخل الجزيرة العربية وغيرها من تهديدات خارجية كالروم وفارس.

ثالثاً: الحفاظ على مواصلة الهجوم في اليرموك بقوة الاحتياط:

في معركة اليرموك شكّل خالد بن الوليدؓ قوة احتياط مُستقلّة، حفاظاً على مواصلة الهجوم وسد أي ثغرات قد تحدث أثناء المعركة، وفي ذلك قال خالد بن الوليد لأبي عبيدة بن الجراحؓ أثناء تنظيمه لمعركة اليرموك: **(رأيت أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا، ويقف من ورائه وبحذائه مائتان او ثلاثمائة يكونون للناس ردءاً)**[4].

وتم تنفيذ اقتراح ابن الوليد، وقامت هذه القوة بتنفيذ الواجبات التالية:

1. سد الثغرات: استطاع الروم تحطيم الاجنحة في معركة اليرموك واندفعوا الى عمق ترتيب

---

[1] لأبي بكر البخاري، بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (284/1).

[2] السيرة الحلبية (293/3).

[3] الحديث سبق تخريجه (ص158).

[4] تهذيب تاريخ ابن عساكر (164/1).

قتال جيش المسلمين فكانت أول قوة تتصدى لسد الثغرة هي قوة سعيد بن زيد، وكان لصمود القوة الاحتياطية دور كبير في المعركة، فقد ساعد صمودها على تحويل الموقف.

2. نجح الفرسان بقيادة خالد بن الوليد وقيس بن هبيرة على مجابهة القوات التي وصلت حتى معسكر النساء ثم بدأ الفرسان بالهجوم المضاد.
3. تنفيذ الهجوم المضاد: عندما تحطّمت حدة هجوم العدو أمام المقاومات المنسّقة بالعمق بدأ خالد بن الوليد بهجومه المضاد، ووصل المراسل الى سعيد بن زيد يأمره بالقيام بالهجوم المضاد، وكان الأمر كالتالي (شد عليهم)، واندفعت القوة الاحتياطية تعمل مع الفرسان بتنسيق تام حتى أمكن طرد الروم من مواقع المسلمين، واستمرت المطاردة حتى أُعيد الروم إلى معسكرهم[1].

وقد ظهرت الروح القتالية الهجومية العالية عند الصحابة الكرامﷺ عندما بادر عكرمة بن أبي جهلﷺ بمواصلة الهجوم على الروم وهو يقاتل أمام فسطاط خالد، وذلك لما اشتد ضغط الروم على ميمنة المسلمين وأُزيلوا عن مواقعهم، ورأى المسلمين في حرج فصاح قائلاً: قاتلت مع رسول اللهﷺ في كل موطن وأفرّ اليوم؟ من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة مقاتل كانوا بمثابة "كقوة استشهادية" أو قوة نخبة هجومية، حيث هجموا على الروم هجمة واحدة وقاتلوهم من مسافة صفر، فأعادوهم إلى مواقعهم، وكان من بينهم ابنه عمرو، وضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ الْأَسَدِيُّ، والحارث بن هشام وغيرهم من أبطال المسلمين وفرسانهم[2].

المطلب السابع: حشد القدرة القتالية المتفوقة في الزمان والمكان المناسبين:

الحشد المتفوق: هو عبارة عن جمع واستخدام القدرة القتالية المتفوقة قياساً للعدو، في زمان ومكان مناسبين، ذلك لاستهداف نقطة ضعيفة في جهاز العدو تتيح فرصة هزيمته[3].

تتوقف نسبة النجاح في العمليات، على حشد القدرة القتالية في الزمان والمكان المناسبين وبالاستفادة من السرعة في استخدام هذه القدرة ضد العدو، وللعلم؛ ليس مفهوم الحشد هو التجمع في نقطة محددة، ولنجاح الحشد المتفوق فإنه يجب مراعاة معيار حشد القوى من خلال ما يلي:

---

[1]لبسام العسلي، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين(15/1).

[2]انظر: البداية والنهاية (15/7)، وانظر: للحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (300/2)، وانظر: المرصفي، الجامع الصحيح للسيرة النبوية (366/2).

[3] تكتيك الوحدات الصغرى (ص26).

1) تجميع القوات وتضافر جهودها.
2) ضمان التفوق الآمن والفعال مقابل نقطة ضعف العدو.
3) اختيار زمان ومكان مناسبين في مسرح العمليات.
4) حشد القوى لتوجيه ضربة حاسمة.

ولتحقيق هذه الأعمال الأساسية، يجب أن تحشد أعظم قوة روحية وبدنية ومادية لمواجهة العدو واستخدامها في الزمان والمكان المناسبين، كما لا بد من تركيز قدرة عناصر النار والمناورة، وإشراك الاحتياط عند اللزوم أيضاً، مع تلازم حشد القوى مع المباغتة والمفاجأة والتحرك النسب، والأخذ بعين الاعتبار أن يشمل الحشد قيادة قوية[1].

وقد طبق الرسول القائدﷺ مبدأ الحشد في جميع غزواته وحروبه؛ فكان يستنفر كافة القوى ويحشد كافة الإمكانات للمعركة[2]؛ وقد كان الرسولﷺ يحشد بالقوات كل مسلم قادر على حمل السلاح في المعارك، يعتبره جندياً من جنود الدولة الإسلامية، لا فرق في ذلك بين النساء والرجال، كباراً كانوا أم صغاراً.

ولم يستثنِ في غزواته إلا الضعفاء، وذوي العاهات والعجز والرجال المكلّفين بخدمة الأهل المسنين والمرضى العاجزين، فهؤلاء ليس عليهم حرج[3].

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .[الفتح: 17]. أي ليس عليه حرج في ترك الجهاد[4].

وقد طبّق المسلمون هذا المبدأ القادة في العديد من النماذج، كالحشد بالعدد والعُدّة، والحشد بالنساء، والحشد بالأحلاف.. إلخ؛ ومن ذلك نذكر النماذج الآتية:

أولاً: الحشد بالعدد والعُدة، ومثاله:

1) الحشد في معركة حُنَيْن:

طَبَّق الرَّسُولﷺ هذا المَبدأ في جميع غزواته وظهر في معركة حُنين، حيث كان حشد الجيش

---

[1] تكتيك الهجوم (ص19)، وانظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ (ص329)، وانظر:تكتيك الوحدات الصغرى، (ص26).

[2] فن الحرب الإسلامي (16/1).

[3] علي معطي ، التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ، الناشر: مؤسسة المعارف (ص225).

[4] للمحلي والسيوطي ، تفسير الجلالين (ص581).

الإسلامي كبيراً ومُتنوّعاً، فقد كان عدد هذا الجيش "اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا"(1).

وقد أخرج مسلم في صحيحه(2)، بسنده عن **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﷛، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ، وَغَيْرُهُمْ بِذَرَارِيِّهِمْ وَنَعَمِهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَمَعَهُ الطُّلَقَاءُ)**(3).

أما عن عُدّة هذا الجيش، فقد سعى النبيﷺ إلى تأمينها من شخصين هما:

الأول: ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

والثاني: صفوان بن أمية.

وكان هذان الرجلان، لا يزالان على الشرك، أما ابن عمه فقد أعاره ثلاثة آلاف رمح، وأما صفوان بن أمية، فقد أعاره ثلاثين درعاً(4) عارية مضمونة(5).

فقد أخرج النسائي في سننه(6)، بسنده عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(إِذَا أَتَتْكَ رُسُلِي فَأَعْطِهِمْ، أَوْ قَالَ: فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ دِرْعًا، وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَعَمْ).**

2) الحشد في تبوك 9هـ:

فقد طبق الرسولﷺ هذا المبدأ بصورة واضحة في غزوة تبوك، حيث حشد رسول اللهﷺ لغزو الروم؛ وهي أعظم قوة بشرية لم يَسبق لها مثيل في تاريخ الجيش الإسلامي؛ لأن الروم قد جمعوا جيشاً عظيماً وتَحشدوا، فقام النبيﷺ بنفس المبدأ حتى يستطيع الثبات والانتصار بإذن الله سبحانه وتعالى.

---

(1) لابن هشام ، لسيرة النبوية (440/2).

(2) [أخرجه مسلم واللفظ له: صحيح مسلم، الزكاة/إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه ، 735/2: رقم حديث135].

(3) الطُّلَقَاءُ: جمع طليق، بمعنى: مُطْلَق، وهو الأسير إذا أُطلق سبيله، والمراد بالطُّلقاء هنا: هم الذين أطلقهم النبي بعد فتح مكة وخلّى سبيلهم فلم يسترقهم. انظر: لابن هشام ، السيرة النبوية (/68)؛ والبداية والنهاية (324/4).

(4) الدّرع: هو لبوس الحديد في الحرب تذكر وتؤنث، وتُجمع في القلة على أدرع وأدراع وفي الكثرة دروع. انظر: لسان العرب (969/1).

(5) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (153/3).

(6) [السنن الكبرى: العارية والوديعة/تضمين العارية، 331/5: رقم حديث 5744-5745-5747]، [وأحمد في المسند،مسند الشاميين، حديث يعلى بن أمية، 471/29: رقم حديث17950]، [وأبو داود في السنن، البيوع/ تَضْمِينِ الْعَوَرِ، 3/ 297، حديث رقم: 3566]، [وابن حبان في صحيحه، السِّيَرِ/ الْخُرُوجِ وكَيفيَّة الجِهَاد، 22/11، حديث رقم:4720]، جميعهم من طريق حَبان بن هلال.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقد صححه شعيب في تحقيقه لمسند أحمد(472/29)، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (111/7).

وقد نفر المؤمنون الصادقون استجابة لنداء رسول الله ﷺ وتجمع حوالي ثلاثين ألف رجل[1]، ومعهم عشرة آلاف من الخيل واثنا عشر ألف بعير[2].

ولما كان هذا الجيش الكبير محتاجاً إلى تجهيز يتناسب مع ظروف المعركة التي سيخوضها مع عدوه؛ لذا فقد ندب الرسولﷺ أهل الغنى من الصحابة إلى الإنفاق في سبيل الله فاستجابوا لهذا النداء الكريم، فأنفقوا أموالهم في سبيل تجهيز هذه الجيوش.

فقد جاء في صحيح البخاري[3]، بسنده عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ **أَنَّ عُثْمَانَ﷜ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: (أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَﷺ قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ وَقَالَ عُمَرُ فِي وَقْفِهِ: لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ وَقَدْ يَلِيهِ الوَاقِفُ وَغَيْرُهُ فَهُوَ وَاسِعٌ لِكُلٍّ).**

قال ابن عبد البر[4]: "وَأنْفق عُثْمَان﷜ نَفَقَة عَظِيمَة جهز بهَا جمَاعَة من المعسرين فِي تِلْكَ الْغَزْوَة".

3) الحشد في سرية ذات السلاسل 12هـ:

طبّق سيدنا عمرو بن العاص﷜ هذا المبدأ في سرية ذات السلاسل، فعندما وصل عمرو﷜ إلى (ذات السلاسل) شعر بالفرق الواضح بين عدد جنده وجنود الاعداء حيث كانت النسبة بين الجيشين كبيرة، إلى درجة لا تُمكّن جيش عمرو من مواجهة أعدائه.

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده عَنْ أَبِي عُثْمَانَ[6]، قَالَ: **(حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالًا).**

وقد طلب عمرو بن العاص﷜ من رسول الله مدداً، فاستجاب الرسولﷺ لهذا الطلب لإدراكه تأثير

---

(1) لابن سعد، الطبقات الكبرى (165/2).

(2) لابن سعد، الطبقات الكبرى (166/2).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الوَصَايَا/إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلاَءِ المُسْلِمِينَ، 13/4 رقم حديث 2778].

(4) لابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (ص238).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، أصحاب النبيﷺ/قَوْلِ النَّبِيِّﷺ : «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»5/5 : رقم حديث 3662].

6 أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْن وهب، مِنْ قُضَاعَةَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ يَرْوِي عَن جمَاعَة من أَصْحَاب رَسُول اللَّهِﷺ رَوَى عَنْهُ النَّاسُ. لم ير النبيﷺ، وسئل: هل أدركت رَسُول اللَّهِﷺ؟ قال: نعم، أسلمت على عهد رسول اللهﷺ، وأديت إليه ثلاث صدقات، ولم ألقه، وغزوت على عهد عمر غزوات منها حلولاء والقادسية.انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (853/2)، وأسد الغابة(205/6)، والثقات : لابن حبان (75/5).

الحشد في هذا الظرف، فأرسل مدداً مكوناً من مائتي رجل بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، ولما وصل المدد وأكمل عمرو الحشد اللازم لهذه المعركة، هاجم العدو وحمل عليه حتى تفرّق في البلاد، وبقي رضي الله عنه في موضعه ثلاثة أيام حتى تحقق له النصر[1].

4) الحشد في معركة اليرموك 15هـ:

تعتبر معركة اليرموك أفضل مثال على حشد القوى المادية والمعنوية، فقد كان القائد العام خالد ابن الوليدﷺ يُعير مبدأ (تحشيد القوة) اهتماما بالغا، لأنه كان يعلم أنّ عدد القوة وعُدَدها له أثر كبير في إحراز النصر، ولم يبدأ خالدﷺ بقتال الروم في اليرموك إلا بعد أن أكمل تحشيد قوات المسلمين هناك، حيث يظهر الحشد المادي للقوى في اليرموك بمجرد قبول خالد خوض المعركة ضد جيش الروم، ثم في تنظيمه لجيشه المكون من ستة وستين ألف مقاتل بنظام الكراديس.

لكنه كان يُراعي أيضاً إلى جانب الحشد بالعدد وجود عدد من المؤمنين الصادقين بين صفوف رجاله باهتمام كبير، أي أنه كان يهتم بـ (النوعيّة) أكثر من اهتمامه (بالكمية)، لذلك حرص على أن يستصحب معه صحابة رسول اللهﷺ الذين كانوا في العراق والشام، وكان يتمنّى أن يقاتل مع المهاجرين والبدريين، ويفضِّلهم على غيرهم من الناس؛ كما حشد جيشه معنوياً أيضاً، وقد عيّن في أركان حربه خطيباً وواعظاً وقارئاً لسورة الأنفال، وأتى بالنسوة ليَرجُمن الجند المنهزمين ويدفعنهم إلى القتال دفاعاً عرضهم ودينهم، فيعودون إلى ساحة الحرب بروح أعلى[2].

5) الحشد في معركة القادسية 15هـ:

كانت معركة القادسية من أسباب اتخاذ الفاروق لقرار التجنيد الإلزامي، فما أن تلقى الخليفة عمر بن الخطابﷺ كتاب المُثنى بصدد استعداد الفرس وتعبئتهم للقتال في القادسية، حتى أعلن التعبئة العامة في صفوف المسلمين، فكتب إلى عماله في مختلف الأقاليم، وإلى رؤساء القبائل بإحضار كل فارس له سلاح أو فرس أو رأي، فإن جاء طائعا وإلا حشروه حشرا وقادوه مقادا، واستعجلهم في ذلك بحزمه المشهور، قائلاً: **(لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إليَّ، والعَجَلَ العجل)**، وجعل كلاً من مكة والمدينة مركزي تجمّع للمحتشدين[3].

---

[1] لابن هشام، السيرة النبوية (853/2)، لابن حبان، والسيرة النبوية وأخبار الخلفاء (ج1)، ودلائل النبوة ، للبيهقي (398/4ـ 319)، عبد الله محمد الرشيد، والقيادة العسكرية في عهد الرسول (ص542).

[2] الحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء (297/2)، وانظر: سويد ، الفن العسكري الإسلامي (ص232)، وانظر : خطاب ، خالد بن الوليد المخزومي (ص254-255).

[3] محمد الجوزي، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (151/4)، وانظر : للصلابي ، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه (211).

قال الطبري: هذا الكتاب «أول ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملّكوا يزدجرد» (2211/4).

وكذلك أمر القريبين من المثنى رضي الله عنه أن يلتحقوا به مباشرة، ثم خرج إلى مكان فيه ماء يُدعى "صراراً" فعسكر فيه، واستدعى إليه قادته، وأولى الرأي والمشورة من المسلمين يستشيرهم في أمر القائد الذي سوف يوليه قيادة الحملة إلى العراق لنجدة المثنى، فأجتمع الرأي على أن يكون سعد بن أبي وقاص قائد هذه الحملة[1].

6) الحشد في معركة نهاوند 21هـ:

جاءت معركة نهاوند بعد أن كان المسلمون قد انتصروا على جيوش الفرس في معارك عديدة متتالية، وأضحوا يُطاردون تلك الجيوش دون أن يتركوا لها فرصة لالتقاط أنفاسها، وما بين معركة القادسية عام 15هـ حتى نهاوند مرّت أربع سنوات كان المسلمون ينتقلون خلالها من نصر إلى نصر.

وقد أثارت الهزائم المتتالية التي ألحقها المسلمون بالفرس بعد القادسية حفيظتهم وحنقهم؛ فأخذ الفرس يعد العدة للعودة إلى قتال المسلمين فيما تبقى له من بلاده من معاقل ومعتصمات.

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في الكوفة حين علِم بخبر الحشود الفارسية، فكتب إلى الخليفة عُمر رضي الله عنه يُنبئه بذلك ويستأمره، شارحاً له الوضع من مختلف جوانبه، فجمع عمر في المدينة أهل الرأي والمشورة من المسلمين واستشارهم في الأمر، ثم قرّر بعدها حشد وإرسال جيش لقتال الفرس في معقلهم الأخير(نهاوند)؛ ولم يكتفي الخليفة عمر رضي الله عنه بأن أمر عماله في الكوفة والبصرة، والمسلمين في الجزيرة، بالتحشد لقتال الفرس فقط، بل أمر قادته في الأهواز وباقي بلاد فارس أن يمنعوا العدو من التحشد، فكلّف سلمي بن اليقين وحرملة بن مُريطة وزر بن كُليب والأسود بن ربيعة وسواهم أن (يُقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز)، وأن يمنعوا الفرس من الانضمام إلى الجيش المُتحشّد في نهاوند، وهكذا فقد أقام هؤلاء القادة في تخوم أصفهان وفارس، وقطعوا الإمداد عن نهاوند[2].

ثانياً: الحشد بالأحلاف[3]:

من المعلوم أن التحالفات بين الدول، أو الجيوش، أو القبائل من أهم أنواع حشد القوات تكوين، وقد مرت الجزيرة العربية بفترة جهل وتعادي وتنافر بين القبائلن، مما أدى إلى أن القبائل المتجاورة تتحالف وتتناصر مع بعضها البعض فيكونوا قبيلة أخرى،

---

(1) مسكويه، جارب الأمم وتعاقب الهمم(325/1)، وانظر: سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص250).

(2) سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص285-296).

(3) الحلف لغة: قال بن فارس: الْحَاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمُلَازِمَةُ، يُقَالُ حَالَفَ فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا لَازَمَهُ، وَمِنَ الْبَابِ الْحَلِفُ؛ يُقَالُ حَلَفَ يَحْلِفُ حَلِفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَلْزَمُهُ الثَّبَاتُ عَلَيْهَا، وَيُقَالُ هَذَا شَيْءٌ مُحْلِفٌ إِذَا كَانَ يُشَكُّ فِيهِ فَيُتَحَالَفُ عَلَيْهِ. وفي تهذيب اللغة: يُقال: حَالَفَ فُلانٌ فُلاناً فهو حَلِيفَهُ، وبينهما حِلْفٌ لأَنَّهما تحالَفَا بالأَيْمَانِ أَن يكونَ أَمْرُهما وَاحِداً بالْوَفَاءِ، فلَمَّ لَزِمَ ذلك عندَهم في الأَحْلاَفِ التي في العَشَائِرِ والقَبَائِلِ صار كلُّ شَيْءٍ لَزِمَ سَبَباً فلم يُفَارِقْهُ فهو حَلِيفُهُ حتى يُقَالَ: فُلانٌ حَلِيفُ الجَودِ وحَلِيفُ الإِكْثَارِ وحَلِيفُ الإِقْلالِ. انظر: الهرويج،تهذيب اللغة(44/5).

وكثير من القبائل العربية المعاصرة إنما هي عبارة عن قبائل متحالفة تتفق وتجتمع تحت مسمى واحد قد يجمعهم جد معين وقد لا يجمعهم أي شيء من ذلك.

يقول الدكتور جواد علي[1]: "أقرب تفسير إلى أنساب العرب في نظري هو أن النسب، ليس بالشكل المفهوم المعروف من الكلمة، وإنما هو كناية عن "**حلف**" يجمع قبائل توحدت مصالحها، واشتركت منافعها، فاتفقت على عقد حلف فيما بينها، فانضم بعضها إلى بعض، واحتمى الضعيف منها بالقوي، وتولدت من المجموع قوة ووحدة، وبذلك حافظت تلك القبائل المتحالفة على مصالحها وحقوقها".

وأَصْلُ الحِلْف: المُعاقَدَةُ وَالْمُعَاهَدَةُ عَلَى التَّعاضُد والتَّساعُد وَالِاتِّفَاقِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الفِتَن وَالْقِتَالِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ والغاراتِ فَذَلِكَ الَّذِي وَرَدَ النَّهْي عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ[2].

أخرج البخاري في صحيحه[3] من **حديث عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، قَالَ: (قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَبَلَغَكَ أَنَّ النَّبِيَّﷺ قَالَ: لاَ حِلْفَ فِي الإِسْلاَمِ؟ فَقَالَ: قَدْ حَالَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِي دَارِي).**

وأخرج الامام مسلم في صحيحه[4] بسنده **عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: (أَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً).**

وقد أَيَّدَ الرَّسُولﷺ مَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ من أحلاف تحثُّ عَلَى نَصْر المَظْلوم، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وجعله من الاسلام، لأنه يُرادُ مِنَه المُعاقدة عَلَى الْخَيْرِ ونصرة الحق، ولَعَلَّ من أَشْهَر الأَحْلَاف التي عُقَدَت بَيْن القَبَائِل العَرَبِيّة، حِلْف الفضول (حِلْفِ المُطَيَّبين)[5] وَمَا جرى مَجْراه، وقد شهد الرسولﷺ هذا الحلف، وأثنى عليه حين ذكره في الإسلام.

أخرج الإمام أحمد في مسنده[6] من حديث **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنِ النَّبِيِّﷺ، قَالَ: (شَهِدْتُ**

---

(1) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (165/2).

(2) لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ص242/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/الإِخَاءِ وَالحِلْفِ ، 22/8 : رقم حديث 6083).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم/مُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ (1961/4 : رقم حديث2530].

(5) **حِلْفِ الْمُطَيَّبِينَ:** أَخْرَجَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ جَفْنَةً مَمْلُوءَةً طِيبًا، فَيَزْعُمُونَ أَنَّ بَعْضَ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَخْرَجَتْهَا لَهُمْ، فَوَضَعُوهَا لِأَحْلَافِهِمْ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ غَمَسَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ فِيهَا، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا هُمْ وَحُلَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ مَسَحُوا الْكَعْبَةَ بِأَيْدِيهِمْ تَوْكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَسُمُّوا الْمُطَيَّبِينَ. انظر : سيرة ابن هشام (132/1).

(6) [أحمد في مسنده 193/3]. [البخاري: صحيح البخاري، الأدب المفرد199 رقم حديث567]،[وابن حبان في صحيحه،216/10: رقم حديث 4373]، [والحاكم في المستدرك على الصحيحين239/2 : رقم حديث2870] ، [والبيهقي في السنن الكبرى 595/6]، من طرق عن عبد الرحمن بن عوف به.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن، فجميع رواته ثقات غيرَ عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق الْمَدَنِيّ، مختلف فيه، فقد وثقه

حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ).

والمطيّبون من قبائل قريش وهم بنو: هاشم، وأمية، وزهرة، ومخزوم، وهو تحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، ورد الفضول إلى أصحابها[1].

وهناك العديد من أنواع الحشد والتحالفات بين الدول والقوى المختلفة في واقعنا المُعاصر، منها تحالفات سياسية واقتصادية وعسكرية؛ ومن أبرز أنواع الحشد (الحشد بالأحلاف العسكرية)، حيث تتشكل تكتلات عسكرية تجمع بين دول ذوات مصالح مشتركة وتظهر بزعامة احدى القوى العظمى.

والأحلاف العسكرية: هي معاهدات تحالف ذات طابع عسكري تبرم بين دولتين أو أكثر للتعاون في تنظيم دفاع مشترك بينهما، والواضح أن الأحلاف العسكرية تبرم بين دولة كبرى وبعض الدول الصغرى التي تعتبر نفسها مهددة من خطر خارجي[2].

وقد وجه القرآن الكريم المسلمين إلى الوحدة والتعاون، وهو بمعنى تحالف شامل لكلّ المسلمين؛ ويقتضي التّناصر والتّعاون بينهم على من قصد بعضهم بظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة﴾ .[الحجرات:10]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَات بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بَعْض﴾. [التوبة:71].

وقد أمرنا الله عز وجل بالاعتصام والتعاضد في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. [آل عمران:103].

وجاءت السُّنة النبوية في الحضّ على الحِلْف والتأكيد عليه، ومن ذلك ما يلي:

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده **عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: (إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ).**

ابن معين في موضع وقال: صالح، وقال البخاري ثقة. انظر: علل الترمذي(ص178)، وقال ربما وهِم، انظر: التاريخ الكبير،(258/5). وقال أحمد : صالح الحديث، وقال مرة : ليس به بأس، انظر: العلل ومعرفة الرجال (501/2) ، وقال علي بن المديني : صالح وسط ، انظر : سؤالت بن أبي شيبة (ص111)، وذكره ابن حبان في الثقات (86/7)، وقال : متقن جداً ؛ أما يحيى بن سعيد فكان يضعّفه. ويرجح الباحث أنه صدوق ، وأن هذا الإسناد حسن. وقد صححه الألباني في هذا الحديث بشواهد. انظر: السلسلة الصحيحة ، وصحيح الأدب المفرد. وصححه حسين سليم أسد في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(1) للبيهقي، دلائل النبوة(28/2)، لابن سيد الناس، وعيون الأثر (46/1-47)، وانظر : للعمري ، السيرة النبوية الصحيحة (81/1)، وانظر: المرصفي ، الجامع الصحيح للسيرة النبوية (498/2).

(2) فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية (8/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الصلاة/تشبيك الأصابع في المسجد وغيره 103/1 : رقم حديث481].

وأخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ).**

والأمة اليوم بحاجة إلى أن تجتمع على حلف مناهض للاستبداد، حلف يهدف إلى رفع الفساد والظلم ومنع الظالم عن ظلمه، وحماية حقوق الأمة وثرواتها، فالأمة اليوم نهبت ثرواتها وخيراتها، واعتدي على حرماتها ومقدساتها، وما زالت شعوبها تعيش على الحرمان والفقر والظلم وغياب لأدنى الحقوق الآدمية.

ولن تعود أمتنا إلى الريادة والنهضة ما لم يتم تشكيل جبهة رشيدة مقاومة للاستبداد، وما لم يجتمع الفضلاء على كلمة سواء ويتفقوا على مبادئ بالتوافق على الفضيلة ونبذ الخلاف والعنف والرذيلة، وتجتمع على تُعيد الحرية والكرامة الانسانية والعدالة.

إن العمل في الإسلام، يتطلب منا الكثير لإقامة العدل في الأرض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو واجب وفرض على كل مسلم ومسلمة، ولما كانت هذه المهمة لا تقوم إلا بالأيادي المجتمعة، والقلوب المتحدة، والإخوان الصادقين، كان العمل الإسلامي الجماعي أولى وأفضل من العمل الإسلامي الفردي، وكانت الجماعة المنظمة أكثر أثرًا من الآحاد، وكان الفرد في الجماعة أقوى من الفرد الذي لا ينتظم في عمل جماعي، والأخير الشاذ أقرب إلى الشيطان وأقرب إلى الذلل.

أخرج الحاكم في المستدرك[2] من حديث **أَبُو الدَّرْدَاءِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ، يَقُولُ: (..عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ)[3].**

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه ، وعرضه وماله، 1986/4 : رقم حديث2564].

[2] [أخرجه الحاكم في المستدرك: الطهارة/في فضل الصلوات الخمس330/3: رقم حديث765]، [والنسائي في السنن الكبرى: المساجد، التشديد في ترك الجماعة ،445/1: رقم حديث 922]، [وأبو داود في سننه: الصلاة/في التشديد في ترك الجماعة، 150/1: رقم حديث 547]، [وأحمد في المسند9/ 2771: رقم حديث 28162]،[وابن حبان في صحيحه: الصلاة/فرض الجماعة والأعذار التي تبيح تركها ، 458/5: رقم حديث2101].

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن لأجل السَّائِبَ بْنَ حُبَيْش الكلاعي الشامي اختلفوا فيه؛ فوثقه الْعجلِيّ في معرفة الثقات(384/1)، انظر: الثقات للعجلي(ص175)، وذكره ابن حبان في الثقات (326/4)، وابن خلفون في الثقات، انظر: إكمال تهذيب الكمال (198/5)، وقال الدارقطني: "صالح الحديث من أهل الشام ، لا أعلم حدث عنه غير زائدة"، انظر: تهذيب الكمال، للمزي (182/10)، وقال الذهبي في الكاشف(ص424) صدوق، وقال ابن حجر: صدوق.

ويُرجّح الباحث قول الذهبي بأنه صدوق، وهو أقرب لقول الحاكم في رواة الحديث: حَدِيثٌ صَدُوقٌ رُوَاتُهُ، وقد صحح الإسناد جماعة من العلماء، منهم النووي، وابن الملقن، انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار، لابن الملقن(388/4)، والحديث صححه الألباني ، وقال فيه شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

[3] الغَنَم الْقَاصِيَةَ: الْقَاصِيَة: الشَّاةُ الْمُنْفَرِدَةُ عَنْ الْقَطِيع ، الْبَعِيدَةِ عَنْ الراعي، أَيْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَتَسَلَّطُ عَلَى الخَارِجِ عَنْ

وأخرج الترمذي في سننه(1) من حديث **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ[2] فَقَالَ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِﷺ فِينَا فَقَالَ: (أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ، وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَحَتَّى يَشْهَدَ وَلَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا شَيْطَانٌ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ).**

ومما أخبرنا به الرسولﷺ أنه سيكون تَحَالُفُ بين الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ ضِدَّ الْعَالَمِ الشَّرْقِيِّ فِي حَرْبِهِمْ مِنْ أَجْلِ جَبَلِ الذَّهَب.

أخرج أبو داود في سننه(3) من حديث **جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: (انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ[4] رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ فَأَتَيْنَاهُ، فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ:**

الْجَمَاعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّة. شرح سنن النسائي (106/2).

(1) [الترمذي في سننه : أبواب الفتن/ما جاء في لزوم الجماعة ، 465/4 : رقم حديث 2165]،[والنسائي في الكبرى:عشرة النساء/ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه ، 286/8 : رقم حديث 9181]، [وبن أبي عاصم، في السنة ، باب ما ذكر عن النبيﷺ من أمره بلزوم الجماعة..،42/1 : رقم حديث 88].

الحكم على إسناد الحديث: إسناده صحيح، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّﷺ، وقال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ المُبَارَكِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ؛ وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (ج1، ص676).

والحديث له شواهد عدة منها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، 38/ 220 : رقم حديث23145]، وما أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة، 676/1: رقم حديث756]، وما أخرجه معمر بن راشد في جامعه، 11/ 446: رقم حديث 20966]، وما أخرجه أبو عاصم في السنة، 41/1: حديث رقم85] و[ابن أبي شيبة في مصنفه، 183/15: رقم حديث 38770].

(2) **الْجَابِيَةُ:** قرية من قرى دمشق، وَلَهَا تَلٌّ يُعْرَفُ بِتَلِّ الْجَابِيَةِ، وقيل قَرِيبَةٌ مِنْ الْجَوْلَانِ، وَهُنَاكَ خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، بها تل يسمى تل الجابية. انظر: القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، (69/1).

(3) [سنن أبي داود: الملاحم/ما يذكر من ملاحم الروم ، 109/4 : رقم حديث4292]،[أحمد في مسنده ، 31/28 : رقم حديث 16825] و[الحاكم في المستدرك4/ 467: رقم حديث 8299]، و[البيهقي في السنن الكبرى ، 374/9 : رقم حديث 18818] و[الطبراني في المعجم الكبير، 235/14 : رقم حديث4230]،[صحيح ابن حبان : التاريخ/إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون فيه أمته من الفتن والحوادث، 103/15 : رقم حديث 6709]، جميعهم من طرق عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير به.

والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقد صححه الألباني، انظر تحقيق الألباني لمشكاة المصابيح للتبريزي،(1495/3).

[4] **ذُو مِخْبَرٍ ابْنِ أَخِي** النَّجَاشِيِّ الْحَبَشِيِّ خَادِمُ النَّبِيِّﷺ، ويقال فيه: **ذو مِخْمَرٍ**، بالميم عوض الباء، **ومِخْمَر** أصوب وأكثر، وهو من أهل اليمن ونزل الشام بعد، وروى عنه الناس وصحب النبيﷺ، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو حَيٍّ الْمُؤَذِّنُ، وَجُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ،

"سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُم).

ثالثاً: الحشد بالنساء في المعارك:

ومن أنواع الحشد مشاركة النساء في القتال، فإما تَسقِي الظَّمأى، أو تُداوي وتُطبب الجَرحى، أو تعبئ الجند، أو تَحمل السلاح وتقاتل الأعداء.. وغير ذلك.

أخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده **عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، قَالَتْ: (غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى).**

وهناك نماذج في السيرة النبوية إليك بعضها:

أولاً: قتال النساء في معركة أُحد:

فعندما ترك الرماة مواقعهم، وأحدث المشركون ثغرة في صفوف المسلمين، حتى وصل المشركون إلى الرسول ﷺ ونالوا منه، وقد تكاثروا عليه يريدون قتله فثبت نفر قليل من المؤمنين يدافعون عنه ﷺ، كان من بين هؤلاء النساء المقاتلات:

1- نسيبة بنت عمارة الأنصارية:

حيث تركت سقاء الجرحى وأخذت تقاتل بالسيف وترمي بالنبال دفاعاً عن رسول الله ﷺ، إلى أن أصيبت في عنقها فجرحت جرحاً عميقاً.

وكان معها زوجها وابناها فقال لهم رسول الله ﷺ "بارك الله عليكم أهل البيت"، فقالت له نسيبة: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال ﷺ: **(اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، فقالت رضي الله عنها بعد ذلك: ما أبالي ما أصابني بعد ذلك في الدنيا)**[2].

ثم قال رسول الله ﷺ في حقها: **(مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي)**، وقد جرحت يومئذ اثني عشر جرحاً ما بين طعنة برمح وضربة بسيف[3].

2- عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ:

وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَبُو الزَّاهِرِيَّةِ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيُّ، وَيَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيُّ. انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم(1036/2)، والطبقات الكبرى (297/7).

[1] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم، والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب ، 1448/3: رقم حديث1812].

[2] لابن سعد، الطبقات الكبرى (305/8)، وانظر: للواقدي، المغازي (273/1)، وانظر: للمقريزي، إمتاع الأسماع (163/1)، وانظر: للذهبي، سير أعلام النبلاء (516/3).

[3] لابن حجر، فتح الباري (80/8)، وانظر: لابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (442/8)، وانظر: فقه السيرة النبوية ، لمنير محمد الغضبان (346/1)، وانظر: صور من حياة الصحابيات ، لعبد الرحمن رأفت الباشا (ص61).

أخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا، شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا، تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا مِنَ النُّعَاسِ).**

قلت: هنا نجد للنساء نصيباً واضحاً في الحشد والقتال في المعركة، وها هي المرأة المسلمة قاتلت دون رسول الله ﷺ وأمام ناظريه بالسيف ورمت بالنبل حتى أثخنتها الجراح وأثنى رسول الله ﷺ عليها ودعا لها بأن تكون رفيقته في الجنة؛ وحتى أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (زوجة الرسول ﷺ) كانت في خضم معركة أحد مشمرة عن ساقها تسقي المقاتلين المسلمين وتداوي جراحهم.

ثانياً: قتال النساء في غزوة حُنين:

وفي غزوة حُنين، وبعد أن انهزم المسلمون بادئ الأمر وتفرقوا عن رسول الله ﷺ برزت أُمَّ سُلَيْمٍ بنت ملحان، واقفة إلى جانبه تشد أزره في القتال وهي حازمة وسطها ببرد لها وهي حامل.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده **عَنْ أَنَسٍ (أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَذَا الْخِنْجَرُ[3]؟ قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ[4] انْهَزَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ).**

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة النساء مع الرجال ، 1443/3 : رقم حديث 1811].

(2) [مسلم : صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة النساء مع الرجال ، 1442/3: رقم حديث1809].

(3) (الْخَنْجَرُ) سِكِّينٌ كَبِيرٌ. مختار الصحاح (ص97).

(4) قولها: (اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ) هُوَ بِضَمِّ الطَّاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْلَقَهُمْ وَكَانَ فِي إِسْلَامِهِمْ ضَعْفٌ فَاعْتَقَدَتْ أُمُّ سَلِيمٍ أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ وَأَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الْقَتْلَ بِانْهِزَامِهِمْ وَغَيْرِهِ. شرح النووي على مسلم (188/12).

ثالثاً: قتال النساء في اليرموك(1):

عندما تمكن الروم في اليوم الثاني للقتال من دحر ميمنة المسلمين وبلوغهم مؤخرة الجيش، قامت النساء بدورهن فأخذن يرجمن المنهزمين من المسلمين بالحجارة، ويضربن خيلهم بالأعمدة معيبات عليهم هربهم قائلات: قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته، لستم ببعولة إن لم تمنعوا عنا هؤلاء الأعلاج.

ثم خرجت هند عندما رأت زوجها أبا سفيان بن حرب منهزماً، وضربت وجه حصانه بعمود وقالت له: (**إلى أين يا ابن صخر؟ ارجع إلى القتال ابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله)**، عندها ارتد أبو سفيان وارتد المسلمون معه للقتال حتى استعادوا مواقعهم التي خسروها.

وفي اليوم الثالث :القتال عندما تمكن الروم من دحر ميسرة المسلمين حتى المعسكر، قامت نساء المسلمين بالدور نفسه راشقات المنهزمين بالحجارة وضاربات خيلهم بالعصي صارخات: (أين؟ أين؟ عز الإسلام؟ والأمهات؟ والأخوات؟ والبنين؟ والبنات؟ أتريدون أن تسلمونا إلى الأعلاج ؟!) فيخجل المنهزمون ويرتدون نحو العدو يقاتلونه بضراوة وشراسة، بعد أن امتلأت نفوسهم بالنخوة والمروءة.

ويتكرر الأمر في ذلك النهار على هذا النحو ثلاث مرات، حيث كانت النساء تردهم في كل مرة رافعات أطفالهن أمام وجوههم حتى استعادوا ما فقدوا من مواقع.

وفي اليوم الرابع : القتال عندما قام الروم بالهجوم العام بمساندة رماية كثيفة، وتراجع المسلمون حتى مضارب النساء التقطن النساء السيوف واندفعن يقاتلن قتالاً أشد من قتال الرجال!

وبرزت خولة بنت الأزور[2]، وأم حكيم (ابنة حكيم بن الحرث) يقاتلن قتال الأبطال حتى قال عنهن عبد الله بن قرط: (لم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله ﷺ ولا في اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حتى دهمن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيف ضرباً وجيعاً).

وروى أيضاً في سننه[3] بسنده من طريق عَمْرِو بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ أَبِيهِ، (أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ

---

(1) احسين آغا،لإعجاز العسكري في القرآن (ص166).

(2) خولة بنت الأزور الكندي ، وهي أخت ضرار بن الأزور٠كانت مشهورة بالشجاعة والجمال ، خرجت مع أخيها إلى الشام حين فتحها في خلافة أبي بكر الصديق وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ، كانت شاعرة من أشجع نساء عصرها، ولها أخبار كثيرة في فتوح الشام ومنها إنقاذها لأخيها ضرار بن الأزور من أسر الروم ، توفيت نحو 35 هجرية. انظر: للعاملي الدر المنثور في طبقات ربات الخدور(ص184) ، وانظر : للبيروتي،شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام (ص172).

(3) [أخرجه سعيد بن منصور في سننه؛ الجهاد/مَا جَاءَ فِي سُهْمَانِ النِّسَاءِ (330/2 : رقم حديث2787]،[خرجه الطبراني في المعجم الكبير، 157:4/24 رقم حديث 403] كلاهما؛ من طريق اسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر عن أبيه به.

الْأَنْصَارِيَّةَ شَهِدَتِ الْيَرْمُوكَ مَعَ النَّاسِ، فَقَتَلَتْ سَبْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْطَاطٍ ظَلَّتْهَا)

لقد قاتلت نساء قريش أمام صحابة رسول اللهﷺ قتال الرجال، ولو لم يفعلن ذلك لما دب الحماس بين وجهاء المسلمين ولحقت الهزيمة بجيشهم.

قلت: وقد أكرم الله نساء فلسطين بنعمة الجهاد على الأرض المقدسة، فالنساء على أرض فلسطين مجاهداتٌ بحق، فهذه أمُّ الشهيد التي تودّع من أولادها الأول والثاني والثالث، وتلك أمُّ المُجاهد تُودّعه عند ذهابه وإيابه لمهامه الجهادية؛ بل تُودّعُه الوداع الأخير عند ذهابه لتنفيذ عملية استشهادية كأُمُّنا الفدائية المجاهدة أم نضال فرحات، وغيرها.

وتلك زوجة المجاهد تخدمه وتعينه في جهاده، وتصبر على فراقه وغيابه، وتأبى أحياناً إلا أن تشاركه تسجيل وصيته، وتلك الزوجة المجاهدة التي ينشغل زوجها عنها فتتحمل العبء الأكبر من تربية الأبناء وغير ذلك من أعباء الدنيا. ومن المجاهدات من تخوض معركة الأسر في سجون الاحتلال، وترفض العيش إلا بكرامة.

وتلك زوجة الشهيد التي تأبى أن تتزوج بعده وتؤثر أن تبقى على تربية أبناء الشهيد صابرة محتسبة، وتلك زوجة المجاهد الجريح التي تقوم عليه وعلى خدمته، وأخرى تفرح وتسعد عند دخول المجاهدين بيتها فتقوم على إيوائهم وخدمتهم تقرباً لله تعالى، وتلك زوجة المجاهد الأسير الصابرة على غيابه وفراقه.

وهناك ما هو أعظم من ذلك من أمثلة التضحية والفداء لنساء فلسطين المجاهدات، تلك اللواتي يشاركن خوض المعارك والقتال، والقيام بتنفيذ عمل استشهادي كالاستشهادية الأم الشابَّة: ريم الرياشي، والجدّة الحاجة التي تجاوزت السبعين: فاطمة النجار، التي تجاوزت السعين عاما، والعديد من نماذج الجهاد والبطولة المشرّفة للأمة، نسأل الله لهم القبول والرحمة.

وهناك من العَظَمَةِ ما لا نستطيع وصْفَهَا، وهي سابقةٌ فريدةٌ في تاريخ الجهاد على ارض فلسطين، وهو أن تُضحي أربعة نساء بنفوسهن ويأبيّن مفارقة شيخنا العالم المجاهد الجليل أبي بلال نزار عبد القادر ريان، فترتقي تلك العائلة الطاهرة المُكونة من الشيخ المجاهد وزوجاته الأربع (أم بلال، وأم علاء، وأم عبد الرحمن، وأم أسامة) ومن كان في البيت من أبنائهم جميعهم شهداء؛ فرحم الله شيخنا الحبيب وعائلته الكريمة المجاهدة.

وفي ذلك نرى الثبات على المبادئ، والقيادة القدوة، والجهاد بالقول والعمل، والإقدام والشجاعة،

الحكم على إسناد الحديث: إسناده حسن ؛ لأجل اسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده ، مخلط مع غيرهم، وشيخه عمرو بن المهاجر، دمشقي من بلده. انظر: التقريب (ص109)، وانظر : الاغتباط بمن روى نم الرواة عن الاختلاط(ص56). والحديث حسنه الشيخ الألباني في الرد المفحم على من خالف العلماء..،(154/1).

والشوق للقاء الله عز وجل، والطمع بما عنده، فرضي الله عنهم جميعاً، وجمعنا بهم على سرر متقابلين في الفردوس الأعلى إن شاء الله تعالى.

المطلب الثامن: النار والمناورة والنار والحركة:

تعتبر المناورة من حيث الأهمية أصلٌ من أصول الحرب كما أنها تشكل أيضا جزءاً أساسياً من القدرة القتالية، ومن مميزات الهجوم، تنفيذ النار والمناورة المركبة، التي يتم تنسيقها وضبطها في سبيل إيجاد الحد الاقصى من القدرة القتالية، وتنفيذ هجوم عنيف على منطقة محددة[1].

والمناورة هي طريقة الحركة والنقل المدروس للقوات والنيران في زمان ومكان مناسبين، بغية وضعهما في وضعية متفوقة على العدو[2].

و النار والمناورة أسلوب ينفذ عبر وحدتين متمايزتين من حيث النوع يكون لكل منهما مهمة منفصلة عن الاخرى (واحدة نار والثانية مناورة) وتتسقان عملياتهما بشكل دقيق بغية تحقيق الحد الأقصى للقدرة القتالية؛ مهمة عنصر المناورة هي عبارة عن التقرب من العدو بقصد تدميره وإبادته، في حين أن مهمة عنصر النار تتمثل بإجراء النار بقصد تقليص قدرة العدو وإيصالها إلى الحد الأدنى في منع تقدم عنصر المناورة وتعطيل إمكانات ردة فعله؛ وهناك تلازم وثيق بين كثافة الرماية والنار على الأعداء وبين حرية حركة القوات المهاجمة، وهذا ما يعرف في المصطلح العسكري بمبدأ النار والحركة[3].

وفي اللغة العسكرية المعاصرة تعبير (كثافة النار) أو (تكثيف نار المساندة) إحدى قواعد النصر في المعركة، حيث إنه بمفهوم كل قائد عسكري لا ينجح في الهجوم إلا بمساندة نيران كثيفة من المدفعية والصواريخ والطائرات، تشل العدو وتُسكت أسلحته وتلزمه بالتقوقع والاختباء في الخنادق والحفر، فيتقدم المهاجمون تحت حماية هذه النيران الكثيفة للوصول إلى أهدافهم بأقل خسائر ممكنة.

في معظم غزوات النبيﷺ، ومعارك قادة المسلمين في عهده وعهود خلفائه بعده، ظهر واضحاً العمل بمبدأ المناورة وشل نيران العدو، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تم تطبيق هذا المبدأ في عهد النبيﷺ في غزوة بني المصطلق، حيث كان تركيز رمايات المسلمين عليهم بالنبل عند بداية ثم الهجوم والإغارة عليهم؛ وبذلك يكون قد راعى العمل بمبدأ النار أولاً ثم العمل بمبدأ المناورة وحركة القوات.

---

[1] تكتيك الهجوم (ص20).

[2] تكتيك الوحدات الصغرى (ص29).

[3] المصدر السابق (ص20).

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده **عن نافع (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ[2]، وَأَنْعَامُهُمْ[3] تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ[4]، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ)[5]**.

قال ابن سعد[6]:"فرموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت منهم إنسان، وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم، وسبى رسول الله ﷺ الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد".

ويتضح لنا من قول ابن سعد أن المسلمين ركزوا في البداية على تدمير وإشغال دفاعات العدو من خلال الرمايات بالنبل وهو ما نقصده بمبدأ النار، ثم تتابع بعد ذلك الهجوم بالمناورة والحركة للقوات المهاجمة؛ وذلك بعد التأكد من أن حركتهم ستكون آمنة؛ وهو ما أمرهم رسول الله به فحملوا حملة رجل واحد.

ومن أبرز من أظهر وجدد فن المناورة في التكتيك العسكري في حروب المسلمين خالد بن الوليد، إذ أنه كان على قدر كبير من العبقرية العسكرية، بحيث استطاع في حروبه مع الفرس في العراق، وحروبه مع الروم في الشام؛ أن يستفيد من أساليبهم القتالية، فيُتقنها بدوره ويطبّقها في حروبه ضدهم، وينتصر عليهم، ولم يكن جامد النظرة في تطبيق المبادئ التكتيكية في القتال، بل كان يتصرف حيالها بحرية تامة، تاركاً لنفسه مجال المناورة واسعاً، وكان ماهراً في اتقان فن المناورة ضمن المبادئ العامة التي كانت سائدة في حروب ذلك العصر[7].

ولعل أكثر أسلوب ظهر لخالد هو المباغتة بالمناورة التكتيكية، عندما استعمله ضد الرسول ﷺ والمسلمين في غزوة أُحد، وهي المعركة الوحيدة التي خاضها ضدهم، فقد اغتنم تخلي الرماة المسلمين عن موقعهم في جبل أحد، وعمل بمبدأ المناورة مستعيناً بسرعة حركة فرسانه، والقيام بحركة التفاف على جيش المسلمين محققاً المباغتة والمفاجئة للمسلمين من الخلف، فقتل منهم الكثير[8].

ومن الأمثلة على براعة خالد في تجديد أساليب القتال والمناورة، مناورته البارعة التي قام في

---

[1] [البخاري : صحيح البخاري ، كتاب العتق/من ملك من العرب رقيقاً، فوهب وباع وسبى وجامع وفدى وسبى الذرية،

[2] غارون: غافلون أي أخذهم على غرة وبغتة .

[3] أنعامهم: الإبل والبقر والغنم ، وأكثر ما تطلق على الإبل.

[4] مقاتلتهم: البالغين الذين هم على استعداد للقتال.

[5] سبى ذراريهم: أخذهم سبيا ووزعهم على الغانمين بعد أن ضرب عليهم الرق. والذراري جمع ذرية وهي ههنا النساء والأولاد غير البالغين.

[6] لابن سعد، الطبقات الكبرى (64/3).

[7] سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص129-130).

[8] للواقدي، المغازي (232/1)، وانظر: تفسير الطبري (254/7).

وقعة مؤتة واستعماله لأسلوب التضليل والمناورة التراجعية، وعملية (الشل) التي قام بها رماته في وقعة ذات العيون بالعراق، والحركة الإفراجية[1] التي نفذها بالنسبة إلى فرسان الروم في اليرموك، أضف إلى ذلك أسلوب المباغتة بالكمائن في وقعة الولجة بالعراق، واستخدامه اسلوب الاقتراب غير المباشر والمباغتة الاستراتيجية بنجاح عند مسيره من العراق إلى الشام سنة 13هـ حيث انطلق من الحيرة بالعراق قاطعاً الصحراء وقد فاجأة الروم في أجنادين بالشام، وهي تعتبر أبرع حركة استراتيجية كان يمكن أن يقوم بها قائد عسكري على الإطلاق في ذلك الحين، وتدخل في نطاق استراتيجية (الاقتراب غير المباشر) التي طلع بها المفكر الاستراتيجي البريطاني (ليدل هارت) بعد خالد بثلاثة عشر قرناً[2].

وقد ذُكر مبدأ المناورة والحركة في القرآن الكريم في سورة العاديات، وتنص الآيات القرآنية بشكل صريح على ربط سرعة الحركة في الهجوم بكثافة النيران المساندة، وذلك في سورة العاديات في قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ .[العاديات: 1-3].

وتفسير هذه الآيات كما فسرها مقاتل[3]: ﴿وَالْعادِياتِ ضَبْحاً﴾: يعني الخيل، ﴿فَالْمُورِياتِ قَدْحاً﴾: غدت الخيل إلى الغزوة حتى أصبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب، أي من سرعتها، ويقول: "يقدحن بحوافرهن في الحجارة نارا، كانت تصيب حوافرهن الحجارة فتقدح منهن النار".

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ أي: "غارت عليهم صبحا". **قال ابن كثير[4]**: "يَعْنِي الْإِغَارَةَ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا وَيَتَسَمَّعُ أَذَانًا، فَإِنْ سَمِعَ وَإِلَّا أَغَارَ".

وإذا ذكرنا المفهوم من قوله ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ نستخلص التالي: **الفاء** في هذه الآية والآيات التي تليها يُفهم منها تعاقب الأحداث وربطها بعضها ببعض ربطاً وثيقاً ؛ فإذا ذكرنا المفهوم من ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ نستخلص أنه يقتضي مواكبة سرعة الحركة في الهجوم بإثارة الرعب في صفوف الأعداء، وقد

---

[1] الحركة الإفراجية: نفذها خالد في معركته الشهيرة ضد الروم في اليرموك 13هـ، بعد قتال عنيف بين جيش المسلمين وجيش الروم، وكان جيش الروم يفوق جيش المسلمين عدة وعدداً، وقد رأى خالد أنه لن يتمكن من قهر ذلك الجيش إلا إذا فصل مشاته وخيالته، فأطبق بجيشه على الروم وحصرهم بين (وادي اليرموك ونهر الرقاد) وهو المنفذ الوحيد لهم، وأخذ يضغط عليهم حتى تمكن من الفصل بين مشاتهم وخيالتهم، ثم ضغط على خيالة الروم حتى يرهقهم فهزمهم، عندها أمر خالد عمرو بن العاص وكان في ميمنة الجيش وقبالة خيالة الروم، بأن يفرج عنهم ويتيح لهم سبل الهرب، ففعل، وهرب خالية الروم متفرقين في أنحاء البلاد أشتاتاً، ثم انقض خالد على مشاتهم فهزمهم وأهلك قسماً كبيراً منهم. انظر: الفن العسكري الإسلامي (ص135).

[2] ياسين، معارك خالد بن الوليد (ص137). وانظر: سويد، الفن العسكري الإسلامي (ص131).

[3] للأرذي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان (465/4).

[4] تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، (465/8).

قال الله تعالى ﴿وَالْعادِياتِ﴾ ولم يقل الخيل؛ مع ذكره الخيل في آيات أخرى باسمها لأنه يعلم وهو علاّم الغيوب أن عهد الخيول قد ينقضي يوماً ما مع تقدم وتطور وسائل الانتقال.

ونرى في عصرنا الحاضر أن أمضى الأسلحة وأكثرها فتكاً وبلاء في القتال، هي ما امتازت بسرعة الحركة وكثافة الرمي مثل القذائف الصاروخية، وسلاح الجو ومنه الطائرات النفاثة، وسلاح المدرعات والدبابات المجهّزة بمدافع.

يقول العميد الركن فاروق حسين آغا[1]:"والعاديات: أي ما هو سريع الانتقال والحركة، أو الوسيلة التي تؤمّن الانتقال السريع، وفي أيامنا هذه: الآليات المدرعة المجنزرة والطائرات المروحية والنفاثة حيث تحول سلاح الفرسان إلى سلاح المدرعات أو إلى المحوملين (المحمولين جواً) أو المجوقلين (المنقولين جواً) أو إلى المظليين (الهابطين جواً بالمظلات) وفي أيامنا هذه تجاوزت سرعة الطائرات النفاثة سرعة الصوت وأصبحت الدول الكبرى تتنافس في زيادة سرعتها أضعاف سرعة الصوت لتحقق التفوق والسيطرة الجوية التي بها يصبح النصر أقرب وأسهل منالاً".

وإذا ما ربطنا (الفاء) العاديات ضبحا بالموريات قدحا لوجدنا أنه يقتضي ربط سرعة الحركة في الهجوم بكثافة نيران المساندة وليس بغريب على العسكريين مبدأ النار والحركة: فريق يرمي وفريق يتقدم نحو الهدف وهكذا دواليك حتى يتم الإطباق والإجهاز على العدو.

ومن هذا المبدأ **(مبدأ النار والحركة)** يأتي تثبيت العدو من جهة والالتفاف عليه من جهة أخرى. وفي أهمية هذا المبدأ: النار والحركة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال: 60.

وقد فسر رسولنا الكريمﷺ معنى القوة في هذه الآية الكريمة: **(أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)** مكرراً هذا الحديث ثلاث مرات تصريحاً بتفسيرها وتأكيداً على أهمية الرمي في إحراز النصر.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قال: **(سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ).**

يقول محمد رشيد علي رضا[3]: "إِطْلَاقُ الرَّمْيِ فِي الْحَدِيثِ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُرْمَى بِهِ الْعَدُوُّ مِنْ سَهْمٍ

---

(1) الأغا، الإعجاز العسكري في القرآن (ص28-29).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، 1522/3: رقم حديث 1917].

(3) القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)(53/10).

أَوْ قَذِيفَةِ مَنْجَنِيقٍ أَوْ طَيَّارَةٍ أَوْ بُنْدُقِيَّةٍ أَوْ مِدْفَعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ هَذَا مَعْرُوفًا فِي عَصْرِهِﷺ، فَإِنَّ اللَّفْظَ يَشْمَلُهُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ يَقْتَضِيهِ، وَلَوْ كَانَ قَيَّدَهُ بِالسِّهَامِ الْمَعْرُوفَةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ فَكَيْفَ وَهُوَ لَمْ يُقَيِّدْهُ، وَمَا يُدْرِينَا لَعَلَّ اللهَ تَعَالَى أَجْرَاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُطْلَقًا، لِيَدُلَّ عَلَى الْعُمُومِ لِأُمَّتِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ بِحَسْبِ مَا يُرْمَى بِهِ فِيهِ".

في قوله ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: الخيل هو الوسيلة المثلى في لسرعة الحركة في ذلك الزمان، فالرمي من جهة والتقدم بحركة سريعة من جهة أخرى؛ وفي قوله ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ يتضح أهمية جمع كثافة النار مع سرعة الحركة لتحقيق النصر، وقد قرن الله تعالى القوة بالخيل والخيل بالقوة [1].

وقد ورد ذكر الخيل في أكثر من آية في القرآن الكريم، كلها ترفع من قدرها على غيرها من الحيوانات الأخرى، كما أقسم الله تعالى بها في قوله تعالى ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾، وفي الآيات الكريمة إشارات إلى فضل الخيل وتكريمها وارتباطها بصفة الخير والمنفعة للإنسان، فهي تكر وتفر تغدو وتروح.

وقد كان الخيل عماد الطلائع والجناحين في السرايا والغزوات، وهو الوسيلة الأساسية للقتال عند العرب، فقد كان الخيل سيد الميدان والصالح للكر والفر في الأراضي المكشوفة، ظهره حصن لراكبه، لخفة حركته عند المحاولة وسرعة عدوه عند الفرار [2].

وقد اعتنى العرب بخيولهم وفرسانهم كثيراً، ولم تكن العرب تصن شيئاً من أموالها ولا تكرمه صيانتها الخيل وإكرامها لها، لما كان لهم فيها من العز والجمال والمتعة والقوة على عدوهم، حتى أن كان الرجال من العرب ليبيت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده فيسقيه المحض ويشربون الماء القراح[3].

ويأتي ذكر الخيل في أحاديث الرسولﷺ مدحاً وتكريماً وامتداداً لفضلها الذي أوردته الآيات الكريمة، وقد اتخَذَ الرسولﷺ الخيلَ وأحَبّها وأعجبَ منها وحَضَّ المسلمين على ارتباطها وأَعْلَمَهُم ما لَهُم في ذلك من المَثُوبةِ والأجْرِ فسارعوا إلى ذلكَ وازدادوا عليها حِرْصاً وفي إمساكِها رغبةً رجاءَ الأجْرِ والتماس البركة والنَّماء والزيادة في اقتنائِها، وتنافسوا فيها، وكأنما في التمسك بنواصيها عز المسلمين وسؤددهم.

وقد فَضَّلَها رسولُ اللهِﷺ وَسَهّمَها وأَقْسَمَ لها على غيرها في سبيل الله، وراهَنَ عليها وسابَقَ بها

---

(1) الأغا، الإعجاز العسكري في القرآن (ص32-33).

(2) عون، الفن الحربي (ص124).

(3) التميمي، الخيل (ص1).

وجعلَ لها سِبْقَةً[1].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: **(رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يَلْوِي نَاصِيَةَ فَرَسٍ بِإِصْبَعِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: " الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ)**.

وقد كان سلفنا رضوان الله عليهم يُعِدون خيولهم للجهاد في سبيل الله على الدوام، فكانوا يُعوّدون الخيل على الكرّ والفرّ حتى في حال السِّلم حتى تألف ذلك عند القتال، وكان قادة الجيوش يسهرون على خيل جندهم، ويعاقبون من يُهمل من الفرسان حصانه بالاقتطاع من راتبه وإنقاص مكافآته، وكان عمر بن الخطاب يعني بخيل المسلمين قبل القتال ويدرب فرسانهم، وكان يصحب معه (سلمان بن ربيعة الباهلي) الذي كان يسمى (سلمان الخيل) لخبرته بها، فكان سلمان يُفتش خيل المسلمين ويُشرف على تجديد حذواتها[3].

وكان للفتوحات الإسلامية دور كبير في انتشار الخيل العربية شرقا وغربا والتعرف على ميزاتها من قوة وسرعة فائقة وجمال وتناسق بين أعضاءها، وبالإضافة إلى الدور الأساسي الذي كان الحصان يؤديه في المعركة فقد كان يُستخدم لنقل الإغاثة للمحتاجين، ونقل البريد بين المعسكرات والوحدات والقادة، وغير ذلك من الأمور والمسائل الحربية التي تتطلب سرعة في الانتقال.

<u>المطلب التاسع: وضع وحفظ التأمين للقوات المهاجمة:</u>

وهو بذل كافة الأسباب التي تؤدي إلى سلامة القوات المهاجمة ومواصلتها لوقايتها من المباغتة، ومنع العدو من الحصول على المعلومات التي تجعله يجابه خصمه بالأسلوب المناسب[4].

والتأمين عامل مطلوب في كافة الظروف، وهو عمل ضروري ينبغي القيام به لدى الاستقرار في المخيم، وأثناء المسير، وفي حال القتال، يوضع التأمين، بقصد حفظ كل القوات، وكل وحدة معنية بوضع تأمين ذاتي لها، ويمكن القول إن عنف وسرعة الهجوم بحد ذاتهما يؤديان إلى تحقيق التأمين، ويجب الاستفادة من كافة الإمكانات، من أجل وضع التأمين لقواته، والحؤول دون حصول مباغتة لها[5].

ويجب شن الهجوم عادةً من منطقة مؤمنة وليس بالضرورة أن تكون محتلة بقوات؛ ولكن يجب أن

---

(1) التاجي، الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام (ص20).

(2) [مسلم: الامام مسلم، الإمارة/الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، 1493/3: رقم حديث 1872].

(3) لابن هشام، السيرة النبوية (158/1)، وانظر: للحميري، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (221/4) وانظر: سويد، معارك خالد بن الولي (ص75– 76).

(4) محمد الرشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (ص330).

(5) تكتيك الهجوم (ص24).

تكون خالية من العدو ومسيطراً عليها بالنيران، حيث يمنع العدو من احتلالها أو السيطرة عليها[1].

وقد أخذ الرسولﷺ وأصحابه الكرامﷺ بهذا المبدأ الهام في غزواته وعملياته القتالية؛ فقد حافظ على سرية أعماله، وأمّن حماية قواته في غزواته.

يقول محمود شيت خطاب[2]: "لقد أمّن الرسولﷺ حماية قواته في كل غزواته، وبذل غاية جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات، وبذلك طبق مبدأ الأمن. إنّ دوريات الإستطلاع والطلائع والساقات التي كان يؤمّنها الرسولﷺ في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته، كان لغرض حماية قواته من مباغتة العدو لها. كما أنّ تأمين الحراسات والعسس هو لحماية قواته أيضا من مباغتة العدو لها. وكما حرص الرسولﷺ على الحصول على المعلومات من أعدائه بشتى الوسائل، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل أيضا.. لقد طبّق مبدأ الكتمان في كل أعماله، وحثّ المسلمين على حفظ الأسرار وعدم إباحتها، وأمر أن يسارع المسلمون بإخباره عن كل حادث مهم، والحقّ أنّ المُتتبّع لحياة الرسولﷺ يَعْجَب أشدّ الإعجاب بمعرفته فورا بكل المعلومات التي تهمه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين".

ومن أمثلة حرص الخلفاء على الأخذ بهذا المبدأ؛ أوامر أبي بكر إلى خالد بن سعيد بن العاص، عندما أوفده إلى الشام في أول حملة له لمقاتلة الروم (أن لا يتجاوز تيماء.. وأن لا يوغل كثيراً في تقدمه، وأن يحافظ على خط رجعته فلا يهاجمه الروم من الوراء ويجعلونه بين نارين)[3].

ومن الأمثلة الدالة على تطبيق هذا المبدأ في السنة النبوية ما يلي:

أولاً: حفظ التأمين في غزوة حُنين:

في يوم حُنين ظهر اهتمام النبيﷺ وأصحابه الكرامﷺ بتأمين القوات المقاتلة، وحراسة معسكرهم ليلاً، وهنا نجدُ درساً عسكرياً وأمنياً في وجوب اليقظة وتأمين القوات المُقاتلة، والتعرف على أحوال العدو ومراقبة حركاته، ومعرفة مواطن قوته وقدرته عددًا وعدة، وما يرسمه ويُدبّره من خطط حربية، وهي مهمة أساسية بالنسبة للقادة.

أخرج أبو داود في سننه[4] من حديث سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ: (أنهم ساروا مع رسول اللهﷺ يومَ حُنينٍ،

---

[1] تكتيك الوحدات الصغرى (ص193).

[2] الرسول القائد (ص455).

[3] سويد: معارك خالد بن الوليد (ص139).

[4] [سنن أبي داود: كتاب الجهاد/في فضل الحرس في سبيل الله تعالى9/3 : رقم حديث 2501]. وأخرجه كذلك في ["الكبرى" كِتَابُ السِّيَرِ، باب: فَضْلُ الْحَرَسِ،140/8: رقم حديث8819]، والطبراني في ["المعجم الكبير"، 96/6: رقم

فأطنَبُوا السيرَ[1] حتى كانَ عشيَّةً، فَحَضَرْتُ الصلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ، بِظُعُنِهِمْ[2] وَنَعَمِهِمْ[3] وَشَائِهِمْ[4] اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِﷺ وَقَالَ: تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ ، **ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟** فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ: أَنَا يَا رَسُول اللهِ، قَالَ: فَارْكَبْ، فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِﷺ: اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ[5] حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ ، وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ[6]، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِﷺ إِلَى مُصَلَّاهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، **ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ؟** فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَحْسَسْنَاهُ ، فَثُوِّبَ بِالصلَاةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِﷺ يُصَلِّي وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ، حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: أَبْشِرُوا ، فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ حَيْثُ أَمَرْتَنِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِﷺ: هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: لَا ، إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِﷺ: قد أَوْجَبْتَ فلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا[7]).

حديث 5619]. وفي["الأوسط" ، 315/8 : رقم حديث8741]، وفي ["الشامي"96/6/4 : رقم حديث 5619]، والحاكم في المستدرك[92/2: رقم حديث 2432،2433]، و[البيهقي في السنن الكبرى11/2: رقم حديث2221][251/9: رقم حديث18445]، من طريق أبي توبة الربيع بن نافع، والبيهقي في السنن الكبرى [250/9: رقم حديث18443]،من طريق مروان بن محمد، كلاهما عن معاوية بن سلام، بهذا الإسناد.

الحكم على إسناد الحديث: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد صححه الحاكم في الموضعين وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها[723/1: رقم حديث 378].

[1] **أَطْنَبُو السَّيْر**: بَالَغُوا فِيهِ ، وقولهم : قد أَطْنَبَ فلانٌ في كذا وكذا : أي اجتهد في الوصف وبالغ في النعت ، وأطنب فِي كَلَامه: إِذا أبعد. انظر: الهروي تهذيب اللغة(248/13)، والزاهر في معاني كلام الناس، لأبي بكر الأنباري(502/1) ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود ، تأليف : محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، العظيم آبادي (ت1329هـ)(129/7).

[2] الظُّعُن : النِّسَاء ، وَاحِدَتهَا : ظَعِينَة. عون المعبود (129/7).

[3] النَّعَم: الْإِبِل. عون المعبود، المصدر السابق.

[4] الشَّاء: جَمْعُ شَاة. عون المعبود (129/7).

[5] الشِّعْبَ: الطريق في الجبل، أوالانفراج بين الجبلين، وقيل: أي مكانَ الصَّدْع والشَّقِّ الذي فيه، وقيل: أي مكانَ الصَّدْع والشَّقِّ الذي فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (477/2).

[6] أَيْ: لَا يَجِيئُنَا الْعَدُوُّ مِنْ قِبَلِكِ عَلَى غَفْلَة. عون المعبود (ص129).

[7] أَيْ: لَا ضَرَرَ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ فِي تَرْكِ الْعَمَل بَعْدَ هَذِهِ الْحِرَاسَة، لِأَنَّهَا تَكْفِيكَ لِدُخُولِ الْجَنَّة. انظر: عون المعبود(ص129/7).

ثانياً: حفظ التأمين للقوات في معركة مؤتة:

عند تسلم خالد بن الوليدﷺ قيادة الجيش بعد استشهاد القادة الثلاثة الذين عينهم النبيﷺ، كان على خالد أن يُجنب المسلمين هزيمة واقعة لا محالة، حيث كان المسلمون قلة (ثلاثة آلاف)، وكان جيش الروم كثرة (مائتي ألف) – أي أن جيش الروم يبلغ 66 ضعفاً لجيش المسلمين–؛ بالإضافة إلى أن جيش الروم كان أحسن تجهيزاً وإعداداً.

أخرج النسائي في سننه[1] من حديث **أَبِي قَتَادَةَ، (أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَمَرَ الْمُنَادِيَ أَنْ يُنَادِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: ثَابَ خَبَرٌ، ثَابَ خَبَرٌ، ثَابَ خَبَرٌ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا لَقُوا الْعَدُوَّ، لَكِنَّ زَيْدًا أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرٌ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِﷺ ضَبْعَيْهِ، وَقَالَ: اللهُمَّ هَذَا سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْتَصِرْ بِهِ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ).**

شعر خالد بن الوليد بأن موازين القوى في المعركة ليست في صالح المسلمين، وأنهم مقبلون على خسارة كبيرة في ظل هذه المعطيات، وأنه لا بد له من تأمين جيش المسلمين وإنقاذه من هزيمة نكراء ستحل بهم.

وقد استخدم خطة خداعية من خلال مناورة ميدانية للقوات، وذلك لتأمين انسحاب قوات المسلمين من أرض المعركة بأقل خسائر ممكنة؛ حيث انتظر حلول الظلام وغيّر أماكن المقاتلين فاستبدل الميمنة بالميسرة والمقدمة بالمؤخرة مصطنعاً أثناء عملية التبديل جلبة وضجيجاً كي يوهم الأعداء أن مدداً قد أتى إلى المسلمون خلال الليل، وما أن تنفس الصُّبح حتى أطلق على العدو هجمات سريعة متتالية.

فوجئ الرومان بهجمات المسلمين العنيفة على طول الجبهة، وقد اندفعوا للأمام وفي مقدمتهم

---

[1] [النسائي: المناقب/فضائل جعفر بن أبي طالب324/7 : رقم حديث8103]، و[أحمد في المسند ، 244/37 : رقم حديث 22551]،[والدارمي في مسنده1590/2]،[والطحاوي في شرح المشكل،166/13]،[وابن حبان في صحيحه522/15]، جميعهم من طرق عن الأسود بن شَيبان عن خالد بن سمير، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة.

الحكم على الإسناد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، غير خالد بن سمير، قال ابن حجر فيه: صدوق يهم قليلاً، انظر: التقريب (ص188)، **ويرجح الباحث أنه ثقة** ، حيث وثقه النسائي ، انظر: الكاشف للذهبي (ص365)، والعجلي، انظر: الثقات للعجلي (ص113)، وتهذيب التهذيب (207/5)، وذكره ابن حبان في الثقات (204/4)، ووثقه الهيثمي في مجمع الزوائد (633/9)، أما الوهم الذي وصفه ابن حجر بسبب وهم في لفظة هذا الحديث ، حيث قال: كنا في غزوة مؤتة ولم يحضرها. انظر: تهذيب التهذيب.

والحديث صححه شعيب في تحقيقه لمسند أحمد فقال: صحيح لغيره، وهذا إسناد جيد من أجل خالد بن سمير، كما صححه حسين سليم أسد في تحقيقه لمسند الدارمي (249/2).

خالد، كما فوجئوا أكثر عندما رأوا في الصباح أن الوجوه والرايات التي أمامهم هي غير التي كانت بالأمس، فدخل في روعهم أن مدداً قد نزل إلى ساحة المعركة فذهلوا واضطرب أمرهم فاغتنم خالد تلك الفرصة وأمر بفك الارتباط فوراً وقطع التماس مع العدو، وقد عمد إلى فصل وسحب قواته من خلال المناورة التالية: (سحب الجناحين بمساندة القلب، ثم سحب القلب بمساندة الجناحين، وهكذا دواليك حتى تم له إنقاذ جيش المسلمين من هزيمة نكراء) [1].

وقد استطاع سيدنا خالدﷺ من خلال تكتيكه هذا تحقيق مبدأ التأمين لقواته، والمحافظة على سلامة جيشه؛ بل إنه حوّل الهزيمة إلى انتصار نسبة إلى قلة خسائر المسلمين الاثني عشر قتيلاً؛ وهذا تميُّز كبير وبراعة عسكرية نفخر بها، ذلك أن عمليات انسحاب الجيوش تتكبد عادة خسائر فادحة.

وقد قدر رسول اللهﷺ براعة خالد في إنقاذه جيش المسلمين بالتظاهر والمناورة فلقبه إثر هذه المعركة، بـ "سيف الله".

ثالثاً: حفظ التأمين في سرية ذات السلاسل[2]:

بعد عودة المسلمين من غزوة مؤتة قرر الرسولﷺ أن يسترد هيبة المسلمين في المنطقة الشمالية للمدينة المنورة، فأرسل عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام؛ وذلك لأن والدة عمروﷺ من قبائل تلك المنطقة، فمن السهل عليه أن يستميلهم إلى جانبه[3].

أخرج الإمام أحمد في مسنده[4] بسنده عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، يَقُولُ: **بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِﷺ فَقَالَ: (خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ ائْتِنِي، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ[5] فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَزْعبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ فَقَالَ: يَا عَمْرُو،**

---

[1] انظر: الإعجاز العسكري في القرآن، العميد الركن حسين فاروق آغا، ص، وانظر: سيف الله خالد بن الوليد، الجنرال أ. أكرم، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة (ص 105-106).

[2] ذات السلاسل: قيل: إنها سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل لأنها بها ماءً يقال له السلسل، وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. كذا قال. انظر: طبقات ابن سعد (131/2).

[3] حامد أحمد الطاهر، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانظر: الرسول القائد (ص310).

[4] [أحمد في المسند، مسند الشاميين، حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، 298/29 : رقم حديث 17763]. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، حديث(299)، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث (1315). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[5] جيش سرية ذات السلاسل.

نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ).

وقد حرص عمرو بن العاصﷺ أثناء قيادته لهذه السرية على حفظ تأمين قواته وسلامتها، ويتجلى ذلك في الصور الآتية:

الأولى: أنه كان يسير ليلاً ويختفي نهاراً:

كان عمرو بن العاصﷺ يدرك بثاقب بصيرته أن العدو يسعى إلى معرفة أخباره قبل اللقاء بينهما، فيعدّ نفسه في ضوء ما تجمع لديه من معلومات عن جيش المسلمين، ولهذا السبب رأى عمرو أن السَّير ليلاً والاختفاء نهاراً هو أفضل أسلوب للمحافظة على قواته، وقد قصد عمرو سلوك هذه الخطة تحقيقاً لأمرين هما:

الأول: إخفاء تحركاته من عدوه وبذلك يضمن سلامة قواته.

الثاني: حماية الجند من شدّة الحرّ، حرصاً على أن يبقوّا بنشاطهم ، ويكونوا أقوياء عند مجابهة أعدائهم[1].

الثانية: عدم السماح للجند بإيقاد النار:

كان جيش ذات السلاسل يعاني من شدة برودة الجو ليلاً، ما جعل الجند يفكّرون في إيقاد نار لحاجتهم الماسة إلى التدفئة. ومع أن حصول التدفئة في ذلك الجو البارد فيه مصلحة للجيش إلا أن عَمْراًﷺ بحكم خبرته العسكرية خشي وقوع مفسدة أعظم من تلك المصلحة وهي أن يمتد الضوء فيكشف المسلمين – وهم قلة – لأعدائهم فيهجموا عليهم.

ويتجلى هذا الفقه في قوله للرسولﷺ: كرهتُ أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوّهم قلّتهم، فأقره النبيﷺ على ما فعله.

أخرج ابن حبان في صحيحه[2] بسنده **عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ بَعَثَهُ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا، فَمَنَعَهُمْ، فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا يُوقِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَارًا إِلَّا قَذَفْتُهُ فِيهَا، قَالَ: فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزَمُوهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، فَمَنَعَهُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَلِكَ الْجَيْشُ، ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّﷺ ، وَشَكَوْهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُمْ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا، فَيَرَى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُمْ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيُعْطِفُوا عَلَيْهِمْ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَمْرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأُحِبَّ مَنْ تُحِبُّ، قَالَ: عَائِشَةُ قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ).**

---

[1] سيرة ابن هشام (623/2–626)، وانظر: لابن قيم الجوزية، زاد المعاد (157/2).

[2] [صحيح ابن حبان: السير/ذكر الإباحة للإمام تخويف رعيته.. ، 404/10 : رقم حديث4540].

الثالثة: منع الجند من مطاردة أعدائهم:

عندما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم فأرادوا مطاردتهم وتتبّع فلولهم، ولكن قائد السرية منع جنده من تحقيق رغبتهم لئلا يترتّب على هذه المطاردة مفسدة أعظم منها وهي أن يلحق جيش المسلمين أذى بسبب ذلك.

ويتجلى هذا الفقه في قول عمرو ﷺ للرسولﷺ: **(وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدداً)** فأقره على هذا التصرف الحكيم الذي يحقق للجيش الأمن والسلامة(1).

(1) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول، د. عبد الله الرشيد، ص 535-536.

الفصل الثالث: تكتيك العمليات الخاصة في السنة النبوية

الفصل الثالث: تكتيك العمليات الخاصة في السنة النبوية

المبحث الأول: تعريف العمليات الخاصة، وبيان عناصرها وخصائصها.

أولاً: تعريف (العمليات الخاصة) لغة واصطلاحاً:

1) تعريف (الخاصة) لغة:

قال ابن فارس: (خَصَّ) الْخَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْفُرْجَةِ وَالثُّلْمَةِ. وَمِنَ الْبَابِ خَصَصْتُ فُلَانًا بِشَيْءٍ خَصُوصِيَّةً، بِفَتْحِ الْخَاءِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ لِأَنَّهُ إِذَا أُفْرِدَ وَاحِدٌ فَقَدْ أَوْقَعَ فُرْجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْعُمُومُ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَالْخِصِّيصَى: الْخَصُوصِيَّةُ[1]، **و** خَصَصْت الشيء خصوصاً، واخْتَصَصتُه. والخَاصَة، الذي اختصصتَهُ لنفسك[2].

2) تعريف (العمليات الخاصة) اصطلاحاً:

وردت عدة تعريفات للعمليات الخاصة، في المعاجم والدراسات المتخصصة، نذكر منها الآتي:

الأول: العمليات الخاصة: "هي العمليات التي تتطلب تدريباً وتجهيزاً وتسليحاً خاصاً"[3].

الثاني: العمليات الخاصة: هي "عمليات عسكرية متعددة الأغراض تنفذها قوات خاصة ذات تدريب عالي الكفاءة ضد أهداف استراتيجية من أجل كشف مهمات العدو وإحباطها"[4].

ولا يتم استخدام القوات الخاصة إذا كان الهدف يُمكن تحقيقه بوسائل أخرى.

ثانياً: عناصر العمليات الخاصة:

تتمثل عناصر العمليات الخاصة[5]في الآتي:

1) الهدف.
2) الاتصال والتواصل.
3) الإعداد الجيد.
4) التنفيذ.
5) السرية.
6) الجندي.
7) تعدد الخبرات.

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة (152/2).

(2) العين، للفراهيدي (134/4).

(3) جامعة الدول العربية، معجم المصطلحات العسكرية (ص32).

(4) لسون تزو، فلسفة الميدان – رؤى في التخطيط العسكري، يليه خلاصة كتاب فن الحرب لحجازي ، فلسطين (ص89).

(5) المصدر السابق.

ثالثاً: خصائص العمليات الخاصة:

يوجد عدة خصائص تتميز بها العمليات الخاصة، نذكر منها[1]**:**

1. أن تكون سريعة وخاطفة.
2. تتصف بالغموض والسرية لأبعد الحدود.
3. لا تحتمل أدنى خطأ.
4. تتطلب جنوداً ذوي كفاءة عالية وخبرة جيدة.
5. تستخدم الكمائن بشكل واسع.
6. قد تكون خلف خطوط العدو.
7. تتطلب درجة عالية من الإخفاء والتمويه.
8. قابلة للتطوير التقني والتكتيكي.

---

[1] فلسفة الميدان (ص89 ـ94).

المبحث الثاني: العمليات الاستخبارية.

المطلب الأول: تعريف الاستخبارات في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الاستخبارات في (اللغة):

قال ابن فارس: الخاء والباء والراء أصل يدل على العِلم، والخُبْر: العِلْم بالشَّيءِ. تقول: لي بفلان خِبْرَةٌ وخُبْرٌ، والله تعالى الخَبير، أي العالِم بكلِّ شيء، وقال اللهُ تعالى: {وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبِيرٍ} [فاطر 14]. والاستخبار: السؤال عن الخبر، وعند أهل اللغة الاستفهام وطلب الفهم، واستخبره: سأله عن الخبر وطلب أن يخبره به ويقال استخبر الخبر. وقيل: الاستخبارات ما سِيق أولاً ولم يُفهم حق الفهم، وما سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[(1)].

ثانياً: الاستخبارات في (الاصطلاح):

عرف القادة العسكريون الاستخبارات بتعريفات عدة منها:

- **الأول:** "هي الخطى المتناسقة المدروسة الموجهة، لاستخدام كل الوسائل المتيسرة، للحصول على كافة المعلومات، وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسئولين بالحقائق والتقديرات الواقعية، وفي الوقت المناسب، لوضع استراتيجية الدولة، ولرسم سياسات معينة، ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة"[(2)].
- **الثاني:** "هي الخطوات المدروسة والمخطط لها مسبقاً (في الغالب) لجمع كافة أشكال المعلومات بكافة الوسائل المتاحة، ثم فرزها وتصنيفها وتحليلها وتوزيعها للجهات المناسبة في الوقت المناسب"[(3)].
- **الثالث:** "هي مجموعة من الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والمعاملة في نفس الوقت على مكافحة عمليات التجسس والتخريب المعادية، وإبطال أعمال العدو المماثلة"[(4)].

ويُميل الباحث إلى ترجيح التعريف الأول، لتناسبه مع واقع المقاومة، وواقع الفصائل والمنظمات التي تسعى للتحرر.

---

(1) لابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (239/2).

(2) اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (ص165).

(3) أكاديمية فلسطين العسكرية ، مدخل إلى علم الأمن والاستخبارات (ص30).

(4) هيثم الأيوبي ، الموسوعة العسكرية (116/1).

المطلب الثاني: أهمية العمليات الاستخبارية:

تعتبر الاستخبارات أصل من أصول الحرب اتفق عليه الناس جميعاً، وتشكل الاستخبارات عنصراً هاماً من عناصر تشكيل القوات في جميع الدول، وتعد من الروافد الأساسية للقيادة بمختلف مستوياتها وتعدد تخصصاتها، بما تحتاجه من معلومات تساهم في بناء الخطط واتخاذ القرارات.

ولأهمية العمليات الاستخبارية وشمولها، خاصة في وقت الحرب، نجد أن أنشطة الاستخبارات موجودة مع الإنسان منذ القدم، لكن تغير وسائل القتال وتنوع الجبهات من برية وبحرية إلى جوية وفضائية .. وغير ذلك من الأسباب الكثيرة والخطيرة؛ جعل للاستخبارات مكانة متقدمة في الدول التي تسعى بواسطة استخباراتها إلى الدفاع عن نفسها، وتطوير قدراتها ومعرفة كل شيء عن الآخرين، ومخططاتهم ومستوى تطورهم، فأي خطة يجب أن يسبقها، ويرافقها، ويعقبها، خطة استخبارية، وإلاّ فهي محكومة بالفشل ولو بعد حين[1].

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ[2]:"وأخطر ما تتعرض له الأمم في هذا المجال هو المباغتة، لذلك تسعى بأقصى جهدها لكي تمنع العدو من مفاجأتها، وذلك بأن تؤسس استراتيجيتها العسكرية على استخدام مختلف أجهزة الإنذار المبكر ووسائل الاستطلاع المتقدمة".

ومن هنا كان من واجبات جهاز الأمن والاستخبارات في الدولة المسلمة مراقبة تحركات العدو الأمنية والعسكرية، وذلك بهدف إفشال أي عدوان محتمل، وإحباط أي تهديد في اللحظة المناسبة، وذلك بالتجسس على تحركاته، والتعرف على أسراره وكشف نواياه، ومواقعه النظامية، وفنونه القتالية، ومدى استعداد وحكم قواته، وآلياته[3].

المطلب الثالث: أقسام ووظائف العمليات الاستخبارية:

تعتبر المهمة الأساسية للعمليات الاستخبارية هي الحصول على المعلومات والأسرار الحيوية، وحُسن توظيفها بصورة جيدة، لتحقيق مبدأ الأمن العام للدولة أو المنظمة، خاصة الأمن العسكري.

والأمن العسكري هو: جميع الإجراءات – فعل أو امتناع – التي يجب اتخاذها لحماية القوات المسلحة، بشرياً، وتسليحاً، وخططاً، وتجهيزات، وقدرات المعلومات. وفي نفس الوقت ضرورة اختراق القوات المسلحة المعادية والصديقة للوقوف على تلك البنود واستثمارها[4].

---

(1) أكاديمية فلسطين العسكرية ، مدخل إلى علم الأمن والاستخبارات (ص29).

(2) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص170).

(3) محمد أحمد، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة (ص9).

(4) هيثم الايوبي، الموسوعة العسكرية (ج116/1).

في العصر الحديث، ومنذ الحرب العالمية الثانية تقريباً ازدادت عمليات التجسس وازدهر عمل الاستخبارات بشكل غير مسبوق، وأصبحت الاستخبارات بفروعها أحد أهم ركائز الدولة الحديثة. بل وأصبحت تعد خط الدفاع الأول عن الدولة وفي حالة الهجوم فهي رأس الحربة الخفي. ولذلك تقوم الدول والمنظمات بتشكيل أجهزتها الأمنية والمخابراتية آخذين بعين الاعتبار شمولية أداءهم ومهامهم لتكون داخلية وخارجية، دفاعية وهجومية[1].

يقول اللواء محفوظ[2]:"إن العلم العسكري يقسم نشاط المخابرات إلى نوعين، هما:

الأول: وهو النشاط الإيجابي للمخابرات وهو يهدف إلى الحصول على المعلومات عن العدو.

الثاني: وهو النشاط الوقائي أو ما يعرف (بالمخابرات الوقائية) أو المخابرات المضادة، وهو يهدف إلى مواجهة أعمال المخابرات المعادية وإلى حرمان العدو من الحصول على المعلومات والأسرار".

وباعتبار أهمية وحيوية دور العمليات الاستخبارية، فإنها تنقسم من المنظور (العملياتي) إلى قسمين هما: (استخبارات دفاعية، واستخبارات هجومية)، وتفصيلها كما يأتي:

أولاً: الاستخبارات الدفاعية:

وهي الجهود المبذولة لدراسة نوايا وأفعال العدو الهجومية، ومهمتها الحيلولة دون قيام العدو باكتشاف تحركات قواتنا وبذل كافة الجهود لإبطال فاعلية استخباراته الهجومية، ويتحقق ذلك بضمان أمن خططنا وقواتنا ومهماتها[3].

وتتلخص وظائف الاستخبارات الدفاعية[4] **في طريقتين يمكن من خلالها مقاومة استخبارات العدو وهي :**

أ. **الاجراءات الفعالة:**

وهي الإجراءات التي تشتمل على المعلومات والأوامر الصادرة من وحدة الأمن والتي تعمم بهدف اكتشاف عملاء العدو، والحد من وصول استخباراته الهجومية المباشرة وغير المباشرة إلى أهدافها، ويتم تحقيق ذلك بالخطوات التالية:

1) استقاء المعلومات من كافة الأفراد العسكريين والمدنيين.
2) التحقيق في الحوادث ومع المشبوهين.
3) متابعة المشبوهين ومراقبتهم من كافة النواحي.

---

[1] المصدر السابق (ص145).

[2] المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص181).

[3] مدخل إلى علم الأمن والاستخبارات (ص132).

[4] مدخل إلى علم الأمن والاستخبارات (ص132 – 134).

4) اكتشاف وإبلاغ القيادات العليا عن أية أمراض تظهر بين القوات الصديقة.
5) وضع أحدث الأساليب التي يتبعها العدو أمام أجهزتنا الأمنية المختلفة وتبادل المعلومات بينها.
6) تخصيص كادر جيد أو عناصر جيدة مهمتها القيام بالرقابة على مختلف الأفرع والمناطق أو الأقسام للتأكد من تنفيذ التعليمات الأمنية.
7) الكشف عن الثغرات الموجودة والتي يمكن للعدو أن يدخل منها، قبل أن يتمكن من اكتشافها والدخول منها سواء ما يتعلق منها بالتجسس أو التخريب أو الدعاية.
8) التدقيق في هوية أي زائر للوحدة أو القسم داخل المنظمة أو الجهاز الأمني.
9) التأكد من ماضي السجل الشخصي للمستخدمين، وتحديد المواقع التي يسمح لهم بدخولها وعدم تجاوزها، والمستويات التي يسمح لهم لمخالطتها.
10) مراقبة المؤسسات الإعلامية التابعة للمنظمة أو الدولة، خاصة فيما يتعلق بالتصريحات الأمنية والعسكرية.

ب. الاجراءات الوقائية:

وتعني إخفاء المعلومات والمحافظة على الماديات والحصانة ضد الدعاية والحرب النفسية، وجميع الاجراءات التي تمنع تسرب المعلومات، وبما أن الاجراءات التي تطبق على القوات العسكرية لا يمكن تطبيقها على السكان بنفس الطريقة؛ فإنه يتم تقسيم احتياطات الأمن إلى قسمين:

1) الأمن بين السكان: ويُعنى بتطبيق نظام رقابي على السكان يتم من خلاله الحد من نشاط العناصر الهدامة الخطرة.
2) الأمن في الوحدات العسكرية: وهي تشمل ثلاثة أقسام هامة (أمن المواد، وأمن الأفراد، وأمن المعلومات والوثائق)

ثانياً: الاستخبارات الهجومية:

وهي عبارة عن نظام يتم بموجبه جمع وتقييم وتحليل المعلومات عن العدو وترجمتها إلى ملفات عملياتية لأهداف عسكرية وغير عسكرية تخدم أهداف الدولة أو المنظمة[1].

وتتلخص وظائف الاستخبارات العسكرية الهجومية في النقاط التالية[2]:

1. جمع المعلومات من المصادر العلنية والمفتوحة عن جميع شؤون العدو "عن بعد".

---

[1] مدخل إلى علم الامن والاستخبارات (ص146).

[2] المصدر السابق.

2. جمع المعلومات عن العدو من خلال عناصر ميدانية داخل أرض العدو، وعلى حدود هذه الأرض، وذلك من خلال أجهزة الرصد المتخصصة.
3. جمع المعلومات عن ارتباطات العدو وامتداداته في الخارج ضمن ملفات خاصة وسرّية.
4. إنشاء وتكوين ملفات معلوماتية عملياتية عسكرية ونفسية وأمنية عن العدو. واختيار أهداف منتقاة (سياسية وعسكرية واقتصادية وأمنية وعلمية ودينية – بشرية ومادية ومعنوية)، وبناء قاعدة معلوماتية دقيقة لهذه الأهداف، تسمح للجهاز الاستخباري تنفيذ عملياته الاستخبارية والعسكرية والنفسية بأفضل وأقوى الأساليب المؤثرة على العدو.
5. جمع المعلومات التي من شأنها تطوير قدرات (الدولة أو المنظمة) خاصة على الصعيد العسكري وتحديداً فيما يتعلق بتطوير الأسلحة، والمشاركة في تحديد الاحتياجات اللوجستية للعمل العسكري.
6. التحليل والدراسات والبحوث: وهي وظيفة تعنى بتحليل المعلومات الاستخباراتية وإنتاجها في قالب يمكن الاستفادة منه في مجالات مختلفة. والقيام بدراسات وأبحاث عسكرية واستخبارية ذات أهداف مختلفة.
7. الإلمام التام بطبيعة مسرح العمليات داخل أرض العدو، وخصائصه ومراقبة هذا المسرح باستمرار وفي كل الاتجاهات.
8. تقدير الموقف العسكري والأمني بشكل عام أو مرحلي أو لحظي آني.
9. الأرشيف: تجميع المعلومات وتصنيفها من مصادرها المختلفة وتنسيقها وتحويلها للمحللين ولمن يهمه الأمر بشكل يمكن الاستفادة منها، ومن ثم حفظها في قاعدة بيانات خاصة بالمؤسسة الأمنية.

<u>المطلب الرابع: الاستخبارات الإسلامية ومنهجية الرسولﷺ وأصحابه فيها:</u>

إن المطّلع على الجهاد النبوي يُدرك مدى اهتمام الرسول القائدﷺ بالأعمال الاستخبارية بكل أشكالها، وبشكل خاص (عمليات الاستخبارات العسكرية) بمفهومها الشامل، والتي تصب في النهاية بالمصلحة العسكرية خاصة في زمن الحرب، وقد أسس الرسولﷺ للعمل الاستخباري وكلف أفراداً بمهام استخبارية لتأتيه بالمعلومات الدقيقة عن أحوال أعداء الأمة، واستخدمﷺ استخباراته بجمع المعلومات عن عدوه من خلال عيونه المُرسلين من قبله خصيصاً لهذه المهام، وكان يحب أن يعرف عن عدوه أكبر قدر ممكن من المعلومات ويحرص على عدم تسرب معلومات جيشه إلى عدوه، وهذا يدُلُنا على تقدم المسلمين العسكري والأمني، حيث عملوا بمبدأ الاستخبار منذ أربعة عشر قرناً.

وقد وضع الرسول القائدﷺ منهاجا لاستخباراته يُعد من أحدث المناهج الاستخبارية في زماننا، وقد ربَّى الرسولﷺ صحابته على العمل الاستخباري من خلال سنته المطهرة، ومن أهم المبادئ الأمنية الاستخبارية أنه جعل المعرفة على قدر الحاجة، ونجد في سيرتهﷺ التأصيل لمنهجية التفكير الاستخباري الذي يحفظ الدولة الإسلامية ومقدراتها، والتي منها ما يلي:

أولاً: الكتمان، والنهي عن الحديث بما يعلم.

تحلى الرسولﷺ بصفة الكتمان في عامة غزواته، وكانﷺ ينهى أصحابه عند خروجهم لمهماتهم، أن يُحدّث أحدهم حديثا يدل عليه، وكان يأمرهم بكتمان أمرهم حرصاً على تحقيق النجاح؛ لأن الفوز بالمعلومات النافعة تكون أحياناً أهم من قتل عدّة فوارس.

وكان يحرص على إخفاء تحركات قواته عن الأعداء؛ ففي غزوة بدر ثبت أن الرسولﷺ أمر بقطع الأجراس من الإبل، وذلك لإخفاء حركة الجيش حتى لا يسمعه الأعداء.

أخرج الإمام أحمد في مسنده[1] بسنده **عَنْ عَائِشَةَ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ أَمَرَ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ).**

وفي يوم الخندق أرسل الرسولﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عيناً على قريش، ونهاه أن يحدث حديثاً حتى يعلم علمهم ويأتيه من أخبارهم ففعل[2]، وكذلك أمرﷺ زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم لغة اليهود فتعلمها[3]، وفي

---

[1] [أحمد: 86/42 : رقم حديث25166]، و[ابن حبان في صحيحه : السير/ذكر البيان بِقَطْعِ قَلَائِدِ الأوتار عن أعناق الدَّوَابِّ إنما أَمَرَ بذلك من أجل الأجراس التي كانت فيها ، 553/10 : رقم حديث4699]، وهو عنده أيضاً في نفس[الصحيح: السير/ذِكْرُ الْوَقْتِ الَّذِي أَمَرَﷺ بِهَذَا الْأَمْرِ،554/10 : رقم حديث4702]،وقد علق عليه شعيب قائلاً: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه [النسائي في السنن الكبرى : السير/الأمر بقطع الأجراس ، 110/8: رقم حديث8758] بنحوه [الطبراني في مسند الشاميين ، 104/4 : رقم حديث272] بمعناه.

الحكم على إسناده: إسناده صحيح ، محمد بن جعفر غندر، سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل الاختلاط، وقد توبع، وبقية رجاله ثقات. انظر: تدريب الراوي (374/2)، والحديث في الإحسان (101/7 حديث برقم:4682)، والذي تابع محمد بن جعفر، محمد بن بكر، انظر: مسند إسحاق بن راهويه (711/3 حديث رقم 1315)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (261/3):(وهذا على شرط الصحيحين).

وللحديث شواهد أخرى منها ما أخرجه البخاري من حديث أبي بشير الأنصاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، حديث رقم3005 **(بمعناه ؛ حيث لم يذكر أنه أمر بذلك في غزوة ؛ بل في السفر)**، وانظر الفتح، (ج6/ ص142)، وما أخرجه الطبراني من طريق جابر، (ج3/ص348)، (حديث رقم3367).

[2] سبق تخريج حديث حذيفة ، انظر: (ص85).

[3] الواقدي، مغازي (488/2)، وانظر: سيرة ابن هشام (231/2)، وانظر: لابن حبان البُستي، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (262/1).

غزوة الفتح كتم الرسولﷺ أمره، وفتح مكة من غير إعلام أحد بذلك[1].

وقد سار الرسولﷺ في عامّة حروبه على هذا النهج؛ فإذا كان الكتمان في ذلك العصر واجباً فإنه يتأكد وجوبه في هذا الزمان الذي كثرت فيه آلات التجسسّ لمعرفة أدق المعلومات المتعلقة بالشؤون العسكرية.

ثانياً: تحصيل المعلومات العسكرية بالاستطلاع، وقيامهﷺ بالاستطلاع بنفسه.

لقد استخدم الرسولﷺ أسلوب الاستطلاع في غزوة بدر، وقد قام بنفسه ليستطلع ويحصل على معلومات عن جيش مكة؛ وبينما كان النبيﷺ يتجول هو وصاحبه أبو بكر في منطقة بدر، لقيا شيخاً من العرب، فاستطلاعا أخبار قريش من خلاله.

قال ابن إسحاق[2]: "حتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: إذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ. قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الشَّيْخُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ، أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟".

يقول الدكتور إبراهيم أحمد[3]: "إن المتأمل في عملية الاستطلاع الآنفة يستطيع الخروج بالجوانب الأمنية الآتية: إخفاء الشخصية، استدراج الشيخ للحصول على المعلومة، استخدام التورية، سرعة الانصراف".

والمتأمل في شخص النبيﷺ يجد فيه الثقة بالنفس، والحنكة وسرعة التصرف، وحسن التدبر، والجود والكرم، والجرأة والشجاعة.

---

[1] الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ، تأليف : مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي ، أبو عبد الله، علاء الدين ت762هـ ، تحقيق : محمد نظام الدين الفُتَيِّح (ص306).

[2] لابن كثير، لسيرة النبوية (396/2)، وانظر: سيرة ابن هشام (611/1)، وقد رواها بن اسحاق بإسناد منقطع ، وهي من رواية محمد بن يحيى بن حبان، وقد قال عنه ابن حجر في التقريب (512/1)، "ثقة فقيه ، من الرابعة ، مات سنة إحدى وعشرين..".

[3] إبراهيم علي محمد أحمد، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة (ص120).

يقول اللواء محفوظ[1]: "ولقد قدم رسول اللهﷺ بنفسه مثلاً على درجة الاستعداد العالية، حينما سبق أهل المدينة جميعاً ذات ليلة إلى مصدر صوت قوي غير عادي أفزعهم فانطلق بعضهم نحو الصوت، فإذا هم برسول اللهﷺ عائداً من هناك، راكباً فرساً عارياً والسيف في عنقه وهو يقول: لم تراعوا".

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده **عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، قَالَ: وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا، قَالَ: فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ**[3]**، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: لَمْ تُرَاعُوا**[4]**، لَمْ تُرَاعُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «وَجَدْتُهُ بَحْرًا» يَعْنِي الفَرَسَ).**

ونجد في غزوة الأحزاب أنّ الرسولﷺ أرسل الصحابي حذيفة بن اليمان بمهمة استطلاعية خاصة، وذلك بأن يقوم باختراق صفوف الأعداء واستطلاعهم، والإفادة بأخبارهم.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[5] من طريق الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ[6] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (.. **فَقَالَ قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ**[7] **عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ).**

ثالثاً: اختيار العناصر المميزين للعمل الاستخباري والمهمات الخاصة.

ثَمَّة مهمات خاصة تحتاج في تنفيذها إلى (فرد أو عدد قليل من الأفراد) ولا تتطلب مجموعة من الناس، وذلك نسبة لحساسيتها وطبيعتها السرية، وهي تقوم على أكتاف الرجال الذين يتمتعون بصفات

---

(1) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص178).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/إذا فزعوا بالليل (66/4: رقم حديث3040).

(3) عُرْيٍ: أي لا سراج عليه ولا غيره، انظر: النهاية في غريب الأثر (255).

(4) لَمْ تُرَاعُوا: أي لا فزع ولا روع. انظر: لابن الجوزي، غريب الحديث (421/1)..

(5) الحديث سبق تخريجه، (ص77).

(6) إبراهيم بن يَزِيْدَ بنِ شَرِيْكٍ التَّيْمِيُّ، تم الترجمة له (ص75).

(7) الذَّعْرُ: فتح التاء وبالذال المعجمة ، ومعناه لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي ، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي. قَالَ عُمَرُو بنُ أَحْمَرَ فِي وَقْدَ عَادٍ حين خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ. انظر: شرح النووي على مسلم (145/12).

متميزة، وقدرات خاصة، تستوجب الحفاظ عليهم، وعدم التفريط بهم مهما كان الثمن.

كما أنها تحتاج إلى قدر كبير من التخطيط الدقيق، في كل مرحلة من مراحلها، وتحتاج أيضاً إلى الدقة في التنفيذ، لأن أي إخفاق في التنفيذ، أو التخطيط يقود إلى فشل تلك المهمة وتعرض القائمين بها إلى خطر حقيقي.

وقد أتقن الرسولﷺ، اختياره لعناصر استخباراته، وأسند إلى عدد من رجال الأمن والاستخبارات في جيشه العديد من المهمات الخاصة، كحذيفة بن اليمان ونُعيم بن مسعود وخالد بن الوليد وعلي ابن أبي طالب، وأمثالهم ممن عرفوا بالشجاعة والنجدة، ثم صارت تلك عادة المسلمين دائماً.

وكان القائد خالد بن الوليدﷺ يوفد استخباراته أمام جيشه للاستطلاع، وقد عُرف عن علي بن أبي طالبﷺ قوله: **(واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم)**[1].

وكذلك قادة المسلمين من بعدهم؛ كانوا يختارون عناصر استخباراتهم ممن عرفوا بالثبات والذكاء وسرعة التصرف والشجاعة والنجدة والحكمة ومن لهم دراية جيدة بالشؤون الحربية. وكانوا يختارونهم للقيام بواجبات الطلائع والمقدمات، فتكون مهامهم كحصوناً للمسلمين وعيوناً لهم.

والنبيﷺ كان يحرص على أن تأتيه المعلومات الموثوقة والدقيقة عن المنافقين، وإخوانهم يهود المدينة، فشكّل وحدة خاصة تقوم بمهام (الاستخبارات التكتيكية)، وأسند قيادة هذه الوحدة للصحابي الجليل حذيفة بن اليمانﷺ.

يقول اللواء محفوظ[2]:"اختاره الرسولﷺ دون غيره من الصحابة، ليكون عيناً له في المنافقين في المدينة، وذلك لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد، فلا يفشي سره لأحد، وبحضور البديهة فلا يرتبك في المواقف الحرجة، وبتقديره العميق لأهمية صيانة الأسرار العسكرية عن الأعداء، فلا يفشي نياته ونيات المسلمين وأهدافهم، وبالذكاء الخارق وموهبة حب الاستطلاع".

أخرج مسلم في صحيحه[3] بسنده عن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِﷺ: **(وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ**

---

[1] المنقري ، وقعة صفين (123/1).

[2] المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص186).

[3] [مسلم: صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة/إِخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، 2216/4 : رقم حديث2891].

كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِﷺ أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِﷺ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي).

فالحديث يدل على أن حذيفةﷺ كان ممن يحفظ سر رسول الله ، لذا يلقب بأمين سر رسول اللهﷺ. وقد أوكل الرسولﷺ إلى بعض الأفراد القيام بمهام مختلفة، يمكن إدراجها تحت ما يسمى بالمهام الاستخبارية الفردية. وقد كانت غاية في الأحكام تخطيطاً، وتنفيذاً، وجرأة، وتكللت جُل المهمات الفردية في عهد النبيﷺ بالنجاح التام.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[1] بسنده من طريق الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ[2] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ[3] فَقَالَ رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ **فَقَالَ قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ**[4] عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[5] حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ قُمْ يَا نَوْمَانُ).

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة الأحزاب229/9 : رقم حديث 3343].

[2] سبق الترجمة له، ص273.

[3] حذيفة بن اليمان: تم الترجمة له في الفصل الثاني : تكتيك العمليات الدفاعية.

[4] الذّعْرُ: فتح التاء وبالذال المعجمة، ومعناه لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي. قَالَ عُمَرُو بنُ أَحْمَرَ فِي وَقْدَ عَادٍ حين خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ. انظر: شرح النووي على مسلم (145/12).

[5] كأنما أمشي في حمّام: يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً، بل أعفاه الله منه ببركة إجابته للنبيﷺ وذهابه فيما وجهه له. والحمّام : مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار. انظر شرح النووي على صحيح مسلم (146/12).

قلت: دلّت تعليمات الرسولﷺ لحذيفة أنّ مهمته خاصّة، ومحصورة في الجانب الاستخباري فقط، ولقد أكد الرسول القائدﷺ لحذيفة بالإنضباط في أداء مهمته الاستخبارية، وحذره من أي سلوك يتجاوز به إطار هذه المهمة؛ وقد كان حذيفةﷺ مثالاً رائعاً لرجل الاستخبارات المطلوب؛ وقد عرف عنه الكتمان الشديد، والالتزام، وظهر ذلك في إلتزامه وشدة انضباطه في تنفيذ أوامر الرسول القائدﷺ، وعدم تجاوز حدود المهمة المكلف بها، مع العلم أنه كان بإمكانه قتل أبي سفيان زعيم المشركين يوم الاحزاب.

والحديث فيه جواز بعث الجواسيس والعيون لتتبع الأعداء.

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث[1]: "وفي هذا الحديث أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو".

رابعاً: ارسالهﷺ بالعيون لجمع المعلومات.

كان الرسولﷺ يبث العيون السرية في كل مكان، وذلك قبل تحرك الجيش، وعند إقامة المعسكرات، للحصول على معلومات أمنية، تقي الجيش من مخاطر العدو.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَا: (خَرَجَ النَّبِيُّﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ[3] ... **وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّﷺ، حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ[4] أَتَاهُ عَيْنُهُ** قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ)

قال ابن حجر[5]:" وَأَمَّا الَّذِي بَعَثَهُ عَيْنًا لِخَبَرِ قُرَيْشٍ فَاسْمُهُ (بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ) كَذَا سَمَّاهُ ابن إِسْحَاقَ وَهُوَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْمُهْمَلَةِ عَلَى الصَّحِيحِ".

وأخرج البخاري في صحيحه[6] بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (**بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ**

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي146/12].

[2][البخاري: صحيح البخاري، المغازي/غزوة الحديبية ، 79/13 : رقم حديث3860]. وانظر[البخاري : الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، 256/9 : رقم حديث2529].

[3] عام الحديبية : في ذي القعدة من سنة ست. انظر: دلائل النبوة (465/5).

[4] غَدِيرِ الْأَشْطَاطِ : مُلتقى الطَّريقين من عُسفان للحاجِّ إلى مَكَّة . انظر: تاج العروس (418/19).

[5] لابن حجر ، فتح الباري (334/5).

[6] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/هَلْ يَسْتَأْسِرُ الرَّجُلُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَأْسِرْ، وَمَنْ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ67/4: رقم حديث3045].

عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ[1] جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ..).

قال ابن حجر[2]: "بَعَثَ عَشَرَةً عَيْنًا يَتَجَسَّسُونَ لَهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ بَعَثَهُمْ عُيُونًا إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتُوهُ بِخَبَرِ قُرَيْشٍ".

قلت: تُدلِّل قصة عاصم على نوعية من يختارهم رسول الله ﷺ لهذه المهام الخاصة، فهي تدل على مدى عمق الانتماء والولاء، للفكرة التي خرج من أجلها، يوم رفض أن يسلم نفسه حين حاصره الأعداء، حفاظاً على أسرار رسول الله ﷺ ، فأصر على الصمود والمواجهة حتى قُتل شهيداً.

خامساً: تعلّم لغة الأعداء.

يُعد تَعَلُّم لغة العدو من أهم ما يجب أن يتعلمه رجل الأمن والاستخبارات، وبدونها يصبح ناقصاً في مؤهلاته الأمنية.

فهي الواسطة التي يتلقى عن طريقها المعلومة، ويحللها، ويقرأ بها عن العدو، ويستمع لوسائل إعلامه. وكل ذلك يساعده في جمع المعلومات الضرورية عن العدو.

كما أن تعلم اللغة يساعد المسلمين في توجيه وسائل إعلامهم إلى العدو بغية خدمة أهداف الأمة، وبث الرعب في نفوسهم، من أجل إضعاف روحهم المعنوية، كما يحدث في الإذاعات الموجهة، أضف إلى ذلك أن تعلم لغة العدو يساعد المسلمين في ترجمة الأفكار الإسلامية وبثها وسط الأعداء. ونظراً للأهمية البالغة لتعلم لغة العدو أمر الرسول ﷺ أحد أصحابه (زيد بن ثابت) أن يتعلم لغة اليهود.

أخرج الطبراني في المعجم الكبير[3] من حديث **زيد بن ثابت قال: (قال رسول الله ﷺ إنه يأتيني**

---

[1] **عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ:** هو عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ بن أبي الأقلح واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف الأَنْصَارِيَّ ، جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه ، من السابقين الأولين من الأنصار... وكان قد عاهد الله ألا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك ، فأرسلت قريش ليؤتوا بشيء من جسده ، وكان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه الظلة من الدبر فحمته منهم ، ولذلك كان يقال حمي الدبر.. . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (569/3).

[2] فتح الباري (380/7).

[3] المعجم الكبير، العشرة المبشرين بالجنة، باب الزاي: زيد بن ثابت الأنصاري(155/5:رقم حديث4927)،والترمذي في سننه، كتاب الاستئذان، باب تعليم السريانية (67/5 : رقم حديث2715) بجزء منه ، وأحمد في المسند (463/35 : رقم حديث21587)، و[صحيح ابن حبان : كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة (84/16 : رقم حديث

كتب من الناس ولا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تتعلم كتاب السريانية ؟ قلت: نعم فتعلمتها في سبع عشرة).

قال ابن حبان[1]: "أمر رسول اللهﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود و قال: إني لا آمن أن يبدلوا كتابي، فتعلم زيد بن ثابت ذلك في خمسة عشر يوماً".

وفي هذا الأمر النبوي يجب أن نأخذ الدرس، ونتعلم لغة اليهود؛ فإذا كان النبيﷺ لا يأمن جانب اليهود ومكرهم والوحي يؤيده، ويكشف له مؤامراتهم. فكيف بالمسلمين الآن وقد انقطع الوحي ؟!

يقول الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد[2]:"ينبغي على الأمة المسلمة، وهي تناصب اليهود العداء أن يتعلم بعضنا لغة اليهود. والمطّلع اليوم على واقع المسلمين يجد أن من يجيد العبرية نادر في الوقت الذي يجيد فيه اليهود عامة اللغة العربية ويفتحون لها المدارس ويعقدون لها الدورات، بل ويوجهون إذاعتهم إلى الدول العربية والإسلامية بلغة المسلمين في الوقت الذي لا تجد فيه سوى قلة من الإذاعات الإسلامية أو العربية توجه بالعبرية إلى اليهود".

وكان سيدنا عمرو بن العاص في حروبه مع الروم يحتفظ بطائفة من استخباراته يتكلمون الرومية كأبنائها، فكان يرسلهم إلى الروم متنكرين بينهم في أدوار مختلفة طالباً منهم أن لا يحدّثوا حديثا، ويعودون إليه بالأخبار وأسرار القوم، ثم صار القادة المسلمون يهتمون باستخباراتهم اهتمام نبيهمﷺ وخلفائه من بعده، بحيث لا يعرف بعض استخباراتهم بعضا إلاّ إذا اقتضى الأمر ذلك[3].

سادساً: منع الأعاجم من دخول المدينة، أو عقر دار الإسلام.

أوصى رسول اللهﷺ أصحابه أن يخرجوا المشركين من جزيرتهم، زيادة في تأمين الجبهة الداخلية من مكر وكيد المشركين وأعوانهم، ولتزداد قوة المسلمين وهيبتهم بين الأمم.

7136)، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (280/5)، وابن ابي شيبة في مسنده (146/1: رقم حديث138)، والحاكم في المستدرك (422/3 : رقم حديث5781)، وابن حميد في مسنده (المنتخب من مسند عبد بن حميد)،(ص108 : رقم حديث 243)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (1152/3).

الحكم على الحديث: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وقد صححه شعيب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

[1] لابن حبان البستي، الثقات (246/1).

[2] محمد أحمد، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة (ص114).

[3] القحطاني: دراسة بعنوان: الاستخبارات السياسية والعسكرية الحديثة

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: (يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ[2] دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ[3]، فَقَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِﷺ وَجَعُهُ يَوْمَ الخَمِيسِ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَتَنَازَعُوا، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ، قَالَ: دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ، وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلاَثٍ: أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ).**

وقد كان الفاروق عمر بن الخطابﷺ ينهى ويمنع الأعاجم من دخول المدينة، خشية التجسس على المسلمين، وكان يمنعهم أن يحذوا حذو المسلمين في المدينة حتى لا يلتبس الأمر على الناس، وتشدد عمر بن عبد العزيز في تنفيذ قانون الفاروق على الأعاجم، وكان يتهم المتساهل فيه بالضعف[4].

سابعاً: الاستعانة بالمشرك المؤتمن:

كان الرسولﷺ يستعين أحياناً بمن لم يعتنق الإسلام وما زال على شركه، لكنه مأمون الجانب، وهذا ما حدث في غزوة الحديبية حيث أرسلﷺ عيناً له من خزاعة، اسمه بشر بن سفيان، وكان يومها على شركه ليرصد له أخبار قريش وتحركاتها العسكرية وتدابيرها الأمنية.

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده من حديث **المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ: (**خَرَجَ النَّبِيُّﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ..، **وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ وَسَارَ النَّبِيُّﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ** قَالَ إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ**)**.

وكان له أيضاً في داخل مكة أنصار وحلفاء يتعاطفون معه، وينقلون له أخبار قريش ومثاله: ما قام به بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ، فقد أخبر رسول اللهﷺ بخروج قريش لقتاله[6].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري الجهاد والسير/هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم 49/4 : رقم حديث 3053].

(2) خضب: بلل ورطب.

(3) الحصباء: الحصى الصغيرة.

(4) للقرني، عمر بن الخطاب رضي الله عنه (9/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/غزوة الحديبية79/13: رقم حديث3860]، وانظر[البخاري : الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 256/9 : رقم حديث 2529].

(6) الظاهري، جوامع السيرة (ص178)، وانظر: لإبراهيم العلي ، صحيح السيرة النبوية (ص305).

ثامناً: متابعة أخبار الأعداء بعد انتهاء القتال:

كان النبيﷺ يتابع أخبار أعدائه حتى بعد انتهاء جولة القتال، فقد كان يتابع المشركين بواسطة بعض اتباعه بعد أُحُد حتى بعد رجوعهم إلى مكة، وقد بلغهﷺ مقالة أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده.

أخرج النسائي في السنن الكبرى[1] بسنده، **عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ[2]، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ وَبِئْرَ أَبِي عِنَبَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} [آل عمران: 172] وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّﷺ: مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أَهُبَّةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} [آل عمران: 174]).**

وتفيد هذه الرواية خبر استطلاع الرسولﷺ لأعدائه حتى بعد انتهاء المعركة، وذلك لكي يطمئن على عدم مباغتتهم له، وعندما سمع ما كانت تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة، خرج بمن حضره يوم أحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد[3].

وقد نهج أصحاب وخلفاء الرسولﷺ نفس نهجه، فقد مُلِئَت وَصَايَاهُم إلى قَادتِهم بِنَصَائِح كثيرة تحض على معرفة أسرار العدو، ومن أهمها وصيةَ الخليفةِ أَبِي بكر الصديق لعمرو بن العاص عندما وجهه إلى أرض فلسطين، ووصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص، وهذه الوصايا مشهورة ومدونة في كتب التاريخ.

يقول منير محمد الغضبان[4]:"إن مهمة القيادة الإسلامية وهي تخوض الحرب ضد أعداء

---

[1] [السنن الكبرى: التفسير/قَوْلُهُ تَعَالَى فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، 55/10 : رقم حديث 11017]. والطبراني في المعجم الكبير(247/11 : رقم حديث11632). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (121/6: رقم حديث10113). والحديث إسناده صحيح من طريق الجواز: فعكرمة تلميذ ابن عباس ثقة ثبت عالم وعمرو بن دينار ثقة ثبت وسفيان بن عيينة إمام معروف وثقة ثبت حافظ حجة، والجواز ثقة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (228/8)، أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره ، **ويرجح الباحث إرساله.**

[2] الروحاء: تبعد عن المدينة 73 كيلو متراً في طريق مكة، وسميت الروحاء لانفتاحها ورواحها. الحموي، معجم البلدان (76/3).

[3] الصلابي، السيرة النبوية دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة (191/6).

[4] الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية (ص10).

الإسلام أن تُخَذِّل عنها ما استطاعت، أن تمزق العنف الكافر، أن تفتت وحدة صف العدو، فتحيد من تستطيع تحييده، وتضم إلى صفها من تستطيع ضمه، وأن تثير الشكوك والخلافات بين الكافرين، ولا يعتبر هذا وهناً في الدين، ولا مهادنة في دين الله، ولا تساهلاً على حساب العقيدة. بل هو عمق سياسي، ونضج دعوي"

المبحث الثالث: عمليات الخداع العسكري.

يُعد الخداع إحدى الطرق والوسائل الرئيسة، التي تساعد على تهيئة أنسب الظروف لاستخدام القوات المسلحة، بما يمكنها من تحقيق المفاجأة، بكل مستوياتها، وانتزاع المبادأة في الصراع المسلح ومراحله المختلفة، وفرض الإرادة على العدو.

وتؤثر العمليات الخداعية في الأعداء أشد تأثير، حيث تُساهم بشكل كبير في تخبط العدو وردّات فعله العشوائية وغير المنظمة، وتعطيل قدرته على التقدير السليم واتخاذ القرار المناسب، وقد تُصبح إرادته على القتال والمقاومة محدودتين، فتُنتزع رغبته في القتال والمواجهة، وبذلك يمكن إيقاع الخسائر به وهزيمته، وتحقيق الأهداف المرجوّة.

المطلب الأول: تعريف الخِدَاع (لغة واصطلاحاً):

أولاً: تعريف (الخِدَاع) لغةً:

قال ابن فارس:"(خدع) الخاء والدال والعين أصلٌ واحد، ومنه خَدَعْتُ الرَّجُلَ خَتَلْتُه، ومنه: "الحرب خُدَعَةٌ" و"خُدْعَةٌ"، يقال خَدَع الرِّيقُ في الفم: وذلك أنَّه يَخْفَى في الحَلْق وَيغِيب، ويقال: "ما خَدَعَتْ بِعَيْنَيْ نَعْسَةٌ"، أي لم يدخل المنامُ في عيني" [(1)]. وذكر الخليلُ قياسَه فقال: الإخداع إخفاءُ الشَّيء قال: وبذلك سُمِّيت الخِزانة المِخْدع[(2)].

ثانياً: تعريف (الخِدَاع) اصطلاحاً:

الخِدَاع في الأَصْل اظهار أمر وإضمار خلافه، وله عدة تعريفات اصطلاحية في الجانب العسكري، نذكر منها الآتي:

1. **الخداع** :"مجموعة من الإجراءات المنسقة؛ لإخفاء الحقائق، وإقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام قواتنا، وإمكاناتها الحقيقية، وتقوده إلى إتخاذ القرارات الخاطئة، التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الأهداف المرجوة"[(3)].
2. **الخداع:**"عملية مشروعة تعمل بها كل جيوش العالم، فهي وسيلة لا غنى عنها لمن امتلك عقلاً راجحاً وذكاءً خارقاً، وذلك لنجاعتها في تحقيق الأهداف بأقل خسارة ممكنة؛ ذلك لأنها تحول انتباه الطرف الآخر المدافع عن القصد الرئيس، ثم وضع العدو أمام معضلة متعددة الأطراف"
3. **الخداع:** "فن التمويه والاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمال تضليلية لصرف العدو عن الاتجاهات

---

(1) لابن فارس، معجم مقاييس اللغة (161/2).

(2) المصدر السابق.

(3) انظر: الموقع الالكتروني مقاتل من الصحراء ، قسم موضوعات عسكرية ، تحت عنوان الخداع.

والأمكنة والأعمال العسكرية"[1].

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الخداع:

هناك بعض الألفاظ الوثيقة الصلة بموضوع الخداع، والتي منها ما يلي:

1. التَّمْوِيه:

أولاً: (التَّمْوِيه) في اللغة:

يقول ابن فارس[2]:"الميم والواو والهاء أصلٌ صحيح واحد، ومنه يتفرّع كَلِمُه، وهي المَوَه أصل بناء الماء، وتصغيرهُ مُوَيْه، قالوا: وهذا دليلٌ على أنّ الهمزة في الماء بدل من هاء. فأَصْلُ الماءِ (مَاهٌ) يقال: مَوَّهْتُ الشّيء، كأنّك سقيته الماء. ومَوَّهت الشّيء: طَلَيْتُه بفِضَّةٍ أو ذهب، كأنَّهم يجعلون ذلك بمنزلةِ ما يُسقَاه. وقالوا: ما أحسَنَ مُوهَةَ وجهِه، أي تَرقرُقَ ماءِ الشَّباب فيه". وقيل: التمويه: (الزخرفة)، ومنه حدِيثٌ مُمَوَّهٌ، أَي مُزَخْرفٌ يقال: موهت عليه الحديث فعلت له ماء ونضارة حتى قبله، وقيل: التَّمْويهُ (التَّلْبِيسُ) ومنه قيلَ للمُخادِع: مُمَوِّهٌ، وقد مَوَّهَ فلانٌ باطِلَه إذا زَيَّنَه وأَراه في صورةِ الحقِّ[3].

ثانياً: (التَّمْوِيه) في الاصطلاح:

التمويه في الحرب هو بمعنى الخدعة، وهي الاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمال تضليلية، لصرف العدو عن الاتجاهات والأمكنة والأعمال الأساسية[4].

وتعريف التَّمْوِيه في الاصطلاح العسكري: هو "مجموعة من الاجراءات التي يقوم بها المقاتل للاختفاء عن رصد العدو البري والجوي دون تعطيل المهمة القتالية". **أو** "هو القيام بأعمال تجعل الآخر يقتنع بمعلومات ليست صحيحة، أو بجزء من الحقيقة الكاملة، أو ما يُعرف بنصف الحقيقة"[5].

ويعتبر التمويه من الدفاع السلبي الذي يوفر الأمن والسلامة، وهو الدفاع الأكثر حماية والأقل تكلفة، وتكون قوة هذه الحماية مساوي لإتقان التمويه.

ويُعتبر التمويه من الطرق الدفاعية التي تستخدمها الكائنات الحيّة لحماية نفسها من الإفتراس، وأحياناً أخرى تكون طريقة من الطرق الهجومية التي تستخدمها الكائنات الحية لإفتراس غيرها، وتكون إما بتغيير اللون أو الشفافية كبعض الأسماك، أو التكيف مع لون البيئة كالحرباء. وتُسمى هذه

---

(1) ضاهر وتر، الإدارة العسكرية في حروب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ص83).

(2) لابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (286/5).

(3) للحسيني والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (509/36). وانظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (207/1).

(4) هيكل، لجهاد القتال، للدكتور: محمد خير (1292/2).

(5) انظر: الموقع الإلكتروني المجد الأمني، تحت عنوان : نصائح أمنية للتمويه والاستتار.

الظاهرة ايضاً التنكر أو التخفي عند الكائنات الحية في الطبيعة[(1)].

وفي العلم العسكري الحديث يُستفاد كثيراً من الطبيعة والكائنات الحية في جانب الإخفاء والتمويه وذلك بالاندماج مع الطبيعة من حيث اللون والشكل ليتم خداع الأعداء والتواري عن منظوره والنيل منه. وهو يساعد في حرمان العدو من الوصول إلى المعلومة، وتحقيق عنصر المباغتة والمفاجأة ، الذي يُعتبر من أهم عوامل النجاح في أي عمل عسكري.

ويتضح من دراسة الحروب السابقة، قديماً وحديثاً، أنَّ كثيرين من القادة العسكريين حققوا أعظم الانتصارات، في أقل وقت ممكن، وبأقل خسائر ممكنة، من خلال التخطيط الجيد للخداع، والتطبيق الماهر لنظرياته ومبادئه.

2. التَّوْرِية:

أولاً: (التَّوْرِية) لغة:

التورية عن الشيء: هو الكناية عنه، ووَرَّيتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته[(2)].

ثانياً: (التَّوْرِية) اصطلاحاً:

قال ابن حجر[(3)]: " التَّوْرِية في الحرب أي أخذ العدو على غِرَّة".

وقد استخدم الرسولﷺ هذه التورية في المعارك والحروب حيث كان لا يخرج في غزوة إلا ورّى بغيرها إمعاناً في مخادعة الأعداء.

يقول الدكتور محمد أبو فارس[(4)]:"ومن صور ذلك أنه يرسل السرية لمكان، ويريد أن يغزو مكاناً بجيشه، ويعمل على إشاعة خبر السرية دون الجيش، والجهة التي توجهت إليها دون السرية، رغبة في إخفاء الحركة".

أخرج البخاري في صحيحه[(5)] بسنده **عن كعب بن مالك قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا).**

وقد دل الحديث على أنه كان من عادة الرسول التورية في الغزو، وهي إظهار شيء وإرادة غيره[(6)].

---

(1) الموقع الإلكتروني (ويكيبيديا).

(2) لابن منظور، لسان العرب (454/15)، وانظر: للزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (234/11).

(3) العسقلاني، فتح الباري (113/6).

(4) المدرسة العسكرية النبوية (ص189).

(5) [البخاري: صحيح البخاري الجهاد/بَاب مَنْ أَرَادَ غَزْوَةً فَوَرَّى بِغَيْرِهَا وَمَنْ أَحَبَّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، 48/4 : رقم حديث2948].

(6) [البخاري: صحيح البخاري، فتح الباري، 113/6].

3. المُدَارَاة:

أولاً: (المُدَارَة) لغة:

أَصْلُ المداراةِ من قولِكَ: دَرَيْتُ الصيدَ، إذا خَتَلْتَهُ لتصطادَه، والمداراة: المُصانعة، مداورة الشئون: معالجتها، وهي طلب وجوه مأتاها، والمدارة في حسن الخلق تهمز وتُلين؛ يقال (داراه) و(دارأه) أي لاينه واتقاه، والمداراة الملاينة والملاطفة وأصلها المخاتلة، ومنه الدراية وهو العلم في تكلف وحيلة[(1)].

ومن أمثلة العرب: (إذا نزلتَ بدار قومٍ دارِهم)[(2)].

ثانياً: (المُدَارَة) اصطلاحاً:

المُدَارَة: هي المخالفة والمدافعة، كما في قوله تعالى عن قتيل بني اسرائيل: **(فَادَارَأْتُمْ فِيهَا)** سورة البقرة:72، أي: فاختلفتم وتنازعتم، وإنما هو **(فتدارأتم فيها)** على مثال "تفاعلتم"، من الدرء، و"الدرء": العوج[(3)].

قال أبو حامد الغزالي[(4)]:"إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم **وهذا معنى المداراة**، وهي مع من يخاف شره، قال الله تعالى: ادفع بالتي هي أحسن السيئة، قال ابن عباس في معنى قوله: ويدرءون بالحسنة السيئة أي: الفحش والأذى بالسلام **والمداراة**، وقال في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال: بالرغبة والرهبة والحياء **والمداراة**".

4. المَعَارِيْض:

أولاً (المَعَارِيْض) لغة:

المَعَارِيضُ : جمعُ مِعْرَاض من التَّعْرِيض وهو خِلافُ التَّصْرِيح من القَولِ . يقال : عَرَفْت ذلك في مِعْرَاض كلامه ومِعْرَض كلامِه[(5)]. يقال: عرّض لي فلانٌ تعريضاً: أي: قال فلم يُبَيِّن بصراحة اللفظ. ومعناه: أن تقول كلاماً لا تُصرّح فيه بمرادكَ منه، لكنّه قد يشير إليه إشارة خفيّةً، ويُمْكِنُك أن تتهرَّبَ من التزام ما أشرتَ به إليه إذا صِرْت مُحْرَجاً[(6)].

وفي الحديث عن عِمران بن حُصَين: **(إنَّ في المَعاريض لَمَنْدوحةً عن الكَذِب)**[(7)].

---

(1) للفراهيدي، العين (58/8).لابن منظور، ولسان العرب (342/4-343)،ولابن كثير ، البداية والنهاية (84/4)،(ص31).

(2) الهاشمي، السحر الحلال في الحكم والأمثال (ص106).

(3) تفسير الطبري (222/3).

(4) الطيوس، إحياء علوم الدين (123/3).

(5) لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (439/3).

(6) الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص582).

(7) [البخاري: صحيح البخاري، في الأدب المفرد (ص297)، من الشعر حكمة، حديث (رقم857) والطحاوي في مشكل

أي سَعَةً وفُسْحة، يعني أنَّ في التعريض بالقول من الاتَّساع ما يُغني الرجلَ عن تَعمُّد الكذب[1].

ثانياً: (المَعَارِيْض) اصطلاحاً:

التعريض:هو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني ولا مصاحبة ولا ملابَسَةٌ بين معنى الكلام وما يُراد الدلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يُفْهَم ذهناً بها من توجيه الكلام[2].

نقل ابن حجر عن قال ابن العربي قوله[3]:"الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك".

5. الحِيْلَة:

أولاً: (الحِيْلَة) لغة:

الحِيْلَة: بالكسر، الاسمُ من الاحتيال، وهي التي تحول المرء عما يكرهه إلى ما يحبه، وهي مشتقّة من التَّحول، يقال: فلان أَحْوَل من فلان من الحِيلة، لأن أصل الياءِ فيها واو من الحَول، ويراد بها أيضاً القوة، ويقال: هو أحْيَل منك: أي أكثر حِيلَةً، وما أَحْيَلَهُ يعني: ما أَحْوَلَهُ، ويقال: يُقَالُ مَا لَهُ حِيلَة وَلَا مَحَالَة ولا احْتِيَال ولا مَحَالٌ وَلَا حَوْلٌ وَلَا حَوِيل وَلَا حَيْل وَلَا أَحيل بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَتَقُولُ: مِنَ الحِيلَة تَرْكُ الحِيلَة، وَمِنَ الحَذَر تَرْكُ الحَذَر، والحيلة هي جودة النظر والفكر، والقدرة على دقة التصرف في الأمور[4].

ثانياً: (الحيلة) اصطلاحاً:

هي نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة[5].

الآثار (370/7 : حديث رقم2925)، وأبو الشيخ الأصبهاني في أمثال الحديث (ص271)،(حديث رقم230) والشهاب القضاعي في مسنده (119/2 : رقم حديث1011)، والبيهقي في الآداب (ص120:حديث رقم289)، وابن أبي شيبة في مصنفه (حديث رقم26620)، والبيهقي في السنن الكبرى (336/10: رقم حديث20842).

الحكم على إسناده : والحديث إسناده صحيح ، ورجاله رجال الصحيح ، لكنه موقوف.

[1] ا لابن الأثير، لنهاية في غريب الحديث والأثر (83/5).

[2] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص563).

[3] لابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (158/6).

[4] للجرجاني، لتعريفات (ص94)، وانظر: للسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (178/1). ولسان العرب(196/11)، وتاج العروس، للزبيدي (368/28)، وللفرابي، تاج اللغة وصحاح العربية (1681/4)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص1278).

[5] الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (304/3)، وانظر: لابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر

المطلب الثاني: أهمية الخداع، ومشروعيته من القرآن والسنة:

من أهم مبادئ الحرب ممارسة الخداع العسكري في المعركة، ويكون أحياناً أجدى من الأسلحة المادية، لأن الأسلحة المادية ظاهرة لا تخفى على الخصم في الغالب، فتكون داخلة في حساباته العسكرية، ويمكنه إعداد السلاح المضاد لها..، بينما الخديعة تكون خافية على العدو ولا تكاد تدخل في حساباته العسكرية، ومن ثم يكون تأثيرها أشد وأعظم سيما وأنها مدعّمة بعنصر المفاجأة الذي يُحدث إخلالاً بتوازن العدو المادي والمعنوي في المعركة.

والعمليات الخداعية عملية ضرورية من ضرورات الفن العسكري التكتيكي والاستراتيجي، وهي جزء من العلم العسكري[1].

يقول الدكتور محمد أبو فارس[2]: "إن الحروب قديماً وحديثاً تقوم على مخادعة كل عدو لعدوه، والإيقاع به، حتى يتفوق عليه ويهزمه، ويحقق هدفه الذي دفعه للحرب معه".

أولاً: مشروعية الخدعة من القرآن:

١. **قال تعالى:** ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. [الأنفال: 44].

وجه الدلالة: إنه في بداية المعركة وعند رؤية الالتقاء، أرى الله كلاً من الفريقين الآخر قليلاً؛ ليغري بعضهم ببعض، فلما بدأت المعركة بقي المؤمنون يرون المشركين قليلاً، فأقدموا على القتال غير خائفين، بينما صار المشركون يرون المسلمين كثيراً، فدبَّ الرعب في قلوبهم، وفشلوا[3]، وبذلك خدع الله الكفار الذين يخادعونه، فدل ذلك على مشروعية استعمال الخدعة مع العدو؛ لإلقاء الرعب في قلوبهم، وحملهم على الهروب أو الاستسلام.

2. **قَال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ﴾ [الأنفال: 15-16].

قال الشوكاني[4]: "التَّحَرُّفُ: الزَّوَالُ عَنْ جِهَةِ الِاسْتِوَاءِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: التَّحَرُّفُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ فِي الْمَعْرَكَةِ طَلَبًا لمكايد الحرب وخدعا لِلْعَدُوِّ، وَكَمَنَ يُوهِمُ أَنَّهُ مُنْهَزِمٌ لِيَتْبَعَهُ الْعَدُوُّ فَيَكِرَّ عَلَيْهِ وَيَتَمَكَّنَ مِنْهُ،

.(462/1)

[1] الإدارة العسكرية في حروب الرسول صلى الله عليه وسلم (ص83).

[2] المدرسة العسكرية النبوية (ص184).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (8/22-23).

[4] القرطبي، فتح القدير (336/2).

وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ مَكَائِدِ الْحَرْبِ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ".

3. قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ**﴾ **[يوسف:70]**

أي: أن يوسف عليه السلام قد قام بصرف حاجتهم من الزاد والطعام، كما سبق أن وعدهم، وكما سبق أن جَهَّزهم في المرَّة السابقة؛ وأراد أن يُبقِي أخاه معه في مصر؛ فاستخدم خدعة وحيلة لاستبقائه عنده، وأوعز إلى فتيانه أن يدسّوا الصواع في متاع أخيه بنيامين دون أن يشعر، وقد جَنَّد الله له إخوته الذين كانوا يُعَادونه، وكانوا يحقدون عليه وعلى أخيه، ومن هنا نجد دلالة على مشروعية الحيل في الجملة، ويدخل فيها حيل الحرب دخولاً أوَّلِيّاً[1].

4. **قال تعالى:** ﴿ قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾. **[**الأنبياء: 63].

نسب سيدنا إبراهيم عليه السلام تكسير الأصنام التي كسّرها إلى الصنم الأكبر، وطألب منهم أن يسألوا الأصنام، حتى إذا قالوا له: إنهم لا ينطقون يقيم الحجة عليهم، ويقول لهم كيف تعبدون من لا ينطقون ولا ينفعونكم ولا يضرون؟! فدل ذلك على مشروعية خداع الأعداء للوصول إلى مبتغانا منهم، ومنه الانتصار عليهم.

قال الزمخشري[2]:"هذا– أي قول إبراهيم لهم: بل فعله كبيرهم هذا– من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الخاصة من علماء المعاني، فدل ذلك على مشروعية خداع الأعداء للوصول إلى مبتغانا منهم، ومنه الانتصار عليهم".

5. قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ . [سورة الكهف: 79].

إن خرق العبد الصالح للسفينة كان فيه خدعة للملك الظالم؛ حتى يظن أنها غير صالحة، فيتركها لأصحابها؛ ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها ، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه[3]، وجواز الخدعة في الجملة، ومنها خدعة العدو في الحرب.

6. قال تعالى: ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ** ﴾. **[النمل: 63].**

كان الصرح صحناً من زجاج، تحته ماء، وفيه الأسماك والحيتان، عمله ليُريها مُلْكاً

---

[1] تفسير الشعراوي (7021/11)، وانظر: لطنطاوي، التفسير الوسيط (396/7).

[2] تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)(123/3).

[3] الجامع لأحكام القرآن (34/11.).

أعظم من مُلكِها[1]، فيكون بهذا قد احتال للوصول بها إلى التسليم بتفوقه التكنولوجي عليها، فتعدل عن خيار القتال، وتميل إلى الموادعة والدخول في الإسلام، وهذا ما قد كان؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾. [النمل:64].

وهذا دليل على إباحة المخادعة للأعداء لحملهم على الانهزام والتسليم.

ثانياً: مشروعية الخدعة من السنة النبوية:

استخدم الرسول القائدﷺ الخداع في معاركه مع أعداء الإسلام، بأساليب متعددة متنوعة، بل إنه جعل مدار الحرب كلها قائم على (الخُدعة)، ولنا أن نأخذ التأصيل الشرعي للأعمال العسكرية والأمنية وغيرها من أقواله، وتقديراته، وتخطيطه، وأفعالهﷺ، ومن ذلك تطبيّق الخداع العسكري في كافة حروبه التي خاضها ضد أعدائه.

يقول الدكتور محمد ضاهر وتر[2]: "لقد أدرك الرسول العربيﷺ أهمية الخدعة في الحروب، فخطط لها، ونفذها بأحسن ما يكون".

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما[3] واللفظ للبخاري بسنده عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما: قالَ النبيُّﷺ: (الحَرْبُ خَدْعَة[4]).

بيّن الحديث بوضوح مشروعية الخداع الحربي، وفيه أمر بضرورة العمل بالخداع الحربي في مواجهة الأعداء.

قال ابن حجر[5]: "فِي الْحَدِيث الْإِشَارَة إِلَى اِسْتِعْمَال الرَّأْي فِي الْحَرْب، بَلْ الِاحْتِيَاج إِلَيْهِ آكَد مِنْ الشَّجَاعَة، وَكَذَا وَقَعَ الِاقْتِصَار عَلَى مَا يُشِير إِلَيْهِ بِهَذَا الْحَدِيث".

وقال النووي[6]: "وَاتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ خِدَاعِ الْكُفَّارِ فِي الْحَرْبِ كَيْفَمَا أَمْكَنَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ نَقْضُ عَهْدٍ أَوْ

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (208/13).

[2] لضاهر وتر، الإدارة العسكرية في حروب الرسول محمدﷺ (ص38).

[3] [البخاري: صحيح البخاري، الجهادوالسير/الحرب خدعة، 64/4: رقم حديث3030]، و[مسلم: الجهاد والسير/جواز الخداع في الحرب، 136/3: رقم حديث 1361].

[4] خدعة: فِيهَا ثَلَاث لُغَات مَشْهُورَات، قال الإمام النووي: "اِتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ أَفْصَحَهُنَّ خَدْعَة بِفَتْحِ الْخَاء وَإِسْكَان الدَّال. قَالَ ثَعْلَب وَغَيْره: وَهِيَ لُغَة النَّبِيّﷺ، وَالثَّانِيَة بِضَمِّ الْخَاء وَإِسْكَان الدَّال، وَالثَّالِثَة بِضَمِّ الْخَاء وَفَتْح الدَّال وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى جَوَاز خِدَاع الْكُفَّار فِي **الْحَرْب** كَيْف أَمْكَنَ الْخِدَاع إِلَّا أَنْ يَكُون فِيهِ نَقْض عَهْد أَوْ أَمَان فَلَا يَحِلّ. وَقَدْ صَحَّ فِي الْحَدِيث جَوَاز الْكَذِب فِي ثَلَاثَة أَشْيَاء أَحَدهَا فِي الْحَرْب اِنْتَهَى". انظر:للنووي،المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،(45/12)، وانظر العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (/63).

[5] لابن حجر ، فتح الباري ، شرح صحيح البخاري (158/6).

[6] شرح النووي على صحيح مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووي (45/12).

أَمَانٍ فَلَا يجوز، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء: أحدها في الحرب".

وقوله (**الحَرْبُ خَدْعَة**) هو من باب تعريف الكل بالجزء لأهميته، وَهُوَ كَقَوْلِهِﷺ (**الْحَجّ عَرَفَة**)[1]؛ إذ ليس الوقوف بعرفة هو كل الحج، وإنما هو من شعائره، ولكن لأهميته عرف به الحج كله، وكذلك فإن الخداع ليس هو كل ما في الحرب، بل هو جزء منها، ولكن لأهميته عرف به الكل، إذ يمكن أن تنتهي المعركة مع العدو إذا أوقعته في خديعة مُحكمة، فتكسب المعركة وتنتصر على عدوك بخديعة واحدة الحرب كلها.

وتكمُن أهمية نجاح العمليات الخداعية، في كونها تحقق المباغتة للعدو فيكون تأثيرها خطيراً عليه، وفي المقابل لا يتكلّف صاحب المواجهة كثيراً مع خصمه فينتصر على عدوه بأقل التكاليف.

قال بن المنير[2]: "معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها، إنما هي المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر".

ومن هنا نُدرك أن الخداع هو من أهم أركان الحرب، ومن أهم أسباب الفوز والنصر في المعركة.

<u>المطلب الثالث: صور وأساليب العمليات الخداعية:</u>

استخدم الرسولﷺ أساليب متعددة، ومتنوعة، في خداع العدو، فلم يقف عند لون بعينه، وإنما ترك المجال للفكر الأمني والعسكري، للتخطيط في كل ما هو ممكن؛ للوصول إلى قلب العدو بأقل الخسائر، وكانﷺ يحقق ما يريد أخذاً بالمبدأ: الحرب خدعة[3].

أما الصور والأساليب التي استخدمها الرسول في العمليات الخداعية، ما يلي:

أولاً: الخداع بالمباغتة الحربية:

استخدم الرسولﷺ أسلوب مباغتة الأعداء أكثر من مرة، فقد باغت بني المصطلق، وهم يعملون في حقولهم، ولم يتمكّنوا من مقاومته، حيث فوجئوا به وهو يَغِير عليهم.

---

[1] [سنن الترمذي: الحج/ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج237/3: رقم حديث 889]، وانظر[سنن ابو داوود:المناسب/من لم يدرك عرفة141/2: رقم حديث1951]، وانظر[سنن النسائي : الحج/فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام مزدلفة 264/5: رقم حديث3044]، وانظر [سنن ابن ماجه : المناسك/من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع،100/2 : رقم حديث3015]، وانظر [سنن الدارمي:المناسك/بما يتم الحج ، 82/2 : رقم حديث 1887]. كلهم من طريق عبد الرحمن بن يعمر. واسناد الحديث صحيح.

[2] لابن حجر،فتح الباري (158/6).

[3] أبو فارس، المدرسة العسكرية النبوية (ص 184).

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده **عن نافع (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي المُصْطَلِقِ**[2] **وَهُمْ غَارُّونَ**[3]**، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى المَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ، حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الجَيْشِ).**

كما باغت النبيﷺ يهود خيبر يوم أن نقضوا العهد بمحاولتهم قتل النبيﷺ.

أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ ﷺ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ**[5]**، قَالَ: فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ})**. [الصافات: 177]

تُبين الأحاديث النبوية الشريفة منهجية الرسولﷺ في خداع العدو بأسلوب المباغتة والإغارة، ويعتبر هذا الأسلوب من أقوى وأنجح الأساليب التي تعمل على تعطيل ردة فعل العدو من خلال مباغتته.

ثانياً: الخداع بتخذيل الأعداء:

كان النبيﷺ يعمل على تزويد الأحزاب بمعلومات غير صحيحة عن المسلمين لتضليلهم وخداعهم، وذلك حتى يؤثر على خطتهم وقراراتهم؛ فحينما نقضت بنو قريظة العهد مع النبيﷺ، وانضمت إلى الأحزاب، لاستئصال شأفة المسلمين في المدينة والقضاء على الدولة الإسلامية، قام النبيﷺ بتوجيه الصحابي الجليل نُعيم بن مسعود[6] بخداع يهود بني قريظة، وقبيلة غطفان،

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري ، العتق/مَنْ مَلَكَ مِنَ العَرَبِ رَقِيقًا ، فَوَهَبَ وَبَاعَ وَجَامَعَ .. ، 3/ 47 : رقم حديث 2541].

(2) بَنِي المُصْطَلِقِ : قوم من خُزاعة. انظر : تاج العروس (89/21).

(3) غَارُّونَ: غافلون أي أخذهم على غرة وبغتة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (355/3).

(4) [البخاري: صحيح البخاري ، الأذان/ما يحقن بالأذان من الدماء ، 125/1 : رقم حديث 610].

(5) الخمِيس: بِفَتْح الْخَاء ، أي الجيش : وَسمي الْجَيْش خميساً لِأَنَّهُ خَمْسَة أَقسَام : مُقَدّمَة وساقة وقلب وجناحان ، وَيُقَال: ميمنة وميسرة وقلب وجناحان ، وَقَالَ ابْن سَيّده: لِأَنَّهُ يُخَمّس مَا وجده. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (85/4).

6 **نُعيم بْن مَسْعُود** بْن عَامر بْن أنيف بْن ثَعْلَبَة بْن قنفذ بْن حلاوة الْأَشْجَعِيّ، لَهُ صُحْبَة كَانَ فِي حجر عمر بْن الْخطاب، يقال انه أسلم فِي وقعة الخندق وَهُوَ الَّذِي خذّل الكفار يَوْم الخَنْدَق وأوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش ، وخذل بعضهم عن بعض. مَاتَ فِي خلَافَة عُثْمَان بْن عَفَّان ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (1508/4)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم(2667/5)، وأسد الغابة لابن الأثير(328/5).

وقبيلة قريش، كل فريق بالآخر، وذلك لزعزعة الثقة بينهم وإدخال الريبة والشك بينهم، حتى يعجزوا عن تنفيذ الهدف الذي كانوا يسعون إليه، وتفشل مؤامرتهم.

ونعيم بن مسعودﷺ لا يُتوقع إسلامه، قام بمهمة تخذيل الأحزاب، فكانت مهمته قاصمة الظهر بالنسبة لجيوش الأحزاب.

أخرج الإمام الطبري[1] بسنده من طريق إبراهيم بن صابر الأشجعي عن أبيه عن أمه ابنة نعيم بن مسعود الأشجعي **عن أبيها قال: (قال لي رسول اللهﷺ يوم الخندق خذل عنا فإن الحرب خدعة).**

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ[2]: "إنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُنَيْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُنْفُدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:إنَّمَا أَنْتُ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا[3] إنْ اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ".

وقد استطاع نُعيم بن مسعودﷺ أن يزود قريشاً وغطفان بمعلومات موهومة عن بني قريظة، ويزود بني قريظة بمعلومات موهومة عن قريش وغطفان، ترتب على هذه المعلومات المضللة مواقف أدت إلى تمزيق جبهة الأحزاب، وغرس بذور الشقاق والاختلاف بينهم، و تفريقهم وهزيمتهم[4].

يقول الدكتور إبراهيم علي[5]:"لقد قام نُعيم بن مسعود بهذه المهمة خير قيام ونجح فيها

---

[1] أخرجه الإمام أبي جعفر الطبري، في تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار(130/3: رقم حديث 214)، وأبي نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، حديث رقم (5797)، وانظر[السيوطي: الجامع الكبر/حرف الخاء: رقم حديث 12667].

وقد ضعفه الألباني فقال: هذا إسناد ضعيف جداً؛ عبد العزيز بن عمران هو المعروف بابن أبي ثابت الزهري المدني ، وهو متروك، ومن فوقه لم أعرفهم ، وبنت نعيم اسمها زينب، ونعيم صحابي مشهور قالوا: وهو الذي أوقع الخلاف بين الحيين (قريظة وغطفان) في وقعة الخندق، فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن المدينة، والقصة رواها ابن إسحاق بغير إسناد؛ وفيها أن النبيﷺ قال له: "فخذل عنا إن استطعت؛ فإن الحرب خدعة". انظر "تاريخ ابن كثير"(111/4)، ورواها الطبري(114/1ـ236)، عن الزهري مرسلاً؛ دون حديث الترجمة. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (253/8).

قال الباحث: ومع أنه متفق على ضعفه؛ إلا أن معناه صحيح، ويُعمل به واقعاً في الحروب وغيرها.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية (229/2).

[3] خذّل عنّا: أَدخل بَين الْقَوْم حَتَّى يخذل بَعضهم بَعْضًا.

[4] المدرسة العسكرية النبوية (ص185).

[5] محمد علي، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة (ص138).

أيما نجاح، فكانت قاصمة الظهر بالنسبة لجيش الأحزاب، فدبت الفرقة بين صفوفهم، وفقدت الثقة بينهم وبين اليهود، وذلك وفق الخطة المحكمة التي وضعها ونفذها نعيم بن مسعود بدرجة عالية من الدقة والإتقان".

لقد خاض ابن مسعود حرباً نفسية مدمّرة استطاع فيها بحنكة عالية تعجز عنها أرقى أجهزة المخابرات المعاصرة، أن يفرّق صفوف الأحزاب ويزعزع الثقة في نفوسهم، مما جعلهم يُحجمون عن الدخول في المعركة وحسم الحصار بالمواجهة.

وقد كان لهذه الخدعة التي بثها نُعيم بن مسعود الأثر الكبير في بث الإشاعات وتفريق كلمة الأحزاب، فتفرّقت كلمتهم، لأنه لا يتحقق نجاحهم إلا بجمع الكلمة، فلما تفرقت كلمتهم، كان نصيبهم الإخفاق. وبقدر ما كانت الإشاعة تعمل عملها في صفوف الأحزاب، فإن الإشاعة لم يكن لها أي أثر في صفوف المسلمين.

ثالثاً: الخداع بالكذب والاحتيال على العدو:

وهذا الأسلوب من أكثر الأساليب خطورة ودقة، لأنه يحتاج إلى أشخاص ذوي كفاءة خاصة من حيث الذكاء والفطنة، والتأثير على مشاعر العدو والسيطرة على عواطفه، وبناء الثقة مع العدو ليسهل استدراجه والتغرير به، وتمرير المعلومات المطلوبة عليه، والتمكّن منه بسهولة ويسر.

وقد تم هذا النوع من العمليات الخداعية عند تكليف الرسولﷺ للصحابي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه بتنفيذ مهمة قتل كعب بن الأشرف زعيم اليهود، حيث استطاع الصحابي محمد بن مسلمة رضي الله عنه إقناع زعيم اليهود كعب بن الأشرف بأنه شخصية محببة له، ليتقرب إليه، وقد تمكّن من التأثير على كعب بن الأشرف والسيطرة عليه واستدراجه وقتله.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: **مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟** فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ **فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ[2] فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا[3] قَالَ "قُلْ"** فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/قتل كعب بن الأشرف ، 90/5 : رقم حديث 4037].

[2] **محمد بن مسلمة:** هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري الحارثي أبو عبد الرحمن المدني حليف بني عبد الأشهل، ولد قبل البعثة بإثنتي وعشرين سنة ... قال ابن عبد البر: كان من فضلاء الصحابة واستخلفه النبي على المدينة في بعض غزواته، وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، قال حذيفة في حقه إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة . كان طويلاً معتدلاً أصلع، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وله سبع وسبعون سنة . انظر: الإصابة في تمييز الصحابة(33/6- 34).

[3] قال ابن حجر: فإنه يدل فيه الإذن في الكذب تصريحاً تلويحاً ... وقال ابن العربي الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقاً بالمسلمين لحاجتهم إليه، وليس للعقل فيه مجال، ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حلالاً. انظر:

الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ **عَنَّانَا**[1] وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ وَأَيْضًا **وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ**[2] قَالَ إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ **تُسْلِفَنَا وَسْقًا**[3] أَوْ وَسْقَيْنِ و حَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ نَعَمِ ارْهَنُونِي قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ قَالَ ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السِّلَاحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا **وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ**[4] وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ قَالَ وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسُفْيَانَ سَمَّاهُمْ عَمْرٌو قَالَ سَمَّى بَعْضَهُمْ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ عَمْرٌو فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ قَالَ نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي قَالَ نَعَمْ **فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ**[5] مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ).

قال ابن حجر[6]: "قوله فائذن لي أن أقول شيئا، قال: قل. كأنه استأذنه أن يفتعل شيئا يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف الكذب في الحرب"

يقول الدكتور صلاح الخالدي[7] **مُعلقاً على نجاح هذه العملية:**"وهنا نجد الذكاء الإسلامي يغلب الخبث اليهودي؛ فاليهود الذين يتعالون على الآخرين، ويزعمون أنهم أكثر ذكاءً وفطنةً وموهبةً منهم، وهم

فتح الباري(159/6).

[1] عَنَّانَا: من العناء وهو التعب. انظر: فتح الباري (338/7).

[2] لَتَمَلُّنَّهُ: من الملال. انظر: فتح الباري (338/7).

(3) تُسْلِفَنَا وَسْقًا: " أي أحب أن تسلفنا طعاماً" انظر: فتح الباري (338/7).

[4] أبو نائلة: هو سِلْكَانُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ أَبُو نَائِلَةَ الْأَشْهَلِيُّ، مشهور بكنيته وسلكان لقب، واسمه سعد، كَانَ أَخَا كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا، وهو أحد النفر الذين قتلوا كعب بن الأشرف، وكان أخاه من الرضاعة ، وذكروا أنه كان نديمه في الجاهلية، فكان يركن إليه، شهد بدراً.. انظر: معرفة الصحابة ، لأبي نعيم (1441/3)، نزهة الألباب في الألقاب ، لابن حجر(ص371)، وسير أعلام النبلاء ، للذهبي (394/1).

[5] اسْتَمْكَنَ: من الشيء: تمكن. انظر: المعجم الوسيط (881/2).

[6] فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر (338/7).

[7] الخالدي ، صور من جهاد الصحابة (ص51).

صادقون في هذا عندما يتعاملون مع غير المؤمنين الربانيين؛إنه لا يتفوّق على المكر والتآمر اليهودي الشيطاني إلا المؤمن الربَّاني، الذي يهبه الله البصيرة والفطنة والوعي والذكاء! وهذا ما حصل مع المجموعة المجاهدة التي نجحت في الإيقاع بزعيم اليهود، رغم ذكائه وفطنته".

أخرج البخاري في صحيحه[1] **بسنده عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: (... ثم فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ[2]، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ حِينَ رَآهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّﷺ: وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ).**

قلت: استطاع الصحابي الجليل أبو بصيرﷺ بفطنته ودهائه، أن يفر بدينه من موت محقق أو عذاب أليم، حيث تمكّن من الفرار وصار يعترض رجال قريش وقوافلها، حتى أصبح شبحاً يُطارد قريشاً على الصعيد الاقتصادي والأمني، وقد نجح من خلال هذه الحيلة أن يكسر شروط اتفاق الحديبية، بل جعل قريشاً تستجدي وتناشد النبيﷺ أن يقبله مؤمناً.

رابعاً: الخداع بالتورية على العدو:

كان الرسولﷺ يستخدم التورية في مخادعة الأعداء، ومن ذلك تشكيك العدو في جهة الغزو ليقاتله على حين غرة؛ إذا أراد غزو جهة أخفاها، وورّى بوجه غير تلك التي يريد، وأظهر غزو جهة أخرى، تعميةً على العيون المبثوثة بين الناس، وليباغت العدو وصولاً إلى حيث يُريد، وقد استخدم الرسولﷺ

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة ، 972/2 : رقم حديث 2581].

(2) حَتَّى بَرَدَ: أَيْ خَمَدَتْ حَوَاسُّهُ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمَوْتِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ تَسْكُنُ حَرَكَتُهُ وَأَصْلُ الْبرد السّكُون قَالَه الْخطابِيّ. انظر: لابن حجر، فتح الباري(349/5)، والبداية والنهاية في غريب الأثر(115/1).

أسلوب التمويه والتضليل في كل مراحل الدعوة: السرية والجهرية؛ في السلم والحرب؛ ليحافظ على نفسه وأصحابه من بطش القوة الغاشمة التي كانت تحيط به وترصد تحركاته[1].

واستخدام التورية متنوع؛ فمنه التورية بالكلام، ومنه التورية بالحركة؛ ومثال ذلك ما يلي:

أ. التَّوْرِية فِي الكَلَام:

التَّورِيَة والمَعَارِيْض في الكلام عند الحاجة إليها، أمر مباح ومشروع، خاصة في الجانب الأمني الذي يحتاج إلى تضليل العدو.

يقول الدكتور محمد أبو فارس[2]:"والتورية في الكلام أن يتكلم المتكلم بكلام يفهم السامع منه معنى ويقصد المتحدث معنى آخر، والمعنيان يحتملهما الكلام، إلا أن المعنى الذي فهمه السامع هو المعنى المتبادر للذهن من سماع الكلام، والمعنى الذي أراده المتكلم هو المعنى البعيد الذي لا يتبادر إلى ذهن السامع عادة".

أثناء هجرة النبيﷺ وأبي بكر الصديق؄، استوقفهما رجل يسأل أبا بكر من هذا؟ يقصد النبيﷺ، فيرد الصديق؄ بذكاء وفطنة سريعة مُستخدماً التورية في الحديث: (هادٍ يهديني الطريق).

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده **عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِﷺ شَابٌّ لاَ يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ).**

ب. التورية في الحركة:

وهي نوع من أنواع الخداع الحربي ويحتاج إلى قدرة عالية من الذكاء والمهارة، وعادة ما يكون أساساً في التخطيط للأعمال الهجومية، وله مصطلح خاص به يسمى (الهجوم الثانوي)؛ ويهدف إلى صرف أنظار العدو عن الهدف الحقيقي، أو (الهجوم الرئيسي).

---

[1] أبو شعر، أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة (ص468)، وانظر: رضوان، الأمن في السنة النبوية (ص11).

[2] المدرسة العسكرية النبوية، (ص189).

[3] [البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة/هجرة النبيﷺ أصحابه إلى المدينة ، 1423/3: رقم حديث 3699].

وهذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي اعتمدها النبيﷺ في صراعه مع أهل الباطل.

يقول الدكتور محمد أبو فارس(1):"ومن صور ذلك أنه يرسل السرية لمكان، ويريد أن يغزو مكاناً بجيشه، ويعمل على إشاعة خبر السرية دون الجيش، والجهة التي توجهت إليها دون السرية، رغبة في إخفاء الحركة".

أخرج البخاري في صحيحه(2) بسنده **عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ**، **يَقُولُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا(3)، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا(4)، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا(5) أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ)**.

ومعنى الحديث "أن النبيﷺ كان يستخدم التورية في أكثر غزواته وأغلبها وكان يُخفي نواياه عند التحرك لملاقاة الأعداء، فإذا أراد غزو جهة أخفاها، وأظهر أنه يريد غزو جهة أخرى، ليباغت العدو، إلّا في غزوة تبوك، فإنه قد أعلنها للناس وبين لهم الجهة التي يريدها، لأن النبيﷺ قد خرج إليها في حرّ شديد، وواجه فيها سفراً طويلاً، واستقبل عدواً كثير العدد والعدة ولا يُستهان به، وكما قال الراوي "فغزاها رسول اللهﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً ومفازاً". فتطلب الإعلان عن هدفه حتى يستعد الناس لهذه الغزوة، وليحملوا ما يستطيعون حمله(6).

قال ابن حجر(7):"قَوْلُهُ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا أَيْ أَوْهَمَ غَيْرَهَا وَالتَّوْرِيَةُ أَنْ يَذْكُرَ لَفْظًا يُحْتَمَلُ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَقْرَبُ مِنَ الْآخَرِ فَيُوهِمُ إِرَادَةَ الْقَرِيبِ وَهُوَ يُرِيدُ الْبَعِيدَ".

وكذلك استخدم الرسولﷺ التورية بالحركة عن مراده الحقيقي عندما أراد أن يخرج لفتح مكة، فأرسل سرية بقيادة أبو قتادة بْن ربعي(8) إلى بطن إضم(1) ليخدع العدو بها، وهي تقع في إتجاه يغاير

---

(1) المدرسة العسكرية النبوية (ص190).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ من أراد غزوة فورى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس، 48/4: رقم حديث 2948].

(3) وَرَّى بِغَيْرِهَا: أي سترها وكنى عنها. انظر: للقسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري(117/5).

(4) مَفَازًا: الموضع المهلك سمي بذلك تفاؤلاً بالفوز والسلامة.

(5) ليتأهبوا: ليستعدوا.

(6) [البخاري: منار القاري شرح مختصر (109/4)].

(7) لابن حجر، فتح الباري (117/8).

(8) أبو قتادة: الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ ابْنُ بَلْدَمَةَ بْنِ خُنَاسِ بْنِ سِنَانِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ غَنْمِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ، مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ رَسُولِ اللهِﷺ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ – وَكَانَ يَخْضِبُ بِالصُّفْرَةِ – سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ، وَلَهُ سَبْعُونَ سَنَةً.

طريق مكة؛ وليحافظ على سرية التحرك الحقيقي تجاه مكة.

قال ابن سعد في الطبقات[2]:"وزيادة في المحافظة على الأسرار وخداع العدو فقد بعث رسول اللهﷺ أَبَا قتادة بْن ربعي فِي ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم؛ ليظن ظان أن رسول اللهﷺ توجه إلى تلك الناحية وحتى تذهب الأخبار بنقل هذا التحرك المقصود به تضليلهم".

خامساً: الخداع باستعراض القوات واستمرار الإمدادات:

من المعلوم أن استمرار الحشد والإمداد بالقوات أثناء سير المعركة، يكون لها تأثيرها الإيجابي والمعنوي الكبير على القوات، ولها تأثيرها السلبي والنفسي على معنويات الأعداء؛ لذا لجأ العديد من قادة الإسلام في معاركهم باستخدام حشد المعركة بالقوات واقعاً عملياً، أو من باب المخادعة وإحباط الأعداء والتأثير عليهم، وهناك من القادة من استثمر وصول إمدادات جديدة من القوات، فاستعرضها لأعدائه بطريقة خداعية، ومن ذلك ما قام به القائد سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية[3].

معرفة الصحابة لأبي نعيم (749/2)، الإصابة في تمييز الصحابة (272/7).

[1] إِضَمٌ: بالكسر ثم الفتح، وميم، ذو إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السّمينة، وقيل: ذو إضم جوف هناك به ماء وأماكن يقال لها الحناظل، وله ذكر في سرايا النبيﷺ، وقال السيّد عليّ: إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة. معجم البلدان(214/1)، وهي فيما بين ذي خشب وذي المروة ، وبينها وبين المدينة ثلاثة برد ، وهي تقع في إتجاه يغاير طريق مكة.

[2] للبغدادي، الطبقات الكبرى (101/2).

[3] **الخداع باستعراض القوات في معركة القادسية** : أدرك سعد بن أبي وقاصؓ ، بعد يومين من القتال السجال بين جيش المسلمين وجيش الفرس دون إحراز أي نصر، أنه لا سبيل إلى الإنتصار على العدو دون اللجوء إلى التظاهر والخدعة. وكان حينها قد بدأ وصول طلائع جيش النجدة الذي ارسله أبو عبيدة بن الجراح من الشام تظهر في أفق القادسية ، وكان عددها ستة آلاف مقاتل وعلى رأسها القعقاع بن عمرو، حيث أمر سعدؓ جيش النجدة بالتظاهر بأنه جيش كبير؛ وذلك من خلال تجزئته إلى ست كتائب (كل كتيبة ألف مقاتل)، وكل كتيبة إلى عشر سرايا (كل سرية مائة مقاتل) وكل سرية إلى مجموعات أعشار (عشرة مقاتلين)، وأخذ القعقاع يطلقها إلى ساحة المعركة عشرة إثر عشرة، وبين العشرة والأخرى مدى البصر، كي يوهم العدو أن المدد متواصل طوال النهار بأعداد كبيرة بما كانت تثيره من غبار، وقد تغيرت عزائم الفرس وبدأت تنهار بما كانوا يشاهدون ويحسبون أن جيوش المسلمين تتوافد إلى ساحة القتال حتى حلول الظلام؛ ولما رأى سعد أن خطة التظاهر قد أفلحت وبدأت تعطي ثمارها، أمر قائد جيش النجدة بأن يطلق كتائبه مرة أخرى عند طلوع فجر اليوم الثالث إلى ساحة القتال سرية بعد سرية "كلما توارى عنهم مائة فليتبعها مائة"، وهذا إمعان في التظاهر والخداع بمتابعة وصول المدد بأعداد أكبر وبصورة متواصلة. وقد كان لهذا العمل الخداعي التأثير الكبير على معنويات الفرس، حيث زرع الخوف والرعب في قلوبهم، وكانوا يسمعو نداء الله أكبر يتعالى كلما ترى أعينهم وصول مدد آخر من خلال الغبار الذي يتصاعد في الأفق البعيد!! فتنهار عزائمهم وتتقهقر صفوفهم، وهكذا استمرت عمليات التظاهر والخداع يومي الثاني والثالث من المعركة حتى تم الانتصار عليهم في اليوم الرابع. انظر: الكامل في التاريخ، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي الناشر: دار الكتب العلمية –

قال الباحث: هناك كثير من صور مخادعة الأعداء والتي استخدمت وما زالت تستخدم حديثاً، كتدبير أهداف وهمية للعدو لاستنزاف ضرباته، أو التظاهر بالضعف في مواطن القوة لمباغتته، أو التظاهر بالتسليم، أو ارتداء أزياء العدو وحمل شاراته وسلاحه، أو الخداع الإعلامي والحرب النفسية ...إلخ؛ ورغم التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في ظل الحرب الحديثة، من الأقمار الاصطناعية، والرادارات، والطائرات الاستطلاعية، وأجهزة التنصت، وأجهزة الرصد والمراقبة ووسائل التجسس المختلفة والمتنوعة؛ إلا أن العنصر البشري يُعتبر أقوى من كل هذه التقنيات، ولا يُمكن الاستغناء عنه بأي بديل آخر، ويُعتبر من اقوى الوسائل التي قد تساعد في خداع الأعداء خاصة (العملاء المزدوجين) الذين يُغذوا الأعداء بمعلومات قد تكون سبباً في استدراجهم العدو ، وإيقاع خسائر فادحة أو هزيمة كبيرة في صفوفه.

بيروت، الطبعة الثانية: 1415هـ، ج2، ص326، وانظر: الإعجاز العسكري في القرآن، العميد الركن حسين فاروق آغا، ص 45-46. وانظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لسليمان الحميري، ج4، ص207.

المبحث الرابع: عمليات الاغتيال وتصفية الأعداء

لكل دولة أعداء، وهؤلاء إما أن يكونوا على شكل جماعات منفصلة لها معسكرها الخاص بها، أو أن يكونوا مندسين ضمن جماعات مسالمة أو معاهدة، وربما يخضعون لسيادة الدولة نفسها.

والأعداء الظاهرون يتم التعامل معهم صراحة وبشكل مباشر ومعلن، أما الأشخاص المندسون في الجماعات فيستغلون هذا الموضع لتنفيذ مخططاتهم العدائية من تحريض وبثٍّ لأسباب الفرقة والشقاق، مع مؤازرة الأعداء أو موالاتهم؛ وهذا العدو خطره أكبر بكثير من العدو الظاهر المعلِن للعداء، ويكون التعامل معه بنوع من الحيطة والحذر، والترقب مع تحيُّن الفرص المناسبة للقضاء عليه.

وأحسن وسيلة تحقق هذا الغرض هي استعمال الحيلة بشتى أساليبها لاستدراجه بعيدا عن قاعدته الأمنية، أو مباغتته فيها والقضاء عليه دون إثارة انتباه الآخرين.

بالرغم من كون الاغتيال عمل مادي بحت.. إلا أن أهم أركانه معنوية، وهذا ما تقوم به الدول المتقدمة، وتعتبره أسلوبا من أساليب الحرب المطورة، ورسول اللهﷺ له السبق في استحداث هذا الأسلوب المتطور، فقد أحسن التعامل مع النوعيات المختلفة من الأعداء، حيث استطاع عليه الصلاة والسلام بحنكته العسكرية الفذة أن يواجه أعداءه، ويتغلب عليهم بشتى الطرق الممكنة كلٌّ بحسب وضعه.

فمن رأى أنه يستطيع القضاء عليه بأيسر الطرق دونما إراقة دماء كثيرة أرسل إليه (فرقة خاصة) للقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره ويقوى كيده.

وهكذا نراه دائم الحذر يحرص دائما على مراقبة أعدائه، وتتبع أخبارهم ونشاطاتهم المعادية أولا بأول، مما يعطينا دلالة واضحة على أنه كان يستخدم الأسلوب المسمى اليوم (بالمخابرات) مع البون الشاسع في الأساليب والإمكانيات.

إن فرق المغاوير والوحدات الخاصة ونظم المخابرات تحتل اليوم حيزًا كبيرا ومهمًّا في جيوش الدول الحديثة، بل إنها تعتمد عليها في كل الأوقات سلمًا وحربًا لتنفيذ أغراضها ومخططاتها.

ورسول اللهﷺ لم يلجأ لأسلوب تحشيد سرايا يوكل إليها القيام بالمهمات الصعبة، إلا بعد ظهور طائفة من الأعداء عرف بثاقب بصره العسكري المحنك، أنه يمكن القضاء عليهم بطرق ميسرة وتحول دونما إراقة دماء كثيرة، وهو الهدف الذي كان طالما كان يسعى إليه في صراعه مع أعدائه، كما أنها قد تحقق له من النتائج أفضل ما قد تحققه بعض المعارك الميدانية المكشوفة من إثارة الرعب في نفوس الأعداء، وردع كل من حاول منهم القيام بمثل ما قام به أولئك، مع إخماد ما قاموا به من التحريض وإثارة الفتنة في مهدها، والقصاص العادل من الخونة ومثيري الأحزاب[1].

---

[1] العمري، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة (ص125).

المطلب الأول: تعريف الاغتيال في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الاغْتِيَال في اللُّغَة:

الاغْتِيَال (لغة): اشتقاق من الجذر الثلاثي (غَول) الذي يفيد الهلاك، وصياغته على زنة افتعال تفيد الطلب، أي بما ينطوي على العمد والقصد. فالاغتيال هو إرادة الغول – الهلاك – أي بما ينطوي على العمد والقصد. غاله الشيءُ غَوْلاً واغْتاله أَهلكه وأَخذه من حيث لم يَدْر والغُول المنيّة ، واغْتاله قَتَله غِيلة، ويقال في جمع الغول: أغوال، وغيلان، ويقال: قد غالت فلانا غول، ويقال: قد غاله أمر يغوله غولاً مفتوح الأول، وقد اغتاله اغتيالاً.

واذا اعتبرنا اشتقاقه من (غِيْلَ) فهو مفسر في قول الفيروز آبادي وابن منظور وغيرهم: قتله غيلة، خدعة فذهب به إلى موضع فقتله، وأصل (غيل) هو الحرج ذو الأشجار الملتفة الكثيفة. وبذلك قد يصح لنا الاستنتاج أن قولهم اغتاله مأخوذة من قتله في الغيل، أي غفلة في موضع خفي.

ويُرادف الاغتيال كلمة أخرى هي (الفَتْك)، وقد ميز اللغويون الاغتيال عن الفتك؛ فالاغتيال إذا قتله من حيث لا يعلم، والفتك إذا قتله من حيث يراه وهو غارٌ (غَافِلٌ) غير مستعد. يُقال: قتلَهُ غِيلَةً: إذا قتلَه من حيثُ لا يَعلَم ، وفتَكَ به: إذا قتلَه من حيثُ يَراهُ، وهو غارٌّ غافِلٌ غيرُ مُستَعِدٍّ [1].

ثانياً: الاغْتِيَال في الاصطلاح:

الاغْتِيَال (اصطلاحاً):عملية قتل منظمة ومتعمّدة تستهدف شخصية مُهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي، ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة أسباب عقائدته أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصاً مُعيناً يعتبره منظموا عملية الاغتيال عائقاً لهم في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم[2].

---

[1] لابن منظور، لسان العرب(507/11)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي(ص1344)، وتاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي(138/30)، والمذكروالمؤنث ، للأنباري(ص557).

[2] الموقع الالكتروني ويكيبيديا.

المطلب الثاني: نماذج عمليات الاغتيال في السنة النبوية:

وفي سيرة المصطفىﷺ العديد من النماذج التطبيقية لعمليات الاغتيال ضد أعداء الإسلام والتي منها ما يلي:

أولاً: عملية اغتيال زعيم بني النضير كعب بن الأشرف[1]:

كعب بن الأشرف أحد قادة بني النضير وزعمائها، وقد كان هذا الرجل كان يصرح بسب الله عز وجل وبسب رسوله الكريم، وكان شاعراً ينشد الأشعار في هجاء الصحابة﷡ وأرضاهم، وكان يخذل ويحرض القبائل على رسول اللهﷺ وأصحابه، ثم ذهب إلى مكة المكرمة، وحرض قريشاً على المسلمين والانتقام لقتلاها في بدر، ولم يكتف كعب بذلك، بل زاد على ذلك أموراً تخرج عن فطرة العرب وأدبهم بصفة عامة، سواء كانوا في الإسلام أو في الجاهلية، بدأ يتحدث بالفاحشة في أشعاره عن نساء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

وبعد ارتكاب كعب بن الأشرف لهذه الجرائم الكبيرة، من سب الله عز وجل، وسب رسوله الكريمﷺ، وهجي الصحابة، وهجي الصحابيات بأفحش الكلام، وتحريض قريشاً على الانتقام لقتلاها في بدر، والمخالفة الصريحة للمعاهدة بينهم وبين الرسولﷺ؛ لأنه كان في المعاهدة: ألا تجار قريش ولا تنصر على المسلمين، فكل هذه الأشياء جعلت الرسولﷺ يأخذ قراراً في منتهى الحسم بقتل كعب بن الأشرف[2].

فتولى قتله محمد بن مسلمة الأنصاري مع جماعة من الأنصار، وقد خرجت هذه السرية إلى كعب بن الأشرف، واستطاعوا أن يستخرجوا كعب بن الأشرف بحيلة من داخل حصنه، وقاموا بقتله كما أمر الرسولﷺ، وبذلك تخلصت الدولة الإسلامية من أحد ألد أعدائها كعب بن الأشرف.

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده **عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُﷺ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا، فَأَتَاهُ، ..، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّﷺ فَأَخْبَرُوهُ).**

وقد جاء الأمر من الرسول القائدﷺ بقتل عدو الله كعب بن الأشرف، بعد أن أصبح يُشكّل خطراً كبيراً على أمن واستقرار المسلمين وقائدهمﷺ، من خلال تحريضه للقبائل العربية، ودعمه المعنوي والمادي

---

(1) كعب بن الأشرف: مختلف في نسبه، فزعم أنه ابن حبيب من طيئ وأمه من بني النضير وأن اباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله ، فنشأ فيهم وساد وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النضير، وكان شاعراً فارساً .. وهو من شعراء اليهود فحل فصيح، وكان عدواً لرسول الله يهجوه ويهجو أصحابه، ويخذل منه العرب فبعث النبي نفراً من اصحابه فقتلوه. انظر: كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني(137/22).

(2) لابن هشام، السيرة النبوية(322/3)، وعيون الأثر، لابن سيد الناس(ص393).

(3) الحديث سبق تخريجه، انظر (ص301).

لهم، ومحمد بن مسلمة كان مناسباً لهذه المهمة الخاصة، وكان بارعاً في مخادعة ابن الاشرف، وقد أجاد انتحال شخصية عدائية للنبيﷺ حتى تمكن من استدراج وقتله. والقصة فيها مخادعته والفتك به على غفلة؛ ولهذا ترجم له البخاري بقوله: (باب الفتك بأهل الحرب) .

قال ابن حجر[1]: "أي؛ جواز قتل الحربي سرًا" وقال: "إنما فتكوا به – أي؛ بابن الأشرف –؛ لأنه نقض العهد وأعان على حرب النبي وهجاه ولم يقع لأحد ممن توجه إليه تأمين له بالتصريح وإنما أوهموه ذلك وآنسوه حتى تمكنوا من قتله".

ثانياً: عملية اغتيال زعيم خيبر "أبي رافع" سلام بن أبي الحقيق:

بعد غزوة الخندق أرسل الرسولﷺ سرية لاغتيال أبي رافع سلامِ بنِ أَبِي الْحَقِيق في خيبر[2]، وذلك لما كان له من دور في تحريك جموع العرب لغزو المدينة المنورة، وسلام بن أبي الحقيق هذا هو من زعماء خيبر، وقد كان هذه احدى العمليات الخاصة المهمة والخطيرة جداً على أصحاب رسول اللهﷺ، نظراً لبُعد مسافتها عن المدينة المنورة واختراقها لحصونهم، ولذلك أرسل الرسولﷺ سرية كاملة بقيادة عبد الله بن عتيكرضي الله عنه.

وقد كان عبد الله بن عتيك قائداً ذو قدرات فذة، فبعد أن وصل المسلمون إلى (خيبر) ليلاً، أمر أصحابه بالبقاء قريباً من الحصن حتى يستطلع لهم موضع ابن أبي الحقيق، فلما وصل إلى حصنه استطاع دخوله وكمن في إسطبل الحيوانات، وعندما آوى ابن أبي الحقيق إلى فراشه وهدأت الأصوات والحركة، خرج عبد الله وأخذ مفاتيح الحصن من موضعها الذي كانت فيه، ثم قصد غرفة ابن أبي الحقيق، فناداه ليعرف مكانه من صوته، لأن الظلام كان مخيماً على الغرفة التي كان بها ابن أبي الحقيق، ثم هجم بالسيف عليه حتى قضى عليه، وانسحب إلى أصحابه بعد أن سقط من الدرج وانكسرت رجله[3].

وبعد نجاح سرية عبد الله بن عتيكرضي الله عنه في عملية اغتيال زعيم خيبر سلام بن أبي الحقيق،

---

[1] فتح الباري (160/6).

[2] خَيبرُ: الموضع المذكور في غزاة النبيﷺ، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وخيبر: تقع شمال المدينة المنورة، وهي تبعد عنها مسافة 150 كم. انظر: معجم البلدان (409/2).

[3] يروي ابن هشام في سيرته(313/3 – 316)، وفي جوامع السيرة(ص198–200)، أنهم لما أتوا (خيبر) ليلاً ، وكان سلام ساكناً في دار مع جماعة وهو في علية منه ا، فتسوروا الدار وأغلقوا كافة أبوابها ، ثم أتوا العلية التي هو فيها فاستأذنوا عليه ، فلما دخلوا عليه أغلقوا الباب على أنفسهم ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقد على فراشه حتى قتلوه ورجعوا إلى المدينة. وأرجح ما ذكرناه أعلاه لأنه أقرب إلى العقل والمنطق.

وتخلص المسلمون من رأس كبير من رءوس الفتنة، وبالذات أن ذلك كان بعد التخلص من بني قريظة، وبعد التخلص من حيي بن أخطب. كانت خسارة اليهود كبيرة جداً، مما زاد هيبة المسلمين في النفوس وجعلهم يسيطرون سيطرة تامة على المدينة، حيث بات واضحاً للجميع أن الدولة الإسلامية في طريقها إلى النمو والقوة، وأن نجمها سيعلو في الجزيرة بكاملها[1].

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عن البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **(بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُتْبَةَ، فِي نَاسٍ مَعَهُمْ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الحِصْنِ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرَ، قَالَ: فَتَلَطَّفْتُ أَنْ أَدْخُلَ الحِصْنَ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، قَالَ: فَغَطَّيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً، ثُمَّ نَادَى صَاحِبُ البَابِ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الحِصْنِ، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ، وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، فَلَمَّا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ، وَلاَ أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ صَاحِبَ البَابِ، حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الحِصْنِ فِي كَوَّةٍ[3]، فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الحِصْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَذِرَ بِي القَوْمُ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَغَلَّقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ، فَإِذَا البَيْتُ مُظْلِمٌ، قَدْ طَفِئَ سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ وَصَاحَ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: أَلاَ أُعْجِبُكَ لِأُمِّكَ الوَيْلُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ المُغِيثِ فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفِئُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ العَظْمِ ثُمَّ خَرَجْتُ دَهِشًا حَتَّى أَتَيْتُ السُّلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ فَأَسْقُطُ مِنْهُ، فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجُلُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِﷺ ، فَإِنِّي لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةُ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: فَقُمْتُ أَمْشِي مَا بِي قَلَبَةٌ، فَأَدْرَكْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّﷺ فَبَشَّرْتُهُ).**

قال ابن حجر[4]:"فِيهِ جَوَازُ التَّجسِيسِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَطَلَبِ غِرَّتِهِمْ وَجَوَازُ اغْتِيَالِ ذَوِي الْأَذِيَّةِ

---

(1) الخطاب ، لرسول القائد(ص237).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الحُقَيْقِ، 92/5 : رقم حديث4040].

(3) الكوَّة: الثقبة النافذة في الحائط.

(4) لابن حجر، فتح الباري (156/6).

الْبَالِغَةِ مِنْهُمْ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُعَادِي رَسُولَ اللَّهِﷺ وَيُؤَلِّبُ عَلَيْهِ النَّاسَ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ جَوَازُ قَتْلِ الْمُشْرِكِ بِغَيْرِ دَعْوَةٍ إِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَمَّا قَتْلُهُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَمَحَلُّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مُسْتَمِرٌّ عَلَى كُفْرِهِ وَأَنَّهُ قَدْ يَئِسَ مِنْ فَلَاحِهِ وَطَرِيقُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ إِمَّا بِالْوَحْيِ وَأما بالقرائن الدَّالَّة على ذَلِك".

وقال العيني[1]:"فيه جَوَاز الاغتيال على من أعَان على رَسُول اللهﷺ بيد أَو مَال أَو رَأْي، وَكَانَ أَبُو رَافع يعادي رَسُول اللهﷺ ويؤلب النَّاس عَلَيْهِ. **وقال أيضاً**: "وَفِيه الاغتيال بِالْحَرْبِ وَالْإِيهَام بالْقَوْل".

ثالثاً: عمليةُ اغتيالِ أَبِي عَفَكٍ اليَهودِي:

كان أبو عَفَكٍ من بني عمرو بن عوف شيخًا كبيرًا[2]، وكان يهوديًا، عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، وكان يُحرض على رسول اللهﷺ ويقول الشعر، فقال رسول اللهﷺ (من لي بهذا الخبيث؟)[3] فقال سالم بن عمير[4]، وكان قد شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ: (علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه)، فقتله سالم بن عمير في شوال على رأس عشرين شهراً من هجرة رسول اللهﷺ[5].

وقد أخرج الواقدي في المغازي[6] من طريق إسماعيل بن مصعب، عَنْ أَشْيَاخِهِ، قَالَا: (إنّ شَيْخًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَفَكٍ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ بَلَغَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ حِينَ قَدِمَ النّبِيّﷺ الْمَدِينَةَ، كَانَ يُحَرّضُ عَلَى عَدَاوَةِ النّبِيّﷺ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ. فَلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِﷺ إلَى بَدْرٍ رَجَعَ وَقَدْ ظفّره الله بما ظفّره، فَحَسَدَهُ وَبَغَى... فَقَالَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ أَحَدُ الْبَكّائِينَ مِنْ بَنِي النّجّارِ: عَلَيّ نَذْرٌ أَنْ أَقْتُلَ أَبَا عَفَكٍ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ. فَأَمْهَلَ فَطَلَبَ لَهُ غِرّةً، حَتّى كَانَتْ لَيْلَةٌ صَائِفَةٌ، فَنَامَ أَبُو عَفَكٍ بِالْفِنَاءِ فِي الصّيْفِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقْبَلَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَوَضَعَ السّيْفَ عَلَى كَبِدِهِ حَتّى خَشّ فِي الْفِرَاشِ، وَصَاحَ عَدُوّ اللهِ فَثَابَ إلَيْهِ أُنَاسٌ مِمّنْ هُمْ عَلَى قَوْلِهِ، فَأَدْخَلُوهُ مَنْزِلَهُ وَقَبَرُوهُ).

---

(1) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (273/14).

(2) يذكر الواقدي وابن سعد أنه قد بلغ من العمر عشرين ومائة سنة. انظر: المغازي(174/1)، والطبقات(28/2).

(3) البداية والنهاية، ط دار إحياء التراث العربي(240/5). وقد رواه ابن اسحاق بلا اسناد. انظر: سيرة ابن هشام(636/2).

(4) سالم بن عمير: ويقال سالم بن عمرو، ويقال ابن عبد الله بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة الأنصاري الأوسي العمري، ذكره موسى بن عقبة في البدريين، وقال ابن سعد : هو أحد البكائين، شهد العقبة وبدرا ، وما بعدها، مات في خلافة معاوية. انظر الإصابة، لابن حجر (5/2).

(5) ابن سعد(28/2)، دلائل النبوة(187/3) وما بعدها، وعيون الأثر، لمحمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس(ص383).

(6) المغازي للواقدي، سرية قتل أبي عفك(174/1). وقد رواه ابن اسحاق معلقاً، انظر: سيرة ابن هشام(376/4-377)، وابن حجر في الاصابة معلقاً(238/4)، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: لم ترد في خبر هذه السرية روايات مسندة صحيحة أو حسنة، فكان الاعتماد على روايات أهل المغازي ونقدها باطنيًا بمقارنتها مع بعضها مع الأخذ بأوثقها قدر المستطاع. انظر في حاشية: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، تأليف: بريك بن محمد العمري (ص125).

المبحث الخامس: عمليات الردع وإرهاب الأعداء

من الأساليب التي تحفظ المسلمين وتعزز أمنهم داخلياً وخارجياً إظهار القوة واستعراضها؛ من خلال إجراء عمليات قتالية ومناورات وتدريبات.. إلخ، والتي تهدف إلى ردع الأعداء وإرهابهم، وقد أمر الله تعالى المسلمين بإظهار القوة لإرهاب العدو فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. [الأنفال: الآية60].

والهدف من إعداد هذه القوة إرهاب العدو وردعه، وحماية ثغور المسلمين من الأعداء أن يغيروا عليها، ففي إعداد القوة والاستعداد للحرب منع للحرب ذاتها؛ لأن القوي يُخشى من أعداءه حتى لو كانوا أقوياء. ومن عوامل وأساليب الردع للأعداء ما يلي:

المطلب الأول: الردع بامتلاك السلاح وتطويره والاعتناء به.

من أهم عوامل الردع للأعداء الإعداد والاستعداد وتحصيل القوة خاصة المتعلقة بامتلاك السلاح وتصنيعه وتطويره والاعتناء به وبجاهزيته، وقد فسّر النبي القوة بالرمي.

أخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: **(سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ:"{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ).**

والحديث فيه بيان لفضيلة الرمي، ودليل على وجوب الاعداد والاستعداد وتحصيل القوة خاصة المتعلقة بالرمي، واليوم نجد أن كل أسباب القوة العسكرية تتعلق بالرمي، من السلاح الرشاش، والدبابات، والطائرات، والقاذفات بكافة أنواعها، و الصورايخ .. إلخ؛ ولذلك وجب علينا العمل بوصية رسول اللهﷺ في تحصيل القوة بالرمي في بكافة أنواعه وأشكاله.

يقول النووي[2]: "والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب و التحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك".

وقد حث الإسلام النبيﷺ المسلم على أن يكون قوياً في ذاته، سواء في القوة الإيمانية والعقائدية أو الجسدية أو المادية بكافة أنواعها ومقدراتها.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه[3] بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: **(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ،**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الإمارة/فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه ، 1522/3 : رقم حديث1917].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، شرح النووي(ص63/13)].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، القدر/فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ .. ، 2052/4 : رقم حديث 2664].

خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ..).

وتتنوع القوة ما بين القوة ما بين الجانب الروحي والجانب المادي، وأقوى أنواع القوة هي القوة الروحية المعنوية المتعلقة بالعقيدة والإيمان، يليها قوة الوحدة والارتباط داخل المجتمع، ثم تكون القوة المادية التي لا غنى عن تحصيلها.

يقول الإمام حسن البنا[1]: "أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك".

ومن تحصيل القوة أيضاً العمل على اقتناء وسائل النقل والحركة المتميزة للقوات، وقد جاءت أحاديث النبيﷺ تحث أصحابه على اقتناء الخيل والتي كان من اهم أسلحة المعركة في ذلك الوقت مبيناً لهم فضل تربيتها.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّﷺ: **(مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).**

المطلب الثاني: الردع باستعراض الجيش والقوة.

إذا كان الجيش الإسلامي قوياً فلن يجرؤ الأعداء على مواجهته وستجد العدو يخشى التصادم معه، ومما يساعد على إظهار القوة أن ننشر بين الأعداء ما يدل على جاهزيتنا التامة بالعدة والعتاد.

من وسائل الردع للأعداء العمل على استعراض القوات والجيوش، عن من خلال تعمّد ذلك عبر الوسائل المباشرة وغير المباشرة، وكذلك من خلال التدريب المتواصل وحشد القوى والخطط وكافة الإمكانيات المتوفرة لتقوية الجيش.

وهذه الاستعراضات تعتبر رادعة للأعداء، وتدخل ضمن الحرب النفسية التي تؤثر على نفوس الأعداء وعلى قرارهم، وقد تنتزع منهم الرغبة في القتال والمواجهة أو تمنع حرباً.

ولقد استعرض الرسولﷺ الجيش في فتح مكة عندما سَيَّر الجَيْشَ النَّبِيُّ كَتِيبَة كَتِيبَة من أمام أبي سفيان مما كان له الأثر في تثبيط عزيمة كفار مكة.

---

[1] مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس(ص135).

[2] [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّه، 28/4: رقم حديث 2853].

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن عروة بن الزبير بن العوام قال: **(لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ،.. فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِينَ، فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ،.. ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ...).**

ولقد أعطى الله عز وجل رسوله الكريم ميزة عظيمة وهي أن الله قذف الرعب في قلوب عدوه قبل أن يصل بمسيره شهر، وكأن في هذا تعليماً لنا أن نكون على جاهزية تامة حتى نبث الرعب في قلوب أعدائنا حتى قبل أن نسير إليهم.

المطلب الثالث: الردع باستنفار الجيش بعد المعركة وجاهزيته للقتال.

بعد انتهاء غزوة أحد، ورحيل قريش جاءت الأخبار إلى المدينة بأن قريشًا تريد العودة لتستأصل المسلمين في مدينتهم، فخرج النبيﷺ إلى حمراء الأسد لردعهم، وحتى تتجلى صورة قوة المسلمين بطاعتهم وتضحيتهم وبذلهم، رغم ما بهم من جراحات ومصائب.

يقول إبراهيم بن محمد العلي[2]: ".. فما كان من القائد القدوة محمَّدﷺ إلا أن دعا أصحابه للخروج لتعقب قريش، وزرع الخوف في قلب من يفكر بالاعتداء على المدينة الآمنة الطيبة، وشرط رسول اللهﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه لأحد، وهنا وفي هذا المقام تتجلى صور التضحية والبذل، حيث يخرج أصحاب النبي، والكثير منهم قد أصيب بالجراحات المتعددة".

أخرج ابن إسحاق في المغازي، كما في سيرة ابن هشام[3] قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن

---

[1] [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ أين ركز النبيﷺ يوم الفتح، ج2/340: رقم حديث 4274].

[2] صحيح السيرة النبوية، إبراهيم بن محمد العلي، قديم: د . عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى : 1415 هـ - 1995م ، ص236.

[3] المغازي، (/) ، وانظر: لابن هشام، السيرة النبوية (3/102-103)، الطبري (7/406-407)، رقم حديث(8243)، وفي تاريخه (2/535-536)، من طريق سلمة بن الفضل الأبرش عن ابن إسحاق به ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة(2/ 377-388)، وابن الأثير في أسد الغابة(5/209) من طريق يونس بن بكير الشيباني عن ابن إسحاق به.

محمد بن عمرو بن حزم قال: مَرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالنبيﷺ فقال: يا محمد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك، ولوددنا أنّ الله عافاك فيهم، ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللَّهِﷺ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ وَأَصْحَابِهِ.. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُون[1] عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيهِمْ مِنْ الْحَنَقِ[2] عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: وَيْحكَ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاَللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى أَرَى نَوَاصِيَ الْخَيل.. فذكر الحديث.

وكانت من الأهداف التي قصدها النبيﷺ من خروجه إلى حمراء الأسد – والله أعلم– ما يلي:

1. إرهاب الأعداء بإظهار القوة لهم ولو بعد الهزيمة.
2. ردع الأعداء في التفكير بالعودة لقتال المسلمين.
3. تجرئة الصحابة على قتال أعدائهم، وتقوية الروح المعنوية لدى الصحابة، وألا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أُحُد هو الشعور بالهزيمة.
4. إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم إنما هو منحة وابتلاء اقتضتها إرادة الله وحكمته، وأنهم أقوياء وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء[3].

يقول الدكتور أكرم ضياء العُمَري[4]: "لا شك أن حملة حمراء الأسد حققت الأهداف المرسومة بإظهار قدرة المسلمين على التصدي لخصومهم من الأعراب وقريش رغم ما أصابهم في أحد، فإنهم إذا كانوا قادرين على التحرك العسكري خارج المدينة فهم أقدر على مواجهة اليهود والمنافقين داخلها"

الحكم على الإسناد: الحديث مرسل، وإسناده حسن.

(1) يتحرَّقون: يلتهبون من الغيظ.

(2) الْحَنَقِ: شدة الغيظ.

(3) لمحمد رشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسولﷺ (ص340)، وانظر: لسيد قطب، في ظلال القرآن(519/1).

(4) للعمري، السيرة النبوية الصحيحة (297/2).

المبحث السادس: العمليات الفردية الخاصة

تعتبر الوحدات الأمنية الخاصة من أعلى مراتب اهتمام قادة أمن الدولة، لقيامهم بمهام يعجز عن القيام بها جيش بأكمله. إن رجال الوحدات الخاصة، يتمتعون بالاتصال المباشر بالقيادة العليا، وذلك لدقة وخطورة المعلومات التي يعملون في ضوئها لتنفيذ المهمة.

"ونظراً لطبيعة مهمة الجيش، يختار الجندي على وجه الخصوص لمقدرته الجسدية والعقلية، وبهذا المعنى يعتبر مواطناً فوق المستوى الاعتيادي بدلاً من مواطن اعتيادي"[1].

إن رجال المهمات الخاصة الذين يقومون بالعمليات الفردية الخاصة، يتمتعون بصفات متميزة، وقدرات خاصة تستوجب الحفاظ عليهم، وعدم التفريط بهم مهما كان الثمن. وعلى هذا النهج سار الرسولﷺ في بناء دولة الإسلام في المدينة، حتى امتدت إلى مشارق الأرض ومغاربها في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء رضوان الله عليهم.

يقول اللواء محفوظ[2]: "من أجل ذلك فإن كل القيادات تضع نظماً معينة للتربية الإسلامية للجندي، تصب في فيها كل خبرات العسكريين وأساتذة العلوم السلوكية.."

وقد أسند الرسولﷺ العديد من المهام الخاصة للمتميزين من رجاله، للقيام بعمليات فردية ومهمات خاصة، وقد أبدع صحابة رسول اللهﷺ في أداءهم للمهام التي كانت توكل إليهم، ويمكن الوقوف على بعض منها على سبيل المثال لا الحصر من خلال المطالب التالية:

<u>المطلب الأول: الرباط على الثغور والحراسة للجند والمعسكرات وتوطيد الأمن الداخلي:</u>

يبحث الإنسان عن الأمن بفطرته، والأمن الداخلي وإقرار السلم داخل المجتمع يُعد عاملاً مهماً من أجل دفع الإنسان نحو التطور والرقي؛ لأنه من أمن على نفسه وماله وعرضه فإنه سيتفرغ من أجل العمل لما فيه صلاح دنياه وآخرته.

ولذلك فالأمة مطالبة بأن تُكَوِّن جيشاً قوياً له إرادته، يهابه الأعداء، ويرهبه كل من يحاول العبث في أمنها، ومن هنا جاء الإسلام يحث على حفظ الأمن والسلام في المجتمع، وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تحث على أن يكون أفراد المجتمع متوحدين متماسكين ليشعروا بالأمن والأمان.

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده عن أبي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: **(المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ).**

---

(1) تقديم وليم توماس، كتاب تولي القيادة – فن القيادة العسكرية وعلمها (ص273).

(2) لمحفوظ، النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب (ص18).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، 12/8: رقم حديث6026].

وفي الحديث دليل على أن المجتمع لا بد أن يكون متماسكاً كالجدار يشد بعضه بعضاً، ويتعاون الكل فيه، وهذا التعاون بحاجة إلى مجتمع آمن مع وجود قوة تُوجد تحرس وتحفظ الأمن، فتحرس المعسكرات والجيوش، وتحرس المدن بسكانها.

والاهتمام بالحراسة وتأمين القوات من الأمور الهامة التي تعتني بها الجيوش العصرية، وهو ما يسمى في اصطلاح العسكريين بالأمن العسكري، فكل مقاتل في ميدان القتال بحاجة إلى الاستقرار والنوم والراحة، وهذا يتسنى له إذا توفر الأمن له بالحراسة الشديدة التي يطمئن لها.

وقد كان الرسولﷺ شديد الحرص على نشر الأمن والطمأنينة بين أفراد جيشه، وقد شرّع لنا من التعليمات والأوامر التي تهدف إلى تعزيز أمن قادة الجيش وجنوده، والخروج من الحرب بأقل الخسائر البشرية ما أمكن، والتي منها الآتي:

أولاً: حراسة الجند في معسكراتهم:

يحظى الجندي المسلم في عهد رسول اللهﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم جميعاً، بالحرص والعناية حفاظاً على أمنه وسلامة حياته قدر المستطاع.

يقول المقدم المومني[1]:"إن من أهم واجبات القائد المحافظة على سلامة قواته، وحماية خطوط مواصلاته، وإمداده، واتخاذ الحيطة اللازمة ضد مباغتة العدو له".

وقد أوجب الرسولﷺ الحراسة للجند في معسكراتهم وللقيادة، ولم يكن الرسولﷺ القائد يكتفي بحفظ نفسه فقط، بل كان يحرص على حماية جنوده، وكان يطلب دائماً أن يتم حراسة المعسكر ليلاً.

أخرج أبو داود في سننه[2] من حديث سَهْلِ بنِ الْحَنْظَلِيَّةِ، (أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ[3] فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ، حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ[4] عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ، وَنَعَمِهِمْ، وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَقَالَ تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ

---

(1) التعبئة الجهادية في الإسلام (ص241).

(2) الحديث سبق تخريجه انظر(ص257).

الحكم على إسناده: إسناده صحيح، وقد صححه الشيخ الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،(723/1).

(3) يَوْمَ حُنَيْنٍ: سنة ثمان بعد الفتح سمعت هوازن برسول اللهﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر وناس من هلال وهم قليل .. فسار إليهم النبيﷺ في عشرة آلاف من أصحابه، وألفان من مكة ... وانهزم المسلمون أول الأمر، ثما صاح النبيﷺ بهم فهزموهم. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام (104/5).

(4) هوازن: في نجد مما يلي اليمن. انظر: معجم البلدان(302/3).

اللَّهُ، ثُمَّ، قَالَ: **مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟** قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ[1] أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَارْكَبْ، فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ: اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ، وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِلَى مُصَلَّاهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: **هَلْ أَحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ؟** قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَسْنَاهُ فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يُصَلِّي، وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ، فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَنَظَرْتُ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، **فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟** قَالَ لَا، إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ: **قَدْ أَوْجَبْتَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا**).

وفي الحديث رأينا كيف طلب النبيﷺ من بعض الصحابة حراسة المعسكر من الأعداء حتى لا يأخذوا المسلمين على حين غرة، وفيه دليل بوجوب الحفاظ على الجند والقيادة على حد سواء.

وأخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ[3]، قَالَ: (لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَامَ الفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ[4]، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ[5]، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ، لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، **فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِﷺ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ**).

---

(1) أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ: واسم أبي مرثد كناز بن الحصين، يكنى أبا يزيد. قال منده: كان بينه وبين أبيه في السن عشرون، وكان عين النبي صلى الله عليه وسلم بأوطاس ويكنى أبا يزيد. ومات سنة عشرين. انظر: الاصابة في تمييز الصحابة(131/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/أين ركز النبيﷺ الراية يوم الفتح؟، 146/5: حرقم ديث 4280].

(3) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وأمه أسماء ابنة أبي بكرة الصديق، وقد روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه وخالته عائشة وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحكيم بن حزام وزيد بن ثابت وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأسامة بن زيد وأبي أيوب وأبي هريرة وغيرهم. انظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد، (136/5)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (180/7).

(4) مر الظَهْران: بفتح الميم، وشدَّة الراء، وفتح المعجمة، وإسكان الهاء ، وبراءٍ ، ونونٍ : مَوضعٌ بقُرب مكَّةَ. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح(316/11)، والظهران : هو فعلان ثم يحتمل أن يكون من أشياء كثيرة ، فيجوز أن يكون من الظهر ضد البطن ومن الظاهر ضد الباطن ، ومن قولهم: هو بين أظهرنا وظهرانينا. انظر: معجم البلدان (63/4).

(5) وَقَوْلُهُ (نِيرَانُ عَرَفَةَ) : إِشَارَةٌ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ مِنْ إِيقَادِ النِّيرَانِ الْكَثِيرَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ . فتح الباري لابن حجر (7/8).

والحديث ظاهرٌ أن النبيﷺ كان من الذين يشددون في الحراسة حتى يحفظ شوكة المسلمين إلى حين اللقاء، قال ابن حجر[1]: "قَوْلُهُ: **فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِﷺ فَأَدْرَكُوهُمْ** فَأَخَذُوهُمْ فِي رِوَايَةِ بن عَائِذٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلًا تَقْبِضُ الْعُيُونَ وخزاعة على الطَّرِيق لا يتركون أَحَدًا يَمْضِي فَلَمَّا دَخَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ عَسْكَرَ الْمُسْلِمِينَ أَخَذَتْهُمُ الْخَيْلُ تَحْتَ اللَّيْلِ وَفِي مُرْسَلِ أَبِي سَلَمَةَ وَكَانَ حَرَسُ رَسُولِ اللَّهِﷺ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فجاؤوا بِهِمْ إِلَيْهِ فَقَالُوا جِئْنَاكَ بِنَفَرٍ أَخَذْنَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ لَوْ جِئْتُمُونِي بِأَبِي سُفْيَانَ مَا زِدْتُمْ قَالُوا قَدْ أَتَيْنَاكَ بِأَبي سُفْيَان".

قلت: في قوله (**فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِﷺ**): فيه دليل على أن طواقم الحراسة كانت تتناوب على حراسة رسول الله ﷺ، وفيه دلالة شرعية على اتخاذ الحرس للجند والمعسكرات، وكذلك المرافقين للقيادات التي لها شأن ومكانة في الدولة، ويُعزز ذلك قولهﷺ في الحديث الآخر: (**مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟**).

ثانياً: التوصية بالاحتراس في حمل السلاح وتأمينه:

لابد للقائد الناجح أن يؤكد على تأمين السلاح من قبل جنده؛ حتى لا يُصيبوا بعضهم بدون قصد، ولو اضطر القائد الي ضبط هذا الأمر بشروط أو عقوبات معينة تضبط الجندي، وهذا ما فعله رسول اللهﷺ.

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: (**مَرَّ رَجُلٌ فِي المَسْجِدِ وَمَعَهُ سِهَامٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمْسِكْ بِنِصَالِهَا**).

قال ابن رجب[3]: "وفي الحديث: ذكر علة ذلك، وهو: خشية أن تصيب مسلما من حيث لا يشعر صاحبها، وسوى في ذلك بين السوق والمسجد؛ فان الناس يجتمعون في الأسواق والمساجد فليس للمسجد خصوصية بذلك حينئذ. لكن؛ قَدْ يقال: أن المسجد يختص بقدر زائد عَن السوق، وَهُوَ: أنه قَدْ روي النهي عن إشهار السلاح فيه ونثر النبل".

وقال البِرماوي[4]: "وفيه تأكيدُ حُرمة المُسلمين؛ لأَنَّ المَساجِد مَوارِدُ الخَلْق لا سيَّما في أوقات الصَّلاة، فخَشِيَ النبيُّﷺ أَنْ يُؤذَى بها أحدٌ، وهذا من كريم رأْفته وخلُقه، وجوازُ إدخال السِّلاح المَساجِدَ، وتعظيمُ قَليل اللَّوم وكَثيره".

---

(1) المصدر السابق (7/8).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، أبواب المساجد/يأخذ بنصول النبل إذا مر في المسجد 98/1 : رقم حديث451].

(3) لابن رجب، فتح الباري (326/3).

(4) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (220/3).

وأخرج مسلم في صحيحه[1] بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: **(أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِأَسْهُمٍ فِي الْمَسْجِدِ، قَدْ أَبْدَى نُصُولَهَا، فَأُمِرَ أَنْ يَأْخُذَ بِنُصُولِهَا، كَيْ لَا يَخْدِشَ مُسْلِمًا)**.

قال ابن حجر[2]: **(**وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى تَعْظِيمِ قَلِيلِ الدَّمِ وكَثِيرِهِ وَتَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَجَوَازُ إِدْخَالِ السِّلَاحِ الْمَسْجِدَ**)**.

وهذه الأحاديث فيها توصية بالحرص على ضرورة الاحتراس من السلاح، وحمله بما يأمن فيها عدم إصابة أخيه المسلم.

ثالثاً: النهي عن رفع السلاح في وجه المسلم:

نهى الإسلام عن رفع السلاح في وجه المسلم؛ ولقد بيّن الرسولﷺ السبب في ذلك النهي، وهو أن إشارته تلك، ومزاحه على أخيه بتلك الآلة قد يتحول إلى أمر حقيقي، فيحدث القتل أو الجرح وهو لا يقصده.

أخرج البخاري في صحيحه[3] بسنده **عن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّﷺ، قَالَ: (لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)**.

يقول أبو يحيى السنيكي في تحفة الباري[4]:"(لعل الشيطان يَنزع في يده) بفتح التحتية وكسر الزاي وبمهملة أي: يقلعه من يده فيصيب به أخاه، أو يشد يده فيصيبه، وفي نسخة: "ينزغ" بغين معجمة، أي: يطعن، أو يغوي".

ويشتد النهي إذا كانت الإشارة بالسلاح على الأخ المسلم في أرض المعركة؛ لأن العدو إذا سمع خبر مقتل أحد المجاهدين ترتفع معنوياته، وفي المقابل تنهار معنويات جند المسلمين،

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ، قَالَ: (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنّ ولقد نهى الرسولﷺ عن الإشارة لمسلم بالسلاح**، وثبت نهيهﷺ عن ترويع المسلم وإشهار السلاح في وجهه بغير حق شرعي، وتوعد من فعل ذلك بالطرد من رحمة الله

---

[1] [مسلم: صحيح مسلم الالبر والصلة والآداب/أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها ، 2019/4 : رقم حديث 2614].

[2] لابن حجر، فتح الباري (547/1).

[3] [البخاري : صحيح البخاري ، الفتن/قَوْلِ النَّبِيِّﷺ : «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا» ، 49/9 : رقم حديث 7072].

[4]منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري)، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (المتوفى: 926 هـ)، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه : سليمان بن دريع العازمي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية–الرياض، الطبعة : الأولى، 1426 هـ – 2005 م ، (ج10/ص151).

[5] [البخاري: صحيح البخاري، الفتن/قَوْلِ النَّبِيِّﷺ : «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا» ، 49/9 : رقم حديث 7070].

تعالى. **فقد** روى مسلم في صحيحه[1] بسنده عن أَبَي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِﷺ: **(مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ).**

قال الإمام النووي[2]: **"وَقَوْلُهُﷺ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَلِأَنَّهُ قَدْ يَسْبِقُهُ السِّلَاحُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى وَلَعْنُ الْمَلَائِكَةِ لَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ".**

فهذا تحذير من الإشارة بأي آلة مؤذية قد تؤدي الإشارة بها إلى القتل، كالسكين والآلات الأخرى الحادة، حتى لو كانت الإشارة مجرد مزاح.

ولا بد للقائد المجاهد أن يُراعي هذه التعليمات النبوية حتى ينجح ويَسْلَم وجنوده من الهلاك أو الأخطاء القاتلة.

المطلب الثاني: الرباط على الثغور وحماية الأمن الخارجي للدولة:

والرباط على الثغور وحماية الأمن الخارجي للدولة مهمة من أوجب واجبات القيادة في الجيش، لتحقيق الأمن الخارجي وتعزيز الاستقرار في البلاد؛ ولن يتحقق هذا الأمن إلا بالقيام بمهام الرباط على الثغور الأمامية لحماية الحدود المحاذية للأعداء، وهي ما تُعرف بالثغور، فعندما يبدأ الغزو العسكري لبلد ما يكون المرابطون على الحدود هم الخط الدفاعي الأول الذي يواجه الأعداء.

وتعريف الرباط: هو الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وحفظ ثغور المسلمين من الاعتداء عليها، **وقيل:** الرباط والمرابطة هي أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه، فسمي المقام في الثغر رباطاً، **وقيل:** الرباط هو الإقامة في الثغور وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من أعداء الإسلام، والمرابط هو المقيم فيها، المعد نفسه للجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين[3].

لقد حث الاسلام على الاهتمام بالثغور فأوجب الرباط عليها، وقد رغب النبيﷺ أمته المجاهدة بالرباط على الثغور، وحث على ذلك:

---

(1) [مسلم: صحيح مسم، البر والصلة والآداب/النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ، 2020/4 : رقم حديث 2616].

(2) شرح النووي على مسلم (170/16).

(3) الرباط: الإقامة على جِهَاد العَدوّ بالحرب، وحفظ ثغور المسلمين من الاعتداء عليها، وقيل: الرباط والمرابطة هي أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه، فسمي المقام في الثغر رباطاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (461/2).وانظر: القاموس المحيط، للفيروزي آبادي (ص 861).

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: **(رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)**

قال الأثيوبي[3]:"**(رِبَاطُ يَوْمٍ)** أي حبس الشخص نفسه عند ثَغْر من الثغور **(فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** أي لإعلاء كلمة اللَّه تعالى، لا لأمر آخر، من الأعراض الفانية **(خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ)** أي فيما سوى الرباط، أو فيما سوى سبيل اللَّه –عَزَّ وَجَلَّ–، فإن السبيل يذكّر، ويؤنّث".

وقد أسند النبيﷺ يوم أحدٍ لوحدة خاصة من أشداء الصحابة حراسة (المدينة المنورة)، والتي تُعتبر عاصمة الدولة الاسلامية، وذلك عندما قررﷺ أن يخرج لملاقاة المشركين نزولاً عند رأي الأغلبية، وجاءت التقارير تفيد بأن المشركين قد وصلوا بالقرب من المدينة، وأنهم قد خلوا إبلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه قاعاً بلقعاً[4].

يقول الدكتور أبو فارس[5]: "وكانت خطة الرسولﷺ إزاء ذلك إعلان حالة الطوارئ العامة، وتجهز الجميع للقتال، وأن يمضوا ليلتهم في حذر شديد، كلٌ يصحب سلاحه، ولا يفارقه حتى في نومه، وأمر رسول الله بحراسة المدينة، واختار هو بنفسه خمسين من أشداء المسلمين ومحاربيهم بقيادة محمد بن مسلمةرضي الله عنه".

وقد كان علماء الأمة يحرصون على الرباط على هذه ثغور المسلمين، وكان شيوخ المدينة الكبار، وكبار شيوخ الإمام مالك يأتون إلى غزة للرباط على ثغر عسقلان، وقد ذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عمر بن ريان الْأَيْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَيْلِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ الْأَيْلِيِّ قَالَ: **(مَرَّ بِنَا الْقَعْقَاعُ بْنُ حَكِيمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ وزيد بْنُ أَسْلَمَ وَأَبُو حَازِمٍ وَأَبُو الزِّنَادِ وَرَبِيعَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَارِجِينَ إِلَى الرِّبَاطِ فَنَزَلُوا وآتيناهم فسلم عَلَيْهِمْ فَوَجَدْنَاهُمْ قَدْ شَدُّوا مَحَامِلَهُمْ وَسَوَّوْا وِطَاءَهُمْ فَصَلُّوا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ ثُمَّ رَكِبُوا وَمَشَيْنَا مَعَهُمْ إِلَى خَلْفِ بُسْتَانِ ابْنِ وَهْبٍ ثُمَّ وَدَّعْنَاهُمْ وَانْصَرَفْنَا وَأَتَيْنَا الْمَسْجِدَ وَرُزَيْقُ بْنُ حَكِيمٍ يُصَلِّي لِلنَّاسِ الظُّهْرَ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قُلْتُ لِعُمَرَ إِلَى أَيِّ رِبَاطٍ ذَهَبُوا قَالَ إِلَى عَسْقَلَانَ)**[6].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/فضل رباط يوم في سبيل الله ، 37/2 : رقم حديث 2892].

(2) سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ بن مالك بن ساعدة السَّاعِدِيِّ، يقال كان اسمه حزنا فغيره النبي ﷺ وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة سنة إحدى وتسعين، وقيل قبل ذلك. انظر: الإصابة..، لابن حجر،(200/3).

(3) الاثيوبي، شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»(276/26).

(4) لابن سعد، الطبقات الكبرى (37/2).

(5) أبو فارس، غزوة أحد (ص34–35).

(6) لابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (200/12).

المطلب الثالث: حراسة القيادة وتأمينها:

القيادة بالنسبة للجيش كالرأس من الجسد، ومن الخطورة بمكان فقدان هذه القيادة والتي هي العقل المدبر للجيش، وهي التي تضع الخطط وتوضح الأهداف، وتُدير المعركة، وبها يرتبط نجاح العمل وفشله، ولذلك كان لزاماً على الجنود حماية القيادة. ولا شك أن أمن القيادة يحتل المرتبة العليا بالنسبة لأجهزة أمن الدولة، وتُسخّر كافة الإمكانات والقدرات التقنية والعسكرية من أجل حماية وتأمين القيادة.

وقد ضرب الصحابةﷺ في هذا المجال أروع الأمثلة وكانت لهم أعظم المواقف البطولية والنماذج المثالية في حراسة وحماية القيادة؛ ما كان عليه الصحابة الكرام مع قائدهم الأعلى، ومعلمهم الأول، سيدنا النبيﷺ في العديد من المواقف والظروف.

ومن هذه النماذج الرائعة ما يلي:

أولاً: حراسة أبي بكر الصديق‬ؓ وجمع من الصحابة للنبيﷺ في عريشه يوم بدر:

قام الصحابةﷺ ببناء العريش –مقر للقيادة – في مكان مرتفع كاشف لمسرح المعركة، ولا تصل إليه الرماح، وكان الصحابة رضوان الله عليه جميعاً، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق وسعد بن معاذﷺ وجماعة من الأنصار يقومون بحراسة رسول اللهﷺ على باب العريش، ويترقبونه وهو يدعو ربه ويناجيه[1].

أخرج البخاري في صحيحه[2] بسنده عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّﷺ **وَهُوَ فِي قُبَّةٍ** اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، **وَهُوَ فِي الدِّرْعِ** فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} وَقَالَ وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ).

قال ابن حجر:" وَالْجِهَادُ تَارَةً يَكُونُ بِالسِّلَاحِ وَتَارَةً بِالدُّعَاءِ وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ وَرَاءَ الْجَيْشِ لِأَنَّهُ لَا يُقَاتِلُ مَعَهُمْ فَلَمْ يَكُنْ لِيُرِيحَ نَفْسَهُ فَتَشَاغَلَ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ الدُّعَاءُ"[3].

فيه أن القائد قد يكون بعيداً عن ميدان القتال، يتولى قيادة المعركة من موقع قيادة الجيش الآمن تعزيزاً للقوة ببقائه، فتكون قيادته عبر وسائل متعددة ومتطورة بتطور العصر.

والثابت أن الرسولﷺ لم ينعزل عن جيشه أبداً في موقعة بدر، فمع أنه القائد الأعلى للجيش قاتل ﷺ معهم بنفسه، بل كان أقربهم إلى العدو.

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[4] من حديث **عَلِيٍّ، قَالَ: (لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا**

---

[1] للتميمي، مختصر سيرة الرسولﷺ (153/1).

[2][البخاري: صحيح البخاري ، الجهاد والسير/ما قيل في درع النبيﷺ ،4 /41 : رقم حديث 2951].

[3] لابن حجر، فتح الباري (289/7).

[4] [مسند أحمد، ومسند علي بن ابي طالب ، 307/2 ، والنسائي في سننه ، 34/8 : رقم حديث8585]، وأخرجه [سنن البغوي، 257/13 : رقم حديث 3698]، وأخرجه أبو يعلى المو(329/1 : رقم الحديث412)، وأخرجه ابن الجعد في

بِرَسُولِ اللهِﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ – أَوْ: لَمْ يَكُنْ – أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْهُ).

وهذا الحديث يُثبت لنا أن الرسولﷺ كان مشاركاً لجيشه ولشعبه، ويعيش معهم في كل قضاياهم كلها.

ثانياً: حراسة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للنبيﷺ.

روى البخاري في صحيحه[1] بسنده **عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تَقُولُ: (كَانَ النَّبِيُّﷺ سَهِرَ[2]، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، قَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلاَحٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟»، فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّﷺ).**

قال ابن حجر: "وفي الحديث: الأخذ بالحذر، والاحتراس من العدو، وأن على الناس أن يحرسوا سلطانهم خشية القتل"[3].

ثالثاً: دفاع أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه المستميت عن رسول اللهﷺ يوم أُحد:

أخرج البخاري في صحيحه[4] بسنده **عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ[5] بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ[6] عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ[7]، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ**

مسنده، (372/1: رقم حديث2561) بنحوه، وأخرجه ابن أبي أسامة الحارث في مسند الحارث (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث)،(874/2: رقم حديث 938) بنحوه ، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (2/ 155 : رقم حديث 2633)بنحوه ، والحديث إسناده صحيح ، رجاله ثقات غير حارثة بنِ مضرب ، فمن رجال أصحاب السنن ، وهو ثقة. انظر: تاريخ ابن معين (90/1)، والثقات للعجلي (103/1)، وانظر: الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم (255/3).

والحديث صححه الحاكم وقال في مستدركه (155/2): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقد صححه الذهبي ، وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات، انظر: حاشية مسند أبو يعلى الموصلي تحقيق أسد (329/1)، وقد صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وقال: إسناده صحيح. انظر: تحقيقه للحديث في مسند أحمد (307/2)، وانظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار (255/19).

[1][البخاري : صحيح البخاري، الجهاد والسير/الحراسة في الغزو في سبيل الله،34/4 : رقم حديث 2885].

[2] سَهِرَ: السَّهَرُ: امتناعُ النَّوْمِ باللّيل. العين، للفراهيدي (6/4).

[3] لابن حجر، فتح الباري (82/6).

[4][البخاري : صحيح البخاري ، مناقب الأنصار/ مناقب أبي طلحة رضي الله عنه ، 6 /37: رقم حديث 3811].

[5] أبو طلحة : هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وأمه عبادة بنت مالك بن عدي النجار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً ، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول اللهﷺ ، مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين وصلى عليه عثمان بن عفان وهو يومئذ ابن سبعين سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (504/3).

[6] مُجَوِّبٌ بِهِ: أي ساتر له قاطع بينه وبين العدو. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص255).

[7]قوله: مجوب عليه بحجفة ، يعني مترس عليه يقيه بالحجفة وهي الترس. والجوب: الترس. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، للخطابي (1651/3).

رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ[1] يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ انْشُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ فَأَشْرَفَ النَّبِيُّﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا[2] تُنْقِزَانِ[3] الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا).

وهنا يمثل أبو طلحةﷺ الصورة المشرقة لحرس الظل في حماية النبيﷺ؛ بل بذل روحه فداء لحياة الرسولﷺ وهو يقول له لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ (نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ).

رابعاً: حراسة المغيرة بن شعبة للنبيﷺ يوم الحديبية.

عند عقد اتفاق الحديبية، كان بعض صحابةﷺ يقفون خلف الرسولﷺ يلبسون الدروع الواقعية والأقنعة الحديدية، لحراسته وحمايته من الغدر أو الاغتيال أثناء عملية المفاوضات مع وفود قريش؛ ومن بين هؤلاء المغيرة بن شعبةﷺ قائم على رأس النبيﷺ ومعه السيف ويمنع أي أحد يحاول الاقتراب أو لمس النبي الكريم.[4]

أخرج البخاري في صحيحه[5] بسنده عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: (... فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّﷺ ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، **وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ**، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ

---

[1] الْقِدِّ: وتر القوس. انظر: النهاية في غريب الأثر (21/4).

[2] خَدَمَ سُوقِهِمَا: خلاخيلهما وأحدها خدمة وقد يسمى موضعها من الساق خدمة. انظر: مشارق الأنوار (231/1).

[3] تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا: أي تحملانها وتقفزان بها وثباً. انظر: لسان العرب (419/5).

[4] لابن هشام، السيرة النبوية (10/9)، وإمتاع الأسماع، للمقريزي (10/9).

[5] [البخاري: صحيح البخاري، الشروط/الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 193/3: رقم حديث 2731].

النَّبِيِّﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍﷺ مُحَمَّدًا ...)

وهنا يظهر لنا مما سبق ذكره؛ كيف كانت عمليات الحراسة الخاصة لحماية القائد الأعلى محمدﷺ، فالحرس الخاص مقنع ومدرع بالحديد، يقف متأهباً متيقظاً لكل حركة أو كلمة تصدر من العدو، والمغيرة بن شعبةﷺ يقف كالظل لرسول اللهﷺ وهو يمتثل أعلى درجات اليقظة والحذر في أمن القيادة؛ حيث هوى بنعل سيفه على يد عروة النجسة ليمنعها أن تلمس لحية رسول اللهﷺ الطاهرة.

المطلب الرابع: اسناد مهمة خاصة(المطاردة والضبط):

أسند الرسول القائدﷺ مهمة المطاردة والضبط لامرأة كانت تحمل كتاباً فيه معلومات خطيرة وتريد إيصاله لقريش، وقد أسندت هذه المهمة لقوة خاصة من الصحابة الأفذاذﷺ منهم: (علي بن ابي طالب، والزبير، والمقداد بن الأسود، وغيرهم)؛ حيث كانت مهمتهم مطاردة المرأة وضبطها، وتجريدها من هذا الكتاب قبل ان يصل إلى الأعداء.

أخرج البخاري في صحيحه[1] بسنده عن عليًّاﷺ، يَقُولُ: **(بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا**، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/الجاسوس، 59/4 : رقم حديث 3007].

والشاهد من الحديث أن رسول اللهﷺ قد اختار وحدة المطاردة والضبط، بقيادة علي بن أبي طالب وهي من المهام الخطيرة التي تسند إلى رجال الوحدات الخاصة الذين يتميزون بقدرات جسدية وعقلية وذهنية عالية، وذكاء شديد وحنكة عسكرية وأمنية.

قال العيني[1]:"وأتاها حَاطِب بن أبي بلتعة كتب مَعهَا كتابا إِلَى أهل مَكَّة وَأَعْطَاهَا عشرَة دَنَانِير وَكتب فِي الْكتاب إِلَى أهل مَكَّة أَن رَسُول اللهﷺ يُرِيدكُمْ فَخُذُوا حذركُمْ فَنزل جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام بخبرها فَبعث عليا وَعمَّارًا وَعمر وَالزُّبَيْر وَطَلْحَة والمقداد بن الْأسود وَأَبا مرْثَد وَكَانُوا كلهم فُرْسَانًا وَقَالَ انْطَلقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَة خَاخ فَإِن بهَا ظَعِينَة مَعهَا كتاب إِلَى الْمُشْركين..".

المطلب الخامس: إسناد مهمة خاصة(اختراق صفوف العدو).

من المهمات الخاصة والخطرة جداً اختراق صفوف الأعداء، وقد أسند الرسول القائدﷺ هذه المهمة لرجل المهمات الخاصة وأمين سره حذيفة بن اليمانﷺ؛ كما قام بذلك أيضاً القائد عمرو بن العاصﷺ باختراق صفوف أعدائه بنفسه وهو قائد المسلمين وذلك عندما أراد فتح غزة بعد فتحه لقيسارية.

أولاً: اختراق حذيفة بن اليمان لصفوف أعدائه.

أخرج مسلم في صحيحه[2] بسنده من طريق الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ[3] عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (.. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ **فَقَالَ قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلَا تَذْعَرْهُمْ**[4] عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[5] حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ

---

[1] للعيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاريج (255/14).

[2] [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/غزوة الأحزاب ، 226/9: رقم حديث 3343].

[3] إِبْرَاهِيْمُ بنُ يَزِيْدَ بنِ شَرِيْكٍ التَّيْمِيُّ، تم الترجمة له (ص 75).

[4] الذّعْرُ: فتح التاء وبالذال المعجمة، ومعناه لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضررا علي لأنك رسولي وصاحبي. قَالَ عُمَرُو بنُ أَحْمَرَ فِي وَقْدَ عَادٍ حين خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ يَسْتَسْقُونَ. انظر: شرح النووي على مسلم (145/12).

[5] كأنما أمشي في حمام: يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً، بل أعفاه الله منه ببركة إجابته للنبيﷺ وذهابه فيما وجهه له. والحمّام: مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار. انظر شرح النووي على صحيح مسلم(146/12).

فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ قُمْ يَا نَوْمَانُ).

ثانياً: اختراق القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه لصفوف أعدائه.

ذكر ابن الجوزي قصة اختراق عمرو بن العاص للروم ومقابلته لحاكمها، وذلك ليقوم باستطلاع أرض العدو بنفسه، ويقوم بتقييم قدراتهم وقواتهم ومواطن الضعف والقوة لديهم.

يقول ابن الجوزي[1]**:**" لما فتح عَمْرو بن الْعَاصِ قيسارية سَار حَتَّى نزل على غَزَّة، فَبعث إِلَيْهِ علجها أَن أرسل إِلَى رجلا من أَصْحَابك أُكَلِّمهُ، ففكر عَمْرو فَقَالَ: **مَا لهَذَا العلج أحد غَيْرِي**، فَقَامَ حَتَّى دخل على العلج فَكَلمهُ فَسمع كلَاما لم يسمع مثله قطّ،فَقَالَ لَهُ العلج حَدثنِي هَل من أَصْحَابك أحد مثلك؟ قَالَ:لَا تسْأَل عَن هواني عِنْدهم، إِذْ بعثوني إِلَيْك وعرضوني لما عرضوني فَلَا يَدْرُونَ مَا تصنع بِي، قَالَ فَأمر لَهُ بجائزة وَكِسْوَة، وَبعث إِلَى البواب إِذا مر بك فَاضْرب عُنُقه وَخذ مَا مَعَه، فَمر بِرَجُل من النَّصَارَى من غَسَّان، فَعرفهُ فَقَالَ يَا عَمْرو: **قد أَحْسَنت الدُّخُول فَأحْسن الْخُرُوج** فَرجع، فَقَالَ لَهُ الْملك: **مَا ردك إِلَيْنَا ؟** قَالَ نظرت فِيمَا أَعْطَيْتنِي فَلم أجد ذَلِك ليسع بني عمي فَأَرَدْت أَن آتِيك بِعشْرَة مِنْهُم تعطيهم هَذِه الْعَطِيَّة فَيكون مَعْرُوفك عِنْد عشرَة خيرا من أَن يكون عِنْد وَاحِد، قَالَ صدقت أعجل بهم، وَبعث إِلَى البواب خلِّ سَبيله، فَخرج عَمْرو وَهُوَ يلْتَفت حَتَّى إِذا أَمن قَالَ: **لَا عدت لمثلها أبدا**، فَلَمَّا صَالحه عَمْرو وَدخل عَلَيْهِ العلج **فَقَالَ لَهُ: أَنْت هُوَ ؟ قَالَ على مَا كَانَ من غدرك**".

<u>المطلب السادس: إسناد مهمة خاصة (تخذيل وضعضعة للأعداء).</u>

أسند الرسول القائدﷺ مهمة خاصة جداً للصحابي الجليل نُعيم بن مسعود، زلزلت قوة وأركان الأحزاب، وقد كانت مهمته أن يقوم بتخذيل الأحزاب بطريقته الخاصة نظراً لأنهم يثقوا به حيث لم يكن مُعلناً اسلامه بعد.

ونُعيم بن مسعود رضي الله عنه لا يُتوقع إسلامه، فكانت مهمته قاصمة الظهر بالنسبة للأحزاب، وقد قام نُعيم ابن مسعود رضي الله عنه بزعزعة الثقة بينهم وإدخال الريبة والشك بينهم، حتى عجزوا عن تنفيذ الهدف الذي كانوا يسعون إليه، وفشلت مؤامرتهم.

أخرج الإمام الطبري[2] بسنده عن نعيم بن مسعود الأشجعي قال: **(قَالَ لِي رَسُول اللهﷺ يَوْمَ الخَنْدَق خَذِّلْ عَنَّا فَإِنَّ الحَرْبَ خُدْعَة).**

---

[1] للجوزي، الأذكياء (ص30).

[2] سبق تخريجه (ص253).

يقول اللواء محفوظ[1]: "فقام نعيم بن مسعود بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين، وفي إزالة الثقة فيما بينهم".

[1] اقتباس النظام العسكري (ص148).

سادساً: الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

- اهتمت السُّنة النبوية بموضوع العمليات العسكرية، وترسيخ (عقيدة، ومبادئ، وأسس، وواجبات، وأخلاق) القتال اهتماماً كبيراً، والروايات أثبتت كل ذلك قولاً وعملاً.
- تناولت السنة النبوية لموضوع العمليات العسكرية من الغزوات والسرايا بصورة شاملة متكامة كماً ونوعاً، وقد اشتملت على (عدد وزمن ونوع) الغزوات والسرايا بشكل مفصّل كما في الدراسة.
- دراسة فرضيات وتدابير التعبئة والتكتيكات العسكرية الواجبة على القائد العسكري المسلم، امتثالاً لسُنّة الإعداد والأخذ بالأسباب لتحقيق النصر.
- إن النصر من عند الله، ولكن الله عز وجل يهب نصره لمن يأخذ بأسباب النصر والتمكين، ويعرف متطلبات القتال كافة، وسُنة الإعداد وتحصيل القوة.
- دراسة التكتيكِ العسكري يتناول مسائلَ هامة لتحقيق النصر في المعارك هي: الأرض، والسلاح، والتشكيلات، مع مراعاة الاستخدام الأمثل للقواتِ العسكرية، خصوصاً مسألة النيرانِ والحركةِ في المعركة.
- أنَّ الرسول القائدﷺ طبّق أنواع العمليات العسكرية كافة (عمليات الاستطلاع، العمليات الدفاعية، العمليات الهجومية، عمليات استثمار النجاح، عمليات المطاردة، العمليات النفسية، والعمليات الخاصة بكافة تصنيفاتها.. وغير ذلك).
- أنّ الرسول القائدﷺ عمل بمبادئ الحرب العامة، وقد أبدع المسلمون في معاركهم في تطبيق تكتيك العمليات الدفاعية والهجومية، وغيرها وفق المبادئ والأصول التعبوية، والتي ما زالت قائمة في الحروب المعاصرة.
- أثبتت سيرة الرسولﷺ العسكرية، بشكل جازم لا يتطرق إليه الشك، أن انتصاره كان بعد تأييد الله تعالي لشجاعته الشخصية، ولحنكته، وقراراته الحازمة في أخطر الظروف، ولعزمه الأكيد على التشبث بأسباب النصر، وتطبيقه لمبادئ الحرب المعروفة في كل معاركه؛ ولو أغفل شيئاً من الحذر والحيطة والإعداد، لتبدّل الحال.
- أن الرسولﷺ كان يحرص على جمع المعلومات الوافية عن أعدائه بشتى الوسائل والطرق، وفي وقت مبكر، حتى يكون لديه التصور الكامل عن هذا العدو، فيضع الخطط العسكرية المناسبة لمواجهته.
- أن العمليات الدفاعية مهما كانت ناجحة إلا أنها تمنع هزيمة، أما الانتصار الحقيقي للعمليات العسكرية فلا يتم إلا بالعمليات الهجومية.

- أنّ أغلب العمليات العسكرية التي حدثت في الغزوات والسرايا كانت تطبّق وفق تكتيكات مدروسة مُسبقاً، وجاءت وفق قواعد وأصول ما زال يُعمل بها في العصر الحديث.
- الاستفادة من خصائص الأرض عسكرياً ومن الموانع والظروف الطبيعية، من المبادئ الهامة التي يجب مراعاتها عند الدراسة ووضع الخطط العسكرية، وذلك لما تحققه من تفوق تكتيكي على الأعداء.
- أن العقيدة العسكرية الإسلامية اتسمت بالطابعين (الدفاعي والهجومي معاً)، وذلك لما تطلبه مصلحة الدولة الإسلامية حفاظاً على قوتها وهيبتها وتحقيقاً لغاياتها، وأنّ معارك الرسولﷺ كانت لحماية حرية نشر الإسلام، ولتوطيد أركان السلام، لا للعدوان، وأنّ الطابع الهجومي مشروعيته لأجل إزالة الحواجز المادية التي تمنع الإسلام من الوصول إلى الشعوب، حتى يصبح النَّاس أحراراً في اختيار عقيدتهم، ويكون الدين كله لله، فينتشر عدل ورحمة الإسلام في الأرض.
- أن الرسولﷺ طبّق الشورى بقوله وفعله، ولم يؤثر عنه أنه ترك المشاورة في الشؤون العسكرية إلا إذا كانت المصلحة العامة تقتضي عدم المشاورة.
- أن ثبات القائد في ميدان القتال له أثر كبير في كسب نتائج المعركة لصالح جيشه، لأن الجند إذا رأوا قائدهم ثابتاً وسط المعركة، ترتفع معنوياتهم، ويحملهم ذلك على الاقتداء به والثبات في المعركة؛ وقد كان النبيﷺ قدوة حسنة في التحلي بهذه الخصلة في جميع الميادين القتالية التي خاضها.
- أن حماية القائد من متطلبات النصر في المعركة، لأن قيامه على قيادة الجيش أمر ضروري، حتى يقوم بتوجيه الجند إلى ما يحقق لهم المصلحة ويدفع عنهم المفسدة في ميدان الحرب.
- أن مخالفة أمر القائد تُعَدّ من أخطر الأسباب التي ينتج عنها المفاسد المتعددة من التفرق والضعف، وتسلُّط الأعداء، والفشل والهزيمة.
- تعتبر العمليات الخاصة لها قيمة كبيرة في تعزيز القوة، وهي من أكثر العوامل التي تُصدّع وتُؤثِّر في الأعداء، ولها تأثير كبير في فرض هيبة الدولة وقوتها.
- جواز بثّ الإشاعات والأراجيف في صفوف الأعداء، وتخذيلهم وتفريقهم بأي وسيلة، لإضعاف روحهم المعنوية وتثبيطهم عن القتال.
- إن الحرب النفسية سلاح فتاك وتستخدمه الدول في العصر الحديث في الحرب والسلم، وقد تكتفي الدولة البارعة في إدارة دفة هذه الحرب باستخدامه ضد عدوها فيغنيها عن الحرب الساخنة.
- ضرورة الابتكار في الأساليب والأعمال العسكرية، لتحقيق المباغتة للأعداء، ومواكبة التطورات القائمة أولاً بأول.
- ضرورة العمل على تحريض الجند على القتال، ورفع معنوياتهم، واستثارة روح المنافسة الشريفة بين الجند حتى يكون دافعاً لهم للشجاعة والإقدام والاستبسال في القتال.

- ضرورة العمل بمبدأ التأمين العام للقوات، من حيث تأمين المجتمع، والجيش، والقادة، والمعسكرات، والخطط، والإمكانات والقدارت، وكافة مواطن قوة المسلمين أو ضعهفم، سلماً وحرباً.
- ضرورة التأصيل لأعمالنا العسكرية من القرآن والسنة، والعمل على استنباط الأمثلة العملية من التجارب العسكرية في الغزوات والسرايا، وفي التاريخ الإسلامي، الاقتداء بسلفنا الصالح وإبراز ابداعاتهم وبطولاتهم، ونشرها بين الأجيال.

ثانياً: التوصيات:

وأجملها فيما يلي:

- ضرورة التأصيل الشرعي لكل عمل يقوم به المسلم، خاصة في القضايا التي تتعلق بالجهاد والحُكم لما لها من تأثير كبير على الأمة، وذلك حرصاً على مرضاة الله سبحانه وتعالى.
- الاهتمام بدراسة السنة النبوية الشريفة من الناحية الموضوعية، بما يخدم احتياج الأمة في عصرنا، فمثل هذه الدراسات تنير للدعاة والمجاهدين الطريق نحو إقامة مجتمع مسلم يجتهد لنصرة دين الله، وإقامة شرع الله في الأرض.

وفي الختام أسأل الله العظيم رب العرش الكريم؛ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الجنرال، أكرم. (1414- 1994). *سيف الله خالد بن الوليد*. ترجمة: العميد الركن صبحي الجابي. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة.

إبراهيم علي محمد أحمد. *الاستخبارات في دولة المدينة المنورة*. ط1. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. (1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

ابن الأثير الجزري، الشيباني، علي بن أبي الكرم محمد. (1415هـ). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الأثير، الجزري، أبي السعادات المبارك بن محمد. *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

النيسابوري، ابن خُزَيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي. (1424 هـ - 2003 م). *صحيحُ ابن خُزَيمة*. حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي. ط3. المكتب الإسلامي.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. (1408 هـ - 1988م). *تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)*. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر.

ابن عبد البر. (1387هـ). *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية. مؤسسة القرطبه.

ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد. (1983). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال. ط3. بيروت: دار الثقافة.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. *سنن بن ماجه*. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن منظور، محمد بن مكرم الافريقي المصري. *لسان العرب*. ط1. بيروت: دار صادر.

ابن هشام، عبد الملك ابن هشام. (1375هـ-1955). *السيرة النبوية*. تحقيق مصطفى السقا. ط2. مصر: مطبعة مصطفي البابى الحلبي.

أبو عُبيَّة، طه عبد المقصود عبد الحميد. موجز عن *الفتوحات الإسلامية*. القاهرة. دار النشر للجامعات.

أبو فارس، محمد عبد القادر. (1413هـ_1993). *المدرسة العسكرية النبوية*. ط1. الأردن: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.

الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. *الأحكام السلطانية*. القاهرة : دار الحديث.

أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، (1429هـ - 2008م). معجم *اللغة العربية المعاصرة*. ط1.

رضوان، اسماعيل سعيد، والثلاثيني نهاد يوسف. (2012). *الأمن في السنة النبوية* (بحث محكم). مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية غزة، (20)، 1-32.

الأصبهاني، أبي الفرج . *كتاب الأغاني*. تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، لبنان: دار الفكر للطباعة.

الأصبهاني، أبي الشيخ. (1998). *أخلاق النبي وآدابه*. تحقيق: صالح بن محمد الونيان .ط1 . دار المسلم للنشر والتوزيع.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1405هـ-1985). *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. ط2. إشراف: زهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألوسي، تأليف: محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن دعامة. *المذكر والمؤنث*. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، مراجعة: د. رمضان عبد التواب. جمهورية مصر العربية: وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث.

الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري. (1403هـ). *معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع* .ط3. بيروت: عالم الكتب.

الأندلسي، البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد. (1403هـ). *معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع*. ط3. بيروت: عالم الكتب.

الأندلسي، الحميري، الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى. (1417هـ). *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء*. تحقيق : د. محمد كمال الدين عز الدين علي. ط1. عالم الكتب.

الأيوبي، هيثم. (1981م). *الموسوعة العسكرية*. ط1. بيروت: دار النشر.

باشميل، محمد أحمد. (1393هـ-1973م). *من معارك الإسلام الفاصلة غزوة الأحزاب*. ط4. دار الفكر.

باشميل، محمد أحمد. (1406هـ). *موسوعة الغزوات الكبرى - غزوة أحد*. قام بمراجعته وتقويم مصطلحاته العسكرية الحديثة اللواء الركن محمود شيت خطاب. ط5. القاهرة: المطبعة السلفية.

البخاري، الحنفي، محمد بن أبي إسحاق. (1420هـ-1999م). *بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. (1422هـ). *صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. *التاريخ الكبير*. حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية.

البرت ميرغلن. (1989م). *كتاب حرب المباغتة*. ترجمة بسام العسلي. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

البُستي، التميمي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ. (1393هـ-1973م). *الثقات*. ط1. الهند: دائرة المعارف العثمانية.

البستي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. (1407هـ). *إصلاح غلط المحدثين*. تحقيق د. محمد علي عبد الكريم الرديني. دمشق: دار المأمون للتراث.

البصري، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم. *كتاب العين*. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال.

البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*. تحقيق: د. محمود الطحان. الرياض: مكتبة المعارف.

البغدادي، ابن بشران، عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشْران. (1418هـ-1997م). *الأمالي*. ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي. ط1. الرياض: دارالوطن.

البغوي، الحسين بن مسعود. (1403هـ-1983م). *شرح السنة*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط . ط2. دمشق: المكتب الإسلامي.

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. (1417هـ_1996م). *أنساب الأشراف*. ط1. بيروت: دار الفكر.

البلخي، الأزدي. مقاتل بن سليمان بن بشير، *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته . ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. (1389هـ-1969م). *إسعاف المبطأ برجال الموطأ*. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع. *الطبقات الكبرى* ت230هـ. (1410هـ-1990م). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيروتي، بشير يموت. (1352هـ_1934م). *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*. جمعه ورتبه ووقف

على طبعه: بشير يموت. ط1. بيروت: المكتبة الأهلية.
البيضاوي، الشيرازي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد. (1418هـ). *تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت : دار إحياء التراث العربي.
البيهقي، أبو بكر (ت 458هـ). (1405هـ). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. ط1. بيروت: دارالكتب العلمية.
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (1424هـ-2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت : دار الكتب العلمية.
البيهقي، للإمام أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (1408هـ_1988م). *دلائل النبوة*. تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي. ط1. دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.
التاجي، محمد بن علي بن كامل. *الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام*.
أكاديمية فلسطين العسكرية .(2013م). *التاريخ العسكري*. ط.
الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. *الجامع الكبير - سنن الترمذي*. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
تزو، المؤرخ العسكري الصيني سون. *فن الحرب*. ط2006. رؤوف شبايك.
أكاديمية فلسطين العسكرية. *تكتيك الهجوم*. ط2. (1434هـ).
أكاديمية فلسطين العسكرية. *تكتيك الوحدات الصغرى*. ط1. (1436هـ-2015م).
أكاديمية فلسطين العسكرية. *تكتيك عسكري*. ط2. (1434هـ-2013م).
جامعة الدول العربية. (2005). *أسس المعركة الهجومية*. جمهورية مصر العربية: وزارة الدفاع.
جامعة الدول العربية. (2005). *المعركة الهجومية*. جمهورية مصر العربية: الندوة الثلاثون.
الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (14هـ -1983م). *التعريفات*. تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
علي، جواد. (142هـ - 2001م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط4. دار الساقي.
الجوزية ، لابن قيم ت 751هـ. (1414هـ - 1993م). *الفروسية* . تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان. ط1 . السعودية : دار الأندلس.
الجوزية، ابن قيم. (1389 هـ - 1969م). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. مصر: دار الكتب الحديثة.
حجازي، يوسف حسن. (1432هـ - 2011م). *فلسفة الميدان_ رؤى في التخطيط العسكري*. ط1. فلسطين- غزة.

الحضري، يحيى بن أبي بكر العامري. *بهجة المحافل وبغية الأماثل*. بيروت: دار صادر.
حمشو، حسام عبد الله. (1429هـ-2008م). *السيرة النبوية من خلال الكتب السّتة (دراسة تحليلية)*. ط1. الأردن: الدار العثمانية.
الحموي، ياقوت. معجم *البلدان*. بيروت: دار الفكر.
الحنبلي، ابن العماد العَكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد. (1406 هـ - 1986م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. ط1. بيروت: دار ابن كثير.
خطاب، محمود شيت. (2002-1422م). *قادة بلاد فارس (إيران)*. ط4. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
خطاب، محمود شيت. (1390هـ - 19970م). *خالد بن الوليد المخزومي*. ط2. مصر: مطابع الأهرام التجارية.
خطاب، محمود شيت. *دروس في الكتمان من السيرة النبوية*. منبر التوحيد والجهاد.
خطاب، محمود شيت. (1422هـ - 2002م). *الرسول القائد*. ط6. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
خطاب، محمود شيت. (1423هـ - 2002م). *بين العقيدة والقيادة*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
خطاب، محمود شيت. *تاريخ جيش النبيﷺ*. ط. القاهرة: دار الإعتصام.
خطاب، محمود شيت، ومحفوظ، محمد جمال الدين، وزايد، عبد اللطيف، *اقتباس النظام العسكري في عهد النبيﷺ. الدوحة:* مطابع قطر الوطنية.
خطاب، محمود شيت. *تاريخ جيش النبيﷺ*. ط. القاهرة: دار الطباعة.
خليل، عماد الدين. (1425هـ*)*. *دراسة في السيرة* . ط 2. بيروت: دار النفائس.
الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي. (1424 هـ - 2004م). *سنن الدارقطني*. حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة .
الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد .(1407هـ). *سنن الدارمي*. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. خالد السبع العلمي . ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
الدمشقي، ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. (1407 هـ - 1986م). *البداية والنهاية*: دار الفكر.
الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير. (1420هـ - 1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع.

الدينوري، بن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (1418هـ). *عيون الأخبار*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي. (1405 هـ - 1985م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الرازي، القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء. (1399هـ - 1979). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.

الرشيد، عبد الله، (1410هـ - 1990م). *القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ*. ط1. دمشق: دار القلم.

رينهارت بيتر آن دُوزِي. (1979 - 2000). *تكملة المعاجم العربية*. نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي، ج9-10: جمال الخياط . ط1. الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام.

ابن قيم الجوزية، حمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. (1415هـ - 1994م). *زاد المعاد في هدي خير العباد* . ط27. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

الزرقاني، المالكي، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب، (1417هـ-1996م). *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*. ط1. دار الكتب العلمية.

الزيات، احمد، وإبراهيم مصطفى وآخرون. *المعجم الوسيط*. تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.

العاملي، زينب بنت علي بن حسين. (1312هـ) *الدر المنثور في طبقات ربات الخدور*. ط1. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

السِّباعي، مصطفى.*(1405هـ-1985). السيرة النبوية دروس وعبر*. ط3. الناشر: المكتب الإسلامي.

السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا- بيروت: المكتبة العصرية.

السُّلَميُّ ، د. محمد بن صامل، وقصَّاص، عبد الرحمن بن جميل، والموسى، سعد بن موسى، والغيث ، خالد بن محمد. *صَحِيحُ الأَثَر وجَمَيلُ العبر من سيرة خير البشر صلى الله عليه وسلم*. مكة: مكتبة روائع المملكة.

السمرقندي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي. 1434هـ - 2013م . *مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي*. ط1. المحقق: نبيل هاشم الغمري. بيروت: دار البشائر.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ت581هـ.(1421هـ - 2000). *الروض*

الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. بيروت : دار احياء التراث العرب.

سويد، ياسين . (1989). *معارك خالد بن الوليد*. ط4. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

السياسة الشرعية . ماليزيا : جامعة المدينة العالمية.

السيوطي ، *في الخصائص الكبرى* . بيروت : دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: 1418هـ 1998.

الشافعي، المصري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا.(1426 هـ - 2005 م). *منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري)*، اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي. ط1. الرياض_السعودية : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

الشامي، محمد يوسف الصالحي.(1414هـ - 1993م). *سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد . بيروت* : دار الكتب العلمية.

شفيق، منير . (2008م). *فن علم الحرب*. ط1. لبنان : الدار العربية للعلوم.

الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد، *الجهاد لابن أبي عاصم* (1409هـ). تحقيق: مساعد بن سليمان الراشد الجميد . ط1. المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم .

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. (1416 هـ - 1995 م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. لمحقق: أحمد محمد شاكر. ط1. القاهرة : دار الحديث.

صالح بن طه عبد الواحد. (1428هـ). *سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام*. ط2. الدار الأثرية : مكتبة الغرباء.

صالح زهر الدين، والعماد الرك مصطفى طلاس، واللواء الركن رياض تقي الدين. (1420هـ-2000م). *موسوعة معارك العرب منذ الفتح العربي حتى عام 1968*. ط1. بيروت : دار الندوة الجديدة.

الصلابي، د. علي. (1428هـ-207م). *غزوات الرسولﷺ دروس وعبر*. ط1. القاهرة : مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

الصَّلاَّبي، علي محمد. (1429 هـ - 2008 م). *السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث* . ط4. بيروت-لبنان : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الصوياني، محمد بن حمد.(1424 هـ - 2004 م). *السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)*. ط1. الناشر: مكتبة العبيكان.

أبو شعر، طالب.(1434هـ-1407م). *أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة(رسالة ماجستير)*. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الطاهر ، أحمد حامد .(1434هـ - 2013م). *غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم*. ط2. القاهرة: دار الفجر للتراث.

الطبري، محمد بن جرير. (1431 هـ - 2010 م). *تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط (1413هـ-2010م). بيروت : دار سويدان.

طقوش، محمد سهيل.(1424هـ - 2003م). *تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية*.ط1: دار النفائس.

الطيالسي، البصري، أبي داود سليمان بن الجارود (ت 204هـ). (1419هـ - 1999م). *مسند أبو داوود*، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. ط1 . مصر: دار هجر.

الطيالسي، الفارسي البصري ، سليمان بن داود أبو داود . *مسند أبي داود الطيالسي* . بيروت : دار المعرفة.

الظاهري، الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (1900م). *جوامع السيرة* . تحقيق: إحسان عباس. ط1. مصر: دار المعارف.

العامري، الحرضي، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى. *بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل*. بيروت: دار صادر.

الميْداني، عبد الرحمن حسن حَبَنَّكة.(1414هـ - 1993م). *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*. مكة المكرمة.

أبو العزم، عبد الغني. (إصدار: 1434هـ - 2013م). *المعجم الغني (معجم إلكتروني)*.

العجلي، الكوفي، أحمد بن عبد الله بن صالح. (1405هـ - 1985م). تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي. ط1. المدينة المنور: مكتبة الدار.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. (1415هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (1408 هـ). *الأوائل*. ط1. طنطا: دار البشير.

هنيدي، عبد العزيز بن محمد. *العسكرية في الاسلام في ضوء ما ورد في القرآن الكريم*. السعودية: جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن للعسكريين.

العسلي، بسام. (1408هـ –1988). *فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

عشماوي، محمد عادل.(2011). *المعجم العسكري*. ط1. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

سالم، عطية بن محمد. (1391– 1971م). *بدر الكبرى*. ط4. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

العظيم آبادي، الصديقي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر. (1415هـ). *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

العلي، إبراهيم بن محمد. (1415 هـ – 1995م). *صحيح السيرة النبوية*. راجعه: د. همام سعيد. ط1. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الشحود، علي بن نايف. *الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرافضة (مقدمة عن تاريخ الرافضة)*.

معطي، علي. (1419هـ – 1998م). *التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول*. ط1. بيروت: مؤسسة المعارف.

العمري، بريك بن محمد بريك. (1417هـ – 1996م). *السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة*. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط1. دار ابن الجوزي.

العمري، عبد الله. (1413هـ). *أطروحة العقائد العسكرية*. مجلة الملك خالد العسكرية. العدد: 41. السعودية: القوات الجوية الملكية.

جامعة الدول العربية. (مايو 2005). العمليات الهجومية – تونس. تونس: الندوة الثلاثون.

العوشن، محمد بن عبد الله. *ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية*. دار طيبة.

عون، عبد الرؤوف. (1961م). *الفن الحربي في صدر الإسلام*. القاهرة: دار المعارف.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (1411هـ). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المهر، غازي إسماعيل المهر. (1994م). *مبادئ الحرب في صدر الإسلام*. ط1. الأردن: دار الفرقان للطباعة.

الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة.

الفارابي، الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1407 هـ – 1987م). *تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين.

آغا، فاروق حسين. *الإعجاز العسكري في القرآن الكريم "سورة العاديات وأسباب النصر والهزيمة في المعارك"*.

الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس. (1414هـ). *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*. تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، بيروت: دار خضر.

فرج، محمد. (1977م). *العبقرية العسكرية في غزوات الرسول*. ط3. القاهرة: دار الفكر العربي.

فرج، محمد. (1969م). *المدرسة العسكرية الإسلامية*. ط2. مصر: دار الفكر العربي.

الفسوي، يعقوب بن سفيان. *المعرفة والتاريخ*. تحقيق: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية.

قاسم، حمزة محمد. (1410هـ - 1990م). منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط. السعودية: مكتبة دار البيان.

القرطبي، النمري، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم. (1412هـ - 1992م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. ط1. بيروت: دار الجيل.

القرطبي، محمد بن أحمد. (1423هـ - 2003م). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: سمير هشام البخاري. السعودية- الرياض: دار عالم الكتب.

القزويني، الرازي، أحمد بن فارس. (1426هـ). مأخذ العلم. تحقيق: محمد بن ناصر العجمي. ط2. دار البشائر الإسلامية.

القلموني، الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كاخيا، العميد الركن: إبراهيم إسماعيل. (2009م) *الاستراتيجية العسكرية المعاصرة والمذاهب العسكرية العالمية السائدة (دراسة)*. السعودية: إصدار مجلة الدفاع.

كمال، أحمد عادل. (1409هـ- 1989م). *استراتيجية الفتوحات الإسلامية- القادسية*. ط9. بيروت: دار النفائس.

الجاحظ، الكناني، عمرو بن بحر بن محبوب. (1423هـ). *البيان والتبيين*. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي. (1985م). غريب *الحديث*. تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (1416هـ - 1995م). مجموع *الفتاوى*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

سويد، ياسين، الفن العسكري الإسلامي أصوله ومبادئه،

المباركفوري، صفي الرحمن. (1425-2004). الرحيق المختوم. المنصورة: طبعة دار الوفاء.

خدوري، مجيد، (1973م). *الحرب والسلم في شرعة الإسلام*. بيروت: الدار المتحدة.

محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين، النظرية الاسلامية في الاستطلاع والأمن ومقاومة الجاسوسية،

الناشر: دار الاعتصام.
محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين. *النظرية الإسلامية في تقاليد الجندية وآداب الحرب*. دار الإعتصام.
محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين. *دراسة بعنوان (تحليل نوعي وكمي لغزوات النبيﷺ)*.
محفوظ، محمد جمال الدين.(1976م). *المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.*
المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *تفسير الجلالين – المحلي والسيوطي . القاهرة* : دار الحديث.
أكاديمية فلسطين العسكرية ، *مدخل إلى علم الأمن والاستخبارات*. (1434هـ – 2013م). ط1.
المدخلي، إبراهيم بن محمد، *مرويات غزوة الخندق*. المدينة المنورة : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
المدني، الأصبحي، مالك بن أنس بن مالك بن عامر. *موطأ الإمام مالك*.(1406 هـ – 1985 م) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. لبنان : دار إحياء التراث العربي.
المدني، محمد بن إسحاق. (1398هـ – 1978م.). *سيرة ابن اسحاق (كتاب السير والمغازي)*. تحقيق: سهيل زكار. ط1 . بيروت: دار الفكر .
المراكشي، ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد.(1983م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ط3.* تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال . بيروت : دار الثقافة.
المرصفي، سعد. (1430هـ – 2009م) .*الجامع الصحيح للسيرة النبوية*. ط1. الكويت : مكتبة ابن كثير.
المروزي، السمعاني، التميمي، أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد ت489هـ. (1418هـ – 1997م). *تفسير القرآن (تفسير السمعاني)*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1 . السعودية –الرياض: دار الوطن.
مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب. (2000 م) . *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*. تحقيق، أبو القاسم إمامي. ط2 . طهران : سروش.
المصري ، أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم .(1415م) . *فتوح مصر والشام* (ت257هـ) . مكتبة الثقافة الدينية.
جامعة الدول العربية ، لجنة توحيد المصطلحات والمفاهيم العسكرية المنعقدة.(1983م) . *المصطلحات البرية*. تونس.

جامعة الدول العربية، الندوة السابعة عشر للجنة توحيد المصطلحات العسكرية .(1998م). *المصطلحات العسكرية في العمليات التعرضية*. إصدار المنعقدة.

خطاب، محمود شيت. (1386هـ – 1996م). *المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم* . ط1. بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر.

جامعة الدول العربية. (1992م). *المصطلحات المتعلقة بالتدريب التكتيكي للوحدات حتى مستوى كتيبة*. القاهرة: الأمانة العامة – لجنة توحيد المصطلحات والمفاهيم العسكرية.

جامعة الدول العربية. (1983م). معجم *المصطلحات العسكرية* – واجبات الأركان. تونس: إدارة الشئون العسكرية، الندوة الثامنة عشر للجنة توحيد المصطلحات العسكرية.

مصطفى، إبراهيم، و الزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد. *المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية القاهرة : دار الدعوة.

ابن سعد، البصري، البغدادي، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع. (1408هـ). *الطبقات الكبرى القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم* ت230هـ . ط2. تحقيق: زياد محمد منصور. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

مغلطاي، بن قليج، عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي. (1416 هـ – 1996م). *الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء*. تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيّح . ط1. دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية.

المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد.(1425هـ 2004م). *سلسلة أطلس تاريخ الخلفاء الراشدين– أطلس الخليفة أبي بكر الصديق*. ط1. الرياض : مكتبة العبيكان – الرياض.

المقريزي. (1420هـ – 1999م). *إمتاع الاسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والأحفدة والمتاع*. تحقيق محمد عبد الحميد النميسي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المناوي، محمد عبد الرؤوف.(1410م). *التوقيف على مهمات التعاريف*. ط1. بيروت : دار الفكر المعاصر – بيروت.

المنقري، نصر بن مزاحم. (1382هـ). وقعة صفين. تحقيق: شرح عبد السلام محمد هارون.ط2. المؤسسة العربية الحديثة.

شفيق، منير.(1429هـ – 2008م). *الاستراتيجية والتكتيك في فن عِلِمُ الحرب من السيف والدروع إلى الصاروخ والأنفاق*. ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

رزق الله، مهدي أحمد.(1412هـ – 1992م). *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية– دراسة تحليلية*. ط1. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

الموصلي، أبو المحاسن بن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي. (1415 هـ - 1994م). *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)*. تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال. ط2. القاهرة : مكتبة الخانجي.

عبد العزيز، خالد بن سلطان، مقاتل من الصحراء، (موقع الإلكتروني: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Askria6/mhamAnsak/sec02.doccvt.htm

المومني، أحمد محمد خلف. *التعبئة الجهادية في الإسلام*. عمان-الأردن: دار الأرقم للنشر والتوزيع.

ميرغلن، العقيد البرت. (1989م). *كتاب حرب المباغتة*. ترجمة بسام العسلي. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

النجار، محمد الطيب. *القول المبين في سيرة سيد المرسلين* . لبنان: دار الندوة الجديدة.

الندوي، أبي الحسن. (1403هـ- 1983م). *السيرة الحلبية* . ط5. المملكة العربية السعودية: دار الشروق.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني.(1406 - 1986). *المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)*. ط2. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النمري، ابن عبد البر. الدرر في اختصار المغازي والسِّير. تحقيق الدكتور شوقي ضيف . ط2. القاهرة : دار المعارف – كورنيش النيل.

النووي، أبو زكريا يحيى بن مري. (1392هـ) . *شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) النووي*. ط2. بيروت : دار احياء التراث العربي.

النووي . (1392هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت : دار إحياء التراث.

النيسابوري، أبي إسحاق.(1422هـ - 2002م). *الكشف والبيان*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني. *مجمع الأمثال*. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة.

النيسابوري، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم. *المستدرك على الصحيحين*. إشراف: د. يوسف المرعشلي. بيروت: دار المعرفة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. *(صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهاشمي، أحمد. *السحر الحلال في الحكم والأمثال*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الهروي، أبي منصور.(2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب . ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهيثمي. (1324هـ). مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*. لبنان–بيروت: دار الفكر.

هيز،العقيد صامويل، وتوماس. (1989م). والمقدم وليم، *كتاب تولي القيادة – فن القيادة العسكرية وعلمها*. ترجمة: سامي هاشم . ط2. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الواقدي، محمد بن عمر. (1409هـ_1989م). *المغازي*. تحقيق: مارسدن جونس. ط3. بيروت: دار الأعلمي.

وتر، محمد ضاهر. (1408_1987م). *الإدارة العسكرية في حروب الرسول* محمدﷺ. دمشق: دار الفكر.

الوكيل، محمد السيد. (1401هـ). *موقعة اليرموك دراسة وتحليل*. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

اليحصبي، القاضي عياض بن موسى. (1409 هـ – 1988). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

السنافي، يحيى بن عبد الله.(1991م). *الاستراتيجية العسكرية لسرايا الرسول القائد*.

اليمني، الحميري، نشوان بن سعيد. (1420هـ_1999م). *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله. ط1. بيروت– لبنان: دار الفكر المعاصر.

فهرس أطراف الآيات

20	﴿فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾	الدخان	23	66
21	﴿فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	الحجر	94	42
22	﴿فاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾	الحجر	85	44
23	﴿فالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾	العاديات	3	218
24	﴿فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾	آل عمران	174	285
25	﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ..﴾	الصافات	177	298
	﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ..﴾	التوبة	5	43
26	﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ..﴾	يوسف	70	251
27	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ..﴾	التوبة	29	141
28	﴿قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾	التوبة	36	141
29	﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾	الأنبياء	93	252
30	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِّ﴾	النمل	64	252
31	﴿قالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَاذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ﴾	الكهف	19-20	61
32	﴿قالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾	هود	81	66
33	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ..﴾	آل عمران	12	149
34	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر	9	2
35	﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا..﴾	النمل	63	295
36	﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾	الحشر	13-14	161
37	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا..﴾	الأحزاب	21	154
38	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾	الفتح	17	234

39	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ .. ﴾	يونس	22	194
40	﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الجمعة	10	128
41	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	آل عمران	121	80
42	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾	النساء	83	62
43	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾	البقرة	186	129
44	﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾	النساء	71	66
45	﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾	المزمل	10	42
46	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..﴾	آل عمران	103	209
47	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ..﴾	الأنفال	60	80
50	﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ.. ﴾	البقرة	191	43
51	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾	العاديات	3-1	217
52	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَات بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بَعْض..﴾	التوبة	71	242
	﴿إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ..﴾	ابراهيم	7	6
53	﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾	الأحزاب	25	44
54	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾	إبراهيم	32	194
55	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْض﴾	الأنفال	55	142
57	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	البقرة	190	45
58	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ.. ﴾	التوبة	5	43
59	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ.. ﴾	آل عمران	146	153
60	﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	فاطر	14	266

61	﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ..﴾	التوبة	46	153
62	﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	آل عمران	126	129
	﴿ومَن يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه﴾.	لقمان	12	6
63	﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ..﴾	الفتح	24	303
64	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾	الأنفال	15	251
65	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الأنفال	45	128
66	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الأنفال	45	149
67	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا..﴾	الأحزاب	41	149
68	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾	النساء	71	71
69	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾	البقرة	217	72
70	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾	قريش	3-4	60

فهرس أطراف الأحاديث

.25	أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِأَسْهُمٍ فِي الْمَسْجِدِ، قَدْ أَبْدَى نُصُولَهَا	جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ	278
.26	أنَّ رَجُلاً مِنَ آل المُغِيْرَة	ابْن عَبَّاس	58
.27	أنَّ رسولَ اللهِﷺ أخذ سيفا يوم أُحُد	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	100
.28	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعًا	صفوان بن أمية	236
.29	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	115
.30	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ أَمَرَ بِالْأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ	عَائِشَةَ	235
.31	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ بَعَثَهُ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ	عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ	226
.32	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ	ابْنِ عُمَرَ	179
.33	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ	أَنَسٍ	71
.34	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَأَمَرَ الْمُنَادِيَ أَنْ يُنَادِيَ	أَبِي قَتَادَةَ	223
.35	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ غَزَا خَيْبَرَ فَصَلَّيْنَا	أنس بن مالك	130
.36	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ كَانَ يُغِيرُ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	210
.37	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ	أَنَسٍ﷛	93
.38	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ	عَائِشَةَ	148
.39	أَنَّ عُثْمَانَ﷛ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ	عثمان بن عفان	205
.40	إنَّ في المَعاريض لَمَنْدوحةً عن الكَذِب	عِمران بن حُصَين	291
.41	أَنَّ نِسَاءً مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَهِدْنَ الْيَرْمُوكَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ	أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ	249
.42	أَنَّ هَوَازِنَ جَاءَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ بِالصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ	أنس بن مالك	172
.43	إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ	جابر﷛	112
.44	أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّﷺ،	عُثْمَان﷛	237
.45	انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّﷺ	جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ	211
.46	انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	99
.47	إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى	عمر بن الخطاب	2-128
.48	أنهم ساروا مع رسول اللهﷺ يومَ حُنين	سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ	222، 275
.49	أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ	عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ	211
.50	أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ	المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ	282
.51	أَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً	جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ	208
.52	بَعَثَ النَّبِيُّﷺ، بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ	158، 201

.53	بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِﷺ فَقَالَ: خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ	عمرو بن العاص	225
.54	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ،	البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ	268
.55	بَعَثَ رَسُولُ اللهِﷺ بُسَيْسَةَ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	69
.56	بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا،	أَبو هُرَيْرَةَ	241
.57	بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ	أَبو هُرَيْرَةَﷺ	169
.58	بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ	عليٍّﷺ	284
.59	بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ	أَبو هُرَيْرَةَﷺ	149
.60	ثم فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ	المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ	259
.61	ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ	سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ	130
.62	جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّﷺ	عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ	96
.63	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ	أَبو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	141
.64	جَعَلَ النَّبِيُّﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ	البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ	78
.65	جَعَلَ النَّبِيُّﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ	البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ	135
.66	جَعَلَ النَّبِيُّﷺ، عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ	الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ	88، 94
.67	حَدَّثَنِي مَنْ نَظَرَ إِلَى الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ	عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ	102
.68	الحَرْبُ خَدْعَة	جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ	253، 256، 286
.69	خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ ثُمَّ ائْتِنِي، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ	عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ	262
.70	خَرَجَ النَّبِيُّﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ...	الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ	240، 243
.71	خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ عَامَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا	أَبو قَتَادَةَ	198
.72	رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِﷺ يَلْوِي نَاصِيَةَ فَرَسٍ بِإِصْبَعِهِ	جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ	220
.73	رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا	سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ	280
.74	سَأَلَ رَجُلٌ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عُمَارَةَ	أَبو إِسْحَاقَ	133
.75	سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ	عقبة بن عامر	80 - 219
.76	شَاوَرَ رَسُولُ اللهِﷺ أَصْحَابَهُ فِي حِصْنِ الطَّائِفِ	الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ	219
.77	شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ	عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ	208

.78	شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ	العَبَّاس	200
.79	صلَّى بنا رسولُ اللهِﷺ المغربَ	عبد الله بن عَمرو	95
.80	عَبَّأَنَا النَّبِيُّﷺ ببدرٍ ليلاً	عبد الرحمن بن عوف	65
.81	عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ	أَبُو الدَّرْدَاءِ	210
.82	عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ	ابن عباس	327
.83	غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ	أَنَسٍ رضي الله عنه	133
.84	غزا رسول اللهﷺ تسع عشرة غزوة	بُرَيْدَة بن الحُصَيْب	35
.85	غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ	197
.86	غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ	سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ	36
.87	غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ	أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ	212
.88	غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ حُنَيْنًا	سَلَمَةَ	201
.89	غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا	أبو طَلْحَةَ	87
.90	فَامْكُثُوا وَاجْعَلُوا الذَّرَارِيَّ فِي الْآطَامِ	موسى بن عقبة	106
.91	فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِﷺ	حذيفة	279
.92	قَالَ النَّبِيُّﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ	ابْن عُمَرَ رضي الله عنه	148
.93	قَالَ النَّبِيُّﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ	ابن عباس	53-129-280
.94	قال رسول اللهﷺ إنه يأتيني كتب من الناس	زيد بن ثابت	242
.95	قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ، إِنَّا مُدْلِجُونَ	ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ	66
.96	قَالَ رسول اللهﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ له	ابْن عَبَّاس	281
.97	قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟	جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ	257، 266
.98	قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِﷺ يَوْمَ بَدْرٍ	أَبِي أُسَيْدٍ الساعدي	81، 114، 173
.99	قال لي رسول اللهﷺ يوم الخندق خذل عنا	نُعيم بن مسعود	299، 337
.100	قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	أنس بن مالك رضي الله عنه	133
.101	كَانَ أَبُو بكر إِذْ ذكر يَوْم أحد قَالَ	أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ	101
.102	كَانَ النَّبِيُّﷺ سَهِرَ فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ	عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا	282

103.	كَانَ النَّبِيُّﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ	عَائِشَةَ	149
104.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ	أَنَسٍ رضي الله عنه	146، 254
105.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا	كعب بن مالك	248، 261
106.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	196
107.	كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	113
108.	كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ	أنس بن مالك	183
109.	كَانَ رَسُولُﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ	أَنَس بن مالك رضي الله عنه	199، 237،
110.	كَانَ رَسُولُﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ	بُرَيْدَةَ	134
111.	كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ، سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ	أَنَسٍ رضي الله عنه	103
112.	كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ	يَزِيْدَ بن شَرِيْكٍ التَّيْمِيُّ	75، 239
113.	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي الخَنْدَقِ	سَهْلِ بن سَعْدٍ	56
114.	كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ	أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه	167
115.	كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ	رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ	113
116.	كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِﷺ	البراء رضي الله عنه	133
117.	كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ	89
118.	لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا	أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه	132
119.	لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ	أَبو هُرَيْرَةَ	325
120.	لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِﷺ	عَلِيّ	199
121.	لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ	ابْن عَبَّاسٍ	149
122.	لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ	ابْنُ عَبَّاسٍ	244
123.	لَمَّا حَضَرَ الْبَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِﷺ	عَلِيٍّ	281
124.	لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ	أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ	103
125.	لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَامَ الفَتْحِ	عروة بن الزبير بن العوام	272 ، 276
126.	لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا	عَلِيٍّ	72
127.	لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّﷺ	أَنَسٍ رضي الله عنه	94-282-
128.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّﷺ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ	212
129.	لمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ المُشْرِكُونَ	عائشة	106
130.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ	البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ	57

.131	لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ كُنْتُ	عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ	85-84
.132	لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ حِصْنٌ	رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ	96
.133	لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	129
.134	لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ	أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﷛	203
.135	لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ	أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ﷛	167
.136	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً	أبو هريرة﷛	41
.137	مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّﷺ يُفَدِّي رَجُلًا	عَلِيّ﷛	94
.138	مَرَّ النَّبِيُّﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ	سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ﷛،	114-80
.139	مَرَّ رَجُلٌ فِي المَسْجِدِ وَمَعَهُ سِهَامٌ	جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ	277
.140	مَرَّ معبد بن أبي معبد الخزاعي بالنبيﷺ فقال	عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم	318
.141	مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ	سَلَمَةَ	200
.142	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ	أَبو هُرَيْرَةَ	209
.143	الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ	جابر﷛	60
.144	مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ	أَبو هُرَيْرَةَ	271
.145	مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ	أَبو هُرَيْرَةَ	279
.146	مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّه	أَبو هُرَيْرَةَ﷛	151
.147	مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا	عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ	278
.148	مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ	أَبو هُرَيْرَةَ﷛	131
.149	مَنْ لَهُ بَيِّنَةٌ عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ	أَبو قَتَادَةَ	172
.150	مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا	جَابِر﷛	188
.151	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ	أَبو هُرَيْرَةَ	270
.152	المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	أَبو مُوسَى	321
.153	نَادَى فِينَا رَسُولُ اللهِﷺ يَوْمَ انْصَرَفَ عَنِ الأَحْزَابِ	عَبْدِ اللهِ	166
.154	نَامَ النَّبِيُّﷺ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ	أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ	226
.155	نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على رسول الله	ابْن عَبَّاس	57
.156	وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ	حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ﷛	238

.157	وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ	المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ	333
.158	وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	ابْن عُمَرَ	134
.159	يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا	سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ	55
.160	يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟	ابْن عَبَّاس	243

فهرس الرواة، والأعـلام

فهرس الأماكن والبلدان

.27	نَخْلَة	65
.28	هَوَازِن	275
.29	وادي البرباط	186
.30	ودَّان	44
.31	اليرموك	177

انتهى